صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد السابع

المجلة الجديدة

العدد الثاني
من
السنة السابعة

فبراير ١٩٣٨

المسيحية فى مختلف الاقطار

جاء فى كتاب « دخول قبط مصر فى النصرانية » لتقى الدين العزيزى ما يلى عن النسطورية :

« ثم أقيم على بطركية الاسكندرية كيرلس « سنة ٤١٢ » فأقام اثنتين وثلاثين سنة ومات . وفى أيامه كان المجمع الثالث من مجامع النصارى بسبب نسطوريس بطرك قسطنطينية . فانه منع أن تكون مريم أم عيسى . وقال : انما ولدت مريم انساناً اتحد بمشيئة الله . يعنى عيسى . فصار الاتحاد بالمشيئة خاصة لا بالذات . وان اطلاق « الاله » على عيسى ليس هو بالحقيقة بل بالهبة والكرامة . وقال فى خطبته يوم الميلاد « ان مريم ولدت انساناً وأنا لا أعتقد فى ابن شهرين أو ثلاثة الالهية ولا اسجد له سجودى للاله . فلما بلغ كيرلس بطرك الاسكندرية مقالة نسطوريس كتب اليه يرجعه عنها فلم يرجع .. فتواعد البطاركة على الاجتماع بمدينة افسيس . فاجتمع بها مائتا اسقف وامتنع نسطوريس من المجىء بعد ما كرروا الارسال فى طلبه غير مرة . فنظروا فى مقالته وحرموه « سنة ٤٣١ » ونفى الى الصعيد فنزل مدينة اخميم وأقام بها سبع سنين ومات فدفن بها . وظهرت مقالته فقبلها برصومة اسقف نصيبين ودان بها نصارى أرض فارس والعراق والموصل والجزيرة الى الفرات وعرفوا الى اليوم بالنسطورية »

وتقى الدين العزيزى الذى نقلنا عنه هذه الكلمة الموجزة عن نسطوريس مؤرخ مصرى مسلم وقد توفى بالقاهرة سنة ٨٤٥ ه أى ١٤٤٢ م وما نقلناه يبين لنا الفكرة السائدة عن البدعة النسطورية فى القرن الخامس عشر الميلادى . ومن عجيب أمر هذه البدعة انها تفشت فى الشرق فبلغت الصين

AL-M
AL-A

NO
19

OL 25065.750

VOL. 7 LACKSNOS. 3 & 1

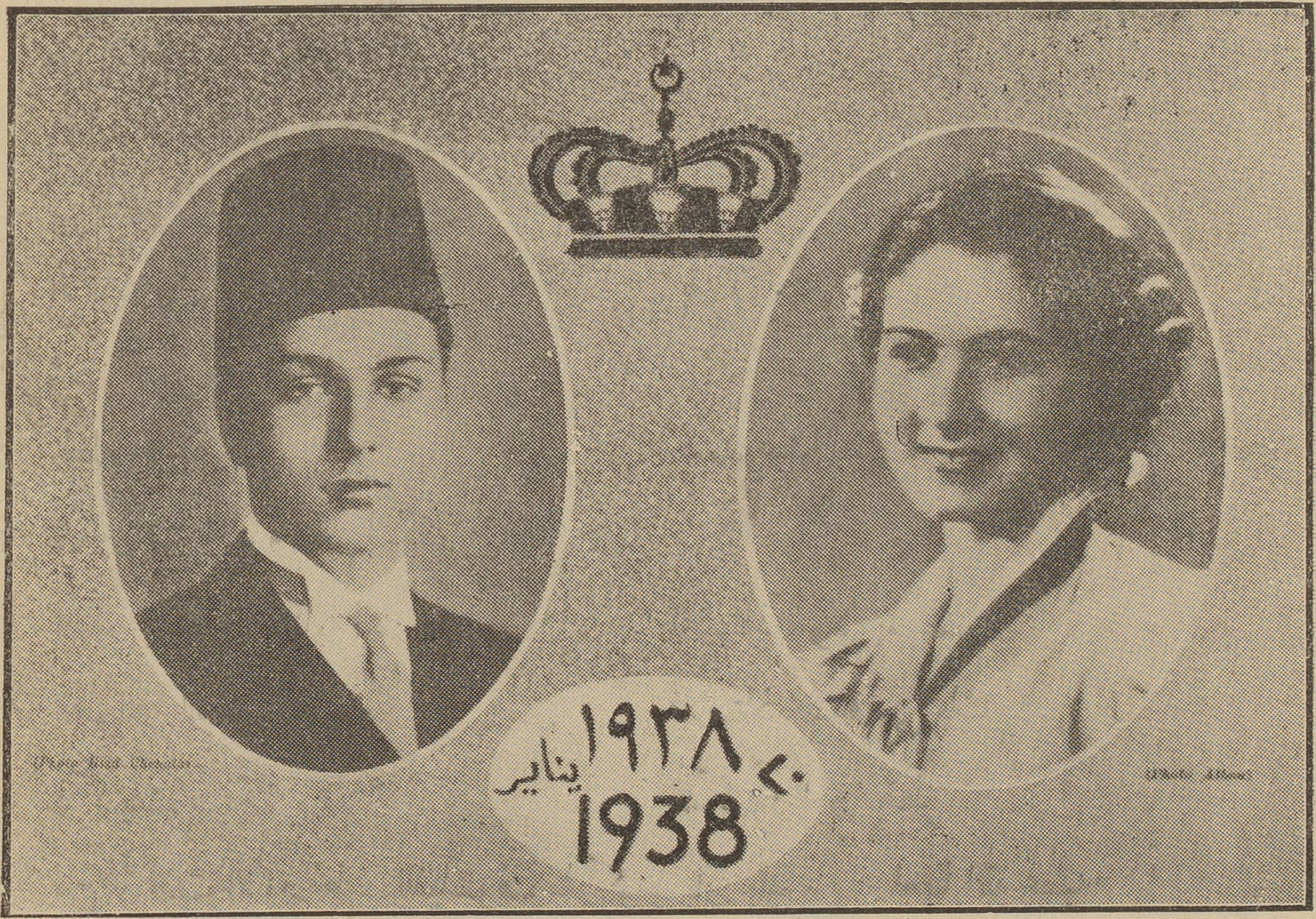
NOT AVAILABLE BIND AS TIED.

المجلة الجديدة

فبراير ١٩٣٨

الثمن ٣ قروش

فهرست



صاحبا الجلالة ملكا مصر

تتقدم اليهما المجلة الجديدة بالتهنئة لزواجهما السعيد

صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد السابع

المجلة الجديدة

العدد الثانى
من
السنة السابعة

فبراير ١٩٣٨

المسيحية فى مختلف الاقطار

جاء فى كتاب « دخول قبط مصر فى النصرانية » لتقى الدين العزيزى ما يلى عن النسطورية : « ثم أقيم على بطركية الاسكندرية كيرلس « سنة ٤١٢ » فأقام اثنتين وثلاثين سنة ومات . وفى أيامه كان المجمع الثالث من مجامع النصارى بسبب نسطوريس بطرك قسطنطينية . فانه منع أن تكون مريم أم عيسى . وقال : انما ولدت مريم انساناً اتحد بمشيئة الله . يعني عيسى . فصار الاتحاد بالمشيئة خاصة لا بالذات . وان اطلاق « الاله » على عيسى ليس هو بالحقيقة بل بالهبة والكرامة . وقال فى خطبته يوم الميلاد « ان مريم ولدت انساناً وأنا لا أعتقد فى ابن شهرين أو ثلاثة الالهية ولا اسجد له سجودى للاله . فلما بلغ كيرلس بطرك الاسكندرية مقالة نسطوريس كتب اليه يرجعه عنها فلم يرجع .. فتواعد البطاركة على الاجتماع بمدينة افسيس . فاجتمع بها مائتا اسقف وامتنع نسطوريس من المجىء بعد ما كرروا الارسال فى طلبه غير مرة . فنظروا فى مقالته وحرموه « سنة ٤٣١ » ونفى الى الصعيد فنزل مدينة اخميم وأقام بها سبع سنين ومات فدفن بها . وظهرت مقالته فقبلها برصومة اسقف نصيبين ودان بها نصارى أرض فارس والعراق والموصل والجزيرة الى الفرات وعرفوا الى اليوم بالنسطورية »

وتقى الدين العزيزى الذى نقلنا عنه هذه الكلمة الموجزة عن نسطوريس مؤرخ مصرى مسلم وقد توفى بالقاهرة سنة ٨٤٥ هـ أى ١٤٤٢ م وما نقلناه يبين لنا الفكرة السائدة عن البدعة النسطورية فى القرن الخامس عشر الميلادى . ومن عجيب أمر هذه البدعة انها تفشت فى الشرق فبلغت الصين

والهند . وقبل سبعة أعوام زارنى طالب هندى مسيحى من جزيرة سيلان . فظننت لاول وهلة أنه اعتنق المسيحيــة على أيدى المبشرين من الانجليز والامريكيين ولـكنه أخبرنى أنه نسطورى وان المسيحية دخلت سيلان فى القرن الخامس على أيدى النسطوريين . ويرى القــارىء هنا صورة صينية للمسيح رسمت فى القرن السابع للميلاد . ومع المسيح قسيسان نسطوريان . والملامح فى الوجوه الثلاثة صينية . فان الاضطهاد الذى وقع بالنسطوريين عقب اعتقال زعيمهم شتتهم فاتجهوا صوب الشرق وتفشوا فيه . وكان جميع المسيحيين فى جزيرة العرب نسطوريين وآمنوا بالاسلام عندظهوره أورحلوا عن الجزيرة صوب الشرق أيضاً



صورة صينية للمسيح ومعه قسيسان نسطوريان
(القرن السابع)

والمتأمل للرسوم التى رسم بها المسيح أو العذراء فى مختلف الامم يجد الطابع الخـاص لكل من هذه الامم فى وجه المسيح أو وجه العذراء . فكما وجدنا أن الصينيين قد رسموا المسيح صينياً كذلك رسمه الايطاليون ايطاليا والاقباط قبطيــاً والاتراك تركياً لأن هؤلاء جميعهم قد اعتمدوا على الخيــال الذى يرتبط بالبيئة . وهذا الخيال يتفق وما يفهمه الرسام من معانى التقوى والصلاح . فان هنا رسما تركياً يرجع الى منتصف القرن الســابع عشر « ١٦٥٠ » تقريباً قد بدا فيه المسيح بهيئة الصوفيين الدراويش الاتراك . ومن فوقه رسم للاسكندر المقدونى كأنه سلطان تركى . أما الرسم الثالث فعجيب حقا . فان أحد الاقباط رسمه لـكى يمثل المعجزة المشهورة وهى احياء اليعازر من الموت . وهذه الصورة رسمت فى القرن السادس



صورة تركيه للمسيح وفوقه صورة للاسكندر المقدوني (القرن السابع عشر)



للميلاد . وكان الاقباط على الرغم من سيادة المسيحية لايزالون يحنطون موتاهم . ولهذا السبب يرى القارىء صورة اليعازر الى اليمين وهي موميـاء ملففة . والصورة منحوتة فى العاج . وقد جهل الرسام أن اليهود لم يكونوا يحنطون موتاهم على الطريقة المصرية فاتبع خياله . وهو خيـال مصرى خاضع للبيئة المصرية . ولم يمح التحنيط من مصر إلا بعد أن تغلب عليها الاسلام

الى اليسار

صورة قبطية المسيح وهو يحيى اليعازر

(القرن السادس)

من اجل أصدقائك

ديون : التوأمات الخمس

أسرة ديون هى الأسرة الكندية الفرنسية التى انجبت خمس توأمات كلهن بنات . وليس على الكرة الأرضية أسرة أخرى لها هذا العدد من التوأمات الأنثيات أو التوائم الذكور . والعناية بتربيتهن كبيرة اذ لهن طبيب خاص يشرف على غذائهن ونموهن فى صحة بعيدات عن الأمراض . ولما تفشى حولهن أحد الامراض التى تصيب الاطفال منع هذا الطبيب — وهو الدكتور دافو — ابويهن من زيارتهن . وهو يصر على أن ينمن ١٤ ساعة فى اليوم ويدهن أجسامهن بزيت الزيتون قبل أن يخرجن فى الهواء البارد ويطعمن كثيراً من الخضروات واللبن . وهن لا يأكلن من اللحم سوى القليل جدا من لحم الخنزير والكبد . ومع أنه قد وقف عليهن مائة ألف جنيه فانهن يعودن خدمة أنفسهن بمساعدة قليلة من المربية . وهن ينمن فى الظلام ولا يعرفن معنى الخوف بتاتا اذ لم تقص عليهن قصة بعبع او عفريت . وقد منعت عنهن الحلويات باصنافها اعتقادا بأن السكر يضعف المقاومة . ولكن يضاف الى طعامهم سكر الذرة وهو قليل الحلاوة لا يبعث على اشتهاء الزيادة منه . وقد منعت عنهن الكلاب والقطط خشية العدوى



توأمات ديون الخمس مع طبيبهن الخاص
الدكتور دافو

بياتريس ويب

امرأة انجليزية يجب أن يعرفها رجالنا

احتفل المثقفون الانجليز بمرور ثمانين عاما على السيدة بياتريس ويب زوجة اللورد باسفيلد الذى يبلغ الآن ٧٩ عاما . وهذا اللورد باسفيلد هو الذى كان المستر سدنى ويب . فلما نال عضوية اللوردية رفضت زوجته أن تسمى « الليدى باسفيلد » واحتفظت باسمها الديمقراطى المسز ويب . وهنا مغزى للزوجات الشرقيات اللاتى يدفعن أزواجهن إلى الظهور بالمظاهر الارستقراطية ولو كان فى ذلك خرابهم المادى والمعنوى

وبياتريس ويب من الشخصيات التاريخية الانجليزية . فانها نشأت فى بيت من البيوتات الانجليزية المعروفة بترف العيش وترف الذهن . وكان هربرت سبنسر من الضيوف المألوفين عند أبويها . واتجه ذهنها الى الدرس الجدى من محادثاتها مع هذا الفيلسوف الذى غمر النصف الثانى من القرن التاسع عشر بتفكيره عن التطور حتى دعاه داروين « فيلسوف التطور »

وكان لبياتريس قريب غني يدعى تشارلس بوث أراد ان يقاوم الدعاية الاشتراكية بتأليف كتاب كبير عن الأحوال التى يعيش فيها العمال وعيالهم فى لندن . فعرضت بياتريس على قريبها أن تقوم بهذه المهمة . والغاية التى قصد اليها هذا الغنى كما قلنا كانت مقاومة الاشتراكية عن طريق اثبات الأحوال الحسنة التى يعيش فيها العمال وأن مايقال عن ارهاقهم بالعمل ساعات كثيرة وانحطاط أجورهم وسوء مساكنهم انما كل ذلك أكاذيب لا أصل لها . ولكى تعرف بياتريس الحقائق باشرت بنفسها العمل فى المصانع والسكنى فى أحياء العمال فاتخذت ملابسهم وأكلت طعامهم وسكنت معهم وجعلت تعمل بيديها فى المصانع المختلفة وتجمع كل ماتستطيعه من حقائق ملموسة قائمة على التعامل والمعاشرة . ثم خرج الكتاب فاذا به على النقيض مما قصد اليه المستر

تشارلس بوث واذا به يؤيد دعوى الاشتراكيين من سوء الاحوال التى يعيش فيها العمال وعيالهم

وخرجت بياتريس ويب من هذا البحث الذى قامت به وهى إشتراكية صميمة . وإنضمت الى الجمعية الفابية . وهذه الجمعية مؤلفة من رجال ونساء الطبقة المتوسطة الذين يقتصرون على الدرس دون العمل السياسى . فهم يؤلفون الكتب والرسائل ويلقون المحاضرات فى شرح الأحوال الاقتصادية وآثارها الاجتماعية . ولاتزال الى الآن عضوا فيها مع زوجها المستر سدنى ويب الذى صار منذ ثمانى سنوات لورداً إذجعلته وزارة المستر مكدونالد وزيراً وأدخلته مجلس اللوردة

وبياتريس ويب هى التى طلبت يد زوجها أو هذا على الأقل هو الذى يشاع ويقال . والاشاعة تصدق من هيئة بياتريس بالمقابلة الى هيئة زوجها . فانها امرأة نحيفة متفززة صاحية الذهن والعين . أما هو فرجل هادئ ساكن يتلقى الايحاء ولايلقيه . وقدعاشا الى الآن معاً أكثر من أربعين سنة وإندمجت شخصيتاهما فى كيان واحد . فان المؤلفات تخرج من بينهما وعليها أسماهما فلا تستطيع أن تميز الطابع الذى يسم أحدهما دون الآخر . وهذه المؤلفات تخرج قوية كاملة فى الثقافة الاقتصادية والاجتماعية . فانهما لايؤلفان فى القصص أو الفنون اللذيذة التى تستهوى النفس ويستصغر المؤلف فيها كل مجهود أزاء لذة العمل

فان مؤلفات الزوجين تتناول « تاريخ الحكومة المحلية فى انجلترا » و« قانون الفقراء » أى درس القوانين التى تساعد بها الحكومة الفقراء . وأمثال ذلك من المواد الجافة . وقد كان للزوجين الشأن الاكبر فى انشاء مدرسة لندن الاقتصادية التى رسمت خططاً جديدة فى البحوث الاقتصادية القائمة على معاينة المصنع والبيت والمدينة وليس على التفكير فى النظريات تحت ضوء المصباح فى المكتبة الهادئة كما هو الشأن بين من يسمون أنفسهم فلاسفة

وقبل عام قصد كلاهما الى روسيا وهناك عمدا الى الدرس المباشر يزوران المصانع ويدخلان المكاتب ويجولان فى المزارع . وأخرجا كتاباً هو الآن حجر الزاوية فى نظام الحكم الروسى

وقد جاد انتاجهما أكثر للعمر الطويل الذى عاشاه وخاصة لأنهما لم يعقبا نسلا . وهذا العمر الطويل هو من عجائب الانجليز وخاصة ساستهم وقادتهم فى الفكر والعمل . فان الساسة والقادة عندنا فلم يبلغون الستين أو الخامسة والستين حتى نجد امارات التهدم واضحة على أجسامهم . وانظر مثلا الى

نسيم باشا وزيور باشا . اماهما فهما الآن فى الثمانين وهما ينتجان ويعملان ويعيشان . بل لعل شباننا الذين يقيلون عقب الغداء يجهلون أن هذين الشيخين لايعرفان نوم القيلولة . والسبب واضح وهو أنهما لايأكلان طعاما دسما ولا يسمنان ووجبة الغداء فنجان شاى مع لقمة أو بلا لقمة

وقد خدم كلاهما الاشتراكية أعظم الخدمة اذ نقلاهما من محيط العمال الى محيط الطبقات المتوسطة والاغنياء حتى صار يعتنقها النبلاء وأصحاب الالقاب من اللوردة . وقد تغلغلت المبادىء الاشتراكية الى نظام الدولة البريطانية التى تعرف من نظام الحكومة المحلية ومن نظام التأمين الاجتماعى ضروبا من الاشتراكية تعود بالخير العميم على جميع السكان . وكثير من الفضل فى ذلك يعود الى بياتريس ويب وزوجها اللورد

وان مصر بل الشرق كله ليغدو سعيدا حين يكون فى كل مليون من سكانه زوجان فقط يرصدان حياتهما للخدمة العامة البارة التى لاتنبعث الا من محض الرغبة الصادقة فى مكافحة القبح والمرض والفقر والدعارة دعارة الجسم ودعارة النفس

ان الشرق يعرف الجواهر يملكها الراجوات والمهارجة ويعرف القصور تحتوى مئات الغرف يسكنها الامراء والنبلاء ويعرف الابهة والفخفخة فى الالقاب ولكنه لايعرف البر بسواد السكان ولايبالى ان يرى الفقر باثاره القاتلة الفاجعة فى النساء والرجال والاطفال لانه الى الآن يخلو من امثال بياتريس ويب وسدنى وب

معركة الخبز في انجلترا

ومغزاها لنا فى مصر

من المبتكرات الحديثة فى الاعلانات أن يجتمع التجار لصنف معين من البضاعة ويعلنوا عنها جماعة حتى يقبل عليها الجمهور ويزيد الاستهلاك . كما يعرف القراء من الاعلانات التى تنشر هذه الايام ومنذ عام عن الشاى . فان هذه الاعلانات لاتعين لنا صنفاً منه ولا تقول اشربوا الشاى الهندى واتركوا الشاى الجاوى أو الصينى . ولا تقول اشتروا الشاى الموسوم باسم كذا أو الذى يبيعه فلان فى شارع كذا . وانما هى تقتصر عل التحريض لنا على أن نشرب الشاى مهما كان أصله أو اسمه أو بائعه . وهذه الاعلانات تقوم بها الشركات الكبرى التى تزرع الشاى وتتجر به فى العالم كله

وقد حدث فى انجلترا ان أخذ كثير من الجمهور — وخاصة السيدات — يحجم عن تناول الخبز الا فى قلة محسوسة . وكان الباعث على ذلك سيادة الآراء القائلة بأن السمن يشوه الجمال فى النساء وانه أيضاً عبء على الصحة . وان القوام الجميل والصحة الحسنة يقتضيان النحافة . ولما كان الخبز أعظم مايدعو الى السمن فقد أحجم عنه الجمهور . وشعرت المخابز بالكساد فأخذت تعلن جماعة — على طريقة الاعلان عن الشاى — عن فوائد الخبز . ولكن الاعلان لم يكن مقصوراً على الوعظ . فانه كان أحيانا يحتوى وصفة لصنع ساندويتش بالجبن أو اللحم أو بعض الاطعمة الاخرى . وكل ساندوتيش يحتوى شريحتين من الخبز . .

ولكن ازاء هذه الاعلانات هبت المجلات الطبية والصحية تشرح ضرر الخبز أى الضرر الناشيء من كثرة الاعتماد عليه فى الطعام اذ هو العلة الكبرى للسمن . ودخل الدكتور اربوثنوت لين فى المناقشة فقال انه يجب أن يمنع صنع الخبز من الدقيق الابيض وأن على الحكومة ألا تجيز بيع أى خبز الا اذا كان أسمر يحتوى دقيقة نخالته أى ردته . وحجة الدكتور لين أن الخبز الأسمر يحتوى فيتامينات لا توجد فى الدقيق الأبيض . وأنه يمنع الاكثار من الطعام فلا يعد الجسم للسمن الناشىء من الجشع الزائد وأنه أيضا يقى الامعاء من الامساك . ومن الامثلة التى ذكرت أن الخبز الاسمر عم

صنعه مدة الحرب الكبرى فى دنمركا بدلا من الخبز الابيض . وكان الدكتور هندهيد الخبير الغذائى هو الذى أشار على الحكومة الدنمركية بذلك عندما وجد أن الدقيق الابيض قد احتكره تجار يبعونه لألمانيا بالأثمان العالية فلا يجد الدنمركيون حاجتهم منه بالأثمان التى فى استطاعتهم أداؤها . فرأى الدكتور هندهيد أن يخلط الدقيق الابيض بالدقيق الاسمر فيخفض الثمن ويتمكن الفقراء من شرائه مثل الاغنياء . ومنع بيع الدقيق الابيض بتاتا . وكانت النتيجة — فضلا عن انخفاض الثمن — ان جادت صحة السكان ونقصت الاصابات بالبول السكرى . وهذا هو مايدعى اليه الآن فى انجلترا

وفى مصر تتنافس المخابز فى صنع الخبز الابيض . ونحن نقبل على الخبز اقبالا عظيما اذ هو يكون معظم طعامنا . ومما لاشك فيه أن كثيراً من الاصابات بالبول السكرى يعزى الى اكثارنا من أكل الخبز . ولو كنا نقل من أكله على نحو ما يفعل الاوربيون ونكثر من الخضراوات لما فشا بيننا البول السكرى الذى لاتكاد تخلو منه أسرة متوسطة أو غنية . أما الفقراء فينجون منه لانهم من جهة يعملون بأيديهم ولا يقضون وقتاً طويلا فى الركود الجسمى الذى هو حظ المتوسطين والأغنياء ومن جهة أخرى يأكلون خبز الذرة مع نخالته أى ردته

وقد اقترح خبير غذائى بقصر العينى من مدة قريبة أن يصنع خبزنا مخلوطا من دقيق القمح والذرة والحلبة . وفى ألمانيا منع صنع الخبز من القمح وحده اذ يجب أن يكون مخلوطاً بالذرة . والغاية اقتصادية ولكن الفائدة الصحية ترافق الفائدة الاقتصادية هنا

وأعظم مانحتاج اليه فى مصر أن تؤسس مخابز للفقراء من العمال المعيلين فى المدن الكبرى تصنع خبزاً رخيصاً يساغ طعمه ولا تنبو العين عن لونه بحيث تباع الأقة منه بثمانية أو عشرة مليمات . فان من الغبن بالفقراء أن يطالبوا بأداء الثمن الذى يؤديه الاغنياء للخبز ويجب ألا ننسى أنهم لقلة اللحم أو الخضراوات التى يشترونها يأكلون خبزاً كثيراً

فلهذا يجب أن نوفر لهم هذه المادة بثمن منخفض . فلماذا مثلا لا يصنع لهم خبز من الذرة المخلوطة بالحلبة أو القمح أو الرز ؟ بل لماذا لا يباع الخبز الاسمر فى القاهرة بأثمان منخفضة حتى يجد فيه الرجل السمين الذى يخشى البول السكرى أو الذى وقع فيه غذا حسناً يقيم به صحته ؟

وفيات الاولاد أكثر من وفيات البنات

فما هي الاسباب ؟

فى الخلايا الحية توجد جسيمات مختلفة ينسب الى وجود بعضها فى الخلية ما يسبب ظهور عوامل وراثية معينة كما أنه ينسب الى بعضها الآخر تمييز جنس من آخر ، الانثى من الذكر . هذه الجسيمات تعرف بالكروموزومات

وفى الخلايا العادية للانسان « غير الجنسية » توجد هذه الكروموزومات أزواجا ويكون أحد الكروموزومين مأخوذا عن الأب والثانى عن الأم .

والكروموزوم المسمى «س» هو المميز للجنس فى حالة الانسان ، ويوجد أزواج فى الخلايا الجنسية للانثى . أما فى الذكر فيوجد فى الخلية الجنسية كروموزوم « س » مع آخر « ص » وهذا الاخير أقل من الاول حجما وليس له تأثير فى العوامل الوراثية .

ومن هذا نستخلص أن الخلية الجنسية عند المرأة فيها الكروموزومات على صورة « س س » أما فى الرجل فتكون الكروموزومات على صورة « س ص » . وفى بعض الأنواع الحيوانية ينعدم فى خلايا الذكر الكروموزومات المميزة للنوع . فعند الاخصاب يحدث ما يلى :

س « من الخلية الذكرية » مع س « من البيضة »

= س س فيكون الجنين أنثى

أو ص « من الخلية الذكرية » مع س « البيضة »

= س ص فيكون الجنين ذكرا

ونتيجة للأثر الكمى للعوامل الوراثية تغلب عوامل الذكورة أو الأنوثة على الجنين فينشأ ذكراً أو أنثى نتيجة لذلك . ومع هذا فيلزمنا أن نذكر أن كل أنثى تأخذ كروموزوم س عن الام وكروموزوم س آخر عن الاب أما الذكر فيأخذ الكروموزوم س عن الام فقط ولا يأخذه عن الاب « ربما كان فى ذلك شأن كبير فى توضيح السبب فى أن المشابهة بين الولد وأمه أكثر منها

بين الولد وأبيه »

قلنا أن الكروزومات يحمل بعضها عوامل وراثية ولكن هذه العوامل منها المتنحية ومنها الغالبة ويزول أثر العوامل المتنحية اذا وجدت فى الكروموزات العوامل الغالبة المقابلة لها

فمثلا اذا وجد فى الكروموزومات العوامل التى تورث العيون الزرقاء وفى نفس الوقت العوامل التى تورث العيون السوداء فان الاخيرة تتغلب على الاولى وتكون أعين الجنين سوداء

واذا كانت الانثى تحمل فى واحدة من كروموزومات الخلايا الجنسية عوامل متنحية . خذ مثلا العامل المسبب لتوريث مرض الهيموفيليا « عدم تجمد الدم فى حالة النزف بسهولة » .

فهذه الامرأة اذا تزوجت رجلا عاديا فما يحدث يمكن توضيحه هكذا « الرمز « س هـ يدل على الكروموزوم الذى يحمل عامل توريث الهيموفيليا »

الأم	الأب
س	س
س هـ	ص

الاولاد س س ، س ص ، س هـ س ، س هـ ص

وعلى ذلك فنصف الذرية سيحمل هذا العامل

ولكن الاناث من الذرية سيكون مع الكروموزوم الذى يحمل هذا العامل كروموزوم «س» آخر وهو غالب بالنسبة الى «س هـ» المتنحى فلا يظهر هذا المرض فى الاناث مطلقا أما فى الذكور فالكروموزوم «س هـ» اذا كان موجودا فانه يكون بمصاحبته كروموزوم « ص » وهذا لا تأثير له فتظهر الصفة الوراثية ويظهر هذا المرض فى بعض الذكور . أما الاناث فلا تظهر فيها المرض وانما فقط تحمله الى الذرارى المتعاقبة فى هذا المثال.

وقد يحدث أيضا ما أظهره العلامة مورجان فى أبحاثه عن ذبابة الفاكهة أنه قد تكون هناك اختلافات كبيرة بين قدرة أفراد العائلة الواحدة على الحياة ، وهذه الاختلافات تنشأ عن تغييرات فى العوامل الوراثية تؤدى الى جعل المتغير متنحيا بالنسبة للعامل العادى

ومن العوامل الوراثية التى تحملها الكروموزومات تلك العوامل التى تسبب طول حياة الافراد وقصرها .

وقد يكون أثر هذه العوامل فى منتهى القوى فتسمى مميتة وتجعل الجنين غير قادر على الحياة مطلقاً وقد تكون نصف مميتة فلا يقوى الفرد حينئذ على الحياة إلا فى ظروف صحية مناسبة للغاية – وقد تكون هذه العوامل مما يقلل قدرة الفرد على احتمال ومقاومته المرض .

ولأن هذه العوامل كثيرة ومتنحية فعلى ذلك يكون احتمال ظهورها فى الذكور كبيرا كما أوضحنا وهذا يصدق على كل الحيوانات الثديية كما هو صادق فى حالة الانسان . ومن الامثلة التى حقق فيها فالتغذية الناقصة للفئران تسبب وفاة الاجنة وتجعل نسبة المواليد فى اناثها أكثر منها فى ذكوره لان نسبة كبيرة من الاجنة الذكور تموت قبل أن تولد .

وفى الانسان أمكن استخلاص الحقائق الآتية :

	عدد الذكور	عدد الاناث
فى الحمل	١٣٠	١٠٠
عند الولادة	١٠٣ – ١٠٧	١٠٠
بين سن الخامسة والسادسة	١٠٠	١٠٠

وعند البلوغ يصبح عدد الاناث أكبر من عدد الذكور فى كل الامم مهما تباينت طبائعها

ومما يشاهد أيضا أن عدد مرات الاسقاط والاجهاض تزيد عند الام كلما زادت مرات الحمل وكلما تقدمت الام فى السن

أى أن الاجنة التى تموت فى بطون الامهات العجائز اكبر منه فى بطون الصغيرات ، واكثر الوفيات الزائدة تكون بين أجنة الذكور .

وكل المشروعات التى يقصد بها تقليل وفيات الاطفال فى السنوات الاولى من حياتهم تقدمت تقدما كبيراً ، ومع ذلك فان معدل الوفيات يصعب تقليله أدنى من حد معين ، ويظهر أنه ليس فى الامكان انقاصه عن حد أدنى معين — وربما كان هذا بسبب وجود عوامل وراثية أخرى فى كروموزومات خلايا الجسم الاخرى غير خلاياه الجنسية . فاذا كان ذلك هو الواقع أفليس انقاص الافراد الذين يحملون هذه العوامل نافعا فى اختفائها ؟ اذا كان الامر كذلك فان المحافظة على حياة من يحملون عوامل الضعف هذه هو بمثابة أثقال كاهل المجتمع بعوامل غير مرغوب فيها

ن . ش

بيوتا عمرت ـ وفى الخلاء تموت

قصة «للكاتب اليهودى ابراهيم رايزن»

حنت الايام ظهر عازر عامل البناء وسلبته قواه . ولذا تراه ملازماً مسكنه لا يبرحه الا للصلاة نظرا لصعوبة المشى عليه . وعدا ذلك الى أين تراه يذهب ؟ ومن يقصد ؟ ولماذا؟ فقد تفرق أولاده يجوبون البلاد طلبا للرزق فتركوه وحيدا ، وتوفيت زوجته منذ ثلاث سنوات. حين لم يزل يزاول مهنته وكده . ولم يعجز عازر عن عمله الا بعد أن أفلت القدوم من قبضته

رأى العمال المتمتعون بقوة الشباب وصحته ذلك . فقالوا :

ـ لقد آن أوانك ياعم عازر، لأن تستريح .

فكان كما قالوا ، وها قد مضت سنتان على عجزه ولكن الراحة ما زالت بعيدة عنه. نعم انه لا يهتم بشئون معيشته ، اذ ما هو قوام معيشته؟ انه قليل من البطاطة وقطعة من السمك والسلام

ولكن هناك أمرا يقلق راحته على الدوام الا وهو اضطراره الى دفع شلنين ايجار مسكنه الى سلمان الشيخ .فاذا حان موعد الدفع انهك عازر ذاكرته مفتشا عن بعض الملاك الذين ابتنى لهم دورا ، وبقيت لديهم بقايا من أجرته . فكان بعضهم ينكر والبعض الآخر يقر ولكنه يقسم اليمين الغليظة بعدم تمكنه من تسديد الدين، وآخرون لاينكرون ولا يعترفون، بل يصرفونه ببعض الشلنات... على انه كلما مرت به الايام ، صعب عليه الحصول على ذينك الشلنين أجرة المسكن . وها قد تراكم عليه دين بدل شهرين ، وهل الشهر الثالث ، دون أن يتراءى له أى مصدر للدراهم. على انه لو كان سلمان الشيخ صاحبا للدار ، لتريث وانتظر . ولكنه هو مستأجر أيضا ، وعليه أن يدفع ايجار الدار ، ولذلك فهو لا يستطيع الاصطبار، حتى ان عازر نفسه لا يطاوعه قلبه على تركه ينتظر مثل هذه المدة وسلمان خياط مسن ، أعور ، ورزقه طفيف جدا

ولذلك كله صار عازر يطيل المكوث فى المعبد بعد صلاة المغرب ، حيث يتناول أحد المصاحف فيقرأ فيه الى أن تدق الساعة عشرا فيوقن أن سلمانا قد نام ، فينهض من مجلسه قاصدا مسكنه خلسة

أما سلمان الشيخ فقد أومأ اليه بأنه عزم على تأجير المسكن الى مستأجر آخر ، ان هو لم يدفع له الايجار فى أقرب وقت ممكن ...

تجول عازر فى شوارع البلدة مغموماً وعيناه تحملقان فى الارض . على انه قد يرفعهما من حين الى آخر الى الدور التى كان يمر بها . . ان هذه الدور عزيزة فى نظره ، لانها تعود به الى عهد مضى كان يقف فيه على الحيطان يعمل فى بنائها بجد ونشاط . . ها هى دار يعقوب الوكيل ، فقد استغرق بناؤها عشرة أسابيع ، ودفع صاحبها أجوراً لا بأس بها — خمسة شلنات يومياً . وكان أحياناً يسقى العمال كأساً من العرق فى آخر النهار .

وها هى دار الوجيه .. احسن بها من دار ! لا تزال جديدة . لقد بنيتها منذ عشرين سنة ، وتقاضيت أجراً لا يستهان به ، ثلاثة شلنات يومياً . .

دخل عازر المعبد يائساً حزيناً . فصلى صلاة العصر ثم المغرب ثم دقت الساعة سبعاً ، وثمانياً ، وتسعاً ، وعشراً . . لاشك ان سلمان الشيخ قد نام . على ان نفس عازر لا تميل الى الذهاب الى مسكنه . بقى جالساً امام المصحف المفتوح والهواجس تنتابه متضاربة فى دماغه : ماذا عساه يفعل ؟ . . وفى النهاية لاحت له فكرة عجيبة بأسرع من لمح البصر ، فاستبشر بها : انه يمكث من الآن وصاعداً فى المعبد ! دون أن يعود الى سلمان الشيخ قط . . ها قد ارتفع حمل أجرة المسكن عن عاتقه ! على ان الدين لا يزال يثقل كاهله . من الواجب المنحتم عليه ان يسدد هذا الدين .. فكيف يفعل ذلك؟ كيف؟ اخذ عازر يتنهد تنهداً عميقاً . .

دقت ساعة المعبد اثنتى عشرة وعازر لا يزال جالساً يغالب النعاس . فيرى فى منامه سلمان المسن جالساً الى جانبه يخيط ، وبعد كل غرزة يشك الابرة فى عينيه «عينى عازر» . .

عفواً ياسيدى — صاح مساعد الشماس — هذا مكانى ، دعنى أنام فى مضجعى !

فرك عازر عينه . فكرر مساعد الشماس صياحه بصوت جاف : ان المعبد ليس وقفاً للجميع ، وان قيم المعبد قد أمرنى بألا ادع أحداً ينام فيه . — كلا أبداً . .

ولما عاد عازر الى سلمان الشيخ لم يكن ليلتفت الى الدور التى انشأها ، كان الليل بهيما ، وعازر يجر رجليه جراً . لأن التخبط فى الظلماء كان أهون عليه من العودة الى سلمان .

فماذا تكون عاقبته ياترى ؟ . .

— آه ! — تنهد عازر بمرارة — بيوتا عمرت وفى الخلاء تموت ! ؟

أدب عالمي

الادب بين اليـــــــوم والغد

نحو ادب جديد

الغاية من الحياة فى رأيي ليست السعادة ولا التمتع ولا بقـاء النوع كما يرى الكثيرون بل هو التطور والارتقاء. فنحن لم نخلق على هذه الارض عبثا بل خلقنا لنرتقي حتى نصل إلى درجة تؤهلنا إلى اكتشاف أسرار الوجود وخفاياه والكشف عن السبـــل المثلى للانتفاع بهذه الخفايا لنزداد بهذا الانتفاع رقياً

وناموس التطور الذى سرى على الوجود وجزئياته منذ الأبد ما زال ساريا وسيظل عاملا نشطا لا يبالي بالعقبات ولا بالجمود. وهذا النـاموس الذى ارتقى بالانسان من الأحيـاء الاولى إلى انسان الغابة ثم الى ما نحن عليه اليوم سيرفعنا غداً إلى أنصاف آلهـة وسيتبع ارتقاءنا بالطبع تقدم عظيم فى كل ثمرات الحياة من علوم ومبادىء وفنون وآداب حتى تصبح نسبـة حياتنا الحاضرة الى المستقبلة أعظم من النسبة بين ناقة أسلافنا وجراف زبلن ! .

ولما كان الأدب يستمد من الحياة عناصره فانه سيرتقي بارتقائها وستعمل فيه يد التطور وسيأتي يوم يصبح فيه أدبنا الحاضر طفلا يلهو بالألاعيب. ولالوم فى ذلك على أدباء هذا الجيل ولا على أدباء الأجيال السالفة لانهم انما يستمـدون من حياة مضطربة ولاننا ما زلنا نعيش فى عصر انتقالى ملىء بالتجارب والتزاحم تتضارب فيه الآراء وترتطم مختلف النظم والمبادىء . . هو العاصفة التى تسبق الاستقرار والفوضى التى تتقدم النظام .. ومع كل هذا الاضطراب الذى يكتنفنا من كل صوب فان التطور يسير بنا الى الأمام كقطار يجتاز المفاوز والوهاد ولا يتوقف !

وأدبنـا اليوم، فى كل الارض، مشوب بالتعصب والتحيز . التعصب الجنسى والقومى والدينى واللغوى ، فثمة ربوات المؤلفات والمطبـوعات ، من كتب وقصص ودواوين وصحف ، يتغنى فيها كتابها بمرأى الدماء وغزو الجار وسحق الأعزل ،كل يشيـد بأمجاد آبائه وقداسة لغته وأفضلية دينه

وحرمة وطنه وعظمة جنسه، الوطن فوق العالم وبنوه فوق الانسانية كلها.. والايطالى مثلا يتحدى العالم ويحلم بعودة الامبراطورية الرومانية، والنـازى ينادى باستئصال شأفة اليهود حثـالة البشر ويشرد اينشتين، ويقول بتنقية الدم الالمانى الآرى من شوائب العنـاصر الاخرى، وبسحق فرنسا وغزو روسيا ومحاربة جائزة نوبل لانها ترمى الى السلام، والروسى يكتب اليوم لنشر الشيوعية، والانجليزى يتغنى بأمجاد الامبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس، واليابانى يقدس السيف والمدفع لا للدفاع عن النفس بل لاخضاع الجار الآمن، والشرقى يحن إلى عهود بغداد وينادى بقداسة لغة الضاد..

إلا أن النظر الى المستقبل على ضوء التطور يرينـا أن هذه المطبوعات التى تغمر العـالم اليوم كالطوفان والتى أوغرت الصدور وجعلت من الارض معسكراً مدججـا بالسلاح، إن هى إلا زبد سيذهب جفاء، أما الناحية الخالدة فهى ذلك الادب الحى الذى يضيـع وسط هذه الفوضى وينعت بالهوس وأضغاث أحلام، أدب رومان رولان وولز وتاجور وأمثالهم..

ذلك لأن أدب المستقبل، ولو كان اليوم بعيـداً عن التحقيق، سيكون أدب الانسانية قبل أن يكون أدبا قوميا. سيكون أدبا عالميا ينبثق من النفس البشرية ويغوص فى أعماقها ويصور مثلها العليا كما يمثل آلامها وآمالها. ويتحدث عن «الانسـان» اينما كان وحيثما وجد. حتى التاريخ سيكتب على طريقة أخرى تماثل ما فعله ولز فى كتابه تاريخ العالم معتبراً إياه وطنا عاما للانسانية كلها.. هذا الأدب ستخف فيه وطأة التعصب والتحيز وسيعطف على جهود الأمم المختلفة وسيعمل على التعاون والتفاهم بين مختلف الشعوب.. وسينعم اكثر مما ينعم به أدبنا الحـاضر بالانطلاق والحرية والتجديد لأن الدكتاتوريات التى تتصرف اليوم بمصـاير الامم وكذا قلق السـاسة وتخوف الحكام تقيد الآن أكثر الأقلام ويرغمها على مجاراة أهواء السياسة

وأدبنا اليوم مصاب بالثرثرة. والمطابع كغيرها من المصانع تدور آلاتها بالكهرباء وتقذف الى الاسواق فى كل دقيقة بكميات هائلة من الكتب والصحف، وهـذا العرض الذى زاد على الطلب أتخم المكاتب بالبضاعة المكدسة البائرة، ودفع النـاشرين والمؤلفين الى تلمس سبل الرواج فعملوا على ارضاء عامة القراء بالهبوط الى مستواهم لا لافادتهم بل لارضاء غرائزهم واشباع ميولهم واثارة حاستهم الجنسية..

ونا موس الارتقاء الذى يهذب الغرائز ويتسامى بها يقول أيضا ببقاء الأصلح ولا بد أن يأتى

ذلك اليوم المنشود الذى يميز فيه الانسان فى تطوره بين الغث والسمين ، فلا يقبل على الأدب السخيف ولا يتهافت على القشور ، بل يتبع المقاييس الجديدة للادب الجديد . . وكذلك لن تلقى الثرثرة رواجا كما تلقى اليوم ، لا لأن الفراغ سيكون قليلا وسط حياة كثيرة التراكيب ، بل بالعكس سيتسع الفراغ أمام الانسان كلما ازداد رقيا وانتفاعا بالآلات والمكتشفات ، وهذا الفراغ الذى طالما ساعد على تقدم الفنون والادب سينتفع به الانسان فى تثقيف نفسه وجسده ، وسيعرف كيف ينتفع به ويفيد منه ، إلا أن هذا الفراغ الفسيح المقبل سيكون مليئاً أيضا بما يشغله بفضل التقدم العلمى ، فهذا التليفزيون مثلا سيخلق فى كل بيت مسرحا صغيرا وقاعة للمحاضرات ، وهناك غير هذا مما يسد ذلك الوقت الرخيص الذى يقتله الملايين من معاصرينا فى قراءة القصص البوليسيه والمغـــامرات الجنسية وصحف القيل والقال ، والذى كان ينفقه أسلافنا فى الهجاء والمدح والتشطير والتخميس واذا بقانون بقاء الاصلح سيزيل الفاسد وسيقضى على الكثير من الأسماء التى دوت يوما فى عالم الأدب

ثم أن التقدم فى العلوم وتوالى المكتشفات وظهور النظريات العلمية الجديدة سيؤثر ولا شك فى أدب المستقبل كما أثرت نظريات فرويد وبرجسون وداروين وغيرهم فى أدبنا الحديث . فتقدم علم النفس المطرد سينير الطريق أمام التحليلات النفسانية التى يلجأ إليها القصاص والشاعر ، وتقدم علوم الاجتماع سيفيد الكاتب الاجتماعى ، وسيكون هناك تعاون ظاهر بين العلم والأدب وبين العقل والعاطفة وسيزداد تطعيم الادب بالمبادىء العلمية الصحيحة .

أما الشعر فلن تدول دولته كما يزعم البعض ممن يتشاءمون من طغيان المادة ، لان المادة لم تطغ حتى اليوم على المشاعر والعواطف ولن تستطيع التأثير عليها ما دامت العاطفة تمثل شطراً هاماً فى نفس كل بشرى ولكن ارتقاء الشعور تبعا لرقى الحياة العامة وكذلك ارتقاء مقاييس الادب سيتبعه ارتقاء فى الشعر فيعتمد يومئذ على الشعور الصادق والالهام الذاتى أكثر مما يعتمد على التقليد والنقل وسيتحرر من قيود الرجعية التى تنشأ فى حظيرة الجهل وقصر النظر ، وسيكون فى مقدوره الغوص فى أعماق النفس واكتشاف خفاياها ، وتصوير الحقائق بصدق واخلاص ..

إن التنبؤ عن مستقبل الأدب لا يخرج عن دائرة الحدس لكنه موضوع جديد جدير بالدراسة المستفيضة والتأمل العميق اذ مما لاشك فيه أن الأدب سيتطور وسيرتقى تبعا لتطور الحياة كلها ومن أراد لأدبه الخلود فلينظر الى الامام لا الى الوراء .

ن . ى .

وحرمة وطنه وعظمة جنسه،الوطن فوق العالم وبنوه فوق الانسانية كلها..والايطالى مثلا يتحدى العالم ويحلم بعودة الامبراطورية الرومانية، والنـازى ينادى باستئصال شأفة اليهود حثـالة البشر ويشرد اينشتين ،ويقول بتنقية الدم الالمانى الآرى من شوائب العناصر الاخرى ،وبسحق فرنسا وغزو روسيا ومحاربة جائزة نوبل لانها ترمى الى السلام ،والروسى يكتب اليوم لنشر الشيوعية،والانجليزى يتغنى بأمجاد الامبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس ، واليابانى يقدس السيف والمدفع لا للدفاع عن النفس بل لاخضاع الجار الآمن ، والشرقى يحن إلى عهود بغداد وينادى بقداسة لغة الضاد..

إلا أن النظر الى المستقبل على ضوء التطور يرينـا أن هذه المطبوعات التى تغمر العـالم اليوم كالطوفان والتى أوغرت الصدور وجعلت من الارض معسكراً مدججـا بالسلاح ،إن هى إلا زبد سيذهب جفاء ،أما الناحية الخالدة فهى ذلك الادب الحى الذى يضيـع وسط هذه الفوضى وينعت بالهوس وأضغاث أحلام ،أدب رومان رولان وولز وتاجور وأمثالهم..

ذلك لأن أدب المستقبل ،ولو كان اليوم بعيـداً عن التحقيق ،سيكون أدب الانسانية قبل أن يكون أدبا قوميا .سيكون أدبا عالميا ينبثق من النفس البشرية ويغوص فى أعماقها ويصور مثلها العليا كما يمثل آلامها وآمالها . ويتحدث عن «الانسـان» اينما كان وحيثما وجد . حتى التاريخ سيكتب على طريقة أخرى تماثل ما فعله ولز فى كتابه تاريخ العالم معتبراً إياه وطنا عاما للانسانية كلها..هذا الأدب ستخف فيه وطأة التعصب والتحيز وسيعطف على جهود الأمم المختلفة وسيعمل على التعاون والتفاهم بين مختلف الشعوب.. وسينعم اكثر مما ينعم به أدبنا الحـاضر بالانطلاق والحرية والتجديد لأن الدكتاتوريات التى تتصرف اليوم بمصـاير الامم وكذا قلق السـاسة وتخوف الحكام تقيد الآن أكثر الأقلام ويرغمها على مجاراة أهواء السياسة

وأدبنا اليوم مصاب بالثرثرة .والمطابع كغيرها من المصانع تدور آلاتها بالكهرباء وتقذف الى الاسواق فى كل دقيقة بكميات هائلة من الكتب والصحف ، وهـذا العرض الذى زاد على الطلب أتخم المكاتب بالبضاعة المكدسة البائرة ؛ ودفع النـاشرين والمؤلفين الى تلمس سبل الرواج فعملوا على ارضاء عامة القراء بالهبوط الى مستواهم لا لافادتهم بل لارضاء غرائزهم واشباع ميولهم واثارة حاستهم الجنسية..

ونا موس الارتقاء الذى يهذب الغرائز ويتسامى بها يقول أيضا ببقاء الأصلح ولا بد أن يأتى

ذلك اليوم المنشود الذى يميز فيه الانسان فى تطوره بين الغث والسمين ، فلا يقبل على الأدب السخيف ولا يتهافت على القشور ، بل يتبع المقاييس الجديدة للادب الجديد . . وكذلك لن تلقى الثرثرة رواجا كما تلقى اليوم ، لا لأن الفراغ سيكون قليلا وسط حياة كثيرة التراكيب ، بل بالعكس سيتسع الفراغ أمام الانسان كلما ازداد رقيا وانتفاعا بالآلات والمكتشفات ، وهذا الفراغ الذى طالما ساعد على تقدم الفنون والادب سينتفع به الانسان فى تثقيف نفسه وجسده ، وسيعرف كيف ينتفع به ويفيد منه ، إلا أن هذا الفراغ الفسيح المقبل سيكون مليئاً أيضا بما يشغله بفضل التقدم العلمى ، فهذا التليفزيون مثلا سيخلق فى كل بيت مسرحا صغيرا وقاعة للمحاضرات ، وهناك غير هذا مما يسد ذلك الوقت الرخيص الذى يقتله الملايين من معاصرينا فى قراءة القصص البوليسيه والمغـــامرات الجنسية وصحف القيل والقال ، والذى كان ينفقه أسلافنا فى الهجاء والمدح والتشطير والتخميس واذا بقانون بقاء الاصلح سيزيل الفاسد وسيقضى على الكثير من الأسماء التى دوت يوما فى عالم الأدب

ثم أن التقدم فى العلوم وتوالى المكتشفات وظهور النظريات العلمية الجديدة سيؤثر ولا شك فى أدب المستقبل كما أثرت نظريات فرويد وبرجسون وداروين وغيرهم فى أدبنا الحديث . فتقدم علم النفس المطرد سينير الطريق أمام التحليلات النفسانية التى يلجأ إليها القصاص والشاعر ، وتقدم علوم الاجتماع سيفيد الكاتب الاجتماعى ، وسيكون هناك تعاون ظاهر بين العلم والأدب وبين العقل والعاطفة وسيزداد تطعيم الادب بالمبادىء العلمية الصحيحة .

أما الشعر فلن تدول دولته كما يزعم البعض ممن يتشاءمون من طغيان المادة ، لان المادة لم تطغ حتى اليوم على المشاعر والعواطف ولن تستطيع التأثير عليها ما دامت العاطفة تمثل شطراً هاماً فى نفس كل بشرى ولكن ارتقاء الشعور تبعا لرقى الحياة العامة وكذلك ارتقاء مقاييس الادب سيتبعه ارتقاء فى الشعر فيعتمد يومئذ على الشعور الصادق والالهام الذاتى أكثر مما يعتمد على التقليد والنقل وسيتحرر من قيود الرجعية التى تنشأ فى حظيرة الجهل وقصر النظر ، وسيكون فى مقدوره الغوص فى أعماق النفس واكتشاف خفاياها ، وتصوير الحقائق بصدق واخلاص ..

إن التنبؤ عن مستقبل الأدب لا يخرج عن دائرة الحدس لكنه موضوع جديد جدير بالدراسة المستفيضة والتأمل العميق اذ مما لاشك فيه أن الأدب سيتطور وسيرتقى تبعا لتطور الحياة كلها ومن أراد لأدبه الخلود فلينظر الى الامام لا الى الوراء .

ن . ى .

شبلى شميل وفرح انطون

عنيت المجلة الجديدة بابراز فضل رجلين من اخواننا اللبنانيين هما شبلى شميل وفرح انطون . وقد مات الأول منذ عشرين سنة والثانى منذ خمس عشرة سنة . وقد أردنا أن ننبه عن آثار هما فى النهضه المصرية وهى آثار لا تحسب قيمتها بالكم بل بالكيف . فان كلا منهما كان بمثابة الخميرة التى تتفشى بالعدوى وتنمو فيما حولها .وقد تأثر كاتب هذه الكلمات بها . ولذلك يمكنه أن يتعرف الى أثر كل منهما فى النهضة الحديثة كما يذكر هذا الأثر فى نفسه وأقرانه

وقبل الكلام عن فرح انطون وشبلى شميل يجب أن ننوه بالنهضتين الكبريين فى أوربا . فان الثقافة الاوربية التى كانت منذ النهضة الاولى قد اجتاحت ايطاليا ثم امتدت منها نحو الشمال وهى تتفشى وتنمو وتنكشف شأن الجسم الحى ـ هذه الثقافة كانت قد تبلورت فى فرنسا فى أواسط القرن الثامن عشر . ففى هذا القرن نجد المفكرين الفرنسيين يحسون احساسا جديدا بالايمان بالبشرية ويقررون حقوق الناس . وقد انتهت هذه الحركة الى الثورة الفرنسية . وقد كانت فرنسا فى ذلك القرن تهيىء لاوربا وللعالم وثبة جديدة الى الامام نحو النور والنظام والحرية والمساواة

وكان لابد لمصر فى نهضتها أن تتعرف الى أولئك الرجال الذين زانوا التاريخ الفرنسى فى القرن الثامن عشر . وكان فرح انطون كبير العناية بنقل آثار هذ العصر الى مصر . فان مجلته الجامعة وسائر مؤلفاته تعج بأفكار فولتير وروسو ورجال الثورة الفرنسية . وقد فتح لنا ابوابا للتفكير الحر بعرض هؤلاء العظماء علينا . وقد نشأنا كما نشأ العالم العربى كله على جمود الصناعة فى الادب . فجاءنا فرح انطون بمؤلفات برناردان سان بيير ودعوته الى الطبيعة والسذاجة . فاستروحنا منه نسيما جديدا . وقد فشت روح رومانتيه مبتكرة تستلهم الخيال فى الادب المصرى بتأثير ما نقله فرح انطون . ولكنها كانت ضعيفة تحتاج الى ما يسندها فلم تجد هذا السند وخاصة ازاء الجمود اللغوى والاسلوبى والادبى الذى يجتهد خريجو الازهر ودار العلوم فى تعميمه فى المدارس والصحافة والتأليف

واذا كان الادب المصرى قد كسب شيئا من المرونة فى اوائل هذا القرن الحاضر فانه يعزى الى حد كبير الى مجلة الجامعة التى كان يصدرها فرح انطون والى مؤلفاته الاخرى

وكما ان هؤلاء المفكرين الفرنسيين قد أحدثوا نهضة عامة لفرنسا ، وأحدثوا حركة ذهنية ثورية لا تزال أوربا تعانى عواقبها كذلك كان يجب أن يحدثوا مثل هذه الحركة عندنا لو اكملنا العمل الذى بدأه فرح انطون . ولكننا للأسف لم نكمله بل ان فرح نفسه لم يداوم عليه لانه رأى أن بناء الرجعية القائم فى مصر أضخم من أن يستطيع مجهود فرد أن يهدمه . فكف عن هذا المجهود وترك مجلة الجامعة وترك التأليف الذى يراد منه ايجاد عدة ذهنية تلائم التجديد . ولا تزال النهضة الفرنسية فى القرن الثامن عشر فى حاجة الى من ينقلها الى القراء المصريين لكى تنقذهم من الجمود الشرقى . الذى ابتلوا به

أما شبلى شميل فانه التفت الى نظرية التطور وهى ثورة انجلترا بل أوربا الذهنية فى القرن التاسع عشر . وقد سبق أن وصفنا هذه النظرية بأنها محورية أى أنها مركز وسط تدور حولها طائفة من الافكار والآراء بل أحيانا من العقائد التى تتغلغل فى صميم الثقافة العصرية . فان هذه النظرية تزودنا بأسباب الرقى البشرى كما توشك أن تهيىء لنا عقيدة بشرية جديدة .والعقائد عامة تقاس بحقائقها الماضية ولكن نظرية التطور تقاس أيضا بقيمتها فى المستقبل . وكان شبلى شميل ينظر اليها نظر الفيلسوف وليس نظر العالم

وقد كانت مصر فى حاجة الى ما يرج تقاليدها الشرقية المتداعية وقد رجتها هذه النظرية الرجة التى تستحقها . واظننى قد تأثرت فى شبابى بالمقتطف ويعقوب صروف اكثر مما تأثرت بشبلى شميل. فان لغة المقتطف بالاسلوب الاقتصادى الذى اتبعته منذ نشأتها كانت اكثر اقناعا واستهواء الى من لغة شبلى شميلى الذى كان يعنى بالعبارة المونقة والاسلوب المزخرف والانغماس فى الجدل بدلا من الشرح . ولكن هذه الصفات نفسها كانت تجد الجمهور المستعد لاستمرائها . كما كان لشبلى شميل قدرة على الاشتباك فى المحاورات الصحفية واسباغ النظر العقلى عليها . فكان أثره من هذه الناحية عظيما

ولكن كان هناك فرق أصيل بين فرح انطون وبين شبلى شميل . فان الاول كان يعطف على

الحركة الوطنية المصرية بل هو قد اندمج فيها وتكلم بلسانها وأعرب عن وحيها . وقد حررت انامعه فى جريدة اللواء للدفاع عن مبادىء الحزب الوطني وانتهى به المطاف الى الصحف الوفدية حين شغلته الحركة السياسية عن الحركة الثقافية

أما شبلى شميل فلم يعطف قط على الحركة الوطنية المصرية . وكان بعقله انسانا عالميا يقول بالاخاء البشرى ولكنه كان بعاطفته لبنانيا مسيحيا يكره غير المسيحيين

من الأدب الايطالى

لحظة حرجة

تأليف القصصى الايطالي الشهير « جيوفاني بوكاشيو »
معربة عن الانجليزية

تزوج منذ أمد بعيد جداً رجل فقير من أهالى نابلى من سيدة إيطالية حسناء تدعى برونلا. وكانت صناعته بناء. أما هى، فقد اعتادت منذ حداثة سنها أن تقضى وقت فراغها فى غزل الصوف ونسجه ثم تبيعه لجيرانها أو لأقربائها. وبهذه الطريقة استطاعا أن يعيشا عيشة رضية هانئة.

وكان يقطن بجوارهما شاب جميل يافع اسمه جيانلو. وحدث أن وقع بصره على برونلا ذات مرة وهى مطلة من شرفة منزلها فأحبها حباً جماً واصبح لايطيق البعد عنها أو يكبح جماح نفسه عن مشاهدتها.

وبدأ منذ ذلك اليوم يغازلها ويطيل النظر اليها ويكثر المرور من أمام منزلها. وبعد محاولات كثيرة فاشلة استطاع أن يلفت نظرها إليه، وأن يؤثر عليها ويوقعها فى شرك حبه وأسر غرامه

ولما كان الزوج يخرج من بيته كل يوم الى عمله مبكراً ولا يعود إليه إلا فى المساء، فقد اتفق جيانلو وبرونلا على أن ينتظر الأول زوج محبوبته حتى يغادر منزله وحينئذ يلج باب المنزل الذى تتركه برونلا مفتوحاً لهذا الغرض، ثم يذهب للقاء معشوقته التى كانت تنتظر قدومه بفارغ صبر.

وبهذه الطريقة استطاعا أن يقضيا مع بعضهما وقتاً جميلا طيباً دون أن يدرى الزوج من أمرهما شيئاً، أو يعلم أحد بسر هذه العلاقة الخفية التى كانت بينهما..

واستمر الحال على ذلك إلى أن حدث ذات مرة أن عاد الزوج إلى بيته مبكراً على غير عادته وفى صحبته واحد من معارفه. وكان جيانلو لايزال يلهو فى ذلك الوقت مع محبوبته برونلا.

ولحسن حظهما كان باب المنزل مرتجاً من الداخل ، فاطمأنت نفس الزوج لذلك وسر سروراً لامزيد عليه ثم خاطب صاحبه فقال :

— إننى أحمد الله ياصاحبى لانه وهبنى — بالرغم من عوزى وفاقتى — زوجة وفية مخلصة ، إذ لا أكاد أخرج لعملى فى الصباح المبكر حتى أراها تغلق باب المنزل ورائى ثم ترتجه من الداخل لئلا يدخله أحد من بعدى !!

قال الزوج ذلك ثم طرق الباب باحدى يديه طرقة خفيفة فعرفته زوجته لأول وهلة وادهشت من أوبته التى جاءت فى غير موعدها . وظلت برهة لاتستطيع أن تنبس ببنت شفة أو تأتى بأية حركة . وأخيراً قالت لحبيبها بعد أن استردت هدوءها وتمالكت نفسها بعض الشىء :

— واأسفاه ياحبيبى جيانلو !! إننى لامحالة هالكة لأن زوجى قد عاد الآن من عمله مبكراً على غير عادته ، ولست أدرى السر فى ذلك إلا أن يكون قد شاهدك فى أثناء دخولك المنزل

ثم تلفتت حواليها فى خوف زائد وفزع شديد وكأنما قد سمرت قدماها فى الأرض من هول هذا الموقف وحروجته . وكان عرق الخوف البارد يتصبب بغزارة من جبينها ، وجسمها يهتز بشدة كريشة فى مهب الريح . ولم يكن جيانلو ليقل خوفاً عنها ولكنه كان أكثر هدوءاً وأعظم ثباتاً منها .

ومالبثت برونلا أن لمحت بالقرب منها صندوقاً خشبياً كبيراً . وكان هذا الصندوق قد ملاه القذر من كل جانب مما يدل على أنه لم يستعمل منذ مدة طويلة . فلما أبصرته سرت لرؤيته سروراً عظيماً ثم فكرت برهة والتفتت نحو حبيبها والبشر يعلو وجهها وقالت :

— أدخل فى هذا الصندوق ياعزيزى جيانلو وأغلقه عليك جيداً ولا تحاول أن تخرج منه قبل أن آمرك بذلك وسأذهب الآن لأفتح الباب لزوجى ، وسنعرف بعد لحظة سبب عودته الفجائية ..

فأطاع جيانلو أمرها وقفز الى داخل الصندوق برشاقة وخفة ثم أغلقته عليه ، بينما ذهبت برونلا للقاء زوجها الذى كان قد ناله فى تلك الأثناء بعض الملل والاعياء من غيابها . فلما وقع بصرها عليه وعلى زميله الذى اصطحبه معه حيتهما بجفاء وقادتهما الى الغرفة الموجود فيها حبيبها جيانلو ثم قالت لزوجها وشرر الغضب يتطاير من عينيها ، والحنق يلوح فى ملامح وجهها :

ـــ لماذا عدت الى المنزل مبكراً على غير عادتك ؟ هل حسبت أن ماعندنا من المال يكفى لأن تقضى وقتك معى بلا عمل تعمله أو مهنة تزاولها ؟ أم ظننت أننى سأحتمل بقاءك فى المنزل فأعطيك ثيابى لترهنها أو أثاث منزلنا فتبيعه ؟؟ إنك تعلم أننى لا أعمل شيئا سوى غزل الصوف ونسجه ، أقضى فى ذلك وقتاً طويلا حتى تكل يداى من شدة التعب ، ويضعف بصرى من هذا العمل المضنى الشاق . .

ثم تنهدت بحرارة وشهقت بالبكاء وقالت بصوت خافت مخنقة العبرات :

ـــ وأنا لا أفعل ذلك حباً فى العمل ذاته ، وإنما لأوفر لك سبل الراحة والرفاهية ، ولأخفف عنك بعض العبء الذى تكاد تنوء عن حمله بمفردك . وبالرغم من أن جيراننا يعيروننى دائما على هذا العناء الذى أكابده من أجل مساعدتك ، والتعب الذى الاقيه من جراء تيسير سبيل العيش لك فاننى مازلت مخلصة لك ، أمينة على عهدك ! ولكنك بدلا من أن تكافأنى على هذا الاخلاص والوفاء بما يماثله ، فاننى أراك تعود الى الآن مبكراً ويداك فى جيوب سترتك فى الوقت الذى كان يجب أن تكون فيه فى عملك !

وبعد أن استراحت برهة عاودت حديثها وفى صوتها رنة من الحزن المرير والألم المكظوم :

ـــ ما أتعس حظى وأعظم شقائى ! لقد كان اليوم الذى تزوجتك فيه من أسوأ أيام حياتى وأكثرها عذاباً وشقاء لى ! وانى أتذكر الآن أن أهلى كانوا يريدون أن يزفونى الى شاب صغير لاشك أنه كان سيسعدنى ويسبغ على من حبه وحنانه ما ينسينى هذا الجحيم الذى ألقاه فى بيتك ! ولكنى رفضته لأنه كان عاطلا فى ذلك الوقت . بل اننى أعلم ـ ولعلك أنت أيضاً تعلم ـ أن هنالك نسوة متزوجات يقضين مع من يحببهن من الرجال أوقاتاً سعيدة طيبة فى غيبة أزواجهن . ومنهن من تحب أكثر من واحد ، ومع ذلك لايدرى أزواجهن من أمرهن شيئاً لأنهن يظهرهن أمامهم بمظهر الزوجات المخلصات والمحبات الوفيات ! ولكونى امرأة تقية فاضلة لم أعتد مثل ما تأتيه بنات جنسى فقد جعلنى الله من أبأس النساء وأتعسهن حظا بأن وهبنى زوجاً كسولا مثلك بل لقد قدم لى عدد كبير من الشبان كثيراً من الثياب الجميلة ، والهدايا الفاخرة ، واللآلىء الثمينة القيمة ولكنى لم أغتر لكل هذا ورفضت هداياهم وابتعدت عنهم جهد طاقتى لأننى أعلم أن هذا

يتنافى مع ما جبلت عليه من عفة النفس وشرف المحتد ! والآن تكافئنى أيها الزوج العزيز على إخلاصى لك ومحبتى إياك بأن تعود الى منزلك مبكراً على غير عادتك !

ولما أتمت برونلا حديثها خاطبها الزوج بقوله :

ـــ لاتقلقى نفسك ياعزيزتى برونلا . فأنا أبعد نظراً وأثقب فكراً منك ، ولست كسولا أو خاملا كما تتوهمين . .

ثم سكت قليلا وعاود حديثه فقال :

ـــ نعم اننى توجهت الى عملى هذا الصباح ، ولكن لم يتذكر أحد منا ان اليوم عيد القديس جاليون ، وهو عيد مقدس يحتفل به سائر الايطاليين كما تعلمين . ولهذا السبب قد فضلت أن أقضى بقية هذا اليوم بجوارك فى المنزل . وعلاوة على ذلك فقد استطعت أن أبيع هذا الصندوق ـ ثم أشار بيده الى الصندوق الذى كان جيانلو لايزال موجوداً فيه ـ الى هذا الرجل الذى ترينه معى الآن بخمسة شلنات . .

وكان الزوج يعتقد أن برونلا ستسر لدى سماعها هذا الخبر لأنها كثيراً ما ألحت عليه ببيع هذا الصندوق بأى ثمن ، ولكنها أظهرت فى تلك اللحظة عدم اكتراثها وهزت رأسها الجميل علامة على رفضها وقالت :

ـ إن هذا لأسوأ مما أظن . لأننى ، وأنا المرأة الفقيرة الجاهلة التى لاتخرج من بيتها إلا للضرورة القصوى ، ولاتدرك من أمور الحياة مثلما تدرك ، قد استطعت أن أبيعه بستة شلنات الى رجل وديع طيب القلب . وقد دخل هذا الرجل فى الصندوق قبل دخولك المنزل بوقت قصير ليختبره من الداخل ، وهو لايزال موجودا فيه الى الآن !

فلما سمع الزوج ذلك سر سروراً عظيما وأعجب بمهارة زوجته ثم التفت الى الرجل الذى أتى به معه لشراء الصندوق وقال :

ـ لا تؤاخذنى أيها الصديق لأن زوجتى قد باعت هذا الصندوق لرجل غيرك بستة شلنات كما سمعت ، فى حين أنك لم تشأ أن تدفع أكثر من خمسة ، وهو مبلغ بخس كما أظن !

فلما سمع الرجل ذلك ظهرت عليه علائم الأسف والتردد ثم قال :

ـ لابأس ياعزيزى . فأنت حر فى أن تبيعه بالثمن الذى يحلو لك ويرضى زوجتك ، ولكنى لا أستطيع أن أبتاعه بأكثر من خمسة شلنات ..

قال الرجل ذلك ثم توجه الى الباب بعد أن حيا برونلا وزوجها تحية رقيقة مقتضبة .

فلما انصرف التفتت برونلا الى زوجها وقالت :

ـ بما أن الرجل الذى جئت به لشراء الصندوق قد انصرف الآن فلا مانع عندى من أن تتفق مع من قلت لك أنه جاء لشرائه منذ لحظة . .

وبدهى أن جيانلو كان قد سمع كل مادار بين الثلاثة من حديث لأنه خرج فى تلك الآونة من الصندوق وقال كمن لايدرى من الامر شيئاً :

ـ أين أنت ياسيدتى ؟

وكانت برونلا قد دخلت فى تلك اللحظة الغرفة المجاورة ، ولهذا رد عليه الزوج بقوله :

ـ أنا هو زوجها ياسيدى . من أنت وماذا تريد ؟

فقال جيانلو وهو يدور ببصره فى أنحاء الغرفة :

ـ اننى أريد السيدة التى باعتنى هذا الصندوق . .

فرد عليه الزوج بلطف قائلا :

ـ اننى هنا بالنيابة عنها ياسيدى ويمكنك أن تعقد الصفقة معى . .

وهنا دخلت برونلا الغرفة وقالت لجيانلو وهى تبتسم ابتسامة ذات معنى :

ـ هل أعجبك هذا الصندوق ياسيدى ؟

فقال لها جيانلو دون أن يرفع بصره اليها لئلا يشك الزوج فى أمرهما :

ـ نعم لقد أعجبنى . ولكن يلوح لى أنك لم تستعمليه منذ مدة طويلة ياسيدتى لأن القذر يعلوه من كل جانب ولاسيما من الداخل . ولن أشتريه بالطبع إلا اذا كان نظيفاً .

فضحكت برونلا ضحكة رقيقة عذبة وقالت .

ـ ان هذا لايغير شيئاً من وجه الاتفاق الذى بيننا . .

وهنا التفتت الى زوجها وقالت :

ـ أرجو ياعزيزى أن تنظف هذا الصندوق للسيد ولوأن فى هذا العمل تعبا وإرهاقا لك . .

فأطاع الزوج أمرها مكرهاً وذهب الى غرفة مجاورة وأحضر منها الأدوات اللازمة لهذا الغرض ثم دخل فى الصندوق بعد أن أوقد شمعة ليستطيع أن يرى على ضوئها الأجزاء التى تحتاج الى تنظيف . وكان جيانلو وبرونلا فى تلك الأثناء يتبادلان النظرات ويبتسمان لبعضهما من وقت لآخر دون أن يلحظ الزوج شيئاً من ذلك . .

ولما انتهى الزوج من تنظيف الصندوق خرج منه وقد كانت يداه من شدة التعب . وكان العرق يتصبب بغزارة من جبينه ومن سائر أعضاء جسمه مما يدل على أنه قد عانى فى تنظيفه تعباً وارهاقاً شديدين . .

وتناولت برونلا الشمعة من يد زوجها ثم ناولتها لحبيبها جيانلو وقالت له وهى تبتسم ابتسامة رقيقة هادئة :

ـ خذ هذه الشمعة ياسيدى لترى الصندوق من الداخل بعد أن نظفه زوجى . .

فتناول جيانلو الشمعة من يدها شاكراً وقابل ابتسامتها بالمثل ثم اتجه نحو الصندوق ودقق فيه النظر برهة وقال :

ـ انه لابأس به الآن ياسيدتى . وانى أشكر زوجك على هذا العناء الذى كابده فى سبيل تنظيفه واظهاره فى هذا المظهر الجميل الرائع . .

وحقيقة لقد كان الصندوق نظيفاً للغاية حتى ان الناظر إليه يخال له أنه جديد لأول وهلة . .

ولما سمع الزوج هذا الاطراء الموجه اليه من جيانلو ابتسم ابتسامة الغبطة والسرور ثم قال :

ـ لاشكر على واجب ياسيدى . اذ الفضل فى ذلك يعود الى زوجتى وليس على إلا أن أرضيها بأى ثمن . .

ولكى يبالغ الزوج فى اكرام جيانلو والحفاوة به ، عرض عليه أن يحمل له الصندوق ويوصله به الى منزله . فتمانع جيانلو فى بادىء الأمر ولكنه يرضخ فى النهاية تحت إلحاح الزوج من جهة ، وتأثير برونلا عليه من جهة أخرى . .

وهنا أخرج جيانلو من جيبه ستة شانات ونفح بها الزوج فتناولها هذا ممتناً شاكراً ثم دسها

بسرعة فى جيب سترته . .

وقبل أن يغادر جيانلو المنزل قدم يده لبرونلا مصافحا وضغط عليها بلطف وقال :

ـ انى أشكرك ياسيدتى على تلك الحفاوة التى أبديتها نحوى وذلك اللطف الذى لم أجد له مثيلا فى سيدة من قبل . .

قال ذلك ثم ضمها اليه بشدة وطبع على فمها الجميل قبلة حارة دون أن يراه الزوج لأنه كان مشغولا اذ ذاك بحمل الصندوق كما أمرته زوجته !

محمد عبد اللطيف حسن

تلحين التثاؤب وتنغيم التنهد

المتأمل فى أغانينا يراها فى معظمها تأوهات مرددة وتنهدات مرجعة ان لم تكن تثاؤبا ممدوداً ممطوطاً وتوجعاً منغما، كأن المغنى مريض يتوجع أو يتأوه أو كأنه قد غلبه النعاس فهو يتثاءب فى تكاسل أو هو يمزج كل ذلك فيتثاءب ويتوجع ويتنهد ويتأوه ويجرى فيها جميعا تلحينا وتنغيما وترجيعا

وقد ملأ الرديوفون جونا بهذا التثاؤب وهذا التنهد. وأعجب ما فى الأمر أن أبرع مغنينا أو الذين شهد لهم بالبراعة هم أكثرهم تنهدا وتثاؤبا. ولذلك تكرر محطة الاذاعة أغانيهم. ولما كان للتلحين تأثير اسهوائى فى النفس فاننا كانا نتثاءب ونتأوه ونتنهد. لأن اللحن يضرب فى نفوسنا أوتارا تستجيب له على طريقته وتتفق معه فى أنغامه. ونحن عندما نسمع هذا الغناء المكرر تنتقل عدواه الينا فننظر الى الدنيا نظرة التثاؤب والتأوه وتنتظم أعصابنا ويصطبغ مزاجنا بهما ونبقى فى هذه الحال التعسة طول يومنا يستولى علينا غم مبهم يذهب عنا مرح الحياة ونشاطها

والغناء اما أن يكون منبها واما أن يكون مخدرا. والغناء الأوربى على وجه العموم مثل الرقص الأوربى كله نشاط ومرح. فهو ينبه كأنه كأس من الخمر القوية. أما الغناء المصرى فمخدر كأنه يشبه الحشيش الذى ينوم الحشاش ويظلم ذهنه. وليس شىء فى الدنيا يعبر عن روح الأمة مثل موسيقاها وغنائها ورقصها. وذلك لان كل هذه الفنون تتجاوز حدود التعبير المحدود وتنتسب الى العقل الباطن اكثر مما تتعرف الى الوجدان. فهى عفو السجية الوطنية والطبيعة القومية. فان أعظم صفات الاوربيين نشاطهم وتفاؤلهم وشجاعتهم ومرحهم. اذ هم بعيدون عما يفهم من معنى الوقار يلعب شيوخهم وهم فى سن السبعين أو الثمانين وتركب عجائزهم الطائرات. ولذلك فان رقصهم حركات مرحة قوية وغناؤهم وموسيقاهم كلاهما قوى يبعث على اليقظة والانتباه

ولكننا نحن فى مصر قد ورثنا ميراثا سيئا من حكم الأجانب الذين أذلوا آباءنا ولم تنهض إلا من عهد قريب. ولكن شعور ابائنا بظلمة الحياة ومظالم الحاكمين كان مندسا فى نفوسهم قد انطبع

فيها مذلة وهوانا وتوجسا من الدنيا . فأورثونا غناء وموسيقا تعبر عن شعورهم ونشـــأنا نحن على اعتيادهما . مع انهما من المخدرات النفسية التي يجب أن نقاومها كما نقاوم الـكوكئين والهيروئين

لقد أورثنا أباؤنا أيضا رقصا « بلديا » انتهينا الى احتقاره فالغـائه لاننا وجدنا أنه لا يأتلف مع مانفهم من معنى الحب ومقام المرأة . ولم يكن أباؤنا يفهمون وكذلك أورثونا هذا الغناء القائم على التثاؤب والتأوه والتنهد . وهو كان يعبر ذلك في حياتهم . ولـكنه بعيد أو يجب أن يكون بعيدا عما نفهم من النشاط والمرح

وجهازنا العصبي الذهني مطبوع على التأثر باللحن سواء اكان لحن الحركة الذي يمثل الرقص أم لحن الصوت أى الغنـاء . فنحن نرقص مع الراقص ونغني مع المغني من حيث لاندرى : ثم تنتقل عاطفته الينا فتنبهنا بمرح الحياة أو تخدرنا بالتثاؤب والتنهد . ونبقى على هذه الحال العصبية أياما فاماأن ننشط الى العمل ونأخذ بالشجاعة ونقبل على الدنيا متفائلين واما أن نتكاسل ونتثاءب ونتباكى ونيأس وهذا هو مايحدث لنا في مصر من هؤلاء المغنين الذين لايعبرون عن روحنا النشطة أى عن مصر المستقلة وعن الشباب الناهضين بل يعـبرون عن مصر كما كانت قبل مائة أو مائتى سنة حين كان الاتراك يذلون أباءنا ويعممون الظلام في أنحاء البلاد . فغناؤنا الحاضر هو غناء هؤلاء الاباءغناء التعزية في مأتم المناحة غناءالشكوى وحياة الـكسل التي لاترى فائدة في النشاط والمرح بل ترى الامن والراحة في الدعة والسكوت

فنحن في حاجة الى موسيقا والى غناء والى رقص تبعث فينا جميعها النشاط والتحفز والمرح . وقد أصبح غناؤنا وموسيقـانا اكبر ضررا مما كانا . لأن محطة الاذاعة قد شحنت الجو بالموجات التأوهية والتثاؤبية التي تخدر الجمهور وتبعثنا على النعاس والتواكل والتشاؤم

ولذلك نعتقد أن سلامة النفس تقتضى الغاء هذا الغناء وهـــذه الموسيقا كما اقتضت من قبل الغاء الرقص

اتجاه جديد فى كتابة التاريخ

بقلم الاستاذ نقولا يوسف

امامى الآن كتابان جديدان فى التاريخ لعالمين انجليزيين كبيرين .. ظهرا منذ بضع سنوات وليسا بالكتابين الفريدين فى بابهما .. هما من ثمار ذلك الانقلاب العام وذلك التطور الفكرى الذى أعقب الحرب العالمية .. وهما يدلان على اتجاه جديد فى وضع المؤلفات التاريخية ينقض ما ألفناه حتى الآن فى مكاتبنا ، ويخالف ما درسناه فى معاهدنا من كتب تاريخية باتت عتيقة الاسلوب والنمط والروح ..

ويبدو لى أن وراء هذين الكتابين تستتر معان كثيرة يوضحها اليوم نفر من الكتاب النبلاء السابقين عصرهم والصارخين فى واد ، كما أن وراءهما احدى الظواهر التجديدية التى تبشر بنمط رائع سيتجلى فى المستقبل على أيدى كتاب آخرين متحررين ممن سيضعون لجميع فروع الأدب مقاييس انسانية جديدة ..

فقد كانت ولم تزل كتب التاريخ التى تملأ مكاتبنا ومدارسنا تتبع ذلك النمط الذى سار عليه مؤلفو العصور السحيقة . وكان المؤرخ اللاحق يتبع السابق فى طريقة السرد والوصف ، يستمد من المراجع المكدسة ويقتبس وينقل ، ويكاد لايغير إلا فى الالفاظ والتراكيب وفى التحيز لهذا الملك أو مهاجمه ذلك الحاكم ..

وكانت اكثر كتب التاريخ ولم تزل فهارس لاسماء الملوك والسلاطين والقواد والغزاة تسهب فى ذكر أنسابهم وذويهم وبنيهم وبناتهم ، وحياة جواريهم ومحظياتهم ، وتصف ما يقع فى القصور من غراميات ودسائس وجرائم ، وما يحدث فى البلاط من حفلات وولائم .. كأنما لا يوجد فى تلك الدول غير تلك القصور وغير اولئك الحكام ، أما الشعب فكمية مهملة لايأتى ذكره إلا عرضا كأنه

لم يعش على هذه الأرض ولم يسعد ويتألم ، وكأنه كان موجودا ليقيم فوق أجساده تمثالا لذلك الحاكم أو ذاك القائد وكأنما كانت كل دولة وحدة جغرافية أحاطتها الطبيعة بسيـاج لا تنفذ منه حوادث العصر ولا مؤثرات الجار القريب ، وكأنما فنيت شخصية هذه الوحـدة فى شخصية حاكمها فأمسى تاريخ حياتها هو حياة ذلك السلطان المتصرف فى مقاديرها حتى لو كانت حياته سلسلة من الفضائح والجرائم ..

فاذا خرج المؤرخ من أبواب القصور فليشيد بالفتوحات والغزوات والهزائم والانتصـارات وليأتى لنا بعدد الاسرى والقتلى والجرحى ، ومقدار الغنائم والاسلاب والسبايا ويقف بنا طويلا ليرينا حصار المدن واكتساحهـا ودخول الغزاة على الخيول المطهمة ويسمعنا صليل السيوف وجلبة القتال وأنات المحتضرين . واذا بالقائد المنتصر أو السلطان الفاتح بطل من أبطال ذلك التاريخ الملوث بالدم تحفه القداسة وتتناقل سيرته الأجيـال وتؤلف عنه القصص والملاحم وتلقن جرائمه فى معاهد العلم ..

هؤلاء المؤرخون الذين كانوا وما برحوا يظنون التاريخ مجموعة من الغزوات والمواقع الحربية ويتغنون بامجاد الحروب ويضعون أكاليل الغار على رؤوس المعتدين وهؤلاء الذين ينقلون لنا عنهم فى كل يوم على صفحات المجلات انما يرضون فى أنفسهم وفى نفوس الكثيرين من قرائهم تلك الغرائز القديمة التى لم يستطع التطور ولم تستطع المدينة أن تزيلها من مخابئها الموروثة

فكثيرون ما زالوا يتلذذون بأنباء السفك والفتوحات وتتملكهم نشوة وحشيـة حين يقرأون فى تلك المؤلفات أنباء الانتصار على العدو وسحق الجار وتخريب بلاد الاعزل ، وعندنا هنا فى الشرق كثيرون من نابشى القبور القديمة لا يحلو لهم غير اخراج الجثث وبعث تلك الصفحـات الدموية الملوثة ، يلذ لهم أن يعيدوا على أسماعنا التى ملت سماعها ، وعندنا من لم يزل يترنم بأسماء نابليون وتيمورلنك وقمبيز وقواد الحروب الصليبية . وعندنا من لم يزل يستعير ألفـاظ عنترة والمتنبي وابن كلثوم حين يتغزلون بشق الجماجم بينما هم يكتبون فى التاريخ ! وقد يظن أن هؤلاء يقصدون الى اثارة الحمية وتبجيل الجندية والدفاع عن الاوطان ولكن الحقيقة انهم كما يبدون فى أساليبهم واختيارهم للموضوعات لا يقصدون الى غير الطرب والتلذذ بأوصاف المصادمات والغزوات وغير عبادة الابطال

لا أبطال العلم والاصلاح والفن بل أبطال التخريب والاعتداء ..

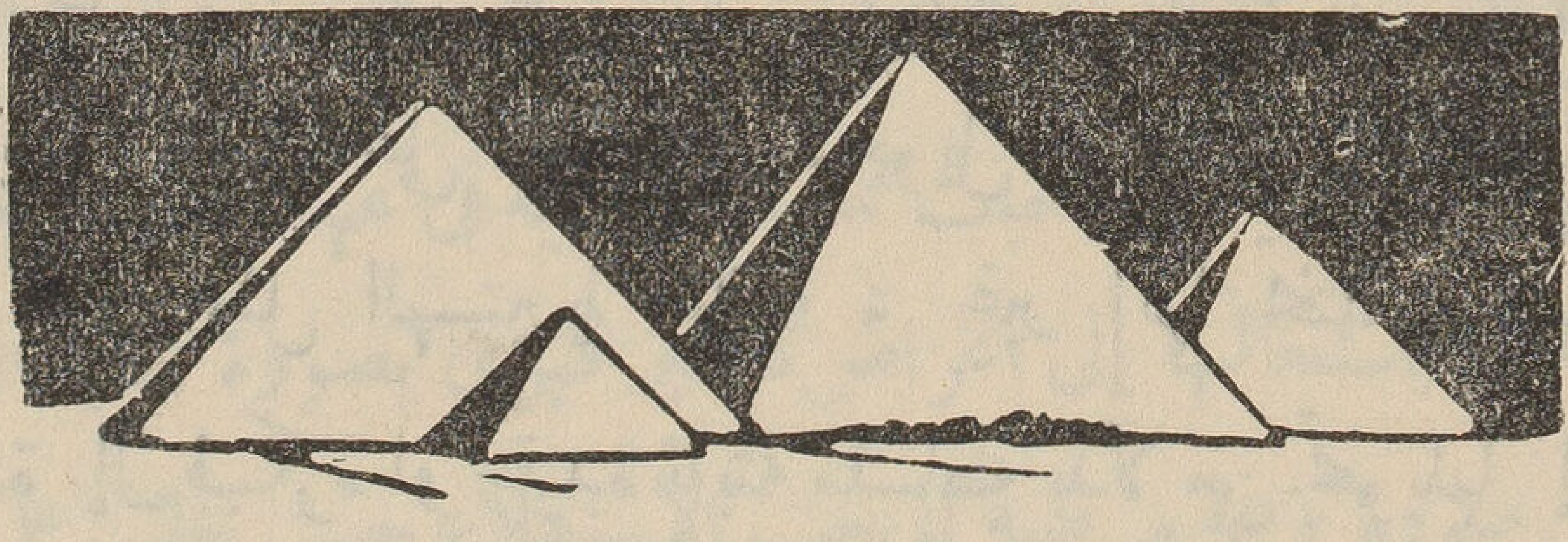
وبعد فأول هذين الكتابين اللذين أوحيا بهذا الكلام هو « مجمل تاريخ العالم » الذى وضعه ه . ج . ولز وجعل فيه الارض وطنا واحدا للانسانية له تاريخ واحد قد تظهر حوادثه هنا وهناك لكنها متصلة الحلقات ولذا فهو لم يقسم العالم الى مئات الوحدات السياسية لكل وحدة منها تاريخ قائم بذاته كما يفعل جل المؤرخين ..

وقد قسم ولز كتابه الى نحو سبعين فصلا بدأها بالارض وهى فى طور السديم وانتهى بها الى عصرنا الحاضر ، ولايتسع المقام هنا لتلخيص هذا الكتاب ولكن الاشارة الى بعض عنوانات الفصول تعطينا فكرة عامة عن هذه المحاولة الجديدة فى وضع تاريخ واحد للعالم — فأول هذه الفصول يبحث فى نشوء العالم وتطوره فى حيز المكان حتى أخذت الارض شكلها المستدير الذى نعرفه ثم عن الزمان وعمر الارض ثم عن ظهور الحياة وتطورها فى العصور القديمة حتى اذا دنا الفصل التاسع ظهر الانسان الحقيقى على الارض ليبدأ فى تمثيل دوره ، وهنا تتوالى الفصول عن الفكر البدائى وعن بدء الزراعة وبوادر المدنية الاولى وتطورها واختراع الكتابة ، وعن القبائل الرحل وأهل البحار وتقدم الحضارة بمصر وبابل وآشور — فالآريين الاوائل فتاريخ اليهود فعظمة الاغريق وامبراطورية الاسكندر ، ففصل عن متحف الاسكندرية ومكتبتها ، وآخر عن حياة بوذا والملك أزوكا وكونفوشيوس ولاؤتسى ، ثم عن الدولة الرومانية وأهل قرطاجنة ، وعن حياة الرجل العادى فى ظل الدولة الرومانية الاولى ، فأثر تعاليم المسيح وظهور المسيحية ، فالدولة البيزنطية فدولتى سو وتانج بالصين ، فظهور محمد والاسلام ، فاتساع الدولة العربية ، فسيطرة البابوية فغزوات المغول ، فالنهضة الاوربية ، فعصر التجارب السياسية وظهور البرلمانات والجمهوريات الاوربية ، فاتساع الممتلكات الاوربية فى آسيا وغيرها ، فحرب الاستقلال بأميركا ، فالثورة الفرنسية ، فالثورة الصناعية ، فعصر تطور الافكار السياسية والاجتماعية الحديثة ، فاتساع الولايات المتحدة ، فعصر التسلح الاوربى والحرب العظمى ، فالانقلاب الجديد بروسيا فالعالم اليوم ونظامه السياسى والاجتماعى ..

أما الكتاب الثانى فهو «قوى العالم والجغرافيا» لجيمس فيرجريف أثبت فيه أن تاريخ العالم يخضع للعوامل والظواهر الطبيعية ويشير الى أن التاريخ لايعيد نفسه نظرا الى تقدم العالم وتطوره

وانه كل لا يتجزأ ، وان الحادثة الخاصة تؤدى الى حوادث أخرى فى العالم وان ما فعله رجل واحد أو قبيلة واحده أو أمة واحدة قد أثر فى أناس آخرين وفى شعوب أخرى ، وان للناس على الرغم من تفرقهم فى المكان والزمان خواص متماثلة تجعل الحوادث المتشابهة تماثل فى أماكن مختلفة وأزمان متباعدة لكنها تخضع للتطور وتقدم العالم ، وان التاريخ فى أوسع معناه هو قصة القدره البشرية المتزايدة على اخضاع الاشياء ومحاولة الانتفاع بها وان جميع المخترعات والمكتشفات ذات أثر عظيم فى مجرى التاريخ ..

وفى هذا الكتاب محاولة شيقة للدلالة على أثر الصحراء فى تاريخ مصر والمستنقعات فى تاريخ بابل والبحر فى تاريخ اليونان وقرطاجنة والواحات فى ظهور الاسلام والغابات فى تاريخ روسيا والانهار فى الصين والفحم فى تاريخ الولايات المتحدة .. والحق أن قراءة هذا الكتاب وسابقه تغير نظرتنا الحاضرة الى التاريخ .



الظواهر العصبية القهرية

بقلم الاستاذ محمد فتحى بك

إن المقصود بالظواهر العصبية القهرية هى الحالات النفسية التى يسود عقل المريض فيها فكرة خاصة أو عقيدة معينة يجد نفسه مسوقاً إلى التفكير فيها مرغماً دون أن يأنس من نفسه قدرة على كبح جماح هذا التفكير ، وقد تدفعه الفكرة المتسلطة الى التزامه مسلكا معيناً فى ناحية من نواحى الحياة يكون ذا طابع خاص محدد بأسلوب ثابت لاسبيل إلى التصرف أو التنوع فيه . فهى نوع من التفكير الجبرى أو الغير الارادى الذى يرجع مصدره إلى بعض المركبات النفسية المشتملة على نزعات أو مشتهيات جنسية مكظومة والتى انفصلت عن المجموعة الشعورية لما بينها وبين تلك المجموعة أو بعض مشتملاتها من تنافر فارتدت إلى جوف اللاشعور ثم التمست لها فى الحياة الشعورية مخرجا تتنفس منه الصعداء فتحولت إلى ظاهرة تفكير قهرى او فكرة متسلطة .

فالظواهر العصبية القهرية مثلها مثل الهستيريا التحويلية قائمة على نظرية الكبت المرضى للتأثرات الجنسية الخاصة بعهد الطفولة ، غير أن التأثرات أو الانفعالات الخاصة بالرغبات المكظومة بدلا من استحالتها إلى أعراض بدنية كما هى الحال فى الهستيريا التحويلية ، فانها تنفصل عن مركباتها وتتصل بأمور أو أفكار أخرى بريئة عليها أن تحمل طابع تلك الرغبات وتأثراتها .

فالهستيريا التحويلية قائمة على ظاهرة التحويل والهستيريا التسلطية قائمة على ظاهرة الاستبدال مثلها فى ذلك مثل الهستيريا القلقية ، غير أنها تختلف منها بكون الوجدانات المكظومة تتحول عادة إلى فكرة او عقيدة ثابتة متسلطة بدلا من تحويلها إلى مخاوف عصبية أو انفعالات وتأثرات نفسية . كما أن هناك فرقا آخر بين الظواهر العصبية القهرية ، وبين كل من الهستيريا التحويلية أو القلقية وهو أن النزعات المكبوتة فيها تكون من النوع الايجابى الاعتدائى : بمعنى أنه إذا حللت ذكريات المريض بالهستيريا التسلطية ، فانها قد تكشف عن سابقة قيامه فى

عهد الطفولة بدور المهاجم أو المعتدى . بينما النزعات المكبوتة فى النوعين الآخرين من الهستيريا « التحويلية والقلقية » تكون من النوع السلبى ، حيث باستقصاء تاريخ حياة المريض قد يستدل على سابقة قيامه فى عهد الطفولة بدور المجنى عليه ، ولهذا كانت الهستيريا التسلطية أكثر شيوعاً بين الذكور والهستيريا التحويلية أكثر شيوعاً بين النساء .

أما فيما يختص بالأجراءات العقلية الباطنية التى بمقتضاها تتم عملية الاستبدال وتتكون الظواهر المرضية فى الهستيريا التسلطية ! فهى بعينها نفس الاجراءات التى مربنا ذكرها عند الكلام على الهستيريا القلقية . أعنى أن هذه الظواهر ، هى نتيجة النضال والصدام الواقع بين القوتين المتعارضتين من قوى النفس ، غير أنه بسبب ما اعترى القوة الرادعة — قوة الكبت — من وهن أوضعف تتحول التأثرات أو الانفعالات الخاصة بالرغبات المكظومة إلى أعراض فكرية مرضية فى صورة عقائد أو أفكار أو سلوك أوحالات متسلطة ، وبذلك يتسنى تفادى ظهور تلك الرغبات فى الشعور بشكلها الصريح . فهى وسيلة من وسائل الدفاع ضد القوة المحتسبة لما يكنه المريض فى أعماق نفسه من نزعات أومشتهيات يرى فى تحقيقها خطراً على نفسه أو بعبارة أصح خطراً على ذاته الشعورية « أنا »

أما طبيعة الهواجس المتسلطة التى تلازم المريض بهذا النوع من الامراض النفسية فانها متعددة الصور لا حصر لها : فقد تكون فكرة معينة تساور المريض فى كل وقت ولحظة ، او حالة تقوم بنفسه لأقل مناسبة بكيفية قد تقلق باله وتزعج خاطره . ومع يقينه بانها عارض مرضى وفكرة وهمية لا تقوم على أساس من العقل أو المنطق ، فانه لا يجد من نفسه حولا ولا قوة على طردها من مخيلته فهى من هذه الناحية مثلها مثل الظاهرة البدنية التى استقلت عن ارادة المريض فى الهستيريا التحويلية وغلبته على أمره وأصبح لا سلطان له عليها . ومن رأى فرويد أن الهستيريا التسلطية تنطوى بلا استثناء على وجدانات لوم وتأنيب ذاتى صحبت ممارسة جنسية فى عهد الطفولة تعذر كبتها كبتاً موفقا فالتمست لها مخرجا فى الحياة باستحالتها إلى أعراض تفكير قهرى بصورة نمطية أو فكرة ثابتة متسلطة فقد تبرز هذه الظاهرة فى صورة نزعة مرضية إلى حب الاستطلاع حيث تغلب على المرء فكرة الاستفهام عن كل أمر يقع تحت سمعه أو بصره أو بمجرد خطوره بباله ، فلا يجد من نفسه قدرة على كبح شهوة الاستطلاع حتى تجاه أتفه الامور وأسخفها سواء أكان مادياً أو معنويا . وقد يكون ذلك فى صورة استفهام موجه الى الغير أو منقلباً نحو النفس فتسود حياة المريض حالة قلق وعدم اطمئنان لعدم

اقتناعه بالجواب . وقد تتخذ هذه الظاهرة صورة تشكك أو تردد دائم ، وهو ما يعبر عنه أحياناً بهوس الشك ، فمثل هؤلاء المرضى تسود عقولهم ظاهرة التشكك أو التردد فى كل أمر أو شأن من شؤون الحياة ، فلا تطمئن أفئدتهم أو تستقر آراؤهم على رأى حتى فى أتفه الأمور وتلقاء أبسط المواقف . فيشاهد المريض حائراً فى اختيار الموضع الذى يضع فيه كتاباً داخل المكتبة أو المكان الذى يضع فيه كوبا أو آنية على المائدة أو فى اختيار البدلة التى يفضل ارتداءها قبل خروجه لزيارة أو نزهة ، أو يحار فكره تجاه المكان الذى يمضى فيه ساعة فراغه ، أو قد يحار فى تكوين رأيه بأى القدمين يبدأ لبس جوربه أو حذاءه ، أو بأى قدم يخطو عتبة الدار . كما أن هنالك اناساً يساورهم الشك عند وضع الخطابات فى مظاريفها فيعمدون الى فتحها مراراً للتثبت من عدم وقوع خطأ عند تظريفها باستبدال بعض الخطابات مكان البعض ولعل هذه الظاهرة ، وهى كثيرة الشيوع لدى هؤلاء المرضى حتى بين الاصحاء ولو بصورة مخففة ، تدل دلالة ضمنية على ظاهرة الاستبدال التى انفصلت بموجبها التأثرات الخاصة بالرغبات الجنسية المكظومة عن مركباتها ، ثم اتصلت بغيرها من شؤون الحياة العادية . بمعنى أن فكرة الاستبدال المادى المتسلطة فى الظاهر تعبر تعبيراً رمزيا عن ظاهرة الاستبدال المعنوى القائمة فى الباطن »وقد تتخذ الفكرة المتسلطة صورة مخاوف قد يلبس أمرها ويتعذر تمييزها لأول وهلة عن المخاوف الهستيرية التى مر بنا ذكرها فى الهستيرية القلقية «ولعل هذا مما حدا ببعض رجال فن العلاج النفسى الى اعتبار المخاوف إطلاقا ضمن الظواهر العصبية القهرية دون تمييز بين النوع القلقى منها والنوع التسلطى »غير أنه عند التأمل وامعان النظر نرى أن هناك فروقا جوهرية بين كلا النوعين تتلخص فى الاوجه الآتية :

أولا ـ ان المخاوف الهستيرية «الفوبيا» تتخذ صورة رعب تجاه شىء معين بالذات، أو موقف محدود يثير من النفس عوامل الخوف دون سواه لسابقه ارتباط الذهن بموقف مماثل بروابط التداعى فى ممارسة ماضيه فهى عبارة عن اضطراب نفسى نوعى بخلاف المخاوف التسلطية فانها عرضة للتطور والتنقل ، فقد تساور النفس فكرة خوف من ناحية معينة أو موقف معين ، ثم يختفى هذا العارض إلى حين على أن يظهر فى المستقبل فى صورة أخرى : بمعنى أن المريض قد تتسلط على نفسه انفعالات الخوف من أن يلقى بطفله الصغير من النافذة كلما اقترب منها ،

ثم تختفى هذه الظاهرة حيناً من الزمن على أن تحل محلها ظاهرة خوف من ناحية الأسلحة والسكاكين الماضية التى تقع عليها يد المريض خشية أن يذبح واحداً من أولاده أو أهله ، أوقد تحل محلها ظاهرة خوف من أن يلقى بنفسه تحت عجلات القطار إذا مااقترب منه حال مروره فتراه يتراجع القهرى بضع خطوات لكى يكون فى مأمن من شر نفسه على نفسه .

ثانيا — إن المخاوف التسلطية قد تدفع نفسها إلى المخيلة دون أن يكون لها فى الحياة الخارجية محرك ظاهر أو مايدعو إلى إيقاظها ، فهى أقرب إلى التفكير التلقائى منها إلى التأثرات السلبية التى توقظها فى النفس المنبهات الخارجية عن طريق التداعى كما هى الحال فى الهستريا القلقية . فالمريض بالمخاوف التسلطية قد تساور نفسه فكرة الخوف من الانتحار أو فكرة الاعتداء على الغير أينما ذهب وأينما جلس ، دون أن يكون لايقاظ هذه الفكرة فى نفسه أية علاقة صريحة بالمؤثرات الخارجية أو ما يجعل تنبيهها متوقفاً على عامل معين فى الخارج . فهى ظاهرة نفسية متعدية ، بخلاف المخاوف التى من نوع الهستيريا القلقية فانها ظاهرة نفسية لازمة أو قاصرة .

ثالثا — أنه فى المخاوف التسلطية إذا حللت ذكريات المريض المكبوتة فانها تكشف عن ممارسة جنسية إعتدائية ، بخلاف المخاوف العصبية فى الهستيريا القلقية فانها تنطوى على ممارسة جنسية قام فيها المريض بدور المعتدى عليه .

رابعا — إن المخاوف التسلطية تدور غالباً حول خوف المريض من نفسه أو من نزعة باطنية ذات خطر ، بينما فى المخاوف الهستيرية يكون مصدراً لخوف عامل من عوامل البيئة الخارجية ، ومؤثر خارجى يثير خوف المريض . وقد تبرز الأفكار المتسلطة فى صورة أعمال أو تصرفات يقوم المريض بها كلما تهيأت ظروف خاصة فلا يجد فى نفسه قدرة على كبح جماحها أو العدول عنها ، ولكن ليس هذا معناه أن الوجدانات المكبوته تحولت إلى ظواهر بدنية ، وإنما التحول الحاصل لايزال فى مستوى العقليات ، وإنما مايقوم به المريض أو يأتيه من الافعال ماهو إلا نتيجة طبيعية لتلك الافكار والاوهام المتسلطة : فمثلا من ضمن حالات هوس الشك التى مر ذكرها حالة تسود فيها عقلية المريض ظاهرة التشكك من ناحية إحكام إغلاق باب المنزل أو باب غرفة النوم ، فان قيام هذه الحالة بنفس المريض من شأنها أن تدفعه إلى اختبار قفل الباب مراراً وتكراراً ، كما أن هناك حالة أخرى يسودها التشكك

من عدوى المرض « وهـذه الحالة خليط بين الشك والخوف » ، فانها تدفع المرضى بهذه الفـكرة إلى تطهير أيديهم أو ملابسهم أو أمتعتهم إذا ما خطر ببالهم أنها تعرضت للعدوى بلمسها من جانب الغير ، وقد تبرز هذه الفـكرة المتسلطة فى صورة خيالات بصرية أو هواجس سمعية تشبه الهـذيانات التى تساور المرضى بمرض العقائد الوهميـة المعروف باسم « بارانويا » أو بالمرض المعروف باسم « عتـة المراهقة » ، ولكنها تختلف عنها من حيث كون المريض بالهستيريا التسلطية ماهو إلا مجرد أوهام أو خيالات لاظل لها من الحقيقة ، غير أن ذلك لا يمنع ـ إذا ما استحفلت أغراض العلة ـ من أن تنتهى بالمريض إلى هذيانات حقيقية .

وليست الافـكار المتسلطة وقفاً على مرض النفوس بل قد تشاهد أعراض هـذه الظاهرة فى الحياة الطبيعية لدى الكثيرين من الاصحاء انما بصورة مخففة ، فهناك من الناس من تغلب عليهم فـكرة التردد فى تـكوين آرائهم عند الاقدام على أمر من الأمور ، وربما كان رجال القضاء أكثر الناس تعرضاً لهذه الظاهرة من سواهم ، حيث يوجد من بينهم عدد غير قليل قـد تسود عقليته نزعة التشكك والحيرة عند تكوين رأى قانونى أو إصدار حكم من الاحكام ، ومثل هـذا القاضى يعرف فى الاوساط القضائية بالقاضى الموسوس أو المتردد . ويعزى سبب تردده إلى الافراط فى نزاهة الضمير ودقة الوجدان ، فى حين أنها وجدانات دفينة تستمر فى قرارة النفس فتعكس حرارتها على حياتنا الشعورية ، وتصبغ تفكيرنا ومظاهر سلوكنا بصبغة الشك والتردد الذى هو رمز الخوف من الوقوع فى الخطيئة والتورط فى المعصية المـكظومة فى أعماق اللاشعور .

كما أن هناك من الناس من إذا غلبوا على أمرهم فى الحياة وتخطاهم الغـير فى مضمار التنافس والكفاح وتعطشت أنفسهم إلى تذوق لذة النجاح ، كظموا شهوة الغلبة والتفوق على الغير فى ميدان العمل ، ثم أخذوا يلتمسون لها مخرجاً فى ميدان الوهم والخيال ، فمثل هؤلاء قـد تغلب عليهم فـكرة المنافسة حال السير فى الطرقات فتدفعهم إلى مسابقة المارة أو إلى بلوغ نقطة معينة قبل أن يبلغها عابر سبيل أو قبل أن تصل اليها دابة أو مركبة .

وهناك من الناس من يجـد من نفسه دافعاً يدفعه حال مروره فى طريق مرصوف بالبلاط ، أو كوبرى ملوح بالاخشاب إلى أن يطأ بقدمه البلاط أو الخشبة الثانية أو الثالثة . كما أن البعض قـد

يجد من نفسه مايدفعه إلى أن يقذف بقدمه كل قطعة حجر يقع عليها بصره فى الطريق ، أو يقفأ بقدمه كل صدفة أو ودعة يمر بها حال سيره على شاطىء البحر ، كما قد تغلب على بعض الناس نزعة عد كل مايصل إلى أيديهم أو يقع تحت أبصارهم من الأشياء . وما إلى ذلك من الظواهر التى ملئت بها حياتنا العملية والتى لاسبيل الى احصائها أو حصرها .

وكثيراً ماتكون الظاهرة المرضية للفكرة المتسلطة معقدة التركيب تشترك فى تكوينها مجموعة من العناصر أو المركبات النفسية المكظومة . كالمركب الوالدى «أوديب» ومركب الميل لذات الجنس ومركب العرض أو كشف العورة

وقد أورد الدكتور بوز فيلد فى كتابه مبادىء التحليل النفسى حالة مريض كان يعالجه من هوس الشك ، دلت اجراءات التحليل على أنه كان فى عهد طفولته مصاباً باعراض الامساك مما ألجأ والدته الى اعطائه حقناً شرجية من حين لآخر ، وكان مظهره الخارجى وشكل لباسه يدلان على نزعة قوية الى العرض وكشف البدن ، وقد اعترف بنزعة جنسية شديدة الى ذات الجنس كانت غالبة عليه فى سن المراهقة ، حيث لم يكن وقتئذ يشعر بأية عاطفة أو ميل للنساء ؛ ولكنه استطاع كظمها بعد ذلك الحين ؛ وقد أصيب أخيراً بالبواسير ؛ فكان لها شأن فى ايقاظ مركب الشبق الشرجى من نفسه ، وبالاخص عند فحصه بمعرفة الطبيب ؛ وهو مما دعاه الى التهرب من اجراء عملية جراحية ، وأن يفضل عليها المروخات والزيوت واستعمال الحقن التى كانت تعطيها له أمه وهو فى سن الرابعة — وقد دلت حالة الفتى على شدة تعلقه بذكريات الماضى وتركيز نشاطه الغريزى فى أمه تركيزاً قد ارتبط فى ذهنه بشهوته الشرجية . ويقول الدكتور بوزلفيد . لعل هذا هو السبب فى كبته نزعته الى ذات الجنس ، وفيما كان يبديه من الاحترام الزائد نحو السيدات احتراما يتمثل فى المبالغة فى الانحناء أمامهن ، كما كان يفعل تجاه أمه «ويلاحظ أن الانحناء هنا ليس مجرداً عن المغزى اذ له صلة بانحنائه القديم عند اعطائه الحقن» .

وقد تبرز الظواهر العصبية القهرية فى شكل نزعة متسلطة نحو الحريق وهو ما يطلق عليه اسم «بيرومانيا» أو جنون الحريق ، حيث يجد المريض من نفسه دافعاً قهريا يدفعه الى اللعب بالنار ، وقد تنتهى محاولاته إلى ارتكاب الحريق فعلا والحكم عليه . كما قد تتخذ صورة نزوع إلى السرقة فلايجد

من نفسه قدرة على كبح جماح شهوة نفسه نحو اختلاس متاع الغير ، وتسمى هذه الظاهرة « جنون السرقة » ، فكلتا الظاهرتين لا تخرجان عن كونهما مظاهر مرض الأفكار المتسلطة التى لا اختيار للمريض فيها ، ولا حول له ولا قوة على صد تيارها ، فهى مركبات نفسية انفصلت عن مركز الارادة واستقلت بقوة ذاتية جامحة لا يملك المريض لها قياداً أو زماماً. ولا فرق فى المسئولية بين ما يقوم به المريض بالهستيريا التشنجية من تقلصات أو حركات تشنجية لا ارادية ، وبين ما يقوم به المريض بجنون الحريق ، أو جنون السرقة من محاولات إجرامية فاذا عرفنا حقيقة ما يخضع له مثل هؤلاء المرضى من عوامل نفسية قاهرة وما لها على نفوسهم السقيمة من قوة بأس وسلطان ، كان الطبيب أولى بهم من القاضى ، وكانت اجراءات التحليل النفسى أجدر بشفائهم من انزال العقاب بهم وايداعهم غياهب السجون

الأوهام الهستيرية

إن هذا النوع من الهستيريا القائم على الاوهام المتسلطة يمكن اتخاذه كمقدمة لمرض العقائد الوهمية المتصلة المعروفة باسم البارانويا الحقيقية

وهذا النوع من الهستيريا يشبه بقية أنواع الهستيريا التى تقدم ذكرها من حيث منشأ العلة وتكوين الاعراض ، فانها قائمة على نظرية الكبت المرضى لما يحمله المريض فى جعبة العقل الباطن من أفكار ومؤثرات يجدها فوق حد الطاقة والاحتمال ، فتتحول الى أعراض مرضية فى صورة معتقدات وهمية متسلطة . غير أنها تمتاز عن جميع الامراض المتقدمة بتوافر الظاهرة المعروفة بالانعكاس وهى ظاهرة من مقتضاها أن يلقى المريض ما يجده فى نفسه من نزعات أو رغبات مكظومة على سواه. فالمريض بهذا النوع من الهستيريا لا يرى فى نفسه عيباً ، كما انه قد لا يشعر من نفسه بوطأة الأوهام المتسلطة على عقله أو بأى عرض جثمانى . فكل ما يحس أو يشعر به عيوب وهمية يراها فى الغير. وبعبارة أخرى ان الافكار المتسلطة فى هذه الحالة تكون منعكسة على مرآة الغير ، فعوضاً عن أن يحس المريض بها من نفسه « كما فى هستيريا الافكار المتسلطة » فانه يحس بها فى سواه ويعتقد أنها من بضاعة الغير . وكثيراً ما يشكو هؤلاء المرضى من مرئيات وهمية أو هواجس

سمعية ، كما قد يحصل فى الهستيريا التسلطية . ولكن المريض بالأوهام الهستيرية يعتقد عادة فى صدق ما يرى أو يسمع فهى بالنسبة له حقائق لا أوهام . كما أن الاوهام فى هذا النوع من الهستيريا يغلب فيها السمعيات أكثر من المرئيات ، وان أظهر الاعراض وضوحاً فى الاوهام الهستيرية هى أوهام المريض وهواجسه المتعلقة بغيره من الناس ، فقد تتسلط عليه فكرة اضطهاده من جانب الغير . أو تسود حياته العقلية هذيانات عشقية ، أو نزعة شديدة الى الغيرة والحقد والحسد . أو الى الخيلاء والعظمة وفرط الاعتداد بالذات ، فاذا ما استفحلت هذه الاعراض ، فانها قد تنقلب الى « بارانويا » حقيقية ، فيصبح المريض فريسة نزعات اجراميه موجهة نحو الشخصيات التى لها شأن يذكر فى مخيلاته ، فيضمر لها فى نفسه حفيظة قد تؤدى الى ارتكاب القتل .

ويقول رجال التحليل النفسى ان معظم حالات هستيريا العقيدة الوهمية « ان لم يكن جميعها » ينطوى على نزعة جنسية شديدة من الميل الى ذات الجنس ولو أن المريض قد يجهلها من نفسه كل الجهل

وقد حاول ستودارت من رجال التحليل النفسى أن يصور الاجراءات الباطنية لظاهرة الانعكاس فى هذا النوع من الهستيريا على اختلاف مظاهرها ، فوضع لها الصور الآتية :

ان المريض بالبرانويا تبدأ لديه الاجراءات الباطنية « مفترضا أنه رجل » بأن تقوم أولا بنفسه الصيغة الآتية :

« أنا أحب الرجل » وظاهر أنها نزعة ميل الى ذات الجنس .

فهذه الصيغة تتحول الى واحد من الفروض الآتية طبقاً لنوع البرانويا أو النزعة التى تغلب عليها

أولا — فى البرانويا الاضطهادية

« أنا أحب الرجل » وهو أول خاطر يرد على البال ، ولكن نظرا لأنه فوق حد الاحتمال ، فانه ينقلب فى الذهن الى الضد ، أعنى « أنا لا أحب الرجل أى أنا أكرهه » غير أن هذه الصيغة لا تلبث عن طريق ظاهرة الانعكاس أن تنقلب الى الصيغة الاتية « هو يكرهني ، اذن أنا مضطهد من جانبه » ومن ثم تنشأ العقيدة الاضطهادية الوهمية .

ثانياً — فى برانويا الخيلاء « أنا أحب الرجل » غير أنه نظرا لكون العقل لا يهضمها ، فانها تنقلب الى الصيغة الاتية « أنا لا أحب الرجل ، أنا أحب نفسى » ولكنها لاتلبث عن طريق ظاهر

الانعكاس أن تنقلب الى ما يأتى «كل انسان يحبني ، اذن أنا رجل عظيم»

ثالثا — فى برانويا التدين «أنا أحب الرجل» أو بعبارة أخرى «أنا أحبه» «وهو مالا يطاق» ولهذا يتحور معناه الى «أنا أحبه (هو)» والضمير هنا عائد على الخالق أعني «أنا أحب الله» وهذه العبارة عن طريق الانعكاس تنقلب الى «أن الله يحبنى» وبناء على هذا «ان الله اصطفانى»

رابعا — وفى البرانويا العشقية «أنا أحبه» تنقلب الى «أنا لا أحبه بل أحبها» وهذه عن طريق الانعكاس تنقلب الى «هى تحبني أو تعشقني»

خامساً — وفى برانويا الغيرة «أنا أحبه» ثم الى «هى لاتحبني ، بل تحبه»

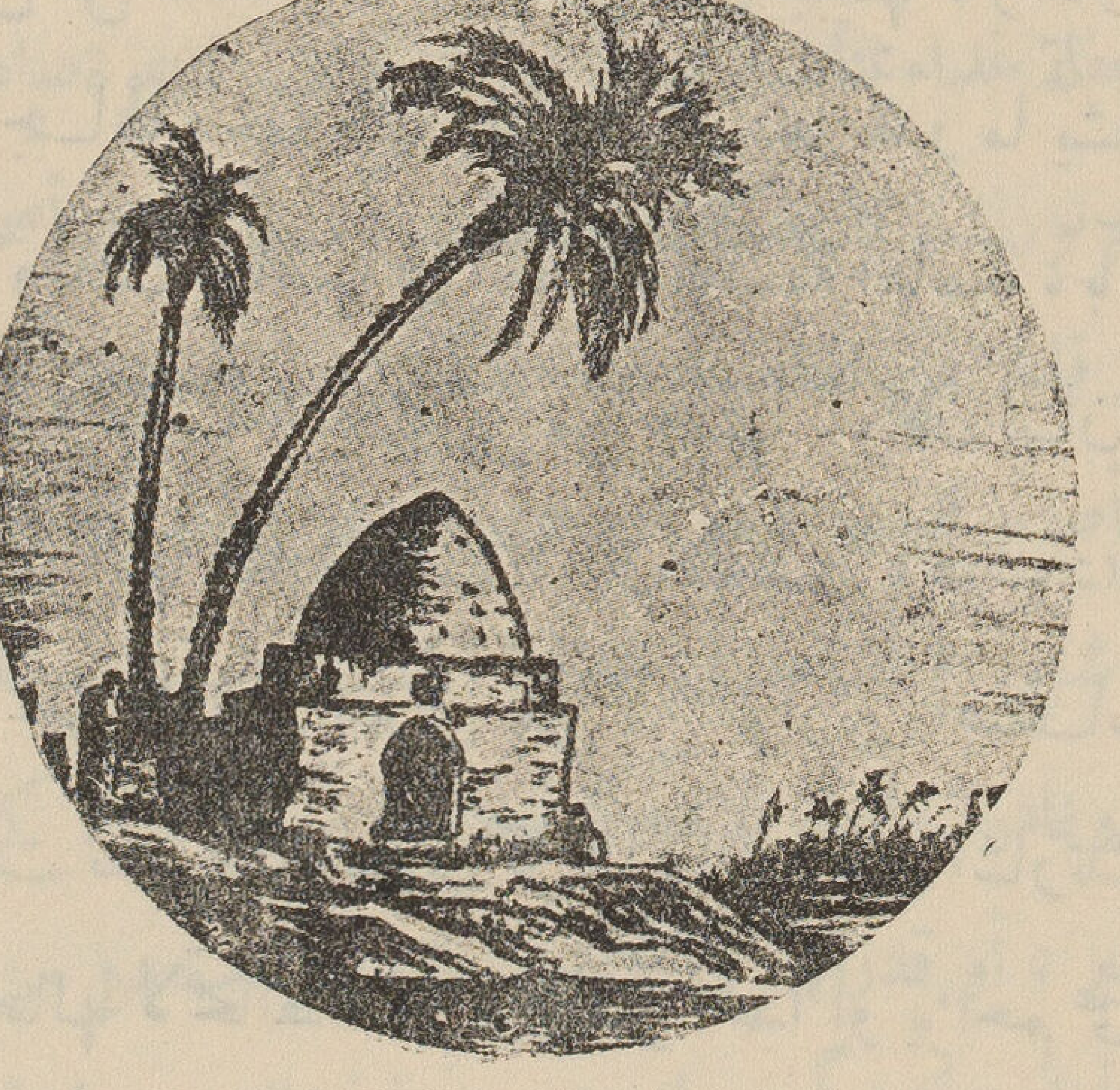
سادساً — وفى برانويا المرض يبدأ الاجراء العقلى كما فى برانويا الخيلاء «أنا أحبه» ثم تتحول الى «أنا لا أحبه ـ أنا أحب نفسى ـ يجب العناية بنفسى»

ومما تقدم يرى أن الاوهام الهستيرية على تعدد صورها وأشكالها قائمة على ظاهرة الانعكاس وان هذه الظاهرة تعد من أقوى مميزات هذه العلة عن سواها من مجموعة الأمراض العصبية النفسية التى مر بنا ذكرها ، كما تمتاز بها عن المرض المعروف بعته المراهقة الذى تسوده ظاهرة تسمى ظاهرة الاندماج ، والتى من مقتضاها ان يدمج المريض كل ما يحيط به من الموجودات فى نفسه ، ثم يقطع صلته بعالم الحقيقة ويسبح فى عالم من الاوهام والخيالات .

وقبل أن نختتم الكلام على الامراض العصبية النفسية يجدر بنا الاشارة الى وسائل علاج هذه الأمراض ، وهذه الوسائل تتلخص اجمالا فى أمور ثلاثة تعد بحق الوسائل الرئيسية لعلاج الامراض النفسية بصفة عامة وهى التحليل النفسى والايحاء والتنويم .

أما من حيث التحليل النفسى فان رجال العلم مجمعون على أنه أنجع وسيلة لمعالجة الامراض العصبية النفسية على الاطلاق ، والعلامة فرويد «وهو رب التحليل كما يقولون» يرى أنه العلاج الوحيد الناجع فى شفاء هذه المجموعة من الامراض ، لايفضله أى علاج آخر ، اذ من شأنه أن يستأصل شأفة العلة من منبتها وجذورها ، وهو أشبه شىء بعملية فتح البطن لشخص مصاب بخراج باطنى أو بعلة أو مرض عضال فى الداخل ، ولا يعتبر العلاج بالتنويم المغناطيسى أو بالايحاء الا كمجرد وسيلة وقتية لتسكين الاعراض تسكينا سطحيا دون تناول أصل العلة من أساسها ، مثل المخدر الذى يسكن آلام

الداء الدفين ولكن الى حين . غير أن هناك من جهابذة العلم وأبطال التحليل من خالفوا ذلك الأستاذ العظيم الرأى ، وقالوا بامكان شفاء طائفة من الامراض النفسية عن طريق التنويم شفاء ناجعاً وبصفة خاصة الهستيريا التحويلية . مستندين فى ذلك الى ما أيدته تجاريبهم واختباراتهم الشخصية. وانى بهذه المناسبة أذكر انى وفقت مرة الى شفاء مريضة بنوبات هستيرية تشنجية ثقيلة الاعراض عن طريق التنويم فى بعض جلسات لم تزد عن ثلاث أو أربع «ولعل هذا من قبيل المصادفات» وكان ذلك فى عام ١٩٢٥ ولحسن الحظ لم تعاودها الاعراض حتى الآن .



ذكريات

بقلم الدكتور أمير بقطر

كانت المحاضرات التى كان يلقيها الفيلسوف الاميركى الذائع الصيت جون ديوى منذ بضعة أعوام فى جامعة كولمبيا بنيويورك تمتاز عن سواها بعدة أشياء ، أهمها أعمار الطلبة الذين كان يستمعون اليها وتعدد جنسياتهم اذ كان معظم هؤلاء من النساء والرجال الذين تخطوا العقد الثالث وكان منهم من بلغ الكبر عتيا ، وعلى الأخص النساء فقد أخذ بعضهن بعنق الخمسين

وفى هذا المحيط المتجانس كنت أشاهد فتاة شقراء الشعر ، ممشوقة القوام ، مليحة الوجه ، واسعة العيون ، تناهز الثانية والعشرين من عمرها ، لم تكسبها الفلسفة شيئا من نظرات الاختبار ، وعبوسة الملامح ، وسيماء الوقار والتفكير العميق ، ولم تكسبها شيئا من تجعد الوجه ، وتقطب الحاجبين وانما كنت تراها على النقيض من ذلك يتلألأ البشر فوق جبينها ، وتحار الابتسامة فى ثغرها . وكان الناظر اليها لا يفكر فى جمالها وخفة ظلها واعتدال عودها بقدر ما يشفق عليها ، وقد زجت نفسها فى مكان لايليق بها ، ودفنت محاسنها فى أحضان الفلسفة القاسية ، بآرائها المتضاربة الصاخبة ومساجلاتها المتطاحنة العنيفة ، وعبوسة الكثيرين من طلبتها . وكان لسان حال زملائها وزميلاتها أو اكثرهم يقول : كان الاحرى أيتها الغادة الحسناء أن تتخذى «هوليود» مقرا لك ، والشاشة الفضية بغيتك ، أو كان الاخلق بك أن تقترنى بفتى من الوارثين أصحاب الملايين . فيضع ماله وقصوره وحاشيته وخدمه تحت تصرفك ويكون كل مايملك رهين اشارتك .

وكانت الفتاة على فرط جمالها لاتخالط شابا اوتعاشر أحدا أو يزاحم على التحدث اليها مزاحم ، أو يتزلف اليها من الشبان متزلف . فكأن عنصرا من عناصر الشخصية فيها كان أدعى لاحترامها وتقديس صفاتها والخشوع أمام جمالها ، من تلمس معاشرتها ، والتزاحم عليها والتزلف إليها .

مضت الايام تأخذ بتلابيب الأيام ، وكرت الشهور تتعاقبها الشهور ، وأنا لا أعلم عن أمر

هذه الفتاة ، سوى أنها من فرائس الفلسفة ، حتى دعى بضع مئات من طلبة الجامعة الى رحلة بحرية على يخت لأحد سراة الاميركيين . وقد ظللنا نواصل السفر والنزهة من الثامنة صباحاً حتى منتصف الليل ، والسفينة تمخر عباب الماء حول جزيرة منهاتن . وشاءت المقادير أن تجلس الفتاة بجانبي مصادفة ، فدار الحديث على محور المناقشات التى كان يثيرها جون ديوى ، وكانت ذيول الحديث تتصل بعضها ببعض على سطح اليخت وعلى حافة الجانب الذى كانت تتدلى منه أرجل الجالسين الى قرب سطح المـاء ، وفى غرفة المائدة ، وقاعة الموسيقا .

وكان بعض الحديث يتناقله عدد من الجالسين بالقرب منا ، فلا تـكاد تمضى دقائق معدودات حتى يتناوله اكثر ركاب الباخرة ، وكان البعض الآخر لتفاهته وقفاً علينا . لا يـكاد الحوار فيـه يتعدانا . وكان كل منا يعزز آراءه بسلسلة من الخبرة الشخصية . ولعل عذوبة الحديث وطلاوة الحوار وجمال المساجلة كانت تنحصر فى بعد الشقة . واختلاف وجهة النظر . بين اميركى ومصرى. مر على هذا الحادث الذى ترك فى ذهنى أثراً حسنا ثلاثة أشهر . وأنا لم أحادث هـذه الفتاة . ولم يخطر ببال أحدنا أن ينبس ببنت شفة أمام الآخر . غاية مافى الأمر أننا كنا نتبادل التحية أسوة بسائر الطلبة ، كلما وقع نظر الواحد على الآخر مرة كل اسبوع او اسبوعين أو أكثر . وشاءت الاقدار مرة أخرى أن أدعى الى حفلة غداء بمناسبة عيد قومى . وكانت الدعوة صادرة من أحد سراة الاميركيين بوساطة النادى الامى فى نيويورك . وكان مكان الحفلة قصراً منيفاً لأحد أصحاب الملايين فى ضيعته الواسعة على بعد مئة ميل أو أكثر قليلا من العاصمة . هنا أيضاً شاءت الصدف الغريبة أن تجمعنا ، مع أن عدد المدعوين لم يكن يتجاوز أصابع اليدين ومع أن جميع المدعوين عدانا كانوا من غير الطلبة .

مر على هذه الوليمة شهور لم أشاهد فى خلالها الفتــاة سوى مرة واحدة حضرنا فيهـا أوبرا المتروبوليتان على موعد . وغادرت العالم الاميركى بعد حين وأنا لا أذكر من أمر الفتاة نبوغها فى فن التفكير أو قوتها فى التعبير ، أو قدرتها فى التأثير ، أو غير هذه من من الصفات الذهنية التى طغت على جمال أنوثتها فكسحته أمامها كسحاً ، وطعنت حسنها فى الصميم طعنة نجلاء ، فقتلته فى المهد صبياً . لم يعلق بذهنى شىء من هذا ، بيـد أننى لم أنس ما بات أمره معلوماً لدى جميع أساتذتها وزمـلائها وزميلاتها من الطلاب ، وهو أنها كانت شغوفة بآراء ديوى وفلسفته قبل أن تقطع المرحلة الأولى من

التعليم الثانوى، وكانت تراسله فى تلك السن المبكرة ، ولا تراه طيلة الفترة الواقعة بين هذه المرحلة ونهاية السنة الرابعة من الكلية « الدراسة العاليـة » ، ولم تكد تمنح درجة بكالوريوس فى الآداب حتى أقبلت على الجامعة التى كان جون دبوى أحد أساتذتها ، فكانت منزلتها منه منزلة أفلاطون من سقراط

وبعد عودتى من أميركا بستة شهور وصلنى من بورتريكو خطاباً تبينت بعد فض غلافه أنه منها ولم يخطر ببالى أن يصلنى كتاب من هذا المكان النائى الذى لا أعرف فيه مخلوقا حتى علمت أنها قصدت الى هناك فى رحلة مع أهلها طلبا للراحة. ولم يكن هناك من بد من تبادل الرسائل ، فكانت هى تصف لى أمـيركا الوسطى فى شرح وتفصيـل واسهاب ، وكنت أنا أصف لها مصر فى شرح وتفصيل واسهاب . وكان الواحـد منا يرتاح لما يقرأه للآخر لغة وأسلوباً وموضوعاً . وكانت الرسائل فى مجموعها جدية رسمية يكاد يكون أسلوبها علمياً جافاً بعيدا عن الشعر والجمال . وقلما كان الخيال يتسرب الى رسائلنا فـيرسم عليها مسحة خفيفة من أثر العواطف ، قـد يحسبها القارىء فى بادىء الامر غلالة خفيفة من الغرام ، ولكنه لا يكاد يتبينها حتى يقرأ بين سطورها رغبة صادقة ملحة فى تجنب كل مايشتم منه ريح الصبابة أو عبير الهيام . وكان أحد أصدقائى المقربين يقرأ هذه الرسائل فيعجب بها ، وكان يلومنى اذا لم أعجل فى اسعافه بالكتاب بعد تصفحه ، وآل على نفسه أن يحتفظ ببعض الكتب ، وكانت كلها تروقه ، وقد بلغ جشعه الاقصى حينما حمل الى البريد يوماً صورة لها شمسية طبق الأصل . فانتزعها منى عنوة ولم يقع عليها نظرى الا دقائق معلومات . وكاد الحاحى عليه باعادتها ان يفقدنى فى ما بينه وبينى من صداقة قديمة فآثرت الصديق على الوريقة ، وقلت له لابأس ، لك فى الصديقة الفيلسوفة المادة ولى الروح . .

ثم وقفت الرسائل بغتة لسبب لا يعلمه أحـدنا ، ولعل خطاباً فقد بين بورتريـكو والقاهرة أو العكس وانتظر كل منا جواب الآخر بلا جدوى . وأذكر أن رسالتها الأخيرة كانت تصف فى تأفف وأسف حالة الأطفال المعدمين وهم يسيرون حفاة الأقدام فى تلك البلاد وأذكر أيضاً أننى لم أعلق على هـذه المسألة خشية أن يسوقنى الحديث الى مثل هـذه الحالة فى مصر لأننى لم أرد أن أتورط فيما لا يشرف

وكلما كنت أفكر فى أمر هذه الرسائل واختفائها فجأة كنت أقول لنفسى ، وكأننى واثق مما أقول « لابد انها تزوجت » لأننى أعلم ان الزواج فى معظم الأحايين يحصر الزوجين فى مساحة ضيقة من الكرة الأرضية ، ويقذف بهما الى ضرب من العزلة . ومن الغريب انه عندما التقينا للمرة الثانية فى أميركا ، ابتدرتنى بقولها : « لقد كنت أنت البادىء بقطع الرسائل فأيقنت أنك تزوجت » . ومن هذا يتضح أن الكبرياء هى التى حدت بكل منا أن يمسك يراعته عن التسطير للآخر قبل ورود الجواب ، حرصاً على الكرامة الشخصية .

دارت الأيام دورتها على عجل ، وطوحت بى الاقدار الى بلاد العم سام مرة ثانية . وهناك فى مدينة نيويورك القيت عصا الترحال فى الطابق الأعلى من النادى المختلط او المنزل الأممى ، وقد كان على عادته يموج بخمسمائة من الرجال والف من النساء من خمس وسبعين أمة . وكم كان سرورى مزدوجاً حينما القيت نظرة على الراحل والغادى فى قاعات الاستقبال الفخمة ، وغرف المائدة . والموسيقى والحفلات بأثاثها الفاخر الذى كان لمدام روكفلر الفضل فى تخير قطعه الفنية الجميلة — والفيت فيه وجوهاً سبق لى عهد بابتساماتها . هنالك من نافذة غرفتى التى تطل على نهر الهدسون كنت أشاهد تلال «البليسيد» شامخة وراءه، غنية بأشجارها الباسقة، زاهية بازاهيرها العطرة. وهناك بين نهر الهدسون وأعالى «مورننج سايد»، وتلالها وأشجارها كنت أشاهد بنايات الجامعة الشامخة تملأ أكثر من عشرة شوارع وعشرات الالوف من طلبتها يروحون ويجيئون بين ضفة النهر ومرتفعات التلال ..... شاهدت ذلك كله فعقدت النية على البحث عن الفيلسوف الصغير لعلى أجد من أمره شيئاً .

بيد أن مجهودى فى بادىء الأمر كان مقصوراً على طرق الاندية التى كانت تتردد عليها الفتاة ولما لم أجد فى هذه جدوى، قلبت صفحات مطوية فى مذكراتى القديمة فعثرت على عنوان منزل كان يقطنه ذووها فى بلدة نائية عن نيويورك، وأثبت على ظهر الغلاف عنوانى حتى اذا لم يعثر رجال البريد على المرسل اليه رد الى الكتاب .

مضت أسابيع تليها الاسابيع ولم ترد الى الرسالة ولم يرد لى من الفتاة كتاب ، فنسيت المسألة وتركت الامور تجرى فى أعنتها حتى لمحت يوما فى صندوق البريد رسالة طبع على غلافها « مستشفى

... مكتب دكتور س.م . الخ .... وكان الغلاف مكتوبا بالآلة الكاتبة ، ففضضته واذا بالرسالة مكتوبة بخط لا يزال رسم حروفه عالقا فى ذهنى . وقبل أن أقرأ فحوى الرسالة تركتها معلقة بين أناملى واطلقت لنفسى عنان التفكير متسائلا : ترى ما معنى المستشفى ؟ وما معنى الدكتور . فانحط خطها ، ولكنها لم تدرس الطب ولم يكن اتجاهها يوما اليه ؟ اذاً فما الذى قذف بها الى المستشفى ، اذ كانت هذه الدرجة غير طبية ؟ لم أستطع الى حل هذا اللغز سبيلا الا بتصفح الرسالة وهذا ما جاء بها بحروفه :

حضرة الصديق العزيز —

شكراً لك على رسالتك الرقيقة الموجزة التى تناولتها أيدى رجال البريد فى كل ولاية من ولايات اميركا تقريباً حتى ضاق نطاق غلافها عن أن يتسع للأختام والعناوين التى أخذ معارفى فى مدن كثيرة يسطرونها بكل أنواع المداد وألوانه . ولو علمت مكان وجودى لوفرت على نفسك مؤونة البحث والكتابة ، فقد انتقلت رسالتك من نيويورك الى شمال الولايات المتحدة وجنوبها وغربها حتى سان فرنسيسكو على شاطىء الباسفيكى الى الشرق هنا على شاطىء الاطلنطى وأخيرا دفعها الى ساعى البريد متعبة منهوكة القوى لطول السفر وربما تزداد دهشتك اذا علمت أننى أقطن عين الشارع الذى تقطنه أنت ولا يبعد منزل الواحد منا عن الآخر الا بمقدار ثلاثة أرقام . . . ولو كان خطر ببالك أن تفتح دفتر التليفون لوجدت أمام اسمى رقمين ، الواحد للمكتب والثانى للمنزل . . . لقد قطعت بيننا صلة المراسلة البريئة فجأة فأيقنت انك تزوجت ، وخفت أن يعكر صفو الزواج رسائل لغير واحدة من الجنس اللطيف ، وان كان فحوى الرسالة مقصوراً على أنباء صديق قديم والسلام؟!

يولد فى هذا المستشفى الكبير عدد ليس بقليل من الاطفال وهو معمل سيكولوجى يدرس فيه الفيلسوف الصغير — وهو الآن دكتور فى علم النفس — الاطفال منذ أن يستنشقوا الهواء لأول مرة ويسجل حركاتهم وسكناتهم وتأثرهم بكل ما يحدث حولهم . ويعاونه فى ذلك عدد من المساعدين الاخصائيين فى علم النفس ، ويبقى هؤلاء الاطفال فى عناية المستشفى حتى تفرغ التجربة . وقد وفقنى الحظ فى زيارة هذه العيادة السيكولوجية فى المرات التى زرت فيها أميركا بعد ذلك وكان آخر ما رأيت من التجارب فيها عدد كبير من التوائم . كان يعزل التوءم عن شقيقه أثر ولادته مباشرة ،

ويعنى كل منهما بطريقة مختلفة. فأحد الشقيقين يترك للطبيعة فلا يحاول أحد أن يعلمه شيئا ويربى الثانى على يد أحسن المربيات والمعلمات ويوازن بين الواحد والآخر . ومما لا يكاد يصدقه عقل ان التوائم من النوع الثانى تتعلم العوم فى الشهر السادس من عمرها ، وتقفز من علو شاهق فى السنة الثالثة .

وحدا بى الى إعادة هذه الذكريات وتصفح ما كنت دونته فى مذكراتى من هذه الصفحة بطاقة وردت الى فى عيد الميلاد هذا العام وكتب عليها ثلاثة أسماء تحيط بها حليـة جميلة ثم كتب بها بخط واضح لا أزال أذكره «وان كنت لم أره من سنتين تقريباً» هذه العبارة :

« هذا « مشيرة الى الاسم الاخير » اسم طفلة صغيرة ، وليس اسما لكلب كما تتوهم . تنشقت نسيم الحياة فى .... اكتوبر سنة ١٩٣٧ فزاد بيتنا منذ ذلك الحين بهجة وسروراً ونوراً ، وأحس كل منا بلذة لا تفوقها لذة وسعادة لا تعلوها سعادة ، وآمل أن يكون حظكما من الحياة حظنا منها.»

هذا وقد كنت قرأت فى جريدة نيويورك تيمس منذ عام أنها اقترنت بأحد الأطباء المعروفين هناك

* * *

هذه الذكريات قد يلذ للقارىء مطالعتها وقد يعتب على الكاتب الذى صدع الآذان بها بغير جدوى ، فشكراً ومعذرة ؟

أمير بقطر

من تأملات الامبراطور الفيلسوف
ماركوس أوريليـــــوس

ان العناية الالهية ترعى العالم . وأعمال المصادفة جزء من الطبيعة. وهي سدى ولحمة نظام العناية. ومن هذه العناية يفيض كل شيء . وتوجد معها الحـاجة جنباً الى جنب ومميزات الكون الذى أنت جزء منه ان الخير فى كل ما تجلبه الطبيعـة فى كل جزء منها وكل ما تعين على صيانته . وليست صيانة نظام العالم متوقفة على التغيرات فى العناصر فقط . بل تتوقف أيضا على الكليات المركبة منها . كن قانعاً بما عندك . ولتجدن فى ذلك قوام حياتك

تأمل كم ظللت تؤجل وكم منحتك الآلهة من أيام نعمتها ما لم تحسن الانتفاع به. لقد آن لك أن تعنى بالنظام الذى انت جزؤه. وبذلك المدبر الذى يفيض منه وجودك وأن تدرك أن أيامك محدودة وانتفع بها لتنال الهدوء الذى لا تشوبه السحب . والا مضت ولن تعود فى نطاق قدرتك

ان الزمن فى حياة الانسان هو لحظة . والوجود مجرى. والحس كليل. والاطار المادى معرض للتلف . والروح نسمة مترددة . والحظ لا يمكن ادراكه . والشهرة غير ثابتة — وبالاجمال فكل ما يتعلق بالجسد مجرى يغيض. وكل ما يتعلق بالروح حلم وبخار . والحياة حرب وإقامة موقوتة. والشهرة يعقبها النسيان — واذن فمـا الذى ينبغى أن نوجه اليه جهودنا ، شيء واحد وواحد فقـط — هو الفلسفة التى هى حفظ القبس الالهى الـكامن فينا مصوناً وبعيداً عن التلف ومرتفعاً فوق المسرات والآلام — لا تفعل أى شيء عن غير قصد ولا شيئا مزيفاً ولا بعيداً عن النبل . ولا تحتج شيئا مهما فعل الآخرون أو أهملوا . تقبل النصيب المحتـــوم كأنما هو صادر من المورد الذى صدر منه الانسان نفسه ــ وأخيرا ترقب الموت فى هدوء تام. وهو الانحلال الطبيعى للعناصر التى يتألف منها كل مخلوق . فان كانت العناصر التى يتركب منها لا تخشى شيئاً خـلال التغير المستمر من شكل الى

شكل . فلماذا ينظر الانسان فى ريبة الى تغير وانحلال الكل؟ إنه من الطبيعة والطبيعة لاتعرف الشر

لا تعش كما لو كان لا يزال أمامك ألف عام . فان عليك ديناً عاماً يطالبك فى حياتك الراهنة والمحتملة بان تكون فاضلا

هناك قاعدتان للتأهب . كن على أهبة أولا لتعمل ما يمليه عليك العقل والملك والمشرع لمساعدة الرجال . وثانياً كن على أهبة لتغيير طريقك اذا أصلحه لك انسان آخر وحولك عن طريق غرورك وليكن فقط سبيل التحول مبنياً على اعتبار مقنع كالعدالة أو الصالح العام . ولتكن الغاية من هذا النوع فقط وليس لمسرة ظاهرة أو اكتساب محبة الجماهير

ما أعظم قيمة الزمن الذى يربحه الانسان اذا لم يلتفت الى ما يقوله الجار أو يعمله أو يفكر فيه . بل علينا فقط أن ننتبه الى أن أعمالنا تتفق مع العدالة والقداسة . لان الرجل الفاضل لا يلتفت الى ذوى القلوب السوداء . ولكنه يقصد فى استقامة الى هدفه . لا يلقى نظرة واحدة الى الوراء

هناك نوع من الناس عندما يعمل خيرا يلفت الانظار الى حقه فيه . ومع انه قد لايشتد فى الادعاء فالحال فى قلبه سواء اذ يتخذ مركز الدائن ولاينسى ماعمله . ولكن هناك انسانا آخر يقال عنه انه ينسى ماعمله . فهو كالكرمة تحمل عنقودا واذا ما حمل ثمرتها االلائقة لاتبحث عن شىء آخر كجزاء لها . كذلك الانسان الذى يعمل الرحمة لايرفع صوته بها ولكنه ينتقل الى عمله الثانى كما تنتقل الكرمة الى حمل عناقيدها للموسم التالى

ماهو سلوكك فى الماضى نحو الالهة ونحو ابويك واخوتك وزوجتك واطفالك ومعلميك ومؤدبيك واصدقاءك والمقربين اليك واهل بيتك ؟ هل تستطيع فيما يتعلق بهم جميعا ان تقول « لم اعمل عملا مؤذيا ولم اقل كلمة جافة »

ومع ذلك فلتذكر ماحفظك فى امان خلال حياتك . وما وجدت قوة على احتماله . تذكر ان قصة حياتك سردت باكملها . وتمت خدمتها . تذكر كم من صور الجمال رأيتها . وكم من المسرات والآلام حلت بك . وكم من المطامح لم تلتفت اليها . وكم عطفت على ما لا يستحق العطف.

الحياة اقرب الى الصراع منها الى الرقص . وينبغى ان تكون على اهبة لتقف بقدميها ضد كل الهجمات مهما كانت بعيدة عن التوقع

لتعش الحياة بلا ثورة وفى سلام تام . حتى ولو صاح كل العالم برغباتهم فى وجهك . اجل حتى ولو مزقت الوحوش المفترسة هذا الغشاء الجسدى عضوا عضوا . فى وسط هذا كله لا يستطيع شيء ان يمنع فهمك من الاحتفاظ بسكينته .

اذا اخطأ أنسان فارجعه الى الصواب برفق والفت نظره الى سوء الفهم . واذا لم تستطع فلم نفسك أو لا تلم أحدا

عجبا أيها الرجل . لاحاجة للتصريحات فان الحق يتكلم عن نفسه . أنه يجب أن يكتب على جبهتك . أنه يرن فى الصوت . ويطل من العيون . كما فى محيا المحب يقرأ المحبوب كل شيء . الطيبة والصدق والبساطة يجب أن تكون كالمسك فائحة رائحتها لمن أراد ولم يرد. ينبغى أن يدرك عطرها من يقترب منها . ولكن ادعاء البساطة هو خنجر فى الكم . صداقة الذئب هى أعماق الدناءة . بعد كل شيء تجنب هذا فان الطيبة والبساطة والرحمة تطل من العيون ولا يخطئها أحد .

اذا تأثرت بمرارة وخرجت عن الصبر . فاذكر ان حياة الرجل انما هى لحظة . انها برهة وجيزة واننا جميعاً نرقد فى الموت

ان كل الأشياء الطيبة التى تتضرع من أجل الحصول عليها عاجلا اوآجلا . قد تكون لك فى لحظة اذا أنت فقط لم تقف فى طريق نفسك . واذا أنت فقط تركت الماضى وحده وسلمت المستقبل الى يد العناية. فانك توجه الحاضر فى طريق القداسة والعدالة . عن القداسة حتى تكون فرحا بنصيبك المقسوم الذى حتمته لك الطبيعة . هو لك وأنت له . وعن العدالة حتى تتكلم الحق بحرية وبلا مذلة وتتبع القانون وتعامل الأشياء بما تستحق .

من كتاب لم يطبع عطا الله عطيه

هيروهيتو امبراطور اليابان

يقارب اليابانيون سبعين مليونا . ولكن الامبراطورية تزيد على ذلك بكثير . اذ يضاف الى هؤلاء ثلاثون مليون كورى وثلاثون مليون منشوكى . وهذا غير ٤٥٠ مليون صينى هم الآن فى كف القدر لايعرف هل ينجح اليابانيون فى اخضاعهم أم لا . ولكن المحقق انهم استطاعوا الى الآن تدمير عدد كبير من مدنهم واكتساح أقاليم واسعة من بلادهم ونشر الذعر والبؤس والفاقة بين نسائهم ورجالهم وأطفالهم

وامبراطور اليابان رجل فى الخامسة والثلاثين من عمره تبلغ قامته ١٥٥ سنتمترا ووزنه ١٣٨ رطلا وقد قلنا انه « رجل » ولكن اليابانيين يعدونه الها . ولقبه الرسمى « ابن السماء » وهو الرابع والعشرون بعد المائة من الاسرة المالكة التى عاصرت الفراعنة . وهو متزوج بامرأة واحدة على خلاف العادة الامبراطورية فى التسرى اذا كانت جدته هو نفسه سرية . وله غلامان وثلاث بنات .

و « الوهية » الامبراطور تجعله بعيدا عن الاختلاط بالشعب . كما تجعل الجماهير تؤمن به وتحترم القوانين التى تصدر باسمه وترضى ببذل النفس لمرضاته . وهو حين تخرج مركبته وتسير فى الشارع يجب الا يعلوه انسان . فسكان الطبقة الثانية أو ما فوقها فى المنازل يجب أن يسارعوا الى النزول الى الطبقة الارضية حتى يكون مستوى رءوسهم دون مستوى رأسه . بل القائم على العتبة العالية يجب أن ينزل عنها لهذا السبب . كذلك يجب الا يمس جسمه حتى الطبيب الذى يجس نبضه يجب أن يفعل ذلك ويده فى قفاز

والامبراطور مضمر فى كل مكان . فان رئيس المصلحة أو المكتب الذى يبعد عن العاصمة نحو الف ميل بل الذى يقيم فى كوريا يجب عليه عندما يقرأ قرارا أومنشورا لموظفيه أن يستقبل سراى الامبراطور

والانتحار يفشو بين الموظفين عندما يتوهم أحدهم أنه ارتكب خطأ نحو الامبراطور . فان سائق القطار

الذى كان يحمل جلالته قد تأخر عن الوصول الى المحطة بدقيقتين . فلم يكن منه الا أن أخرج مسدسه ومزق برصاصته قلبه . وحدث ذات مرة أن خرج الامبراطور فى اتومبيله ليزور احدى المدارس



الامبراطور هيروهيتو وزوجته

وكان مع السواق ضابط يرشده الى الطريق حيث المستقبلين . ولكن الاتومبيل وصل قبل ميعاده فلم يستطع المستقبلون اداء التحية . واعتقل الضابط لمحاكمته . ولكنه لم ينتظر اذ قطع شريانه ومات قبل المحاكمة

وحرمة الامبراطور تبلغ القداسة الالهية . فقد حدث أن مجلة اسبوعية صينية وصفت غرامه بالعلوم فقالت أنه يؤدى للعلوم من الخدمات اكثر مما يؤدى للامبراطورية . فاحتج السفير اليابانى على هذا الوصف والح فى معاقبة رئيس التحرير الذى حكم عليه بالسجن أربعة عشر شهرا . وحدث ن مجلة أمريكية رسمت له صورة كاريكاتورية فكانت هذه الصورة موضوع المراسلات العديدة المتبادلة بين السفير اليابانى وبين حكومة واشنطون

ومع أن الامبراطور هيرو هيتو يحافظ على التقاليد فانه قد خالفها فى القليل . فهو مثلا يزور المسارح ويسيح خارج وطنه ويحضر المباريات الرياضية . وقد اختار زوجته بنفسه وليس فى قصره سرية

وهو يهوى العلوم ويكب على درسها درس البحث . وهوايته ناموس مندل فى الوراثة وهو كثير التجارب فى النبات والحيوان كما أنه شغوف بالبحث عن الاحياء المائية . وهو يقضى بضع ساعات كل يوم فى هذه الابحاث . يستيقظ فى السادسة كل صباح فينجز مهام الدولة قبل الظهر ثم يتناول غداء خفيفا ويستأنف دراسته وبحثه للعلوم البيولوجية بعد الظهر . ويأوى الى فراشه فى الحادية عشرة من المساء

ولكن الامبراطور هيروهيتو على هذه القداسة الالوهية التى يعزوها شعبه اليه لايمارس عملا جليلا أو صغيرا من أعمال الدولة الا بمشورة مجلس وزرائه ولا يعارض فى أى مشروع يقدمه اليه هذا المجلس . بل ان التوبيخ الذى وجهه الى ضباط الجيش حين قاموا بالثورة قبل أكثر من عام قد وضعه له وزراؤه

لماذا نعتقد بالتطور؟

دليل التطور

لا يمكننا اعادة فلم الحياة حتى نرى تطور الحياة منذ نشـأتها ، ولـكن تاريخ ذلك مسجل على الصخور منذ ملايين السنين وهناك من الأدلة المتعددة مايكفي ليكون سببا لايمـاننا بأن بالتطور هو السبيل لخلق أنواع الحياة . وهذا الايمان يجعل نظرتنا للحياة مشبعة كلها سمو وأمل . أما اذا لم نؤمن بالتطور فان نظرتنا للحياة تكون مجدبة. ومزايا الايمان بالتطور هى :

١ — الاعتقاد بوحدة الحياة على الأرض ووجود رابطة الدم بين جميع المخلوقات

٢ — تكون صورة ثانية للحياة فى ذهن المؤمن إذ يرى أن الحياة آخذة فى التقدم دون توان ، أما مايعترضها من بعض عوامل التأخر فهو عرضى ضعيف الاثر

٣ — ليس التطور هو استمرار تعقد وتخصص أجهزة أنواع الحياة فحسب ؛ وانما هو تقدمها فى الذكاء ، والسيطرة على الوسط ، ودقة الشعور والعاطفة والحرية

وتطور الانسان عن نوع القردة الغير الحالية الى انسان جاوه حتى الانسان الحالى يوضح مدى التقدم العقلى فيه .

إنه بفضل التطور أصبح جو هـذه الدنيا جوا يتنسم فيه الرجل المتدين نسمات الحرية الحقة ؛ لأن فيه كل ارضاء للمثل العليا التى تدعو اليها الأديان ، إنه جو التقدم نحو الصحةوالجمال، نحو محبة الزملاء ، والعناية الوالدية ، والمحبة العائلية ؛ نحو التواضع لا الغرور ومشاركة الآخرين فى عواطفهم وأخيرا نحو طهارة الادمغة ونظافة العقول .

هل يمكننا مشاهدة التطور فى أثناء حدوثه؟

نظرية التطور نظرية علمية مادية تبحث فى، نشوء أنواع جديدة من النبات والحيوان وذلك من

تعدد التغيرات التى تطرأ على الأفراد الحالية وهذا يحدث فى كل وقت مادامت هناك حياة فلو كان لنا عمر طويل « مليون سنة مثلا » لأمكننا أن نرى ما يطرأ على الاميبا تدريجيا حتى تصير حيوانا معقداً ، أو ما يطرأ على حيوان شبيه بالقرد حتى يصبح كانسان القرن العشرين .

ومع أن أعمارنا فضلا عن سلسلة أعمار أجيال متعاقبة من الانسان لا تصل الى هذا الحد فان ذلك لا يمنعنا من اثبات حدوث التطور بالادلة الكافية بله مشاهدته بالفعل .

وكما تحقق العلم من تحرك قطب الارض وقدر دورته الكاملة بنحو ٢٥٠٠٠ سنة ، وكذا قدر آلاف السنين التى تعمل فيها النجوم «المعتبرة تساهلا ثابتة» لابسط الحركات . كذلك أمكن الاستدلال بوضوح تام على حدوث التطور فى الكائنات الحية ؛ ولتسهيل ادراك ذلك تدرس الحيوانات التى تعطى انسالا كثيرة متعاقبة فى فترة قصيرة من الزمن ، فنتمكن من رؤية ما يطرأ على هذه الانسال من التغيير بتأثير الوسط والوراثة . وقد أمكن رؤية التغييرات التدريجية تبدأ طفيفة جدا ثم تكبر من نسل الى آخر حتى يتكون من النوع الحيوانى أو النباتى عدة أجناس . وطبعا لا يمكن بأى حال أن نرى نشوء نوع حيوانى من نوع آخر دونه بكثير فى سلم الرقى كأن نرى نسل القط كلبا ، أو نسل الاميبة حيوانا فقريا .

نعلم من التطور أن الحياة تدرجت من الاميبا الى الانسان مارة بملايين الاطوار فى آلاف الملايين من السنين وهذا يدعونا الى التساؤل عما اذا كانت هناك أنواع جديدة لاتزال تنشأ عن الاميبا الحالية وسائر أنواع الحياة .

لذلك تدرس أنواع الاميبا ذات الغلاف أما الأميبا عديمة الشكل والهيكل فلا يسهل التأكد من التغيرات التى تطرأ عليها فتلك الاميبات تتزايد بالانقسام دون عملية التناسل . وقد شوهد حدوث تغيرات تدريجية أدت فى النهاية الى أنواع جديدة من الاميبا ، يمكن أن تطلق عليها أسماء جديدة غير أسماء اسلافها . وعلى ذلك فانواع الاميبا فى زيادة سريعة جدا بالنسبة لزيادة سائر أنواع المملكة الحيوانية .

وقد درست أميبا معينة وشوهد التطور واضحاً فى حجمها ، وعدد زوائدها ، وأسنانها .

وفى ذبابة الفاكهة الدروسوفيلا وهى من الحشرات بدراستها لوحظ التطور فى لون العيون ، وطول الاجنحة وتركيب الاجهزة الداخلية واضحاً جدا . وبذلك نشأت أجناس متعددة للدروسوفيلا

وعلى مر الاجيال ، يصبح التباين بينها كافيا لاعتبارها أنواعا مختلفة .

ولنلق نظرة على نظريتى الخلق المقول بهما ولنرى أيتهما أولى بالاعتبار ، نظرية الخلق الذاتى القائلة بأن الانواع خلقت منفصلة لاتتغير انسالها . أم نظرية الخلق بالتطور نتيجة لتغيرات تدريجية جوهرية على الانسال ؟ إن النظرية الاولى لا يمكن أن تقف امام التجارب السالفة اذن فليس يؤيدها غير مكابرة الرجعيين .

نظمى شحاته

القارات وسكانها

	المساحة بالأميال المربعة	عدد السكان بالمليون
آسيا	١٦ر٣٦٨ر٥٠٠	١٠٤٤
أفريقيا	١١ر٠٩٢ر٧٥٠	١٥٠
أوربا	٣ر٦٧٠ر١٠٠	٥٥٠
أمريكا الشمالية	٧ر٦٢٣ر٠٥٠	١٧٠
أمريكا الجنوبية	٦ر٨٦١ر٤٠٠	٧٤
استراليا	٣ر٠١٤ر٠٥٠	٦ ر ٦
جزائر المحيط	٢ر٧٨٠ر٨٥٠	١ ر ٣
القارة القطبية الجنوبية	٣ر٥٠٠ر٠٠٠	٠٠٠

مجموع مساحات اليابسة	٥٤ ر ٩١٠ ر ٧٠٠	ميل مربع
« « المحيطات	١٣٧ ر ١٩٩ ر ٤٥٠	ميل مربع

شيانج كاى شيك

زعيم الصين الذى وحد كلمتها

تحمل الجيوش اليابانية فى اكتساحها للصين علم التدمير والتقتيل ويجتمع الصينيون حول زعيمهم شيانج كاى شيك . ولذلك رأينا ان نذكر فيما يلى بعض ما يعرف عن هذا الزعيم

شيانج كاى شيك هو الآن فى الخمسين من عمره ' وهو مضعضع الصحة له فقرة مكسورة فى ظهره ولذلك كثيرا مايتخذ جبائر من الفولاذ لتقويمه . وهو الآن الديكتاتور الذى يقبض فى يده على مصير ٤٥٠ مليون صينى . وهو مع مايعرف من الاستعدادات الحربية اليابانية يؤمل بالنصر الختامى للصين ويقول « ان كل شىء يتوقف على استمرار روح الاتحاد بين افراد الشعب»

وقد ولد شيانج فى قرية صغيرة وحاول ابوه ان يلحقه باحد التجار ولكنه فرمنه ودخل فى احدى المدارس الصينية الجديدة ثم رحل الى اليابان حيث التحق بالكلية الحربية فى توكيو وتخرج منها ضابطا . وهو لذلك لايعرف من اللغات الاجنبية سوى اليابانية كما ان اقامته مدة التلمذة فى توكيو جعلته يقف على مدى المطامع اليابناية وعلاقتها بالصين

ولما عاد الى الصين التحق بالجيش . ونشبت الثورة سنة ١٩١١ حين الغيت الامبراطورية واعلنت الجمهورية . فانضم شيانج كاى شيك بجنوده الى الثائرين وانتهى به المطاف الى ان صار السكرتير الخاص لرئيس الجمهورية الدكتور سون يات سين . فاعتنق المسيحية مثله وادرك قيمة الحضارة الحديثة فاتجه ذهنه الى هدم التقاليد الصينية العتيقة وتعميم الاراء العصرية

ولما مات رئيس الجمهورية سنة ١٩٢٥ كان شيانج كاى شيك قد انتهى مع حكومة موسكو على عقد قرض كبير للصين . وكانت عناية الروس المعينة فى شروط القرض ان ينفق على تعميم الشيوعية فى الصين . ولكن شيانج بعد أن حصل على المبلغ قطع صلته بالشيوعيين الروس وشرع

ينفق ما حصل عليه منهم على تجديد الصين وتعميرها وجمع كلمة قوادها

والصين قطر كبير جدا كان القواد يستقلون فيه بالأقاليم التى يقيمون فيها . فكان القائد كلما اعوزه المال عمد الى جباية الضرائب حتى أن بعضهم كان عند وفاة رئيس الجمهورية قد جبى الضرائب الى سنة ١٩٩٥ وكان على شيانج كاى شيك أن يصلح هذه الحال التى تبعث على اليأس التام . فانه وزع بعض ماحصل عليه من المال الروسى على هؤلاء القواد وطلب اليهم أن يكفوا عن جباية الضرائب ثم شرع ينظم البلاد لمكافحة الغارة أو الغارات اليابانية المنتظرة . فانه بمادرس من الخطط الامبراطورية فى اليابان قد عرف أن الحزب الحربى اليابانى ينوى اكتساح الصين . فأخذ يعد الطرق ويشترى الاتومبيلات للنقل السريع ويدخر الذخائر والمؤن بل لقد اشترى من الطائرات والغازات السامة مقدارا كبيراً . وقد عرفت اليابان أيضاً أن مثل هذا الرجل لا يمكن أن يترك حتى يتمم برنامجه فى تجديد الصين . فعاجلته بالاغارة على منشوريا قبل أن يستعد للمقاومة . ثم استأنفت غارتها فى السنة الماضية لسائر الصين . ويذكر القراء أنه حدث فى ديسمبر سنة ١٩٣٦ أن شيانج كاى شيك كان قد أسر فى



شيانج كاى شيك وزوجته مايلنج سونج

جيش صيني شيوعي وانه أذيعت عنه أخبـــار مقلقة تقول بأن القائد يطلب منه بضعة ملايين من الجنيهات فدية . وقد سـافرت زوجته اليه وهو فى أسره وأدت للقـائد مايطلبه . ويقال أن كل ما حدث انما كان مناورة من شيانج كاى شيك . اذ كان يريد أن يلتقى بقـائد الجيش الشيوعى ويتفق معه على مقاومة الغارة اليابانية التى كان ينتظرها والتى وقعت قبل أشهر . فانه أراد أن يذر الرماد فى عيون اليابانيين فادعى وأذاع أنه أسر وانه معتقل وانه مطالب بالفدية

وزوجة الزعيم الصينى هى شقيقـة زوجة رئيس الجمهورية المتوفى سون يات سين . وهى تدعى مايلنج سونج وهى من أغنى الاسر فى الصين . وقد تعلمت مايلنج فى احدى الـكليات الامريكية بالولايات المتحدة. وهى مسيحية شديدة الاستمساك بالدين تدعو الرسالات الدينية المسيحية الى المعاونة على انهاض الصين بانشاء المدارس . وهى وزيرة غير رسمية لايكاد يؤدى زوجها عمـــلا أو يمضى قراراً الا بعد استشارتها وموافقتها . وقد ساعدت فى انشاء «حركة الحياة الجديدة» وهى تقوم على تأسيس جمعيات من الشبان والفتيات غايتها خدمة الوطن بالاستقامة فى الاخـلاق وترك العادات الشرقية القبيحة التى ورثتها الصين عن تقاليدها . ومعظم الاصلاح الذى تنشده هذه الجمعية يتجه نحو الريف . حيث يتعهد الاعضاء بثلاثة أشياء هى : ابادة الفيران وقتل الذباب ومجانبة العـاهرات . وهناك قواعد كثيرة منها مثلا أنه لايجوز للعضو أن يمضى فى القيل والقال اكثر من ربع سـاعة . وانه لايجوز للمرأة أن تدخن أو تتخـذ فستاناً مغريا . بل لقد اجيز للشرطة فى الشوارع أن يلقوا القبض على كل امرأة تلبس فستاناً مبهرجا . فانه ينزع منها ثم يحرق علنـا امام الجمهور . كما منع الفتيات من صبغ شفاهن أو أظافرهن أو خدودهن . ومن هنا يرى القراء روح الجد فى الحركة التجديدية التى تقوم بها هذه السيدة وزوجها .

وقد رأت مايلنج سونج أحجام الشبان عن الزواج فأسست مدرسة فى نانكين لتعليم الفتيات الفقيرات تدبير المنزل والطبخ .وهذه المدرسة تعلق من وقت لآخر اعلانا عن «موسم الزواج» فيقبل الشبان على زيارتها ويختار كل منهم الفتاة التى تعجبه ويعقد عليها لقاء خمسة جنيهات تأخذها المدرسة أجرة تعليمها .

ولم تطق اليابان رؤية الصين وهى تحقق هذا التقدم السريع فعاجلتها بالحرب .

القضاء المصرى فى الريف

كما يراه الاستاذ توفيق الحكيم

يدور موضوع أحد مؤلفات الاستاذ توفيق الحكيم حول قضية قتل متشعبة غامضة. وفى ثناياها يحلل الكاتب على لسان وكيل النيابة شخصيات الفلاحين ويعرض للقارىء صوراً من حياة الموظف ويرسم الطرق العتيقة البالية فى نظام القضاء فى مصر ويضع على المشرحة حياة القضاة وكيف يتعاملون وبالتالى حياة كبار الموظفين وكيف يعيشون. ثم يختم الكتاب ختاماً باهراً اذ تحفظ قضية القتل التى كان الكتاب بصددها لا لغموض القضية فقدقرب حلها بل حلت بالفعل. فانت تفهم القاتل من سياق الكلام ولكن قرب انتهاء السنة القضائية يوجب اسراع البت فى القضايا فيضطر وكيل النيابة الى انهاء قضاياه ومن ضمنها قضيتنا هذه

وأجمل ما فى الكتاب أسلوبه !! ذلك الاسلوب العذب الذى تلمس فيه روح الدعابة وروح الجد يمتزجان معاً. فيكونان أسلوبا عصريا بعيداً عن الزخرف يمتاز بتفكير حر جرىء ولا أستطيع أن أترك هذه النقطة دون أن أنقل بضع سطور من الكتاب تدل على الاسلوب البديع الذى يحلل به شخصيات الريف. قال « فظهر رجل كهل من المزارعين يبدو من زرقة شال عمامته المزهرة ومن جلبابه الكشمير وعبائته الجوخ الامبريال وحذائه اللستيك الفاقع أنه على جانب من اليسار واستواء الحال »

وها هو ذا يحلل شخصية أخرى فى سطور قليلة فيقول :

« فحضرت مومس ريفية قد زججت حاجبيها بعود ثقاب، وطلت وجنتيها بهذا الاحمر الفاقع الذى تطلى به صناديق الدخان السمسون وصورت بالوشم صورة قلب يخترقه سهم على ذراعها العارية، ووضعت فى معصميها أساور وغوايش من المعدن والزجاج الملون »

فأنت تلمس من هذه الاسطر القليلة الحياة .. الحياة تدب لتظهر لنا شخصية المومس الريفيه مجسمة أمامنا .

* * *

بدأ الكتاب باستيقاظ بطل قصتنا : وكيل النيابة فى الساعة الثانية من صباح يوم ٢٣ أكتوبر، على صوت الخفير وهو ينبهه بالاستعداد للقيام لأن رصاصاً من مجهول قد اطلق على عبد الرحيم . فيقوم صاحبنا متثاقلا ، مصطحبا معه مساعده الجديد إلى السيارة حيث يجد حضرة المأمور قابعاً فى ركن منه . وتمر السيارة فى طريقها إلى مكان التحقيق على كاتب التحقيق وعم الشيخ عصفور وهو رجل جاوز الاربعين لاعمل له إلا مصاحبة هذه الجماعة إلى مكان الجرائم . . يتدارك النوم جفون وكيل النيابة حتى يستيقظ والسيارة واقفة أمام بيت العمدة . . وكان التحقيق مملا عاديا بين سؤال العمدة الذى أقسم بأن الجناة لابد أن يكونوا من غير بلدته واستجواب أهل القتيل الذين تكتموا حتى يثأروا لأنفسهم ومحاولة التكلم مع القتيل الذى كانت الرصاصة قد أفقدته حسه وقدرته على التكلم . . وهكذا أخذ التحقيق يأخذ مجراه والنتيجة لم تظهر ويلوح انها لن تظهر إلى أن يتدخل عم الشيخ عصفور مقترحا معرفة القتيل « بالمرأة » وهنا يأخذ التحقيق فى الاتساع ويأمر وكيل النيابة باستحضار بنت القتيل لعلها تعرف شيئاً . فتستدعى «ريم » وهى ريفية حسناء ملكت لب الجميع ولا سيما المأمور . وبالتحقيق معها ومع بعض جاراتها وجيرانها عرف أنها كانت تحب شخصاً مات لانه اعتزم الزواج منها ولكن أباها القتيل عارض أشد المعارضة فى هذا الزواج .

وهنا تلوح بارقة من الأمل فيأمر وكيل النيابة بالقبض على ريم وبالعودة وكانت الساعة ٤ صباحاً .وفى هذه الساعة المتأخرة لايكون أحد فى القسم ولا حتى السجان نفسه . . فما العمل ؟ أين تقضى الفتاة ليلتها ؟ وهكذا يظل الجميع يتساءلون حتى أمر المأمور ، وكان أمره الفصل ، فى أخذ ريم معه إلى منزله حيث تبيت ، والدار أمان كما قال لوكيل النيابة ، ولكن هذا الفصل لم يكن مقنعاً أو مريحاً لضمير أحد حتى الشيخ عصفور نفسه ولكن ما العمل؟ هو احترام أمر المأمور.

ويعود وكيل النيابة فى الصباح التالى إلى المحكمة حيث ينظر حضرة القاضى القضايا العادية المستمرة فى الريف . امثال ذبح خروف خارج السلخانة أو غسل الملابس فى مياه الترع أو أو الخ

ومما يجدر ذكره ، وقد أعجبنى خاصة ، أن بهذه المحكمة قاضيان قاضين سريع يأتى من مصر خصيصاً يوم الجلسة ويعود فى قطار الساعة ١١ صباحا ومهما كان عدد القضايا فان هذا القطار لم يفت هذا القاضى قط. أما القاضى الآخر فهو قاض يعيش مع أسرته فى المركز يريد أن يسلى نفسه بالنظر فى القضايا وقد شاب رأسه وهو ذو وساوس كثيرة فهو قبل أن يحكم يفكر كثيراً و كثيراً جداً فهو قاض بطىء لا يستحب فى جلسة كهذه. كان وكيل النيابة ساهراً الى الصباح خارج المنزل ولكن الحظ .. الحظ الذى يعاكس وكيل نيابتنا دائما أوقعه فى ذلك القاضى البطىء ..



الاستاذ توفيق الحكيم

وأخذ القاضى ينظر القضايا ويأمر بغرامة عشرين قرشاً لكل قضية منها ولم يلح على واحد منهم أنه قد اقتنع بغلطته وهكذا يأخذ القاضى فى نظر القضايا وكلما ارتبك نظر الى وكيل النيابة قائلا « النيابة » فيستيقظ الوكيل من نومه مردداً كلاما فارغا يحكم على أثره القاضى ضد المتهم

ولكنك تستطيع أن تفهم الفرق بين ذلك القاضى والقاضى السريع. فان السريع لا يستمع الى شهادة الشاهد اذا زادت عن كلمة فهو يواجه المتهم بغلطته ويطلب منه كلمة واحدة نعم أم لأ . ثم يحكم ويستمر يحكم حتى اذا قاربت الساعة ١١ خرج مهرولا وهناك ينظر بقية القضايا ويبت فيها وهو جالس فى صالونه بالقطار .

نعود فنقول ان أعصاب وكيل النيابة قد تكسرت ولها أن تتكسر

وهكذا تنقضى الجلسة دون حدوث شىء إلا أن ريم التى باتت عند المأمور لم تكن قد عادت

الى القسم فيبادر وكيل النيابة بسؤال المأمور فيقرر انها قد هربت من منزله ولم ير لها أثر وها هو قد أرسل أعوانه الى المدينة ليبحثوا عنها

وتمر الايام دون تقدم فى التحقيق فقد اختفت ريم ولم يعثر لها على أثر كما لوحظ اختفاء عم الشيخ عصفور . وفى يوم يضرب جرس التليفون منبئا وكيل النيابة بالحضور الى المستشفى لاستجواب المعتدى عليه فقد استطاع أن يتكلم .. وهناك فى ردهة المستشفى رأى عم الشيخ عصفور ومعه ريم جالسين القرفصاء فما رآهما حتى اختفى ليستدعى البوليس . ولكن ريم كانت قد هربت ولم يبق سوى عم الشيخ عصفور الذى قبضوا عليه وفتحوا له محضر تشرد ودخل فى تحقيق عنيف ولكن كل هذا لم يكن ذا فائدة .. عاد وكيل النيابة الى المستشفى ليرى الشيخ عبد الرحيم .. وما ان سأله عن سؤال القاتل حتى قال كلمة واحدة فاضت بعدها روحه وهى «ريم»

ولكن أين هى ريم ؟ بل أقصد أن أقول أين هو الوقت الذى يستطيع فيه أن يتعقب هذه القضية فهناك آلاف القضايا من هذا النوع تتكرر فى الريف فالغرائز البشرية لا تنام هناك .. كما أن السنة القضائية التى يجب بعدها أن يبت فى أمر جميع القضايا المتعلقة قد قربت .وزاد الطين بلة أن وكيل نيابة المجاور له أرسل له طرداً من القضايا لدراستها والبت فيها ورجا منه مساعدته فى محنته والبت فى القضايا

وهكذا لا يستطيع وكيل النيابة هذا إلا حفظ القضية وورؤها آلاف القضايا من هذا النوع .

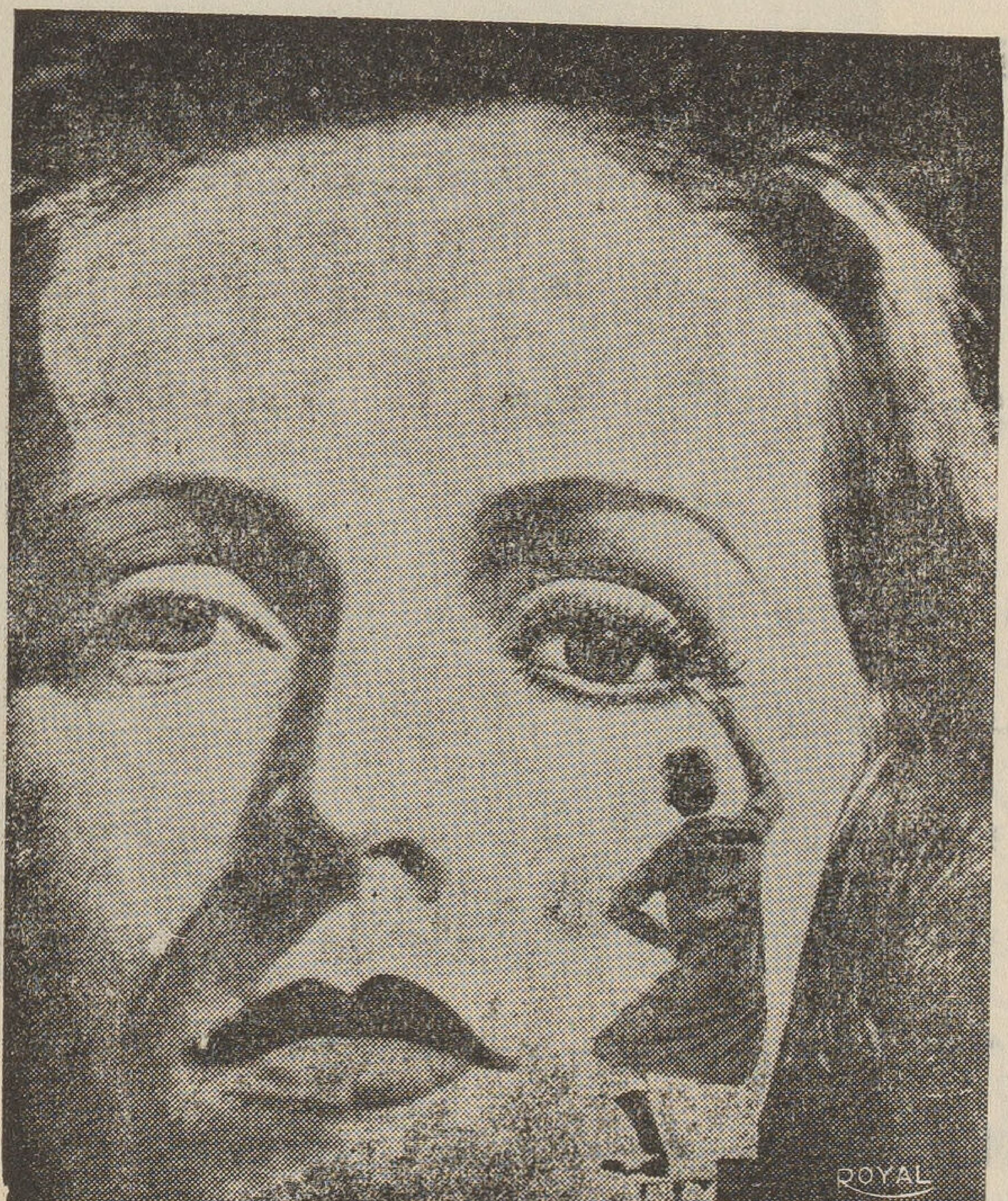
والكتاب كله ثورة على القانون المصرى الذى اقتبسناه من فرنسا دون النظر فى أحوالنا الاجتماعية وظروفنا الخاصة. فهناك قوم متحضرون يفهمون ولكن أين نحن منهم وأمامنا ١٥ مليوناً على الاقل لا يعرفون الشوكة والسكين ولا يعرفون معنى الاستحمام . أجل أيها القارىء فانني قد أعددت عدد الفقراء فى القاهرة وحدها الذين سيكون لهم حظ فى طعام قد تبرع به جلالة الملك وبعض الاثرياء فاذا به ١٥٠٠٠٠ فقير .. تصور ١٥٠٠٠٠ فقير فى القاهرة وحدها هذا عدا الآلاف الذين لن ينالوا شرف هذا الطعام .

أعود فأقول أن من ضمن قانوننا أنه لا يجوز لفلاح ان يستعمل الترعة فى غير أعمال تجارية أو زراعية وعلى هذا فلا يجوز له أن يغسل فيه ملابسه .. فأين يغسلها اذن .. ليس هنا كفرنسا توجد أنابيب تحمل الماء المقطر الصافى .. وهكذا ..

رشدى سعيد

الفتيات السينمائيات

يرى القاريء هناصورة فتاة سينمائية قد صعد الرسام الي وجهها لكي يرسم ملامح جديدة تتفق والدور الذي سوف تلعبه في الدرامة السينمائية المقررة . ونحن في كلامنا المألوف عن الوجوه نعرف منها الاشقر والاسمر والابيض والعين الحوراء والعين الوطفاء والصدغ المعروق والصدغ المكتنز والشفة اللمياء والاخري الحمراء ونونة الذقن او الوجنة ومن الانوف الاشم والمعتدل والمنتبر . ولكن الفنيين في التمثيل السينمائي يعرفون من الوجوه خمسة واربعين طرازا وهم لذلك يستخدمون البراعة الصناعية في تنقيح الطبيعة او تبديلها والوجه هو اقل ماتحتاج اليه الممثلة من حيث الجمال او كمال الملامح . لان العبرة بالقامة واعتدالها : فان الوجه يمكن اصلاحه بالصناعة ولكن القامة تعسر على الاصلاح



ومن الاوهام الشائعة ان الممثلات السينمائيات يعشن عيشة المرح واللهو - مع ان قليلا من التأمل في حرفتهن يزيل هذا الوهم . فان الممثلة يجب ان تفهم سيكلوجية الدور الذي تلعبه ويجب ان تدرس وتتعمق وتصون صحتها وتبتعد عن الانغماس في شراب او طعام حتى لايترهل بطنها - وهذا الي ممارسة لاتنقطع للالعاب الرياضية المجهدة التي تحفظ الخصر . واعظم ماتخشاه الممثلة السنمائية ان يزيد نطاق خصرها ربع سنتمتر . فانها تسارع الى الصوم او تجهد نفسها في الرياضة العنيفة حتى يعود خصرها الي اصله

الآنسة (مى) زيادة...

اثرها فى الأدب النسوى وفضلها على النهضة الفكرية الحديثة

دراسة وتحليل — بقلم أسعد حسنى

من الكتاب ما هو ملخص جلسات ومدون وقائع وسارد أقاصيص ومنهم من أقرأ له أحيانا فاسائل نفسي عن كتابته أهذه صراحة جرىء مقدام ؟ أم هي جسارة من يفتقر الي التثقيف ؟ ومنهم كولمبس جاء لاكتشاف عوالم جديدة

« مى » فى كتاب « الصحائف »

أذاعت الصحف فى الأيام الأخيرة نبأ شفاء الكاتبة النابغة الآنسة « مى » من مرضها الذى ألم بها منذ زهاء سنتين أو يزيد . اذ اختلط ذهنها وضعفت ذاكرتها ، وتهدمت قواها الفكرية ، التى ظلت أكثر من ثلاثين عاماً تفيض على النـاس روائع الآثار ، وبدائع الخلق ، ومبـاهج الانتاج ما يعتبر بحق ثروة طائلة من نفائس الآداب ، وذخيرة عظيمة فى عالم الفنون والاجتماع ...

ولعل الآلاف من الناطقين بالعربية فى أطراف الشرق جميعاً الذين طالما هدهـــدت « مى » عواطفهم على ايقاع شعرها الساحر ، وطالما انتفعوا واستمتعوا بنفحات هذه الكاتبة العظيمة من خلال آثارها البديعة التى كانت للحياة النابضة مرآة ، وللعاطفة المشبوبة مثالا ، وللعقل الناضج محرابا — قد اطمأنت قلوبهم لهذا النبأ السار ، وعاودهم الرجاء والأمل ، بعـد انقطاعهما . وخفت لوعتهم على مصاب هذه الاديبة التى امتد لهيب عبقريتها الى كل قطر ، وعطرت الجو الادبى فى مصر خاصـة بشخصيتها الممتازة ، ومؤلفاتها القيمة التى تنم على وفرة الاطلاع ونضوج الفكر والحيوية الدافقة ، التى أهلتها للمنزلة السامية التى بلغتها فى نفوس اهل العلم والفضل والادب ، الذين طربوا لشفائها . وحمدوا الله على نجاتها من هذا المكروه !

شخصية « مى » ككاتبة ومحررة

« مى » بطبيعتها انسانية المنزع والمشرب . وكتاباتها بغير شك فيها سمة البقاء ، وطـابع

الخلود : اذ اجتمع لها من المواهب الفريدة والمميزات العالية ما لم يجتمع لجيل من الادباء . فهى بين أهل الادب،وذوى الاقلام والكاتبين من السعداء المفردين وحدهم- الذين حق لهم أن يقبضوا على «الصولجان» دون أن تخاف على زوال هذا الملك من يدها أو افلات زمامه من قبضتها ... كانت «كولمبس»الادب العربى جاء ليكتشف دنيا،وعوالم جديدة ... لانها غنية بمعارفها وثقافتها ، موفورة الذكاء جمة النشاط ، وقد بنت شهرتها الواسعة على أساس وطيد ومجدها الادبى قائم على دعائم قوية ثابتة ،تقيها من التداعى بالدأب على العمل والمثابرة . وعدم الخمول ، أو الركون الى الراحة . .

فالانسة « مى » التى تجيد ست لغات حية ، قراءة ، وكتابة ، وتأليفاً - ولم يكن فى الشرق بأسره من يضارعها بين كتاب العربية ، ولا من فاقها بين نساء العالم الاوربى حتى اليوم - فى سعة اطلاعها ، وحسن بيانها ، وبعد نظرها . . هذه الاديبة ، النابغة كانت اثارها وكتاباتها ، ومؤلفاتها ، على الدوام ، اقل جداً من شخصيتها . وكان انتاجها ، وادبها ، « ابهت » من حديثها اللامع المشرق . اذ كانت تجيد الحديث بأحسن مما تجيد الكتابة . وذلك كله مرجعه الى أنها « فتاة شرقية » . وان كانت تعيش بعقل أوربى . . الا أن أثر « البيئة » - وهى تراث الاجيال العديدة ، كان يضطرها الى الصمت ، وعدم المصارحة امام جمهور القراء بكل شىء . . فهى فى الوقع كانت فريسة حرب « نفسية » بين روحها وعقلها ، بل بين الحديث والقديم ، وبين العاطفة والادراك - . .

ولعل من استمع الى « مى » المحدثة ، او أنصت اليها خطيبة ، ورأى أندفاعها الجرىء ، الذى يأخذ بمجامع القلوب ويملأها غبطة وسلاماً ، وقد أصبح مسحور اللب من روعة بيانها ، وطلاوة حديثها الذى يتجلى فى صفاء الفاظها ، ليؤدى بهذه الجزالة الرنانة السافرة ، وهذا الاسلوب الموسيقى الرصين ، وتلك المعانى الدقيقة ، يحيط بها جميعاً جو من السحر والجمال ، والعمق والتغلغل ، والفتنة والخيال - البعيد عن تلك الرغبة فى التخفى التى تلازمها وهى تكتب شيئاً يذاع ، او تعقد فصلا يقرأه مئات الناس . .

* * *

ومنذ كتبت « مى » فى الصحف ، من زهاء ثلاثين عاماً - أصبح اسمها رناناً ذا دوى وصدى

فى مجتمعات العلم والفنون ، ودوائر الاجتماع والاداب . وكتاباتها تفيض بالرائحة « الانثوية » و« نكهة » النساء ، كأنها تكتب عفو خاطرها ، متدفقة فى غير تكلف . معبرة عن طبيعتها النسائية أصدق تعبير . بحيث لم تكذبها طبيعتها هذه ولو مرة واحدة . فهى تكتب للناس جميعاً ، محاولة ان تنزعهم من المادية الجامدة التى تستبد بهم ، الى المثل العليا . التى تخلق فى النفوس جواً من عذب الخيال . وتنقلهم على أجنحة الاحلام من أرض الحقيقة المقيدة البارزة ، التى تتمثل على مسرحها رواية الحياة المتكررة فى كل زمن ومصر ، الى سماء المعنويات والارواح التى تهيم مى فى رياضها الغناء . . من غير ان تدرك هى مدى الفروق الشاسعة بين الارض والسماء !

وكانت « مى » لا فى كتابتها فحسب ، بل فى حياتها الخاصة أيضا ـ تطلب من الحياة مثلا عليا ، لا تحققها طبيعة الدنيا والواقع الملموس . فكانت تلوذ بالصمت وتجنح الى « الستر » . عندما تفلت زمام الاحلام من يدها . . وتجابهها الحقائق الارضية الوضيعة . فتبحث بغير جدوى ـ عن صديق تكشف له همها ، او اليف يشاطرها اسى قلبها ، أو ترديد صداه . وهالها هذا الامر ، فانفجرت نفسها حسرات . حتى أصابها مس فى عقلها . أنتهى بها الى هذا المرض . ولم يكن ذلك الا من ظلم « البيئة » سيما بعد ان تخطف الموت والديها ، فعاشت وحيدة . . بين المحابر والطروس ، بغير انيس . . ولو ان « مى » ولدت فى اوربا ، اونشأت بها لما اصيبت بهذا المرض . بل كانت على الاغلب والاعم ، تتزوج ، او تجد فى هناء العيشة الاجتماعية ، والبيتية ، مايجنبها هذا المرض . ولكن هنا فى مصر ، او فى الشرق على العموم ـ لم يكن ذلك سهلا على فتاة اديبة ، من طرازها ، ولها مثل ما « لمى » من المواهب والمميزات !

نشأتها . . وصورتها . . وثقافتها !

ولدت « مى » فى مدينة « الناصرة » التى استقبل « المسيح » عليه السلام ، ضوء الحياة الاول بين ظهرانيها . ولم تدخل المدرسة الا بعد ان جاوزت العاشرة من عمرها . فدخلت مدرسة « عيطورة » وبقيت بها ثلاثة اعوام . وانتقلت بعد ذلك الى مدرسة « الراهبات الفرنسيسكان » فى بيروت ، فمكثت بها سنة واحدة . ثم انتقلت مع والدها واسرتها الى مصر . وانشأ والدها المرحوم الاستاذ

الياس زياده بك جريدة يومية « المحروسة » . وهنا درست الانجليزية ، والايطالية ، والالمانية وترجمت عنها رواية « ابتسامات ودموع » . .

ومالت « مى » الى الادب بكليتها ، فأقتحمت غماره بقدم ثابتة . وتجلت مميزاتها ، وبرزت مواهبها بوضوح عظيم . ونتج من احتكاك افكارها باراء المفكرين فى هذا الزمن ، ان احب القراء آثارها ، ووجدت منهم تشجيعا على ان تكتب فى الصحف ، خصوصاً بعد ان دعا « قاسم بك امين » — نصير المرأة ومحررها — دعوته المباركة ، فانبرى الى الميدان كثير من الفتيات النابغات ومنهن « باحثة البادية » التى كان لها مع « مى » حديث ذو شجون . . .



الانسة مى

وكان الادب فى ذلك الوقت فى اعتبار الناس — هواية لا يجب الاستسلام لها . بل كان الاديب فى عرفهم الشائع ، قرين الفقر وحليف التشرد ، لقلة مايدره الأدب على صاحبه من الربح المادى . وذلك لعمرى ، حظ الاديب فى كل عصر وان كان حسن الطالع قد يصعد بالبعض الى اوج الشهرة وذرى الثروة ... ولكنه صعود اشبه مايكون بصعود « النيازك » تنير وهى عالية ، ثم لاتلبث ان تهوى الى الحضيض منطفئة ... ولا يزال الاديب الى اليوم يحرق نفسه كالشمعة ، وينير للاخرين ، وهو يحترق الى ان يفنى . وهذه الحقيقة ، كانت اشد بروزاً فى الزمن

الماضى . منها اليوم . لذلك كان جميلا وعظيما من فتاة مثل « مى » تفهم هذه الحقائق . وتقدرها وتدركها كل الادراك . ومع ذلك فهى لاتحجم عن النزول الى مضمار الادب . وتقديم نفسها لتحترق بدورها . لتنير للعالم السبيل . وهى تفنى !..

وكانت «مى» على رغم سعة اطلاعها . وعظيم استنارتها . ابعدالنساء طراً عن «الاسترجال» واشدهن استمساكاً بالخصائص النسوية . فانت اذا رأيتها بقامتها الربعة . ووجهها المستدير . وهى زجاء الحاجبين . دعجاء العينين يتألق الذكاء فى بريقهما . ويجلل هـذا الشعر على صفحة الجبين . فيرفع عنه بخفة ورشاقة — اذا رأيتها . وهى على هذه الصورة وابتسامة الخفر ترقص على شفتيها فى بعض الاحايين . — فليس فى وسعك الا ان تحكم بان « مى » الكاتبة التى تطالعك بعظمتها بين السطور ـ هى « مى » الفتاة التى لم تنتحل صفات « الاسترجال » ـ بل ظلت كما هى منذ كانت طفلة صغيرة ، ومنذ كانت فى صدر الشباب ، ومنذ اصبحت مكتملة وجاوزت الصبا ، ومنذ نضجت وغدت ترفع بكتاباتها الناس الى عوالم النور ، ومسارح الاحلام ، ودنيا الامال ، التى يضل فيها الخيال . . !

كتبها .. ومؤلفاتها .. وأسلوبها ..

زودت « مى » عالم التأليف ، بمجموعة ثمينة من الكتب التى سحرت النفوس ، وخلبت الالباب . منها ما اعتبره كثير من أئمة النقاد والادباء ، انموذجاً جديداً عالياً للنقد الادبى على أحدث الاساليب التى يجرى عليها الكتاب فى العالم المتمدين . ومنها ما يعتبر بحثاً فى حياة عظيم من العظماء ، علقت على ترجمته بارائها الخاصة ، واقامة الادلة المنطقية فى تأييد الحقائق التى ساقتها فى معرض البراهين على صحة نظرياتها وأفكارها خلال هذه الدراسات . وبعضها تناول موضوعات حية فى النقد . أو مبادئ اجتماعية وعمرانية . أو مذاهب حديثة فى الادب والفنون والتاريخ . والبعض الآخر روايات مترجمة وشعر . .

واذا صح ماقاله أحد المستشرقين ، من ان تاريخ مصر برمتها ، فى عهدها الحديث ، انما ينحصر فى بضعة أشخاص يفكرون بقوة ، وارادة اكثر من غيرهم ـ وانهم منحة الطبيعة والعصور ـ فلا ريب ان « مى » على رأس المفكرين ، وفى طليعتهم . اذ هى منحته نفسها وجائزه العمل ،

والدأب ، والاجتهاد . وما أقل اصحاب العقول المستقلة ، والنفوس الحرة التي تتحرر من المألوف ، وتكتشف الحقيقة ولو من خلال استار ، وتصورها لعين غير عينها كما تراها بكل معانيها . حتى وان لم يكن تقريرها وفق هواها ورغبتها .

ولكن « مى » مع ذلك ـ لم تكن ممن يجعل للشعور اهمية على الرغائب . او يضع باسلوب المطالب فوق التصورات والاطماع ولذلك كنت تراها تتناول المواضيع الاجتماعية ، بروح الخيال ، وان كان يموج طلاوة وحلاوة ،او كان معززاً بزبدة معارفها الواسعة . وكانت تبتكر فى هذا الاسلوب ،ليكون له من القوة ما يجعله يثبت فى الاذهان . كمن يفتح لنفسه سبيلا للتقدم فى زحمة الناس . ثم توشيه بروح مطبوعة بطابع الامتياز والتفوق الذى يوفر له من أسباب الجاذبية بين السطور ، ما يوقظ حب الاستمرار فى المطالعة والقراءة فى قلب القارئ . فان وجد نفسه قد خرج من محيط البحث الذى كان فيه . فان التأثير العميق الذى يخلفه الاسلوب الجميل فى صدده ، سرعان مايرده ثانيا الى الدائرة التى كان فيها أول الامر . .

* * *

وحسبي بعد هذا العرض السريع ان أذكر ان القارئ المؤلفات « مى » يجد نفسه فى النهاية ، قد استبقى فى ذهنه وصدره ، من ارائها وافكارها ومبادئها ، تلك الحقائق الجميلة التى توجد دائما فى مؤلفاتها ممزوجة بالخيال البديع . مع بلاغتها الفائقة ، فى التعبير عنها وتصوير ما بنفسها من امانى وأحلام . وقدرتها على الابتكار فيها ، وتوليد المعانى عنها وافراغها فى قوالب انيقة من الجزالة والرصانة والدقة المتناهية !

فانت اذا قرأت « الحب فى العذاب » تلك القصة الفياضة بالعواطف الانسانية ، والتى ترجمتها « مى » عن الفرنسية ، باسلوب الشاعر الرحيم الملهم ، الذى يحنو على العالم ، ويمسح دموع المعذبين . او «رجوع الموجة» او «ابتسامات ودموع » او « سوانح فتاة » او « ظلمات وأشعة » او « بين المد والجزر» او « الصحائف » او « كلمات واشارات » ـ فى كل هذه المؤلفات العظيمة التى جمعت الى بدائع الصور . نفائس التراكيب . وجمال الصياغة . وجلال الموضوع وروعة المعانى ـ او اذا قرأت « باحثة البادية » او « وردة اليازجى »او «غاية الحياة » او «الرسائل » ـ وقفت على عقل ناضج . ومفكرة كبيرة . سديدة الرأى . دقيقة الحكم على الاشياء . تزن

الحقائق بقسطاس العدل . وتستحضر النتائج عنها . فى اتزان وروية . من غير ان يسبق قلمها فكرها على الاطلاق !

كلمة ختامية

ان «مى» فى الحقيقة زعيمة الكاتبات فى الشرق بغير منازع . وقد استوعب التاريخ اسمها . وسجل الدهر اثرها . واقر الجميع بفضلها فى تكوين الادب النسوى الحاضر . وكان لابحاثها القيمة ومبادئها القويمة دخل كبير فى رقى التفكير المصرى والتقدم بالادب الحديث . ذلك لأن عقلها الواسع كان ينبوعاً فياضاً بالوان الحكمة ومباهج المعرفة . وخير النظريات الجديدة التى اكتسبتها من المطالعة والتوفر على الدرس . واصبحت بعد ان وضحتها وضمنتها اثارها وكتبها حكماً مقررة عند ذوى الاذهان النيرة ...

وان فى تاريخ «مى» وفى تفصيل ما اصابها ، لعبرة واى عبرة . يعرف منها الناس تلك الحقيقة التى لااختلاف عليها ، وهى أن الاديب كالشمعة ، يحترق ليضئ لغيرة ! فضلا عما تنطوى عليه من المعانى الاخرى الجمة . وليدرك الناس مرة أخرى ، كيف يعيش كبار النفوس ، والاحلام . واسعو الاطماع والامال ، لغيرهم اكثر مما يعيشون لانفسهم . وكيف يمضون اعمارهم ، وهم يحاربون الصعاب ، ويذللون العقبات ، كى يتوصلوا الى ما يبتغون اليه من خدمة الانسانية بما اوتوه من العلم والحكمة والمعرفة ...

* * *

هذه الكلمة عن « مى » ليست فى حقيقتها ، غير تحية عرفان وبر وتقدير . نرسلها اليها ، وهى ماتبرح نزيلة المستشفى فى بيروت ، راجين لها من الاعماق كمال الشفاء ، لتعود الينا من جديد ، وتنير آفاقنا الموحشة ، بأدبها الرفيع السامى ، وفنها الحى العالى ...؟

« اسعد حسنى »

أقدم أنواع الجهاد
في سبيل العدل الاجتماعى والمساواة

في المسئولية الادبية

عن كتاب «فجر الضمير» للمصرولوجي الامريكى برستد

ترجمة وتلخيص الانسة ايريس حبيب المصرى

كان من بين المفكرين الاجتماعيين المحيطين بفرعون «امينمهت الأول» وبرجال بلاطه طائفة لاتشاركه تشاؤمه الشديد . ولقد رأينا كيف أن عدداً منهم أدرك تمام الادراك ان الحاكم الامثل الذى يحلم به بعض المصلحين لايكفى وحده لضمان العدالة والاصلاح وانما يتحتم أن يقف الى جانبه رجال مخلصون متصفون بالنزاهة . وقد بدت هذه الحقيقة واضحة فى الرسالة المسماة «بالفلاح الفصيح» التى قصد بها كاتبها الى أن يمهد السبيل امام رجال الحكم المهيمنين على البلاد ليقوموا بواجبهم ويعاونوا فرعون فى عمله فيفتحون بذلك عهداً جديداً من العدالة .

وهنا يعن لنا أن نتساءل : هل أثمرت هذه الرسائل الاصلاحية ؟ وهل نتبين مما وصل الينا من آثار لذلك العصر القديم وملفاته آثار هذه الجهود صوب العدل والانصاف ، أم ان الآمال السامية والمثل العليا التى ما فتىء المصلحون ينادون بها لم تتحقق بل ظلت خيالا وأوهاما لم تعد دائرة الأمانى ؟ وهذه اليقظة التى حدثت فى العصر الاقطاعى وكشفت للمفكرين عن الحقيقة المرة وعن أسباب التفكك الاجتماعى وما تبع هذه اليقظة من خيبة وتشاؤم — أبقيت هذه اليقظة عقيمة لم تنتج اثراً ؟

لقد رأينا أن فئة من المصلحين كانت كل آمالها منحصرة فى قيام حاكم أمثل فى حين أن الفئة الأخرى منهم وجهت انظارها صوب مجموعة من الزعماء المصلحين . وعلى الرغم من تشاؤم امينمهت الأول فان لدينا براهين قاطعة على أنه قام بجهود هائلة ووضع خططا دقيقة ليكفل لملكه العدل .



الآنسة ايريس حبيب المصرى

وكان ممثل الملك وصاحب الامر الاعلى فى حكومته هو رئيس وزرائه . ولقد وصلت الينا بعض ملفات بردية كتبت فى عصر الامبراطورية «أى بعد هذا العصر بأجيال» تتضمن رسالة كان يلقيها الملك شفويا بنفسه كلما عين رئيساً لوزرائه . وهذه الرسالة العجيبة تثبت أن أحلام من تغنوا بالحاكم الامثل قد تحققت فيما يتعلق بشخصية الملك وان روح العدل الاجتماعى التى نادوا بها قد وصلت الى العرش نفسه وسرت بين رجال الحكم فصارت القاعدة لأعمالهم وهذه هى الرسالة :

« الامر الملقى على الوزير فلان * تقدم الى المجلس الى حضرة الفرعون ، له الحياة والخير ، صدر أمر من واحد «والمقصود بذلك فرعون» ان يؤتى بالوزير فلان الذى القيت اليه مقاليد الوزارة حديثا « قال جلالته : التفت الى وظيفة الوزارة ، تفقد كل مافيها من عمل ، فان عملك فيها هو الاساس الذى ترتكن عليه البلاد باسرها .

« تأمل جيدا فان الوزارة ليست مورداً عذبا .. بل انها مرة . والوزير هو نحاس داخله ذهب مولاه . تنبه فليست الوزارة أن تحابى اشخاصاً معينين ، الامراء والمستشارين ، وليست الوزارة أن تستعبد الناس لنفسك . تأمل حين يأتيك مظلوم من مصر العليا والسفلى أو من أية جهة من البلاد لكى

* هنا كان يكتب اسم الوزير لذلك اختلف فى الملفات .

يرفع اليك ظلامته ... تنبه و اعمل على أن تترسم القـانون فى كل شىء ... وأن تراعى عادات البلاد فتعطى كل انسان حقه . هو ذا الامير فى مكان ظاهر للجميع ، وأعماله معروفة مأثورة ، حتى الرياح والمياه تنقل أخباره ، لا شىء مما يعمله يظل سراً مكتوماً ... »

وبعد هذه المقدمة يذكر بالتفصيل الوسائل التى يتحتم الوزير اتباعها فى حكمه على من يأتون اليه ، ثم يشير الى حادث مشهور عن حكم صدر من وزير من عصر الاهرام اسمه كتى .

« هوذا قصة وصلتنا عن الاقدمين محفوظة لنا فى ملفات ممفيس فاه بها الملك حين شاء أن يحث وزيره على الاعتدال ... احذر ذاك الذى قيل عن كتى ، فقد روى عنه أنه أصدر حكما جائراً على بعض من أقاربه محاباة للغرباء حتى لا يقال عنه أنه حابى أقرباءه باطلا وحين استأنف أحدهم الحكم أملا فى أن يعدل القاضى « كتى » عن رأيه لم يستمع اليـه بل صمم على حكمه الأول . ، ولكن مثل هذا العمل هو أكثر من العدل « مآت »

«لا تنس أن تحكم بالعدل فانه لبغيض الى الاله أن تظهر محاباة. وهذا هو التعليم الذى تسلمناه فاعمل تبعاً له . انظر الى من تعرفه بنفس النـظرة التى تنظر بها الى من لا تعرفه ، والى ذاك الذى يكون مقربا الى الملك كما تنظر الى من يكون بعيداً عن البيت الملكى . هوذا الامير « الوزير » الذى يعمل هذا سيثبت هنا فى هذا المكان . . .

«لا تغضب على انسان باطلا ، بل اغضب مما يجب أن تغضب منه

«اعمل على أن يهابك الجميع ، وادخل خوفك فى قلوب الرجال . فالامـير هوذاك الذى يهابه الشعب . وهو ذا خوف الامير هو أن يكون عادلا يخشى عدله. أما اذا تشدد وغالى فى ادخال الرهبة الى القلوب فهو رجل به شىء من النقص فى نظر الشعب . وهم لا يقولون عنـه « هو ذا رجل حق » هو ذا خوف الامير أن يرتدع الكاذب حين يعلم أن « الأمير » يسير فى سبيل العدل. فانتبه تحصل على المهابة ان أنت حكمت بالعدل .

« انتبه فهو ذا الناس ينتظرون اقامة العدل من الوزير ، هذه هى القاعدة المعهودة منذ الأيام الاولى حين حكم الاله . والنـاس يقولون عن كاتب الوزير، هو ذا كاتب عادل، .. اما « ذاك الذى يقيم العدل فى نصابه أمام أعين الجميع » فهو الوزير ،

« انتبه لأنه حين يكون رجل فى وظيفة ما فعليه أن يقوم بما أمر به . ونجاح الرجل فى أن يؤدى ما عهد به اليه . لاتتوان عن اقامة العدل الذى أنت تعرف قوانينه . وهو ذا يجدر بالمتكبر أن يعرف أن الملك يحب المتواضع أكثر مما يحب، المزهو بنفسه

« انتبه فهذا ، هو الامر الملقى على عاتقك »

والأمر المؤكد مرارا خلال هذه الرسالة الرسمية العجيبة هو وجوب مراعاة العدل الاجتماعى . فالوزارة ليست وسيلة الى محاباة « الأمراء والمستشارين » ، ولا الى استعباد أحد من الشعب ، بل هى وسيلة الى اقامة العدل تبعا لحكم القانون فى كل الشؤون ؛ من غير اغفال حقيقة واقعة هى ان الوزير فى مركز بارز وانه معروف لدى الجميع . وحتى الرياح والمياه تنقل أخباره . وليس معنى العدل والابتعاد عن المحاباة ان يجور الحاكم على الكبراء والاقارب كما فعل كتى الوزير الممفيسى القديم الذى أصدر حكمه ضد أقاربه على الرغم من صحة دعواهم . وذلك لكى يشتهر بالعدل . فليس هذا عدلا . وانما العدل هو الحكم بتدقيق وبدون محاباة على الاطلاق ومعاملة الجميع بلا تفريق سواء أكان الامر خاصا بالمقربين الى الملك او بالبعيدين عنه ، وسواء أكان الحكم متعلقا بمن يعرفهم الوزير او بمن لايعرفهم . ومثل هذا العمل هو الذى يضمن للوزير الاحتفاظ بمنصبه زمنا طويلا ومع ان الوزير يجب ان يتحكم فى نفسه ويحذر اظهار غضبه بلا مبرر الا أنه يجب أن يكون مهابا محترما ، ولكن خوف الناس منه يجب ان يكون مرجعه الى شدته فى الحق ، والى دقته فى تنفيذ العدل بلا محاباة . لان « الخوف الحق للامير هو انه يقيم العدل » . لذلك لم يكن من الضرورة اثارة الرهبة فى القلوب لمجرد الزهو والظهور . اذ ان عدل الحاكم هو فى ذاته رادع كاف . والناس يتوقعون العدل من الوزير لان هذه هى القاعدة المعهودة منذ ان حكم الاله الشمس على الارض . فالمصرى فى العهد الاقطاعى كان هنا يرمى ببصره الى الوراء خلال الالف السنة للوحدة الثانية صوب الوحدة الاولى فى هليوبوليس مدينة الشمس . فمنذ تلك الايام السحيقة كانت كلمات « ذاك الذى يعمل العدل امام أعين الشعب كله » هى المثل الدارج كفاية عن الوزير . ونجاح الرجل فى وظيفته يقوم على مقدرته فى اتباع الاوامر . لهذا لايسمح له بالتوانى فى اقامة العدل ، اذ ان الملك يحب المتضع الاعزل اكثر من المتكبر. ثم بعد الاشارة الى الاراضى التابعة للعرش وما يجب على الوزير من مراقبة للموظفين القائمين بادارتها يختم الملك هذه الوثيقة السياسية التى

تتضمن القواعد الاساسية للحكم ويصح تشبيهها من هذه الناحية « بالماجنا كارتا » التى صدرت فى أيام الملك جون بهذه الكلمات : « انتبه فهذا هو الامر الملقى على عاتقك . »

ترى هل كانت رؤيا الحاكم الامثل الذى تغنى به ابيور أمام البلاط او الصورة القاتمة التى رسمها لمتشائم ، او تلك القصة الظريفة الرشيقة المسماة بقصة الفلاح الفصيح ، او هل كانت هذه جميعا هى السبب الذى ادى فى النهاية الى ان يسود العرش جو من العدل والبر الى درجة بعيدة حتى ان أقامة الوزير الاكبر « الذى هو فى الوقت ذاته القاضى الاعلى للبلاد » كانت تتخذ فرصة لكى يلقى الملك خطاب عرش « هو بمثابة وثيقة رسمية من رئيس الدولة الى كبير الهيئة التنفيذية » يتضمن الاسس والمبادىء التى يقوم عليها الاصلاح الاجتماعى ؟ اذ يمكننا القول اجمالا ان هذه الوثيقة للوزير الاكبر حين تنصيبه تتفق تماما وتعاليم الرسائل الاجتماعية . وسواء أكانت سياسة الملك الاجتماعية هى الاثر المباشر لتلك الرسائل ام لا فان النتيجة واحدة فى الحالين وهى انه من الواضح تماما ان الضمير فى العصر الاقطاعى لم يعد مجرد القوة التى لها كل الاثر على السلوك الفردى ، بل انه صار لاول مرة فى التاريخ البشرى قوة اجتماعية فعالة . ومن الظاهر ان الملك اصبح يتأثر الى حد بعيد بالآراء الادبية التى ذهب اليها المفكرون الاجتماعيون فصار العدل الاجتماعى هو الاساس الذى تقام عليه الحكومة . وبذلك انقضت تلك الايام القديمة التى كان السلوك فيها مرضيا اذا هو صادف رضى الوالد والوالدة والاخوة والاخوات ، وقام ما يمكن ان نسميه الضمير الاجتماعى ، وبقيامه اشرق اول عصر للشخصية .

ولقد تحققت احلام المنادين بحاكم امثل حين اعتلى امينمحت الاول العرش . فكيف كان حال الفئة الاخرى من المصلحين الذين بنوا آمالهم على جيل جديد من الموظفين العادلين ؟ والواقع انه لا يمكن التفريق بين أراء الفريقين لان حكم الملك البار لا يمكن ان يكون ذا اثر فعال مالم تدعمه مجموعة من الموظفين العادلين لينفذوا الخطة الملكية . وقد ادرك امينمحت الاول هذه الحقيقة تماما . وبما انه كان شديد التشكك فى الرجال فقد كان قليل الامل فى ان يقدر بنزاهته وحده ان يحقق ما كان يطمع اليه من وجوه الاصلاح . ولكن الكاتب المجهول الذى الف قصة الفلاح الفصيح كتبها منتظرا ما تحدثه من أثر . والادلة متواترة على أن ظنه لم يخب .

وقليلة هى الملفات التى وصلت الينا خاصة بطرق الحكم وبالسياسة الاجتماعية فى مصر فى عصورها القديمة . ولكن الاشراف فى عصر الاقطاع تركوا لنا معتقداتهم ومبادئهم الاجتماعية فيما نقشوه على جدران معابدهم من اعترافات . ومن بين المقابر الموجودة للآن ببنى حسن مقبرة ربما كان الذين يرونها لا يلقون اليها كبير التفات من الناحية المادية . ولكنها تعد وثيقة من اعجب الوثائق الاجتماعية فى التاريخ . وهى تمكننا من ان ندرك بان اثر المصلحين الاجتماعيين قد وصل على الاقل الى بعض الحكام من الجيل الناشىء . فقد كتب امنى (وكان الحاكم الاقطاعى لتلك المنطقة) فوق مدخل مقبرته : « لم اسىء معاملة فتاة من بنات مواطنى . ولم اتعب ارملة . وما من فلاح طردته من ارضه ولا من راع ابعدته ، ولا من رئيس مسئول استبعدته لانه قصر فى دفع الضرائب فلم يوجد فى مقاطعتى بائس ولا جائع . وحين حلت سنو المجاعة حرثت كل الحقول الموجودة ضمن حدودى من الشمال الى الجنوب . فحافظت بذلك على حياة اهلها وقدمت لهم الطعام لئلا يجوع احدهم . فاعطيت الارملة كما لتلك التى لها زوج . لم ارفع الكبير فوق الصغير فيما وهبته . ثم جاء النيل العظيم «الفيضان» وكثرت المحاصيل ولكننى لم اطالب بالمستحق لى . »

وفى هذا التقرير تستطيع ان تسمع صدى الكلمات الواردة فى رسالة الملك فى تنصيب وزيره لاسيما فى تلك الكلمات : «لم ارفع الكبير فوق الصغير فيما وهبته . » ومن السهل أن نعتقد بان هذا الشريف كان حاضرا فى القصر الملكى وانه سمع اوامر فرعون لوزيره . فان كانت تلك الاقوال التى خطها امنى تعبر تعبيرا صحيحا عن اعماله فانه يحق لنا ان نستنتج بان التعاليم الاجتماعية التى نادى بها الحكماء كانت ذائعة بين الاشراف فى طول البلاد وعرضها . بل لو فرضنا انه حاول ان يصور حكمه فى صورة مثلى فاننا نستطيع ان ندرك السبب فى حرصه الشديد على تصويره بهذه الصورة . وهذه الصورة ذاتها تتفق وماخطه الاشراف الآخرون فى ذلك العصر . وهى تبدو لنا كذلك فيما خط على الصخور فى (منجم «بناحية هاتنوب) اذ نقرأ أن شريف تلك الجهة كان رجلا « يخلص الارملة ويعين المتألم ، يدفن الشيخ ويعول الطفل ، ويحافظ على حياة أهل مقاطعته أيام القحط ويطعمهم حين تنعدم الاقوات ، ويعطى دون تفريق بين الكبير والصغير» وقد رأينا أنه فى حكم سيزوستريس الاول «ابن (امينمحت الاول)

يفخر شريفان بانهما اقاما العدل بغير محاباة ومن دون انتظار الجزاء . وهم يعبرون عن مباهاتهم هذه بنفس الكلمات التى وردت فى تعاليم موجهة الى امريكرى. وهكذا يظهر أن المثل العليا الاجتماعية التى دعا اليها حكيم هراكليو بوليس الشيخ كانت لاتزال ذات أثر فعال فى العصر الاقطاعى بعد أن نادى بها بأجيـال . وليس من شـك اذن فى أن تلك المثل التى طالما رددها المفكرون فى كل ما كتبوا لم تصل الى العرش فحسب بل انها تركت طابعها فى طبقة الحكام فى كل مكان .

هنا اذن نلحظ تطوراً عظيما . فلقد تقابل التشـاؤم الذى ملأ نفوس الرجال فى أول العهـد الاقطاعى حين كانوا يتأملون الحياة فيما بعد أو يرقبون الاهرامات المهجورة واليأس الذى استحوذ على بعض منهم حين طغى عليهم الشعور بالشرور الاجتماعية ، تقابل التشاؤم واليأس بتيارات قوية مضادة من الاستبشار والامل فى العدل الاجتماعى ، وبدت هذه التيارات بوضوح فى تعاليم المتفائلين من المصلحين الاجتماعيين — اولئك الرجال الذين لم يفقدوا الامل فى التجـديد والنهوض وآمنوا بامكان تحقيق أحلامهم بالجهاد صوب الاصلاح . وليس من شك فى أن وصايا ابيوور وتنبؤات نفروهو وقصة الفلاح الفصيح كانت أمثلة رائعة على مثل هذا الجهـاد وان كتابهم لم تكن سوى أسلحة فى أيدى أقدم كتيبة من جيش المصلحين المغامرين . وماذا كان يبغى ابيوور اكثر من أن يسمع تلك الرسالة التى وجهها الملك الى كبير وزرائه ؟ فان ملكا ينطق بمثل هذا الخطـاب لهو ملك يقرب كثيرا من ذلك الحاكم الامثل الذى حلم به ابيوور وظن نفروهو أنه عثر عليه . كذلك ليس يبعد عن الصواب أن نعتقد بأن امنى (صاحب المقبرة ببنى حسـن) كان يمثل خير تمثيل ذلك الجيل الجديد من الحكام العادلين الذى تاق مؤلف قصة الفلاح الفصيح الى أن يراهم مسيطرين على شئون مصر .

وقد سبق أن رأينا أن الرضى العائلى عن السلوك الفردى لم يعد كافياً . فلقد نمت المثل العليـا خلال عصر من التأملات كانت نتيجتها التضامن الاجتماعى — فصار السلوك الفردى محلا لنقد المجتمع يصدر حكمه عليه وصار مرجع هذا الحكم الى الاله الشمس . فقد قال الفلاح الفصيح للوزير الاكبر « اعمل البر لأجل رب البر » ثم أشار بعد ذلك الى « تلك الكلمة الصالحة التى خرجت من فم رع نفسه « : تكلم الحق واعمل الحق ، » التى تذكرنا بأن الحق معناه أيضاً البر والعدل (مآت). ونرى

فى الارشادات التى وجهها الملك الى وزيره أن برنامج الرفق والعدل الذى يعبر عنه بكونه يحب المتضع الاعزل أكثر مما يحب المتكبر قد صار دينياً موحى به من الله . « وانه لبغيض الى الله أن تظهر محاباة » قال فرعون . فنرى اذن أن الآراء عن العدل الاجتماعى كما عبر عنه المفكرون أولا فيما تطلعوا اليه من حاكم أمثل وثانيا فيما رأوا من تحقق هذا التطلع فى شخصية الملك أمنمهتب الأول قد تحولت بسرعة فصارت الصورة المنعكسة للاله الشمس الملك الامثل . فصار واجباً على كل انسان أن يحتفظ بالعدل الاجتماعى لان هذا الواجب ليس سوى مرسوم الهى ، وصاروا يعتقدون بان بغضهم للظلم والمحاباة ليس سوى نتيجة لبغض الاله لهما ، ولم تلبث المثل العليا أن تحولت جميعاً الى نواة الهيئة فازدادت بذلك قوة ونفوذا .

وكان من السهل بعد ذلك الاعتقاد بان العدل لم يكن سوى قاعدة الحكم المعهودة للوزير منذ أن حكم مصر الاله الشمس . وكان حكم فرعون موروثاً خلال أكثر من الفى سنة منذ أن قامت الوحدة الأولى ومستمداً من الاله الشمس نفسه الذى كان الفرعون ابنا له. ولذلك تحتم على الفرعون أن ينسج على منوال أبيه الاله الشمس باقامة البر والعدل . لهذا يلقى الملك أمره على وزيره ولكنه لا يتراجع فى الوقت نفسه عن أن يذكره بالحكمة العليا. فالوزير يجب أن يقيم العدل لا لأن الفرعون وحده يطالبه بالعدل بل كذلك لأن الاله الاعظم للدولة يبغض الظلم

وقد كان أثر هذه المثل العليا للعدل الاجتماعى بالغاً والتمسك بها شائعاً — ولعل ذلك يرجع الى الطريقة التى نهجها المفكرون فى التعبير عنها . فهذه المبادىء لو أنها كتبت كمعان مجردة من غير ربطها الى صور تمثلها ما كانت لتثير شيئاً من الاهتمام على الاطلاق . كما ان المصرى كان يعبر دائما عن أفكاره بطريقة مادية ملموسة ويوضحها بوضعها فى صور . فلم يكن يفكر فى السرقة بل فى سارق ، لا فى الحب بل فى حبيب ، لا فى الفقر بل فى فقير ، ولم ير الشرور الاجتماعية بل رأى مجتمعاً شريرا . وكنتيجة لهذه العقلية صار فى الامكان أن ينشأ بتاهوتب — أى ينشأ رجلا مواجها للواجبات الموضوعة عليه بايمان ثابت فى قيمة السلوك الادبى وفى العلوم وماينتج عنها من سعادة وغبطة ومسلما اختباراته هذه لابنه ، وأن ينشأ المتشائم — أى أن ينشأ رجل تركز فيه الالم لما يراه حوله فصور لنا النفس اليائسة وسبب يأسها ، وأن يقوم أيبوور — رجل استطاع أن يدرك ما فى مجتمعه من شرور

وأن يحلم بالحاكم الامثل الذى يعيد الحق الى نصابه ، وأن يكون الفلاح الفصيح حقيقة ـ اذ هو رجل تألم مما وقع عليه من ظلم وثار ضده ، وأن ينشر أمنهتب رسالته وهو ملك أضاع ثقته فى الناس ونقل تشاؤمه الى ابنه . فكانت النتيجة أن كل هذه المبادىء السامية والمثل العليا وضعت فى قالب روائى وأنها كتبت كحديث أو محاورة وصفية للاختبارات والحوادث فصورتها كحقيقة واقعة . وربما كان من الشيق أن نحاول تعرف ما اذا كانت هذه الطريقة كان لها أثرها على الأدب فى أوربا وآسيا فقد كان المصريون يعبرون عن تأملاتهم وفلسفتهم بمحاورة تسبقها مقدمة . ومعنى هذا أنهم كانوا يكتبون آراءهم فى قالب روائى . وربما كان هذا القالب أساس نشوء القصة فى آسيا وأوربا .

وقد لاحظنا أن المثل العليا الاجتماعية للعصر الاقطاعى اكتسبت صفة الهية وصار مصدرها الهيا فمن الضرورى أن نفحص عن الادلة على هذه الحقيقة وان نتثبت من حقيقة الاله الذى اتخذه المفكرون الطامحون الى الحكم الأعلى وليس من شك فى أن أقدم تطلع صوب العدل الاجتماعى كان متصلا بالاله الشمس الذى حكم مصر لفرعون . وقد رأينا كيف انه كان فى أول الأمر مهيمنا على مرافق الناس وانه كان اله الاحياء بيما كان اوزوريس اله الموتى . فمن الواضح اذن ان الحاكم الامثل كان رع الاله الشمس الذى كان الواجب على الفرعون ممثله على الارض ان يحتفظ بمجده الادبى وان يجدده . وقد اشار الملك فى رسالته الى وزيره الى حكم الاله الشمس والى رضاه والى ما تسلموه منه من تقاليد معتبرا اياه المرجع الاعلى للسلوك . ورع هو الذى يبرز فى كتابات الفلاسفة الاجتماعيين الذين نادوا بالاصلاح فى عهد الاقطاع . وفى انشودة لاعب القيثارة نرى انه حتى المومياء تقام امام الاله الشمس . واليه يتطلع المتشائم ليتبرر ربه فيما بعد . كما ان كيكبرسونب كان كاهنا فى هليوبوليس مدينة الشمس . اما رؤيا ابيوور للحاكم الامثل فتشرق من وراء الذكريات التى تعيد الى ذهنه عصر الاله الشمس وما كان يتمتع به شعبه وقتذاك من الراحة والغبطة ، كما ان قصة الفلاح الفصيح تتلخص فى تلك الكلمة الجيدة التى خرجت من فم رع نفسه : «تكلم الحق واعمل الحق» «او البر لانه عظيم ولانه باق.» فالواجبات الادبية الناشئة عن عبادة الاله الشمس هى اذن صورة لاقدم تجديد اجتماعى عرفه التاريخ. واهم ما نشأ عن تقديس الحاكم الامثل فى شخص رع هو الاحتفاظ دوما بالامل فى ان يقوم حاكم امثل غيره يجدد قوى مصر ويثبت دعائم سلطانها بالعدل . تروى ملفات الاهرام كيف ان اوزوريس

نفسه قد وقف امام رع فى محكمته العليا . وهكذا نجد أن رع صار الحكم الادبى الاعلى الذى يتبرر امامه الجميع ومن بينهم اوزوريس . ولم يبرز اوزوريس كبطل حام للبر الا منذ العهد الاقطاعى . ومنذ ذلك العهد سنرقب اوزوريس ورع جنبا الى جنب فى التفكير الادبى.

وهكذا انضم الاعتقاد الدينى الى الحكم الاجتماعى واضيف اليهما ما كان ينطق به فرعون من خطب رسمية لكى يثبت ان الجميع سيقفون امام رع فى محكمته العليا وان الكبراء والعظماء عليهم ان يتوقعوا المحاكمة وينفذوا امر رع فيهم كما ينفذ فى الفقراء والمساكين . فليس من سبيل الى الشك فى ان هذه المبادئ عن العدل الاجتماعى كانت من أقوى الاسباب التى ادت الى الاعتقاد بان الرجل الذى يرضى عنه رع ويبرره فى محكمته العليا ليس الرجل صاحب القوة والجاه وانما هو رجل البر والعدل . وقد تأثر الكهنة بتلك الروح الديموقراطية . والكلمة التالية تثبت هذه الحقيقة اذ يقول الاله الشمس :

«لقد خلقت الرياح الاربع لكى يتنفسها أى فرد كما يتنفسها غيره».

« لقد اوجدت المياه العظيمة حتى يستطيع الشحاذ ان يستعملها كما يستعملها الشريف ».

«لقد خلقت الناس جميعا متشابهين خلقة ونهيتهم عن ان يعملوا الشر ولكن قلوبهم خالفت ما قلت» .

« قد جعلت قلوبهم لاتنسى الغرب :الموت « والقبر» كى يقدموا التقدمات والذبائح لآلهة المناطق » .

ومن الشيق جدا ان نجد هنا المساواة التامة بين البشر فى قوله . «لقد خلقت الناس جميعا متشابهين » ثم يلى هذه الكلمة تعليق يظهر قيمتها الادبية « ونهيتهم عن ان يعملوا الشر ولكن قلوبهم خالفت ما قلت »

وظهور مثل هذه النظرة للمجتمع التى تزول فيها كل الفوارق والاعتبارات الاجتماعية ويتساوى البشر عند الخالق حين ظهرت الخليقة فيصبح كل فرد مسئولا ادبيا على قدم المساواة مع غيره هى نظرة عجيبة رائعة حين نذكر انها ذاعت قبل المسيح بألفى سنة وانها كانت معاصرة تقريبا لعصر حامورابى الذى وضع قوانين مشهورة . ولم يذهب حامورابى فى قوانينه الى المساواة بل اكد

بأن العقوبة والأحكام القضائية يجب أن تكون رهينة بالحال الاجتماعية للمتهم وبين تدرج العقوبة تبعا لطبقات الناس .

هنا اذن الغاء لامتيازات الكبراء والعظماء فى السعادة فيما بعد وشيوع للغبطة . اذ صار الحق فى الراحة الابدية حقا مشاعا يتساوى فيه الجميع . فعلينا اذن أن نتلمس أثر مثل هذه الافكار عن العدل الاجتماعى التى قامت فى عصر الاقطاع عن معتقدات المصريين فيما يتعلق بحظ الروح البشرية فيما بعد القبر .

ايريس حبيب المصرى

انتشار اللغات

اللغات الرئيسية فى العالم وعدد المتكلمين بكل لغة منها بالملايين

اللغة الصينية	٤٠٠ مليون	اللغة الاسبانية	٧٠ مليون
« الانجليزية	٢٠٠ «	« البرتغالية	٥٠ «
« الروسية	١٤٠ «	« الايطالية	٥٠ «
« اليابانية	٨٤ «	« البنغالية	٥٠ «
« الألمانية	٨٠ «	« العربية	٤٠ «
« الهندية	٧٢ «		
« الفرنسية	٧٠ «		

فى السرعة

سرعة الضوء	١٨٦٣٢٦	ميل فى الثانية
« دوران الأرض حول الشمس	١٨٫٥	« « «
« قذيفة البندقية	نصف	« « «
« نقطة على خط الاستواء	٠٫٢٨٩	من الميل فى الثانية
« الصوت فى الهواء	١٠٠٨	قدم فى الثانية
« « « خشب البلوط	١٢٫٦٢	« « «

كيف نعمل على احياء الثقافة العربية

للدكتور حسين فوزى

"مجلة: الحديث" Febr. 1938

كانت مجلة الحديث قد سألت هـذا السؤال
للدكتور حسين فوزى فأجابها بهذا المقال التالي

لى فى الثقافة العربية القديمة رأى خاص لا شك فى أنه يصطـدم بعواطف قراء الحديث على اختلاف أوطانهم . ومع اننى مصرى صميم فانى موقن بان الغالبية العظمى من المصريين تشارك العالم العربى فى استنكار رأيي . بل ربما كانوا أكثر المتكلمين بالعربية غضبا منه . لذا أرجو أن لا يعتبرنى قراء هذه المجلة الا معبراً عن رأيي الفردى الخاص فى احياء الثقافة العربية القديمة .

ماتت الثقافة العربيـة عقب القرون الوسطى وذهب غبارها مع الثقـافات الاخرى التى عرفتها أوربا فيما بين انحلال الامبراطورية الرومانية وعهد الرينسانس. ولا قيمة للثقافة العربية عندى اكثر من انها لعبت دور انتقال فى العصور الوسطى فكانت مستودعا لبعض مظاهر تفـكير اليونان فيما قبل عصر احياء العلوم . وهو دور ايجابى جليل يمكن أن يضـاف اليه الدور السلبي الذى لعبه العثمانيون حيـنما قضوا على حضارة بيزنطة فخرج علـماؤها وتشردوا فى أوربا وكانوا نواة من نوى عصر الاحياء .

واذا ثبت تاريخيا احراق مكتبة الاسكندرية على أيدى العرب فان هؤلاء النـاس قد ارتكبوا اكبر جريمة ثقافية عرفها التاريخ . وتحملوا بذلك وزرا لاتقاس الى جانبه اوزار التيوتون والمغول والتتار والهولاك ومن اليهم ممن كانوا يدوسون الحضـارات فى تقدمهم الذريع . فاذا التمسنا لهؤلاء العذر من جهالتهم فأى عذر نلتمس للغزاة العرب؟ كل ما أرجوه ـ حبا فى اللغة العربية وأهلها ـ ان يثبت العرب براءة أجدادهم من جريمة احراق مكتبة الاسكندرية

واذا كان المستعربون اليوم يهمهم أمر الثقافة العربية القديمة فهذا شأنهم ، لهم ان يحيوا من مواتها ما أرادوا . اما انا فلا اقيم لها وزناً أ كثر من انها حلقة اتصال بسيطة بين اليونان وعصر الرينسانس . ولقد انطفأ كما ينطفىء السراج نضب زيته واحترقت ذبالته . بل وانكسر انؤه ايضاً فلا فائدة ولا امل من احيائها . بل واعتقد انه من خير جميع الامم التى تتكلم العربية ان تنصرف عن خيالها بشأن هذه الثقافة فلا تضيع وقتها فى نبش قبور لن تجد فيها حتى ولاعظاماً متماسكة . « كانت تراباً وهى الى التراب تعود » .

على أن هذا لاينفى المحافظة على التراث الفنى لثقافة العربية من آثار بنائية . ودراسة تلك الآثار وفهم مركزها ضمن الآثار الفنية فى العالم . كما لايمنع من الاستقصاء والبحث عن بواقى الثقافة الفانية . لا لأحيائها ، بل للاحتفاظ بها كمتحف يضم اثار الماضى ويساعد على تفهم خطوات الأنسانية منذ وجد الانسان على الارض .

هذا ما أراه خاصاً بالثقافة العربية فى مجموعها . ولكنى أستثنى منها مظهراً واحداً أدعو للعناية به عناية كبرى بحكم انه المظهر الوحيد الذى لم يمت منها . ذلك هو اللغة العربية . ومادمنا نتكلمها ونكتب بها فان واجبنا الاحاطه بكل اثارها منذ أقدم العصور حتى اليوم . وهذا لا نعده احياء فاللغة العربية حية لم تمت ، لا بفضل الثقافة العربية ذاتها ، بل بفضل الشعوب التى خضعت للعرب فأهملت لغاتها واتخذت منها لغة الدخلاء الغزاة بديلا

ولكنى هنا أود ان اقيم حدا فاصلا بين اللغة كمظهر للتعبير . وبين ما تعبر عنه هذه اللغة ذاتها . فمع ان دراسة لغتنا يقتضى فهم كل الاحوال التى عبرت فيها تلك اللغة عن مشاعر او أنواع من التفكير فانه من العبث ان نأخذ عن هذه الأحوال ما لافائدة منه فى ثقافتنا الحاضرة . فلست افهم معنى او أرى فائدة او انتظر تجديدا لأدبنا او فننا او علومنا اليوم من محاولة احياء أدب اختص بأنواع من الخيال والاحساس والتفكير ابعد ماتكون عن أحساساتنا وخيالنا وتفكيرنا لا فى القرن العشرين فحسب بل فى بلادنا المتباينة اخلاقا وعادات وطبيعة . أو محاولة أحياء فلسفة هى فى مجموعها تعليقات سطحية على فلسفة اليونان ، أو علوم هى خليط من الملاحظة الناقصة والتهريف والنقل عما كان معروفا للعلماء اليونانيين .

فكتب الجغرافيا والطب والكيمياء والفلك التى تكون كنزاً هاماً من كنوز الثقافة العربية يجب ان تهمنا اليوم لامن ناحية « محتوياتها » بل من ناحية اداة التعبير فيها . وهى فى هذا تتصل بكل ما كتب فى اللغة العربية من شعر ونثر فى انها اداتنا اليوم للتبحر فى اللغة و اللغة وحدها .

وعلى هذا اختم جوابى عن السؤال الأول من الاستفتاء بالمجمل الآتى :

الثقافة هى الصيغة التفكيرية اى المظهر المكتوب والمبنى والمنحوت والمنقوش للحضارة والثقافة الحية تعنى ان اهلها يعيشون حضارتها . والحضارة العربية القديمة قد راحت بلا رجعة . فلم يبق لثقافتها الا قيمة الأثر فى المتحف . ماعدا لغة هذه الثقافة فهى ذات حيوية رائعة بدليل ملابستها لتطور جميع الشعوب التى تتكلمها .

فجوابنا عن احياء الثقافة العربية مجتمعة : لا إحياء لميت .

وجوابنا عن احياء اللغة العربية : لا إحياء لحى . انما تكتسب اللغة العربية قوة وجدة ومرونة كلما استطعنا فهم اصولها ومراجعها وتطور حياتها ، وحاضرها ، وما يؤثر به الماضى والحاضر على مستقبلها .

لذا أرى ان يريح العالم العربى نفسه ويريحنا من فكرة احياء الثقافة العربية القديمة . وان يركز اهتمامه فى دراسة اللغة العربية فى جميع مظاهر التعبير الادبى والفنى والعلمى .

عشت فى أوربا وعاشرت اهلها زمناً جعلنى الاحظ ظاهرة تشترك فيها جميع الدول الكبرى . تلك الظاهرة هى ان الامم الحية تهتم اولا وآخراً بآدابها الخاصة ، فتفرض دراستها بتفصيل يكاد يضيق به ذرع طالبتها . ولكنه تفصيل لامناص منه اذا نظرنا الى الكم الوفير من مباحث رجال الادب .

ثم رأيت انها تهتم بعد لغتها الخاصة بدراسة اللغتين اليونانية واللاتينية وادابهما بغير قليل من التفصيل .

وهى بين هذا وذاك معنية بتدريس لغة او لغتين من اللغات الحية . تطلع طلابها على أعلام المؤلفين فى تلك اللغة .

فاذا وجهنا النظر الى ينابيع الثقافة العامة : الصحف والمجلات وبيوت النشر ، وجدنا فى كل

امة اهتماما كبيرا بأعلام الادب الاجنبي تخصيصاً والعالمى اجمالا . فهناك «متاع عام» تملكه كل امة من هذه الامم فى لغتها يحتوى على نتاج القرائح البشرية فى الشرق والغرب وهناك اسماء هى ملك للعالم اجمع امثال تولستوى ودستويفسكى وجوته وموليير وشكسبير ودانتى وسرفانتس وفى عصرنا : توماس مان والداس هكسلى وبروست وسنكلير لويس وبيرانديللو ولورانس واناتول فرانس ورومان رولان ودوهامل وأندريه جيد . وهذه اسماء ترد على قلمى دون تمييز او تفكير او تعيين . وهى تحتمل ان يضاف اليها أضعافها فما هو موقفنا من الامم الكبرى الآن ؟ وماذا ينبغى ان يكون عليه منها ؟

اما فيما يختص بلغتنا فنحن نجهل الادب العربى - ودراستنا له لاتتعدى القشور التى تسمح للرجل ان يؤدى وظيفته الاجتماعية فى بلاد تتكلم العربية - والسبب فى هذا اننا اكتفينا بما جاء عن اللغة العربية فى الثقافة العربية - اى اننا نعتمد فى دراستنا للغتنا وآدابها على عصارة تفكير رجال اللغة العربية حتى القرن الرابع عشر والخامس عشر ! تعوزنا الدراسات الحديثة - وقد بدأناها بفضل تتلمذ رجال اللغة العربية اليوم على - - المستشرقين ! وبفضل حصولهم على قسط من ثقافة الغرب - ولكننا لم نوجد بعد دراسة عربية حديثة للغة العربية وآدابها فيما عدا الاقل من القليل - واكتفى بهذا لانه خارج عن موضوع الاستفتاء

أما دراسة اللغة اليونانية واللغة اللاتينية فان كثيرا منا - بل أغلبنا - يعتقد أن اهتمام الغرب بهاتين اللغتين يرجع الى أنهما « لغتا الأصل » . واذا كان هذا صحيحاً الى حد ما فأنه لا يعبر الا عن جزء من الحقيقة. فمهما قيل فى الاصل اللاتيني للغات الفرنسية والاسبانية والايطالية والرومانية فان اختلاف هذه اللغات اليوم عن اللاتينية هو أعظم من اختلاف لغاتنا العامية عن اللغة العربية. ثم ما القول فى السكسونية والسلافية ؟ وأى علاقة بين اللغة اليونانية واللغات الاسكندنافية؟ أو حتى الفرنسية والانجليزية ؟

هذا الخطأ الشائع عندنا يجب أن يزول. فان من آثاره أن نعادل بين تعلم الغربى المثقف لليونانية واللاتينية وبين تعلم أهل الضاد للغة العربية وليست ثمة صلة بين هذ وذاك .

انما يتعلم الغربى اللغات القديمة وآدابها لان حضارته اليوم - وهى المظهر الحى لثقافته - تقوم على

حضارة اليونان والرومان ، وطريقة تفكيره وتمحيصه للاشياء والمعانى بعود الفضل فيه للمعلم الاول . اليونان ، والمنظم الأول . روما .

ومهما قيل فى الثقافة العربية فاننا اليوم - كما كنا بالامس - سكان شواطىء البحر الأبيض المتوسط . ونحن الآشوريين والفينيقيين والمصريين والمغاربة البربر أنشأنا وانتفعنا ، وأثرنا وتأثرنا بحضارة حوض البحر الابيض . ولم يفصلنا عنها الا حادث تاريخى هو غزو سكان صحراء العرب لنا . ولم يقض علينا القضاء المبرم الا حادث تاريخى آخر هو وقوعنا تحت نير اللعنة العثمانية

فاذا أردنا اليوم - وقد أردنا أن نحتل مركزاً محترماً بين الامم ، فان علينا لا أن نتجه كما فعلنا الى أوربا الحديثة فحسب بل يجب ان نعود - كبلاد الغرب - الى أصول حضارة البحر الابيض المتوسط بدراسة اليونانية واللاتينية مترجمة الى اللغة العربية ترجمة رسمية دقيقة . والى أن نؤدى هذه الترجمة فلا أقل من أن نتعرف اليها عن طريق الترجمات الغربية .

فهذا المبدأ يكفيني مؤونة سرد أسماء مفكرى وكتاب وشعراء اليونان والرومان وأنا قائل بترجمة مؤلفاتهم دون استثناء . بل ودراسة لغتهم ما أمكنت الدراسة .

بقى الشطر الاخير الخاص بدراسات الناس وعنايتهم فى أوربا باتقان لغة أجنبية على الاقل . وترجمة نتاج الفكر العالمى الى لغتهم .

أما اللغات الاجنبية فلا شك أننا فى البلاد المتكلمة بالعربية عنينا عناية جدية بتعلم لغة واحدة وأكثر من اللغات الحية . ونحن نعد فى هذا من أحسن الامم تعلما وتعلقاً باللغات الحية . لا تبعاً لميزات خاصة فينا وانما بحكم اضطرارنا الى هذا التعليم . فنحن لا نعتقد أن يستطيع الرجل اتيان عمل نافع فى حياة الامة دون اتقانه لغة اجنبية واحدة او اثنتين على الاقل . وكل رجائى فى هذا السبيل أن تزداد عنايتنا باللغات الأجنبية . وأن لا نكتفى بقشورها بل أن نفرض على الطلبة دراسة آدابها دراسة مستفيضة .

أما فيما يختص بالكنز الذهنى المشاع بين الامم المتحضرة . وهو الذى يرمى اليها السؤال الثانى من الاستفتاء . فلا شك أن الصحافة العربية والكتاب قد أدوا فى هذا السبيل خدمات لم تقدر بعد التقدير الكافى . وها نحن أولاء منذ نهضة اللغة العربية فى أواخر القرن الماضى نطلع على كثير من

أعمال الترجمة، تشهد لكتابنا بانهم قاموا فى حدود ممكناتهم بقسط كبير مما عليهم نحو ثقافتنا العصرية ونحو تجديد اللغة العربية بترجمة المؤلفات الخالدة فى اللغات الأخرى . واذا لم يكن هنا محل سرد لأسمائهم فلا أقل من أن نفوه معجبين بواحد منهم كممثل لتلك الحركة المباركة . ذلكم هو سليمان البستانى مترجم الالياذة . وهذا التخصيص لم نلجأ اليه عفواً وانما نحن نضرب به مثلا لأعلى صفات الامانة العلمية والادبية فى الرجال ولان سليمان البستانى لم يكتف بالترجمة والتعليق المستنير بل هو قد ساعدنا بمقدمته الرائعة على تفهم ملحمة هوميروس بنوع خاص والادب والحياة اليونانية بنوع عام ومقدمة الالياذة هذه بالذات تنتقل بنا الى ختام الاستفتاء . وهوهل يغنى تلخيص المؤلفات العربية عن ترجمتها . ؟

والجواب بالنفى البات . فالتلخيص لا يمكن أن يغنى عن الترجمة والترجمه الامينة دون اختصار أو اقتضاب . وليس معنى هذا أننا نحكم على التلخيص بالاعدام . فالواقع اننا نعتبره من قبيل التقدمة النافعة لتفهم المؤلفات العالمية . بل نحن نراه ضروريا ضرورة الدليل المكتوب للسائحين عن البلاد التى يزورونها . وكما أن الدليل لا يمكن أن يغنى وحده عن فهم مقابر صقارة وكنوز الفاتيكان أو البيناكوتيك ، فان التلخيص لا قيمة له دون الاطلاع على الكتاب ذاته .

ومع ان اعمال الترجمة مشاع بين الكتاب لاسلطان عليها . الا ان بعض الأمثله التى وقعت بين ايدينا من التراجم العربية لكتاب الغرب تجعلنا نبدى رغبة خاصة وهى ان تعنى الحكومات بتوجيه وتشجيع الترجمة الامينة . وأن يقسو النقاد على المترجمين الخونة ! ويحذروا القراء من ترجمتهم . وبذلك نضمن السير فى طريق سوى نحو اكتساب اعلام الثقافة العالمية غير مشوهة فى لغتنا .

واخيرا لا يمكننا ان نهمل مشكلة ثقافية يتعين علينا معالجتها فى نفس الوقت وهى تشجيع القراءة . فأننى كمصرى جاب بعض الاقطار الافريقية والاوربية والاسيوية الاحظ مع شديد الاسف ان المصريين من اقل الشعوب قراءة فالناس هنا لا يقرأون حتى المذكرات التى تعرض عليهم فى دواوينهم . وانما يكتفون بالتلخيص - أيضاً ! ! - الذى يقوم به صغار سكرتيريهم . واذا فكروا بالقراءة فى خارج عملهم فانما ينصرفون الى تلك المطبوعات السخيفة التافهة التى

انتشرت بين ظهرانينا كأنها مكملة للاوبئة التى نزلت بمصر فى عهد فرعون موسى . ولكم احزنني منظر كبار رجال القضاء والتشريع والتعليم والطب عندنا فى القطارات يتنقلون بين النوم ومطالعة الجرائد - ولاعيب فى هذين اصلا - وبين مطالعة روايات بوليسية ذات جلدات يقذى منظرها العين بله النفس .

فليس يكفى اذن ان نرسم خطة للترجمة وننفذها وانما يجب فى نفس الوقت ان نشهر تشهيراً بامثال هذا النوع من القراءات . وان نجعل من مقالاتنا فى الصحف والمجلات ، ومن المقدمات والملخصات التى نكتبها للكتب الغربية المترجمة خير دعاية واحسن وسيلة للأخذ بيد فريق المتعلمين فى طريق الثقافة الصحيحة .

حسين فوزى

من اجل أصدقائك

وحى الناس والحياة اليومية

أليس اجراما منا أن نحاول التحرر من الاستعمار مع أن أخلاق معظمنا أحط من أخلاق الهمج

لكل حياة وحى خاص ووحى البداوة الجهل والفقر والكسل !

من لعنات العقلية البدوية انها لا تحفل بالوقت ولا تباليه فتضحى بالايام من أجل الحصول على لقمة من الطعام عن طريق التسول الذى اعتاد الآجداد أن يسموه — فى أيام بداوتهم — كرماً

البشر فراش يحوم حول مصباح الجمال . وكم من ضحية تحترق فى جحيمه القتال .

اذا أحبت المرأة رجلا أرادت أن تسمع مديحه حتى من الجماد .

ويل لك من القلوب التى اسوت كلومها .

ويل لك من الجائع الذى أشبعته . والعارى الذى كسوته . والمحتاج الذى ازلت حاجته . مع هذا فيجب عليك أن تفعل الخير لتشعر بانك انسان ذو ضمير .

تبدأ هزيمتنا عندما نأخذ بالشكوى ، وتتم الهزيمة يوم يضمحل ايماننا بأنفسنا .

ليس فى عقاقير الأطباء ولا فى مخازن الصيادلة ما يلطف آلام قلب جريح كدمعة يجريها الحب الصادق .

استغلال حاجة الفقير نذالة . يجب أن يترفع عنها حتى الصعاليك .

حدد مطامعك قبل أن تحددها الأيام . وهذب أخلاقك قبل أن تتولى الايام والليالى التى ترحم تهذيبها .

البدو شر خلق . وارذل الناس نفساً وأحطهم تصورا

الخيانة بدء هزيمة الرجل فى الحياة وفاتحة انحطاطه .

الوهم الذى يدور حول كل شيء أعظم من حقيقته .

اليس عجزنا عن اسعاد من نحب منتهى المراره النفسية .

تدفع ثمن الحرام أضعاف ما تدفعه للحـلال يضاف الى ذلك تعب الضمير وجـلد الرأى العام لسمعتك .

لاسجن المظلم والقبر المعتم أحب الى من مشاهدة بعض الثقلاء

الفضيلة والأخلاق النبيلة والعواطف الشريفة الرقيقة بعض مظاهر الدين فالمتجرد من هذه لا دين له وان فعل العجائب . وقطع الحياة بالصوم والصلاة ..

أساس كل علم من علومنا الفرض ولو افنينا حياتنا كلها لنبرهن على حقيقة أحد الفروض برهانا لاريب فيه لما استطعنا ذلك ومع هذا فنحن نقبل علمنـا كأنه حقيقة لاريب فيهـا وان كان أساس علومنا الوهم والخيال . فما لنا نفكر باعظم الحقائق الماثلة أعماها أمامنا — الله —.

ليس القاتل باشد اجراما ممن يهدم عزة النفس ويعود الناس الضراعة والتسول

أعظم أنواع الشقاء جهلنا اننا سعداء

سترى من تقلبات البشر مايجعلك نادما على كلمات الثناء التى ظلمت بهـا بعض البشر وكلمات الذم التى اهنت بها بعضهم

تهيء الحياة لبعض البشر ضروبا من السعـادة من غير فضيلة صنعوها وتطارد البعض بعنف وهم لم يرتكبوا جريمة وهذه من أعظم البراهين على وجود الحظ أو الصدفة

يبدأ الانسان حياته بالخوف ثم يتدرج الى الغرور وبعد ذلك يصل الى الشك ثم ينتهى به المطاف الى اليأس فالايمان بسخافة كل ما فى الوجود

الاغنياء فى جحيم والفقراء فى جحيم أولئك يخافون وهؤلاء يكافحون

عندما يرتقى الانسان بفكره ويطل من نافذة الحياة ويشاهد البشر يؤذيه ما يرى من اشـلاء الضمائر المبعثرة ويؤلمه ما يشاهد من هؤلاء الذين يمثلون ادوار قادة الفكر أحط من الحيوانات

خضوعنا للاوهام والخرافات دليل على أن عقولنا فجة وادمغتنا بدائية وان اصطنعنا كل وسائل المدنية وأساليب التعليم

الطبيعة تهيء كلا منا لعمل خاص

ليست عبقرية من يضع المشروع باعظم من عبقرية من يتولى تنفيذه

اذا أبصرت كل ما حولك يضطرب فاحتفظ بشباتك لانه ليس فى الوجود ما يستحق الاهتمام

اشكر الذى خدعك لانه علمك الاحتياط وان كان الثمن غالياً .

ويل للعظيم انه يدفع من نفسه ثمناً لعظمته . ويل للعظيم اذا هفا . وويل للعالم من هفوات العظماء

احتياج الشاب درس عملى فى الحياة . واحتياج الشيخ جريمة من جرائم البشرية .

نحن نخسر أولادنا لاننا نحولهم فلاسفة كاذبين بانضاجنا اياهم انضاجا جبريا قبل الاوان و بذلك نحول بينهم و بين غرائز الطفولة

احترام الجمهور لأحد الرجال يكون فى الغالب ناشئا عن احساسه بسمو من يحترم

من قصاصات الله للزانى — التى تدل على الحكمة والعدل — ان الجريمة تسعى للزانى الى أن يسقط و بعد ذلك يسعى الى الجريمة فتهرب منه فتكون نكبة الحرمان شر قصاص

نقمتنا على الرجل الدنىء فضول منا . يكفى أنه يهدم نفسه بنفسه . ويلاشى سعادته ويرى حياته تضمحل كالدخان . وتضمحل كالصوت فى اللانهاية

لاتلحق خسارتك ضجيجاً . لئلا تخسر مالك وانسانيتك معاً

المصيبة اما ان تعلمنا الاخلاص والرحمة وترفع أنفسنا الى أعلى درجات السمو واما ان تحطم قلوبنا وتلاشى معالم الانسانية منها

كن حملا أبدا حتى والذئاب تحاول أن تمزق لحمك اما اذا أرغمتك الكلاب أن تخوض المعركة فكن أسداً فى همتك

اذا صرعك الاسد فسلم نفسك لانيابه باسماً ولكن حذار أن تسمح للاميبا والخفافيش أن تمتص قطرة من دمك

لايلجأ الى الشدة الا الضعيف ولا فرق بين الضعف المادى والضعف المعنوى

كثيرا ما تكون الشهرة عبئا ثقيل الحمل ولكن ما قيمة الحياة مع الخمول

من أعظم الادلة على فساد حياتنا فى الشرق انها تنتهى أبدا بكراهية شديدة لمن كنا لانحب الحياة الا من أجلهم .

عمان ١٦ ديسمبر ١٩٣٧ العزيزى

كتب الشهر الجديدة

١ — مسرحيات توفيق الحكيم — ٦٠٠ صفحة متوسطة — مكتبة النهضة المصرية

٢ — تاريخ الزراعة فى مصر «بالانكليزية» للدكتور مأمون عبد السلام ٥٣ صفحة متوسطة

٣ — اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازى ١٠١ صفحة كبيرة لمكتبة النهضة المصرية

٤ — الموسوعة الجغرافية للأساتذة خليل فوزى وسعيد قدرى وصالح عبد العزيز ٥٤٠ صفحة كبيرة لمكتبة سعد مصر

٥ — تفسير قصة أعلام الطريق للأستاذ فكرى ابراهيم «بالانجليزية» ٨٠ صفحة متوسطة

٦ — نور الساقطات أو سيرة جوزفين بطلر للكاتبة بنت الحارث ١٤٩ صفحة متوسطة . لدار الشرق والغرب

* * *

صدر مجلدان جميلان للاستاذ توفيق الحكيم يحتويان ثمانى مسرحيات منها «سر المنتحرة» التى مثلت قبل أسابيع . وبعض هذه المسرحيات كبيرة تحتوى ثلاثة أو أربعة فصول وبعضها صغير لا يزيد على فصل . وهى جميعها موسومة بالطابع الفنى الذى عرفناه فى توفيق الحكيم من براعة الحديث الى الحاسة المسرحية التى تجعل الحوادث تسير فى سياق طبيعى الى المغزى الذى تنتهى اليه الدرامة دون أن يشعر القارىء بأن المؤلف يعتمد الوصول اليه . وتوفيق الحكيم عصرى بل أكاد أقول انه «مستقبلى» وهو من حيث المزاج والذهن ينتسب فى أوقات مختلفة الى شمال البحر المتوسط . ولم ننس بعد غرامه بالقبعة وحماسته لها وهو فى احدى الدرامات يقدم لنا منظراً عن المنزل المصرى ليس كما هو الان وانما كما يحب توفيق الحكيم أن يراه . ولهذا قلت أنه ليس عصريا فقط بل

هو مستقبلي

ففي درامة صغيرة تحتوى فصلا واحداً وتسمى «جنسنا اللطيـــف» يصف المؤلف لنا المرأة المصرية كما ستكون أو كما يخشى بعضهم أنها سوف تكون . فان أمامنا رجلا هو مصطفى افندى قد تزوج سيدة تحترف الطيران . وقد وصل الى البيت وقعد ينتظر زوجته لكى يتغدى معها ولكنها لم تحضر . وهو يسمع أزيز طائرة فيقصد الى النافذة ويطل لعل زوجته هى التى تسوق هذه الطـائرة بين السحاب . وهو فى هذا اذ بالزوجة تدخل فتجذبه ويشرعان فى الحديث . وهو حديث طلى يشترك فيه زائرتان احدهما تحترف المحاماة والاخرى تحترف الصحافـة . ويسفر الحديث عن دعوة الزوجة لزوجها مصطفى بك بأن يطير معها الى العراق . وهى هنا جريئة مجازفة محرضة فى حين هو يبدو خائفاً جباناً محميا . والحديث يجرى فى خفة ولباقة وفكاهة . فتقول الزوجة بعد أن يعترض الزوج على الطيران اذ ليس هو سمانة تقطع البحـار والقفار ـــ تقول الزوجة : المسافة مش بعيـدة قوى زى ما أنت فاكر . وتؤيدها الزائرة المحامية فتقول : مسافة بسيطة إيه مصر والعراق دحناجيران فيرد مصطفى بك متهكما : الحيط فى الحيط

فتقول الزوجة : مؤكد تعال معايا بس وجرب وشوف

ولكى تطمئنه تقول له أنها ستكون معها باراشوت . فاذا حدث للطائرة خطر أمكنـه أن يلبسها وينزل على مهل الى الارض . فيقول هو : شيء جميل : بقى أول ما تشب حريقة مثلا فى الطيارة اجى أنا لابس الباراشوت واحـدف نفسى فى الهوا وبعد ما أحزم نفسى خلاص أربعـة وعشرين قيراط أشد المفتاح

فتوافق الزوجة على هذا الشرح قائلة له : عليك نور

فيكون جوابه : مفتاح ايه ياست هانم ؟ هو متى أنا ما انحدفت من الطيارة وبصيـت لقيت نفسى نازل أرف بقى فى عقل يشد مفتاح؟ ولكن على الرغم من هذا الاحجام تقنع الزوجة الطيارة زوجها بالطيران معهـا الى العراق وهو يصيح بأنه أخذ من الدار الى النار وهذه . الدرامة هى أقل ما فى هذين المجلدين وانما اخترت الكلام عنها توخيا للايجاز الذى يقتضيه هـذا الباب فان « سر لمنتحرة » تمتع القارىء كما تمتع الناظر وهذا هو الشأن فى معظم هذه المسرحيات

وكتاب آخر تلذ قراءته هو « تاريخ الزراعة فى مصر » لمؤلفه الدكتور مأمون عبد السلام وهو بالانجليزية وقد قال انه دراسة موجزة لكتاب كبير سوف يضعه. ولا بد أن المشتغلين بتاريخ الزراعة أو بتاريخ مصر القديمة سيسرون عندما يظهر هذا الكتاب. فان مصر هى التى اخترعت الزراعة. وحسبنا ان نعرف أن الالفاظ العربية حنطة وبر وفوم وقمح كلها مصرية الاصل. ولفظة البغل العربية ترجع الى أصل مصرى هو بقن بمعنى الخضروات ولفظة فول ترجع الى المصرية أو القبطية فولا. ولفظة البرسيم كذلك قبطية مصرية. بل يقول المؤلف ان المصريين عرفوا القطن وزرعوه ونسجوه. وانه كان يسمى نوت كما يسمى القطن الآن فى الحبشة. ولفظة كمون العربية تعود الى جمنين المصرية. والملوخية التى نأكلها هى المينوخ التى أكلها جدودنا. والبصل عندنا هو البصر عندهم. والثوم عندنا هو الهتيتوم عندهم. ولفظة الكراث فرعونية لم تتغير. والجميزى هى الشويزى. وسلة الفلاحين المشنة هى المسنة عند الفراعنة. وكذلك النبق والعنب والتفاح والرمان والتين كلها ترجع الى أصول مصرية قديمة. والورد عندنا هو الورت عند الفراعنة.

هذا قليل من كثير من الفوائد التى يجنيها القارىء من كتاب الدكتور مأمون عبد السلام وهى تشهد بسبق جدودنا فى فنون الزراعة. وانى أنتظر بفارغ الصبر ذلك الكتاب القيم.

ومن أحسن الكتب التى ظهرت فى الشهر الماضى كتاب « اعتقادات فرق المسلمين المشركين » للامام فخر الدين الرازى وقد حرره الأستاذ على سامى النشار وكتب الاستاذ مصطفى عبد الرازق بك مقدمة له عن المذاهب الصوفية. والرازى هو من العلماء المسلمين الذين عاشوا فى القرن السادس وهذا الكتاب يكاد يكون جدولا موجزا باسماء الفرق التى ظهرت فى الاسلام واليهودية والمسيحية والمجوسية. والمؤلف يقتصر على وصف كل فرقة ومذهبها دون أن يتعرض للانتقاد الا قليلا فيما هو غرض هذه الفرق ومذاهبها. وليس عجيبا من الرازى بعد أن درسها أن يصل الى الحال التى وصفها المحرر بقوله!

« وفى أواخر أيامه وقد بلغ أوج كماله العلمى حدث له ما حدث لابى حامد الغزالى من قبل. فقلت ثقته بالعقل الانسانى وأحس عجزه وأدرك تماماً أنه لا يستطيع الاحاطة بالوجود فى ذاته فادركته حالة صوفيــة كانت تنتابه منها فى بعض مجالس نوبات فيصرخ مستغيثا. وعظ يوما

بحضرة السلطان شهاب الدين الغورى وحصلت له «حال» فاستغاث ياسلطان سلطان العالم لاسلطانك يبقى ولاتلبيس الرازى يبقى . ومن أشعاره التى نحس فيها روح عمر ابن الخيام :

نهاية إقدام العقول عقال   واكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا فى وحشه من جسومنا   وحاصل دنيانا اذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا   سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة   فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا

وهو فى هذه الابيات يصف الثقافة الشائعة فى زمنه ويصف الاجتماع . وكلاهما لم يرض عنه الرازى وقد ختم الرازى كتابه بهذه الكلمة التالية التى تدل على شعوره بالمرارة وخيبة الامل اذ يقول :

« مع هذا فان الاعداء والحساد لايزالون يطعنون فينا وفى ديننا مع ماعملنا من الجد والاجتهاد فى نصرة اعتقاد اهل السنة والجماعة . ويعتقدون انى لست على مذهب اهل السنة والجماعة . وقد علم العالمون انه ليس مذهبى ولامذهب اسلافى الا مذهب اهل السنة والجماعة »

واخر الكتب التى نذكرها هو كتاب الموسوعة الجغرافية . ومما سيسر كل مصرى ان يجد كتابا فى هذا العلم يبلغ اكثر من خمسمائة صفحة كبيرة . وهذا الكتاب لثلاثة من المعلمين هم الاساتذة خليل فوزى وسعيد قدرى وصالح عبد العزيز . وثلاثتهم يدرسون المواد الاجتماعية . وهذا الكتاب الذى وضع للسنة التوجيهية يختص بشرح العلاقة بين الطبيعة والانسان او بين الجغرافية والتاريخ . وهو اذا كان قد وضع فى الاصل للطبيعة فان القارىء العادى ينتفع كثيرا بقرائته . وانا انقل الفقرة التالية منه على سبيل المثال :

«الانسان نوع من منتجات الارض . وليس هذا معناه ان الانسان ابن الارض فقط وترابا من ترابها ولكنه ربيب هذه الارض . فهى ربته كما تربى الام ابنها . وهى التى وضعت امامه الاعمال ووجهت افكاره وجلبت امامه المشاكل . وهذه فى دورها قوت جسمه وجعلته حاد الذهن وسببت مشاكله المتعلقة بالملاحة والرى . وفى الوقت نفسه عرفته طريقة حل هذه الاشياء وأذن فقد تدخلت الارض فى كل شىء خاص بالانسان حتى تركيب عظامه ونسيجه . وفى عقله

وروحه. وكما رأينا أن البيئة لها اكبر اثر فى جسم الانسان اذ انها على الجبال قد وهبته عضلات فى الارجل فولاذية يتمكن بها من الصعود . وعلى السواحل قد استعاضت عن ذلك وعوضته ساعدين قويين وصدرا حديديا لكى يتمكن بهما من القبض على المجذاف . وفى أودية الانهار وهبته خواص تختلف من خواص الجبال والسواحل فاسبغت عليه روح الخضوع والاستكانة والاتصال بالتربة . وهى نفسها التى ضيقت سلسلة افكاره وقصرتها على افق زراعية . وهناك فى الهضاب الواسعة حيث تهب الرياح وفى الارض العشبية والبطاح الصحراوية الواسعة حيث يجول بقطيعه من مرعى الى آخر ومن واحة الى ثانية يجد ان افكاره فى منتهى البساطة . فتجد عنده قد نبتت فكره وحدانية الله لاشريك له»

وهذا الكلام حسن بل تفكير مثقف نحتاج اليه فى نهضتنا الحاضرة

وضع الاستاذ فكرى ابراهيم مذكرات بالانجليزية عن درامة «اعلام الطريق» الانجليزية . وهى الدرامة التى قررت للسنة التوجيهية هذا العام . وقد تتبع العبارات الاصطلاحية بالتفسير الانجليزى واحيانا العربى كما انه شرح الدرامة شرحا وافيا يسهل على التلميذ درسها وتفهم مغزها

« نور الساقطات» هى سيرة جوزنين بطلر السيدة الانجليزية التى وقفت حياتها على انقاذ النسوة الساقطات - والقارىء لسيرتها يخرج من الكتاب وهو اسمى شعورا وابر قلبا مما كانت - وحبذا مثل هذه الكتب تنقل الى اللغة العربية فتنقل الينا العواطف الراقية تجند للبر والخير . ومتى عرف القارىء المصرى مثل هذه السير استطاع أن يقف منها على معنى خفى من معانى الحياة الصالحة. ودار الشرق والغرب التى اخرجتها تستحق الثناء كل الثناء

فى الحياة والعمل

بقلم سلامه موسى

الثيوقراطية

قلق كثير من المصريين للغط الذى فشا هذه الأيام عن مظاهرات الطلبة الأزهريين وندداءاتهم وتصريحات بعض أساتذتهم . ومع أننا نعتقد أن كل ماجرى إنما هو الى الآن لغط لاقيمة كبيرة له فاننا لا نستطيع أن ننكر بعض آثاره الواقعة أو المنتظرة

وخلاصة ما يقوله المتحمسون أن الحكومة المصريه يجب أن تتبع دستور الاسلام وأن قانون العقوبات يجب ألا يخالف الشريعة من حيث قطع يد السارق ونحو ذلك وقد غاب عن هؤلاء المتحمسين أن الدين مثل أعلى وأن الحكومات البشرية لا تستطيع أن تبلغ هذا المثل ولو جهدت . وهذه المسيحية التى تقول بالسلام العام لا نجد حكومة واحدة اوربية تعمل بها . بل كل منهن مع الايمان بهذه الديانة تعد العدة للحرب وتستعد للقتال لأنها تجد أن مقتضيات العصر الحديث تطالبها بذلك

ولسنا ننكر ما يثبته التاريخ وهو أن حكومات كثيرة كانت ثيوقراطية أى كانت قوانينها شريعة الدين وحكامها كهنته أو رجاله . وقد كان هذا شأن حكومات الاسرائيليين ومعظم الحكومات الاسلامية فى بغداد والقاهرة . ولكن ليس هذا حجة علينا حتى نجعل حكومتنا ثيوقراطية فربما كانت تلك الحكومات الثيوقراطية أحسن ما كان يمكن من الحكومات فى ذلك العصر وتلك البيئة . أما فى الوقت الحاضر فليس هناك من الظروف ما يلائم الثيوقراطية أى حكومة رجال الدين

وذلك أن الحكومة فى العصر الحديث قد أصبحت تمارس فنونا دقيقة فى الهندسة والطب والاقتصاد والاجتماع . وهى تحتاج لهذا السبب الى الاختصاصيين الذين يجب أن تخضع لمشورتهم

ومشورة أمثالهم من الفنيين فى التعليم والصحة والحرب والصناعة والزراعة . ورجل الدين إذا سيطر على هؤلاء كان فى سيطرته تعطيل لهم إذ هو غريب بثقافته عن فنونهم بل ربما تبعثه هذه الثقافة على معارضتهم

وقد عرفنا فى عصرنا حكومتين اثنتين تسلط على كل منهما رجال الدين أى الكهنة هما حكومة روسيا التى يعزى تأخرها مدة القياصرة الى هؤلاء الكهنة كما يعزى خرابها الاخير فى الحرب الكبرى اليهم . وليس الالحاد العام فى روسيا الشيوعية الحاضرة سوى الرجع المنطقى للتسلط الكنسى مدة القياصرة . ثم أيضا — بدرجة أصغر — حكومة أسبانيا التى تسلط فيها القسيسون الكاثوليك . فان الفوضى الدامية التى تأكل جسمها وتمزق أعضاءها تعود الى هذا التسلط

ثم هذه السيطرة الدينية فى كل من روسيا وأسبانيا قد قطعت ما بينهما وبين موكب الحضارة الاوربية . فان اسبانيا كما يقول أبناؤها لاتزال الى الآن قطعة من افريقيا كما أن روسيا كانت عند نهاية الحرب الكبرى قطعة من آسيا لاتعرف من المتعلمين سوى نحو ٢٠ أو ٣٠ فى المائة

وهناك من يقول بأن الحكومة البريطانية هى حكومة دينية مع أن هذا القول مغالطة مضحكة . فان كل ماتفعله الحكومة البريطانية انها تساعد الكنيسة الانجيلية وتعترف بوجودها . ولكن هذه المساعدة لاتمنعها من الاعتراف بالزواج المدنى ومن احترام حقوق الملحدين وحمايتهم فى المتنزهات العامة حين يقفون ويخطبون فى الدفاع عن الالحاد

وهكذا الشأن فى هولندا التى تساعد الكنيسة اليهودية كما تساعد الكنيسة المسيحية بمذهبيها . ولكن رجال الدين فى كل من هولندا وبريطانيا لا يتسلطون على الحكومة بل لايكاد يكون لهم أثر فى سن قوانينها . وآخر مانذكر من ذلك القانون الانجليزى الذى ينص على زواج أخت الزوجة المتوفاة . فان رجال الكنيسة عارضوا هذا القانون ولكن البرلمان لم يبال رأيهم . والكنيسة المسيحية لاتقبل طلاقاً غير طلاق الزانية . ومع ذلك فى كل دولة قوانين تبيح الطلاق للمتزوجين لأسباب مختلفة قد تبلغ العشرة

ان العصر الحديث بمطالبه المتعددة يطلب حكومات مدنية . وقد مضى عصر الثيوقراطية . وقام مقامه عصر الديمقراطية

حماية المزارعين والفلاحين

أذاعت الجرائد أن وزير المالية ينظر فى مشروع تسوية الديون العقارية وهو المشروع الذى كانت الوزارة السابقة قد هيأته . ونحن نرجو أن يكون نظر الوزير الجديد لزيادة الخدمة للمزارعين. فان أزمتهم لم تنته بل هى فى ازدياد مطرد عاماً بعد آخر . ومهما قدم لهم من المعونة فانها لن تكون أكبر من الضيق الذى يعانونه

واذا كانت الحكومة السابقة قد هيأت هذا المشروع لخدمة المزارعين المالكين أو بالأحرى لصيانة العقارات الزراعية حتى لاتخرج الى أيد أجنبية فان مما يجب على الوزارة القائمة أن تفكر فى حماية الفلاح الأجير الذى لايملك شيئاً سوى كد يديه . وليس له من رأس مال سوى ماشيته وأداته الزراعية . بل هناك مالكون مزارعون يزرعون أرضهم بأيديهم وهم لايزيدون فى مستوى المعيشة أو الكسب إلا قليلا جداً على الفلاحين الأجراء . فهؤلاء يستحقون حماية الحكومة لهم من الازمات وخاصة من المرابين الذين يستغلونهم . فان كل من اختبر الحياة الريفية يعرف كيف يشترى المالك الصغير أو الفلاح المستأجر بذور القطن أو القمح بالربا الفاحش الذى يزيد سعره على مائة أو مائتين فى المائة

وهؤلاء المساكين يبيعون محصولاتهم بمجرد جنيها وبأرخص الاثمان بل هم يبيعون محصولات البيت كالجبن والزبدة والبيض والفراخ بأرخص الاثمان أيضا لكى يسدوا ديون هؤلاء المرابين . وعند جميع الأمم الزراعية ضروب من حماية هؤلاء الفلاحين . ونحن ننقل فيما يلى على سبيل المثال بعض ماعملته بولونيا كما جاء فى تقرير وزير مصر المفوض فى فارسوفيا . فهو يقول :

« أما القوانين التى صدرت لعلاج مشكلة الديون الزراعية فى بولندا فتنقسم إلى قسمين:

« أولا — القوانين الصادرة لحماية العقارات الزراعية من خطر نزعها وفاء لدين زراعى ؛ ومنها قانونان يرميان إلى مايأتى :

« ١ — عـدم جواز الحجز على الحيوانات والأدوات الزراعية إلا اذا حجز عليهما مع العقار المتعلقة به .

« ٢ — عدم جواز البيع الجبرى بأقل من نصف القيمة الفعلية للمنقولات الزراعية وثلى القيمة للعقارات

« ٣ — جواز وقف اجراءات البيع الجـبرى لمدة سنة اذا توافرت شروط حـددها القانون ، ويمكن أن تزاد هذه المدة سنة أخرى .

« ثانيا — القوانين الصادرة بانشاء مـكاتب للصلح بين الدائنين والمدينين ومد اجال تقسيط الديون ، مع تخفيض فائدتها .

« وتختلف الاجراءات المتبعة باختلاف صفة الدائن إن كان فرداً أو مصرفا . وقد خص المشرع الديون المتعاقد عليها مع الأفراد ، باهتمام شديد ، نظراً إلى أنها تؤلف نصف الديون الزراعية تقريباً . ولأن المرابين يتقاضون عنها أرباحا باهظة »

هذا هو ماتفعله بولونيا . ونحن يهمنا من كل هذه القوانين ذلك الخاص بتحريم توقيع الحجز على الماشية والأدوات الزراعية . فان كثيرين من المرابين والمالكين وخاصة كبارهم قد أوقعوا الفلاحين فى بؤرة من الفاقة والحرمان ببيع ماشيتهم . والفـلاح الذى تباع جاموسته قلما يستطيع أن ينهض بعد ذلك . إذ هو يتأخر فى زراعته ولا يمكنه أن يجمع ثمن جاموسة أخرى إلا بعد السنوات الطويلة

بل ليس من مصلحة الزراعة المصرية أن تباع الماشية التى هى الوسيلة الـكبرى للزراعة سواء أكان بعملها فى الحرث والسقى وغـيرهما أم بروثها الذى لايمـكن أن تستغنى عنه التربة المصرية مهما كثرت الأسمدة الكيماوية

إن مشروع القانون الذى يدرسه وزير المالية الآن هو من عمل الوزارة الماضية التى يرجع اليها وحدها الفضل فيه ولكن وزير المالية الحاضر يمكنه أن يزيد عليه إذا شاء بعض المواد التى تزيد فى حماية العقارات المصرية وألا ينسى مع ذلك هذه القوانين التى تعمل بها بولونيا لخدمة الفلاح الاجير والمالك الصغير قبل المالك الـكبير

الاضطرابات في افريقيا الشمالية

تتواتر أخبار الاضطرابات فى تونس والمغرب الاقصى أى مانسميه مراكش . فان الانباء التلغرافية تقول أنه حدث هياج فى بيزرتة جرح فيه بعض الجنود والشرطة وقتل من الأهالى خمسة وجرح عدد كبير . هذا فى تونس أما فى المغرب فان الهياج لاينقطع وخاصة فى فاس . فان الاهالى أغاروا على ممتلكات الفرنسيين وزاد الشغب فنهبت بعض المخازن

وقد كادت الحكومة الفرنسية تعزى نفسها الى وقت قريب بأن هذه الاضطرابات انما يقوم بها دعاة الفتنة المأجورون الذين ينالون مكافآتهم من ايطاليا أو ألمانيا . ولكن حتى على فرض أن لهاتين الدولتين دخلا فى احداث هذه الاضطرابات فان من الصعب جدا أن يصدق الانسان أن تستمر هذه الاضطرابات طول هذه المدة بقوة هذا العامل وحده . وقصارى ما نستطيع أن نفهمه من ادعاء التحريض من ألمانيا وايطاليا ومن استخدام ذهبهما أن هناك فى كل من المغرب وتونس سخطاً عاما على الحكم الفرنسى قد استغلته هاتان الدولتان

ولا يستطيع أحد أن ينكر هذا السخط . وقبل أن نبين أسبابه ونرجع عوامله الى أصولها يجب أن نلقى نظرة عاجلة على هذه الاقطار الثلاثة التى تحكمها فرنسا . وأقدم هذه الاقطار هو الجزائر التى احتفل الفرنسيون قبل عام بمرور مائة سنة على فتحها والانتصار على بطلها العظيم الأمير عبد القادر الجزائرى . فان فرنسا نجحت فى استعمار هذا القطر العظيم بان قمعت جميع العوامل التى تعمل للوطنية والشخصية القومية . وأحالت الجزائريين الى فرنسيين يتعلمون فى المدارس الابتدائية حروف الهجاء الفرنسية بدلا من الحروف العربية

وقد اعتنق عدد كبير منهم المسيحية الكاثوليكية . وضمت الجزائر الى فرنسا وجعل فى برلمان باريس نواب من الجزائريين واستهلكت القومية الجزائرية بان غمرت البلاد بالالوف من المهاجرين الفرنسيين الذين استولوا على البقاع الزراعية الشمالية وغرسوها بالكروم . ولعل مما يستغرب به القارىء أن يعرف أن فرنسا المسيحية تستورد النبيذ من الجزائر المسلمة ، وهذا وحده يدلنا على أن الجزائريين

نسوا قوميتهم . ولذلك لانكاد نسمع عن اضطراب صغير يحـــدث فى الجزائر ازاء الاضطرابات الخطيرة التى نسمع عنها فى تونس والمغرب

أما تونس فان الفرنسيين احتلوها قبل نحو ستين عاما . ومع أن القومية التونسية قد أذيبت الى حد ما فى سيل من الهجرة الايطالية والفرنسية فانها لاتزال على شىء من التماسك . وقد طرد الفرنسيون التونسيين من الاقاليم الشمالية واستعمروها لانفسهم كما فعلوا فى الجزائر . ولـكن التونسيين الذين احتفظوا بدينهم ولغتهم استطـاعوا فى الاقاليم الجنوبية أن يحتفظوا بقوميتهم . وليس شىء يحفظ للأمة تماسكها و كيانها مثل الدين واللغة بل اللغة العربية هنا أقوى من جميع اللغات فى هذا الميدان لاتصالها الشديد بالدين . وتعليم اللغة العربية كان ولايزال فى كثير من الاقطـار العربية تعليما للدين ومن هنا قيمتها الـكبيرة فى الاحتفاظ بالقومية العربية . وهى القومية التى حاربتها فرنسا فى الجزائر باللغة الفرنسية ونجحت فى ذلك نجاحا يأسف له كل عربى

أما المغرب الاقصى فان تاريخ الفرنسيين فيه يرجع الى سنة الاتفاق الودى بين فرنسا وبريطانيا بشأن مصر ومراكش . وكان للورد كرومر يد فيه · فان فرنسا تعهدت بالـكف عن معاكسة بريطانيا فى مصر وبريطانيا تعهدت باطلاق يد فرنسا فى المغرب . وكان ذلك سنة ١٩٠٤ .وكان اتفـاقا قذراً كله مطامع استعمارية خسيسة والى هـــذا الاتفاق تعزى الى حد ما الحرب الـكبرى . وقد تركت فرنسا للمغرب سلطانها كما تركت الباى فى تونس . وكلاهما لايخالف لها نصيحة

والدعوة الى الاستقـلال هى الان على أقواها فى تونس والمغرب الاقصى . وقد كان لموقف فرنسا الذى اتخذته ضد الثائر الاسبانى فرانكو وتحيزها للحكومة الجمهورية الاسبانية بعض الاثر فى تحريض المراكشيين . فان فرانكو رأى من مصلحته أن يشـغل الفرنسيين بثورة أو اضطراب فى المغرب ونجح بعض الشىء فى ذلك

ولـكن يجب ألا ننخدع بأقوال الفرنسيين واتهاماتهم . فان تحريض ايطاليا وألمانيا وفرانكو لايكفى لاحداث هذه الاضطرابات التى تتواتر . لان الحقيقة أن هـــذه الحركات الوطنية ليست مصطنعة بل هى طبيعية تعبر عن الشعور العام بين التونسيين والمغاربة . وقد قلنا إن بقاء اللغة العربية قد خدم القومية العربية . ولـكن هذه القومية كان يمكن أن تبقى نائمة فى لفائف القرون الوسطى لو لم

تحفزها الثقافة الاوربية الحديثة الى التنبه والنهوض . فان «الوطنية» من المعانى الاوربية الحديثة التى أخذناها عن الاوربيين ولم ترد قط فى معجم عربى ـ ولذلك فان دعاة الوطنية فى جميع الاقطار العربية ورجالها المضحين ونارها ونورها معاً هم أولئك الذين عرفوا الثقافة العصرية وغذوا أذهانهم بالاراء الاجتماعية والسياسية الحديثة واستطاعوا أن ينقلوا هذه الاراء الى أوطانهم ويحركوا الركود الشرقى الاسن فيها . ولـكنهم لم يكونوا ليستطيعوا تحريكه لو كانت هذه الاقطار قد فقدت الرابطة اللغوية كما أن هذه الحركات الوطنية لم تكن لتنشأ وتنمو لو أن الثقافة العامة عند هذه الامم كانت شرقية محضة

ودعاة الوطنية فى المغرب وفى تونس شبان قد تعـلموا فى فرنسا وانجلترا ودرسوا النظريات الحديثة . ولهم لهذا السبب قلوب جريئة وأذهان مضيئة كما لهم ايمـان بالبشرية وكراهة للتواكل الشرقى والصوفية التى تدعو الى القناعة بالعيش الذليل .

صادق عنبر

توفى فى الشهر الماضى المرحوم الاستاذ صادق عنبر . وقـد عاش يتقلب بين التعليم والصحافة والتأليف .وعرف عنه أسلوب انشائى يصفه أصدقاؤه بالبلاغة ويرى فيه خصومه بهرجاً لا قيمة له

وأعظم ميزات هذا الاسلوب بل الميزة الوحيدة موسيقية عباراته . وصادق عنبر هنا لا يختلف كثيراً من المرحوم مصطفى الرافعى أو الاستاذ حسن الزيات . وان كان فى التفكير دون الرفعى . كما أن جهله بلغة أجنبية حديثة حالت دون وقوفه على شيء من الأدب الأوربى الذى نرى أثره الحسن فى الزيات

ولـكن كل هؤلاء صادق عنبر والزيات والرافعى والمنفلوطى ينظرون — مع اختلافات صغيرة — الى الأدب كأنه أو كأن أهم ما فيه نظام الالفاظ ورنينها وانسجام العبارة وحلاوتها أو موسيقتها . ولذلك لاترى لواحد منهم فلسفة أو حتى دعاية . وليس لواحد منهم عناية ببرنامج اصلاحى اجتماعى أو اقتصادى . وهم لهذا السبب بعيدون عن الايديولوجية العصرية أى مجموعة الآراء والافكار التى يسير بها العالم الحديث فى اجتماعه وسياسته . وهم أيضاً لهـذا السبب لا يوجهون قراءهم وجهة معينة

لأنهم يقنعون بتسليتهم ولو انحطت هذه التسلية الى مجرد التخدير الذى ينشأ من الرنين الموسيقى للالفاظ

تحدث الاستاذ توفيق حبيب عن صادق عنبر فقال عنه « لا يهمه من الصحيفة صورها ولا أخبارها ولا تلغرافاتها ولا مباحثاتها الاقتصادية ولا غير ذلك من أمور بعيدة عن اللفظ الفحل والمعنى السامى »

وهذا على الرغم من أن الدنيا لم تكن فى عصر من العصور الماضية عرضة لتطورات بل انقلابات كالتى تعانيها الآن . فان الشيوعية والفاشية والديمقراطية والامبراطورية فى صراع لا ينقطع . والعلوم تهيئ الخمائر الخفية اما لهلاك الانسان واما لسعادته . والتقاليد تتلاشى ولا تأخذ مكانها تقاليد جديدة . وازاء هذه الحال يشعر الرجل المثقف انه مطالب بذكائه ومروءته أن يدرس هذه الدنيا وان يساعد على انتشالها من غمرتها . فان الحرب التى يتلظى الصينيون بنارها والتى تقتل نساءهم وأطفالهم قبل رجالهم تطالب المصرى البار المثقف أن يدعو دعوة السلم والاديب الذى لا يبالى شقاء الصينيين ولا يؤلمه تقتيلهم وتدمير بلادهم لا يعرف شيئاً من الأدب لأنه أقل ما يوصف به هنا انه جامد الاحساس . وكذلك الأديب الذى يؤلف العبارات الموتقة عن الفقر وليس له برنامج لازالة هذا الفقر من مصر انما يعد أدبه دعوى زائفة

تحدث أحد الكتاب الانجليز عن نفسه فقال أنه نوى أن يكون فيلسوفا وشرع يدرس فى همة ومثابرة الفلسفات القديمة والحديثة ولكنه انتهى بترك الفلسفة ودراسة الأقتصاديات . وذلك لأنه أحس بسيادة المبادئ الاقتصادية للعالم المتمدن وان هذه المبادئ هى التى تقرر الاجتماع والسياسة وتوجد العلوم والاداب والفنون . لا بل هى التى توجه — الى حد بعيد — الفلسفة نفسها .

ومن منا يمكنه أن يلومه على ذلك ؟ اليس كارل ماركس الآن أعمق أثراً فى الاجتماع الأوربى من أفلاطون وسقراط ؟ وما غاية الأدب اذا تجاهلنا أثر العوامل الاقتصادية المختلفة فى الهيئة الاجتماعية ان سعادة وان شقاء وان جمالا وان قبحاً ؟

وهذا الرنين الموسيقى الذى عنى به كتابنا وأرصدوا له أقلامهم قد شاع بين القراء عادة وطريقة تخدرهم وتعوقهم عن الدرس الجدى . ولذلك أصبح شبابنا يجهل مسائل العالم وينظر للدنيا نظرة

قروية ولا يحب من الجرائد والمجلات غير حلاوة الالفاظ والنوادر والمضحكات والمسليات . كأنه يريد أن يعيش وهو غائب عن الدنيا مستريح من مشاكلها . وإذا استمرت هذه الحال فان الجمهور لن يشتغل بالمسائل المصرية العامة بجد واهتمام . إذ من هم الذين يوجهونه وجهة البر بالفقراء غير الأدباء ؟ ومن هم الذين يوجهونه وجهة السلم والحرية والديمقراطية غير الأدباء ؟

مساكين شباننا الذين لايجدون من الادب المصرى سوى المخدرات للتسلية وقتل الوقت بالألفاظ الرنانة والعبارات المنسجمة

العناية بالفقراء

فى هذه السنوات الأربع الاخيرة تنبهت الامة والحكومة معاً الى ضرورة العناية بالفقراء . فرأينا حركة انشاء الملاجىء للعجزة والايتام . وهى حركة ترافقها نقائص ولكن هذه النقائص ليست أصيلة فيها وانما هى ترجع الى قلة خبرتنا فى هذه المبرات وإيجاد الهيئة اللائقة لها من الموظفين . ثم كانت الحركة الميمونة التى قام بها بعض الأطباء فى تنبيه الاذهان عن الخطر الداهم من تعميم الرى الدائم بتفشى الامراض بين الفلاحين . ومما نفخر به اننا دأبنا منذ سنوات فى تنبيه الرأى العام عن هذا الخطر

ثم كانت بعد ذلك جهود مختلفة ربما كان أهمها فى نظرنا مشروع المجموعات القروية الذى قام به الدكتور محمد عبد الواحد الوكيل . فان هذا المشروع يرمى الى إيجاد « وحدات » قروية تؤلف من طبيب وموظف اجتماعى وآخر زراعى وزائرة أى سيدة تزور البيوت وتتعرف بروح الحب الى الفلاحين والفلاحات وتصلح بقدر المستطاع من شئونهم المنزلية . ونحن نرجو أن يلقى هذا المشروع اكبر العناية من الوزارة الحاضرة

ثم لاننسى مدرسة الخدمة الاجتماعية التى عنى بانشائها الاستاذ أحمد نجيب الهلالى . ونحن نعتقد أن هذه المدرسة سوف تكون بذرة صالحة ستنبت شجرة باسقة وتزودنا بأحسن الثمرات فى أشخاص

خريجيها الذين يخدمون جمهور الفقراء ويكافحون الفاقة والمرض ومضاعفاتهما من رذائل أو جرائم

وها نحن نسمع هذه الايام بتأليف لجنة فى وزارة الصحة « لتحسين صحة الفقراء فى المدن والقرى وتجميل الحياة لهم » ويسرنا أن يكون الدكتور عبد الواحد الوكيل صاحب مشروع المجموعات القروية عضواً فيها . فانه رجل جد وبر معاً يخدم الفقراء بنشاط وأمانة ودراية

وجميع هذه الهيئات التى ألفت أو فى طور التصميم يراد منها العناية بصحة الفقراء ورقيهم الاجتماعى والاقتصادى. وهذه روح طيبة وهى البرهان الناصع على أن ضمير الامة قد تنبه الى الشقاء الذى تحدثه الفاقة والى أننا قد أصبحنا الى حد ما متمدنين نفهم الرقى بمعناه السامى وهو تعميم السعادة والرفاهية بين جميع أبناء الامة

ويجب هنا أن نلفت النظر الى تلميذ المدرسة قبل كل شىء . فان تلاميذنا فى مدارسنا المختلفة يمثلون الجيل القادم وهم أولى من الكبار بالعناية لهذا السبب، ولان العناية الصحية بالكبار تكون عادة قليلة الفائدة ولكنها كبيرة الفائدة جداً مع الصغار . وهذا هو ما يجرى فى أقطار أوربا المتقدمة. وبين تلاميذنا عدد كبير جدا ربما يبلغ أربعين أو خمسين فى المائة من المجموع تتضح آثار سوء الصحة على وجوههم وأبدانهم . وقد عنيت وزارة المعارف بتعميم الرياضة البدنية بين جميع التلاميذ ولكن يجب الا ننسى أن الجسم الجائع الضعيف يستضر بالرياضة ولا ينتفع بها سوى الجسم السليم المغذى. فيجب أن نوفر للتلاميذ الفقراء الغذاء الحسن قبل أن نوفر لهم الرياضة البدنية . وبهذه المناسبة نقول أنه صدر تقرير فى انجلترا عن عدد التلاميذ الذين يشربون اللبن بالمجان أو بنصف ثمنه فى المدارس فبلغوا فى السنة الماضية ٢٥٣٠٠٠٠ وهذا غير التلاميذ الذين تقدم لهم وجبة كاملة أى الغذاء بالمجان

ونحن نعتقد أن تقديم اللبن لبعض صبياننا يجب أن يفضل على تثقيف أجسامهم أو أذهانهم بالرياضة البدنية أو بمختلف الدراسات . فان صحة الجسم هى شرط أساسى للذكاء الذى يحتاج اليه الدرس وللنجاح بعد ترك المدرسة

والعناية بالفقراء تتناول المسكن والعمل والغذاء والتثقيف . ولكن أهم هذه الاشياء للصحة هو الغذاء . وهو ما يجب أن نوفره لتلاميذنا قبل كل شىء . ولسنا نعنى اهمال سائر الصبيان. فالصبى المتشرد يحتاج الى عناية كبيرة لا يمكن أن نقول أن الملاجىء تقوم بها . وقد عنيت جمعية الشبان

4

المسيحية بانشاء ناد للصبيان المحرومين يعتبر فى ميدانه الصغير « مجموعة » اجتماعية لخدمة هؤلاء الصبيان من حيث العناية بصحتهم وترقية بيئتهم الاجتماعية والاقتصادية . وتحسن الحكومة لو أنها درست هذا المشروع الذى هو من المبتكرات الحديثة

وخلاصة القول أننا مع استبشارنا بالهيئات الجديدة التى أنشئت أو التى ستنشأ لمكافحة الفاقة ومضاعفاتها فى مصر ريفاً وحضراً يجب ألا ننسى أن العبرة بالتنفيذ والسرعة . وخير البر عاجله

التطور

فرنسيس ماسون مع نخبة من العلماء الامريكيين ألفوا كتابا فى التطور اسمه « الخلق بطريق التطور » والغرض من هذا الكتاب هو اثبات خلق الانواع الحيوانية والنباتية المختلفة عن طريق التطور دون التعرض للبحث فى منشأ الحياة ، أو الغايه من تطورها مما يتصل بأمور فلسفيه اكثر منها علميه .

ومما جاء فى هذا الكتاب عن العلم والايمان أن الناحية الايجابية للدين هى الشعور بأننا نعيش فى هذا العالم وهو البيت الذى أعدلنا فيترتب على ذلك الشىء الكثير من المنافع والقيم ، وعلى ذلك فالتعرض لدراسة الحياة التى حولنا فى صورها المختلفة لايجب ان يقيم حربا بين العلم والدين ، وانما هو حرب لابد منه تشهره الحقيقة المبصرة على العقيدة الجامدة العمياء

وفكرة الانسان عن الخلق موجودة منذ القدم بصور متباينة تختلف باختلاف الشعوب وبتعاقب العصور

ولكن الخلق بطريق التطور هو اسمى انواع الخلق التى تصورها الانسان حتى الآن ، وفى كل خطوة من خطواته يرينا التطور بشكل واضح ملموس عظم فكر الخالق وقدرته مما يستدعى التمجيد

ن . ش .

المجلة الجديدة

الثمن ٣ قروش
ابريل ١٩٣٨

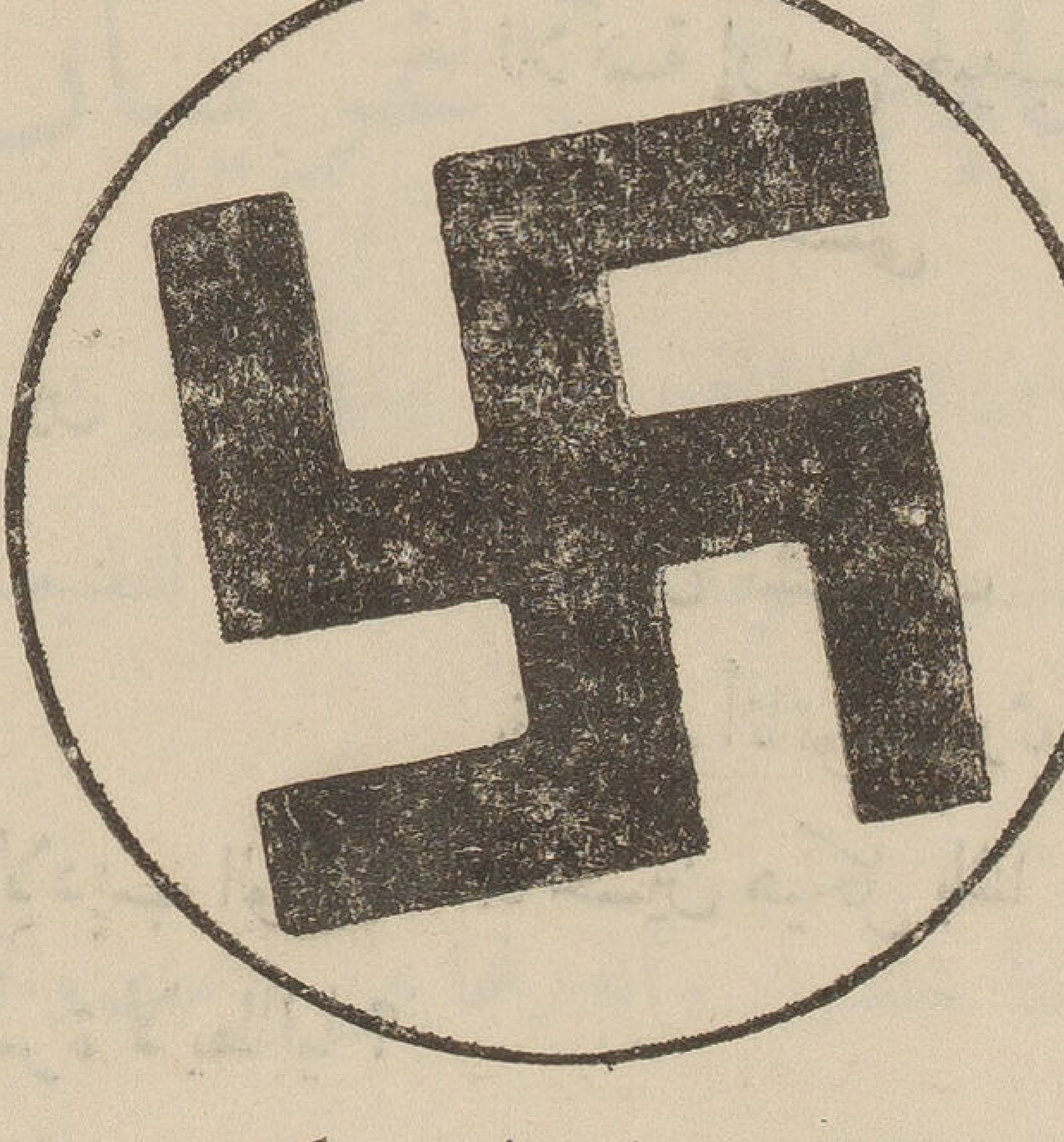
فهرست

انقلاب عظيم فى أوروبا



المستشار سيس انكارت

اهتزت أوربا فى الشهر المـاضى لزوال النمسا كدولة مستقلة وانضمامهـا الى المانيا . وذلك على أثر دعوة وجهها رئيس الوزارة النمسوية سيس انكارت الى الزعيم هتلر يطلب اليه فيهـا الجيش الالمانى لحفظ النظام . وقد أصبحت المانيا بعد ضم النمسا اليها ٧٤ مليونا . والمنتظر أن ينضم اليها الالمان فى تشكوسلوفاكيا وهم ثلاثة ملايين ونصف مليون



شعار الوطنية الاشتراكية

صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد السابع

المجلة الجديدة

العدد الرابع
من
السنة السابعة

ابريل ١٩٣٨

الدعوة الى الطهارة

فى عصرنا الحاضر عامة وفى ظروف مصر القائمة خاصة نحتاج الى مجهود كبير للدعوة الى الطهارة — طهارة الجسم بل طهارة النفس وطهارة الضمير. فان الضمير يمرض كما يمرض الجسم وكما تمرض النفس ويجب ألا نقنع بأن لنا ضميرا فحسب . اذ يجب أن يكون ضميرا ساميا . ومهما قيل فى العصور القديمة فمما لاشك فيه أنه كان فيه لآبائنا وجدودنا تقاليد محترمة هى قواعد جامدة للأخلاق . وربما كانت هذه القواعد لجمودها تؤدى الى ضيق النظر ولكنها كانت على كل حال شاملة للجميع تجعل الشذوذ واضحاً ومكروها معاً

أما الآن فان هذه التقاليد قد تزعزعت فى العالم كله وهى أكثر تزعزعا فى أوربا منها فى الشرق . ولكن الشرق باحتكاكه بأوربا قد أصبح عرضة لاضطراب أخلاقى آخر هو اختلاف المقاييس التى تقاس بها الفضيلة والرذيلة . فنحن لا نقيسهما بمقياس آبائنا أو جدودنا . ثم نحن لا نقيسهما بالمقاييس الشرقية فقط أو بالمقاييس الغربية فقط بل نخلط بين الجميع . ومن هنا هذا الاضطراب النفسى بين الجيل الجديد . فان ضميرنا مقسم . وحسبنا برهانا على ذلك ما حدث من اختلاف فى مصر بشأن المدرسة التى أنشئت لتعليم التمثيل . فقد أسست ثم ألغيت . وما حدث من اختلاف بشأن التعليم الجامعى للجنسين . بل قد سمعنا بعض الاحتجاجات من رجال الدين لأن قاعة يورت فى الجامعة الامريكية قد

استعملت للغناء والعزف مع أنها - فيما يزعمون - قد خصصت للتربية والتعليم

هذه أمثلة قليلة تدل على ارتباكنا وعلى أننا لا نسير على قواعد معينة فى الاخلاق وفى التمييز بين الفضيلة والرذيلة . والشبان الذين تحيط بهم هذه الظروف وأمثالها مما لا يعد جديرون بأن يقعوا فى مثل هذا الارتباك وأن يتساءلوا عن المحظورات هل شأنها يختلف من هذا الشأن أو ذاك مما يمس رغباتهم أو شهواتهم ؟ وهل عندما نترخص فى حرية الغناء والعزف أو فى الاختلاط بين الجنسين فى التعليم أو فى تعليم فتياتنا فن التمثيل نستطيع أن نترخص فى أشياء أخرى يبدو لهم من مظاهرها إنها هينة فى حين يدل البحث على أنها بعيدة العواقب عميقة الاثر ؟

هنا مسألة الطهارة مثلا . فان القدماء - كما يدل على ذلك الكتاب المقدس - قد عرفوا الدنس ولكن أكبر الظن إنه لم يكن فاشيا بينهم مقدار فشوه بيننا . لسبب واحد فقط . هو أن الاخلاق التى كانوا يسيرون عليها كانت مرسومة ومحدودة فى وضوح وجمود لا يتحملان تأويلا . أما أخلاقنا ففى اضطراب لاينقطع . اذا أحسنا الظن قلنا أنه اضطراب الانتقال واذا اسأنا الظن قلنا اضطراب الفوضى ولكنه اضطراب على كل حال . ومع الأسف العظيم يجب أن نصرح أن كثيراً من مكتشفات السيكلوجية الحديثة يعمل لزيادة هذا الاضطراب لا لنقصه

وقد يقال أن الطهارة المنشودة للشبان تعترضها عقبات من بنية الجسم ومن البيئة المحيطة معاً ويجب أن نسلم بذلك ولكن يجب أن نجعل من هذا التسليم الحجة على تبرير الدعوة الى الطهارة . فان هذه العقبات كبيرة والاغراء للشهوات عظيم ولهذا يجب أن نستخدم جميع الاسلحة الحديثة والقديمة لمكافحة هذا الاغراء

١ - يجب أن نلجأ الى الدين فنبين للشبان قيمة الطهارة من هذه الناحية . ومع أن الاديان قد اختلفت فى قيمة النسك فانها كلها على وفاق فى قيمة الطهارة . ولا يمكن أن يؤمن المرء بدينه اذا استهتر لأن صيانة الجسم يحتمها الدين كما يحتم صيانة النفس سواء

٢ - ويجب أن نستخدم السيكلوجية التى تبين أن الكبت على الرغم مما قيل ضده له جوانب حسنة . فان حبس الشهوة الجنسية الى حد ما كبير الأثر فى التفكير البكر والتسامى . وتلك الامم الشرقية التى انغمست فى الشهوات لم تستطع النهوض بحضارة أو ثقافة . لأن هذا النهوض يحتاج

الى جهد يتوافر بالقليل من الكبت . واذا لم يجد الشاب فى نفسه عاطفة مكتومة أو مكظومة فان الباعث له على الجهد يضعف أو ينعدم . ولذلك فان الطهارة فى الشباب أدعى الى النشاط الذهنى والجسمى

٣ـ كذلك يجب أن نيسر الزواج بتيسير الاحوال الاقتصادية للجنسين . فان أكبر ما يمنع أو يؤخر الزواج هو سوء الأحوال الاقتصادية . وتلك التكاليف الضخمة التى يطلبها آباء العروسين. والزواج قد يؤدى مع قلة الثقافة الجنسية إلى العسر والفقر . ولذلك يجب أن تفشو بيننا هذه الثقافة وأن نعنى بها عنايتنا بتوفير الوسائل الاقتصادية .

٤ ـ وهناك جانب سلبي خطير للطهارة . هو ان الانغماس أو حتى الزلة الواحدة قد تودى بالصحة. ليس صحة الشخص الذى زل فقط بل صحة أبنائه وزوجته وأحيانا أحفاده . وليس بين الشبان من يجرؤ على ارتكاب النجاسة إذا عرف أن أبناءه قد يولدون موتى أو يولدون أحياء ويحيون حياة ضعيفة ثم يعقبهم عقب مريض . وإذا نظرنا الى الاحصاءات التى تصدرها وزارة الصحة من وقت لآخر عن المواليد والوفيات وجدنا ظاهرة يجب أن تشعرنا بالخزى والعار هى ان عدد المولودين موتى من المصريين كبير جداً بل لا يكاد يكون بين الاجانب من يولد ميتا . وهذا يدلنا على تفشى الأمراض السرية بيننا وعلى ان شبابنا فى حاجة قصوى الى الطهارة

روسيا فى محنتها

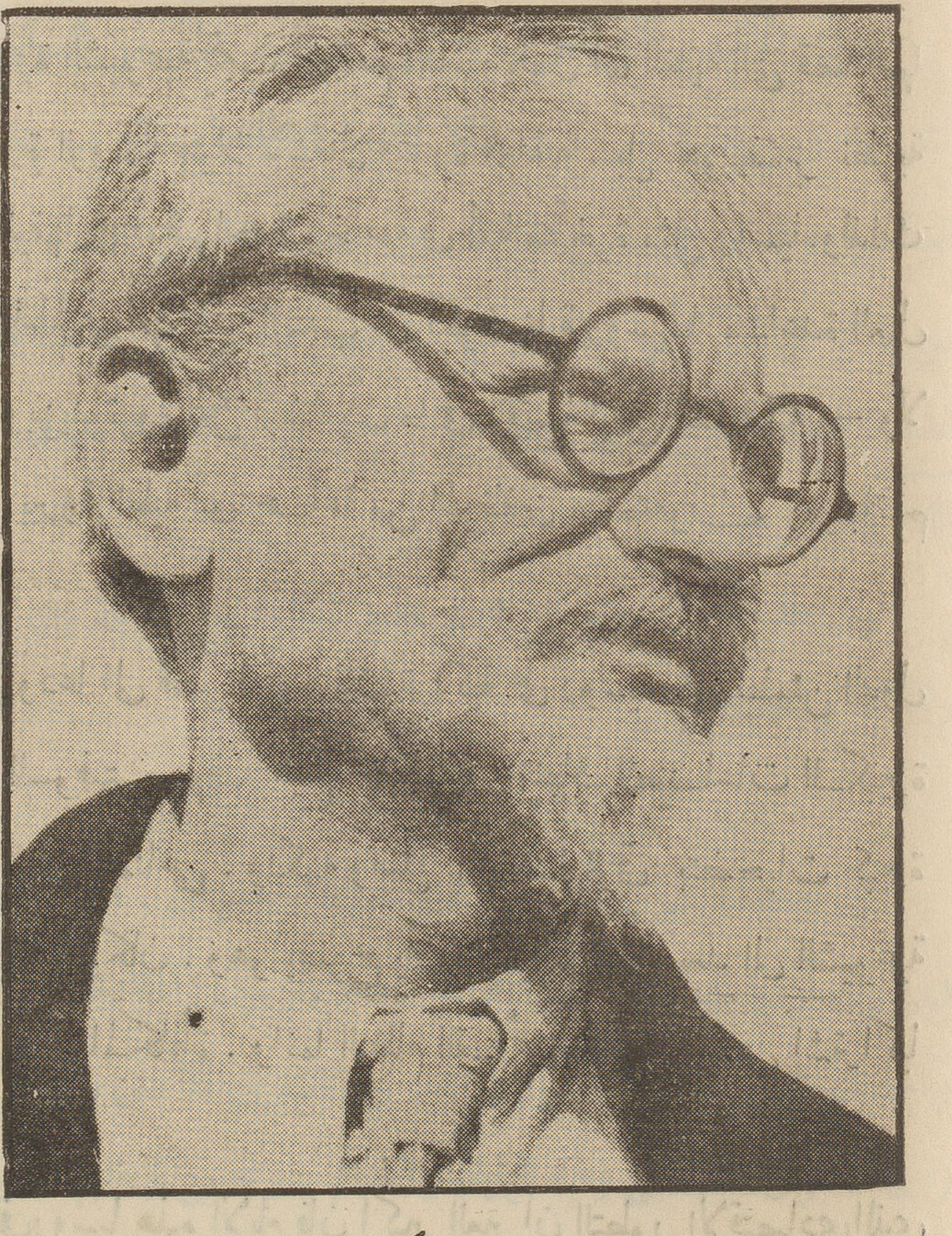
تفد على روسيا من وقت لآخر وافدة من الاتهامات التى تنتهى كما تنتهى جميع الوافدات بعدد كبير من الوفيات . فقد انتهت الوافدة الاخيرة — وهى الثالثة — باعدام ٢٨ سياسيا كبيرا من رجال الدولة الذين كان يوثق بهم ويعتمد عليهم فى المهام الخطيرة والمسئوليات الجسيمة . بل منهم من كان يعد مؤسساً للدولة السوفتية وقد كان للمحاكمات التى أعقبت هذه الاتهامات صدى بعيد فى أنحاء العالم ورجع سيىء بين العمال والأحزاب الاشتراكية التى كانت تعتقد أن روسيا فى نظامها الجديد يجب أن تكون الأنموذج للأمم الأخرى . ومن أعجب ما قرأه الناس فى أخبار هذه الاتهامات تلك الاعترافات الغريبة التى نطق بها المتهمون واثبتوا فيها خياناتهم للدولة



ستالين

وقد كان لهذه الاعترافات التى بسطت جرائمهم ما دعا الجماهير فى أنحاء العالم الى الظن بانها كلها مزعومة بل غلا البعض فاعتقدوا أنه قد جرع المتهمون بعقار خاص أو أخضعوا لاستهواء خاص

يجعلهم يعترفون بما لم يرتكبوا من جرائم . ولكن سخافة هذا الاعتقاد واضحة . إذ ليس شك فى أن جميع الاعترافات حقيقية . ولكن حقيقتها تلقى ضوءاً على الحالة السيئة فى روسيا . فان هؤلاء المتهمين ما كانوا ليتمادوا فى جرائمهم لو انهم كانوا راضين عن النظام السوفيتى مطمئنين الى عدالته . وقد يقال للاعتراض هنا أن الدول الأجنبية تسعى لهدم النظام السوفيتى وانها ترشو كبار الموظفين الروسيين الذين يقعون فريسة سهلة لأن مرتباتهم صغيرة . ولكن حتى على فرض صحة هذا الزعم فاننا لا يمكن أن نفر من الاستنتاج بأن صغر مرتبات موظفى الدولة المسؤليين هو بعض النظام السوفيتى وانه هو الذى يجعل لاغراء الرشوة قوة كبيرة



تروتسكى

والنظام السوفيتى يشبه النظام الفاشى أى الاشتراكية الوطنية من حيث العناية بالانتاج الزراعى والصناعى مع اهمال الحريات . أو بكلمة أخرى نقول أن روسيا والمانيا وايطاليا واليابان تنظر كلهن نظراً ماديا للرقى . فالانتاج كثير فيهن . ولكن الحريات قد تضاءلت وقد كانت روسيا أيام القياصرة أمة زراعية متأخرة فاصبحت فى هذه السنين الدولة الثانية فى الصناعة لا تستبقها غير الولايات المتحدة ولكن روسيا تحترم الآلات أكثر مما تحترم الناس . والعقوبة لتدمير الآلة هى الاعدام فى حين أن اغتيال أحد الناس لا يؤدى الى عقوبة الاعدام . وقد بلغ بمن يدعى ستالين أنه هو وأعوانه قتلوا خمسة ملايين أوكرانى جوعاً

لأن هؤلاء المساكين أخفوا محصولاتهم الزراعية أو استأثروا بها . ولايجرؤ انسان على ارتكاب هذه الجريمة الا اذا كانت حرمة النفس الانسانية قد زالت من قلبه

ومعظم هؤلاء المتهمين بالخيانة للدولة قد اتهموا بانهم ينضوون الى تروتسكى ويدعون للثورة سرا على ستالين . أو انهم يساعدون الدول الأجنبية المعادية فى تدمير المصانع والقطرات حتى ينهار النظام السوفيتى من أساسه . وتروتسكى هو الخصم العنيد لستالين. وقد نفى قبل اكثر من عشر سنوات وهو يقيم الآن فى مكسيكا . وقد كان تروتسكى شريك لنين فى تهيئة الثورة سنة ١٩١٧. وهو رجل ذكى مستنير بعيد البصيرة فى شئون السياسية العالمية . والخلاف الذى قام بينه وبين ستالين ينحصر فى أن تروتسكى يعتقد أن الثورة الشيوعية يجب أن تعم العالم ويقول أن الغاية التى قصداليها مع لنين سنة ١٩١٧ أن يجعل من الثورة الروسية فتيلا لأشغال الثورة العالمية . بل هو يفسر نظرية ماركس بأنه لم يقصد منها قط الى تحقيقها فى أمة واحدة وخاصة فى أمة متأخرة مثل روسيا. ولذلك لايتحقق النجاح للثورة الا اذا عمت العالم فيجب لهذا السبب أن تكون غاية روسيا مساعدة العمال فى جميع الاقطار الاخرى على الثورة . ويزيد تروتسكى أيضا بأن ما فى روسيا ليس اشتراكية — ولا نقول شيوعية — بل أن ما فيها هو بيروقراطية أى جماعة من الموظفين يستمتعون بمرتباتهم وامتيازاتهم .

ولكن ستالين خالف تروتسكى ودعا الى قصر الجهاد للاشتراكية على روسيا حتى تطمئن الدول الاجنبية وتكف عن مناواة النظام السوفيتى . وقد نجح كما قلنا فى ايجاد الصناعات الكبيرة حتى أصبحت روسيا الدولة الثانية فى الرقى الصناعى . ولكنه وصل الى هذا الرقى بتضحيات كبيرة جدا فى قمع الحريات التى كان يستمتع بها السكان . وهو يصرح بأن روسيا لم تصل بعد الى الشيوعية التى ينص مبدأها الاساسى على المساواة فى المكافأة . وانما النظام القائم يمكن أن يسمى اشتراكيا وهو الاساس للنظام الشيوعى المنتظر

واذا كان لاحد عبرة مما يحدث فى روسيا هذه الايام فان اكبر العبر أن التطور الاقتصادى الذى الذى يجرى فى مثل بريطانيا أو الولايات المتحدة هو خير وأسلم عاقبة من الثورة الاقتصادية

الشرق والغرب

وموقفنا بينهما

س . م (؟)

تلوك الألسن كلمتى الغرب والشرق ويجهد كثير من الكتاب أنفسهم فى بيان مزايا الحضارة الشرقية ومن آن لآخر نرى مقالا لأحد الكتاب العرب يتغنى فيه بتاريخ الأندلس أو عصر العباسيين وذلك على سبيل المقابلة بين حضارة الشرق الغابرة وحضارة الغرب الراهنة . بل عندنا من يذكر اليابان كأنها أمة شرقية أنا بعض ماتنسبه إلى نفسها من الفخر فى تقدمها لأننا سواء فى هذه الرابطة الشرقية التى تربطنا بها . والواقع أن كلمة « شرق » هى الآن من أغمض الكلمات فى اللغة العربية .

وفى هذا المقال ساتوخى بحث هذه الكلمة مع المقابلة بين الشرقيين والغربيين من حيث السلالة والثقافة والحضارة .

(١)

إن كلمة شرق تدل على غير مدلولها الجغرافى . فهى لاتعنى آسيا وحدها من حيث إنها تقع فى شرق أوربا بل تعنى أيضاً افريقا . فالجزائريون والمغاربة شرقيون مع أنهم يقعون على خط طول واحد مع غرب أوربا . والاوربى يميز بين الشرق الأدنى ويدخل فيه مقدونيا ومصر وشمال افريقيا وبين الشرق الأقصى وفيه اليابان والصين . ونحن لو تنبهنا نحن أيضا إلى هذا التمييز فاننا كثيراً مانتساه .

وإذا نحن تنبهنا إلى هذا التمييز وجعلناه ماثلا امام أعيننا كلما تكلمنا عن الشرق فاننا لانلبث أن ندرك أن الشرق الأدنى أقرب إلى أوربا منه إلى الشرق الأقصى . اعنى بذلك اننا نحن المصريين

أو العراقيين أو السوريين نمت بجملة صلات من النسب إلى اوربا ولا نمت بأية صلة إلى اليابان أو الصين . فنحن من حيث السلالة البشرية ننتمى نحن والانجليز إلى « ام واحدة » ؛ على حد مايقول الدكتور اليوث سمث ، ونحن من حيث اللغة نشترك . واوربا فيما لايقل عن ٢٠٠٠ او ٣٠٠٠ لفظة رومانية وإغريقية على حد مايقول الاستاذ الكرملى . ونحن من حيث الدين يشترك كثيرمنا وأوربا فى المسيحية . والمسلمون هم أقرب الملل فى العالم إلى المسيحية .

فمن حيث السلالة واللغة والدين نحن اقرب إلى اوربا منا الى الشرق اعنى هذا الشرق الأقصى الذى لانمت اليه بأية صلة .

ولست أنكر أن التتار قد أفسدوا الدماء بعض الأفساد فى العراق وسوريا . ولكن من يتأمل اللبنانى أوالسورى ويرى الملامح الغربية المرتسمة على وجهه لايسعه إلا أن يقول إن الاختلاط بالغرب كان أكبر جداً من الاختلاط با شرق . ويجب على كل حال أن نذكر ان التتار لم يدخلوا مصر وأن الاتراك الذين جاءوا إلى قطرنا كانوا من مقدونيا أى أوربيين تقريبا . فنحن من حيث السلالة أوروبيون لا نختلف فى ذلك عن جميع السكان النازلين حول شواطىء البحر المتوسط .

وانا فى غنى عن البحث فى السلالات البشرية ويـكفينى دليل القلب وهداية الذوق . فلو أنى وضعت صورة امرأة أوروبية جميلة الى جانب صورة امرأة صينية أو يابانية جميلة لفلاح مصرى أو سورى أو عربى لم يتهذب ولم يتعلم وطلبت منه أن يقول أيتهما أجمل لاعترف للاوربية بالجمال وأفشى بذلك أصله وأرومته ونزعته .

(٢)

ولـكننا نحس بعد البحث أن الشرقى شرقى من حيث ثقافته وحضارته وعاداته ولباسه وليس من حيث سلالته .

وهـذا صحيح بـل الدليل يقوم عليه بايسر سبيل . فان البلغار من حيث السلالة مغول مثـل الاتراك وكانوا شرقيين فى الهيئة والزى حين كانوا فى حكم الدولة العثمانية فلما استقلوا واصطنعوا الحضارة الاوربية صاروا غربيين فى الهيئة والزى .

ولـكن ماهو الفرق بين الحضارتين الشرقية والغربية ؟

هـذا الفرق هو فى اعتقادى لا يعدو شيئا واحـداً وهو أن حضارة الشرق زراعية وحضارة الغرب صناعية . ومن هنا هذه الظاهرة الغريبة فى ركود الشرق ورقى الغرب . لان الزراعة بطبيعتها راكدة لاتتقدم بتاتا أوهى تتقدم ببطء عظيم . فنحن نزرع الآن الأرض كما كان يزرعها اسلافنا مثلا قبل الف عام .

ولـكن الصناعة بطبيعتها متحركة تتقدم وفيها مجـال للاختراع والاكتشاف ولذلك فان الامم الغربية الصناعية دائمة التقدم بينما الامم الشرقية الزراعية دائمة لركود .

ومما يجدر ذكره أن الثقافة الشائعة فى الشرق هى الادب وهو مثل الزراعة الشائعة فيه أيضاً ـ وهو لايقبل الرقى بتاتا أو يرقى ببطء عظيم . فنحن مثلا ليس لنا من الأدب مايرتفع كثيراً عن الادب الذى كان شائعا فى الدولة العباسية قبل الف عام .

ولـكن الثقافة الشائعة فى الغرب حيث الوسط الصناعى هى العـلم وهو متحرك كالصناعة دائم الرقى فاذا كنا نحن لا نختلف عن اسلافنا فى الادب منذ الف عام فاننا نختلف فى العـلم عما كنا نحن أنفسنا عليه قبل عشر سنوات أو عشرين سنة .

وهــذا هو الفرق الاساسى بين الشرق والغرب . فحضارة الشرق زراعية وحضارة الغرب صناعية . وثقافة الشرق أدبية وثقافة الغرب علمية . ولذلك فالشرق راكد لان الركود هو طبيعة الزراعة والادب . والغرب متحرك راق لان طبيعة العلم والصناعة الحركة والرقى .

والانسان تبع للوسط وصنيعة للبيئة . فاذا رأى الحركة والتغيير فى هـذا الوسط لم يلبث أن يطلبها أيضا فى نفسه . ولذلك فالحركة العلمية الصناعية فى أوربا هى الاصل فى الرقى المعنوى كالدستور والديمقراطية وحرية المرأة وما الى ذلك . فنحن نعرف أن أوربا كانت فى القرون الوسطى مما زراعية فكانت لذلك راكدة يتحكم فيها الولاة والملوك والامراء مطلقين ، ولم تكن للمرأة هذه الحرية التى لها الآن ولم تكن الديمقراطية معروفة . فلما جاء العصر الصناعى تصحبه الثقافة العلمية تنبه الناس الى الاصلاحات المعنوية .

وفى مصر حيث نجد رجلا مصريا يشتغل بالصناعة الآلية كما نرى مثلا فيمن لهم اتصال بالاتومبيلات والقطرات ونحوها نجد الاخلاق والازياء الاوروبية . وفى أوربا نفسها حيث نجد الفلاح الزارع نجد

الاخلاق الشرقية .

والعـلم ، على الرغم من سعة الميـدان الذى يسيطر عليه فى أوربا ، لا يزال جـديدا صغير السن وسنرى منه العجائب عندما يتقدم . وسيزداد الفرق جدا بين الامم الزراعية فى المستقبل بل ربما نرى نحن قبل أن نموت ان الامم الزراعية ستعد مع الامم المتوحشة الهمجية . واذا قلنا الامم الزراعية فاننا نعنى هنا الامم الشرقية .

(٣)

أسخف ماسمعت عن الفرق بين الشرق والغرب أن الاول وحى روالثانى مادى . ومما يزيدنى عجبا واستغرابا أن الذين يقولون هـذا القول يشيرون الى ان الاديان نشأت فى الشرق مع أنهم لو تبصروا قليلا فى القرآن والانجيل والتوراة لوجدوا أن جميع الانبياء فى هـذه الـكتب الثلاثة كان همهم الاكبر هو الاصلاح الاقتصادى الذى هو هم أوربا الآن . والآن أسأل كل قارىء من أية ملة : ماذا يبقى من الانجيل والتوراة والقرآن اذا نزعنا منها الآيات الخاصة بالرحمة بالفقير واعطاء العامل حقه والطعن المتكرر فى الاغنياء ؟

فهؤلاء الانبياء اشتغلوا ببحث مسائل اقتصادية أى مادية محسوسة أكثر ممـا اشتغلوا ببحث المسائل الروحية . ومما يزيدنى بصيرة فى هذا أن جميع الفرق الاسلامية الاصلاحية مثل الاسماعيلية والقرامطة كانت على الدوام تطلب المساواة الاقتصادية وتطلب الى جانبها حرية المرأة .

فهذا الذى كانت الاديان الشرقية تنشده قد جعلته الاحزاب الاشتراكية فى أوربا الآن خطة ترسمها لنفسها وتبغى تحقيقها . وأوربا تسير بفضل هذه الاحزاب رويداً نحو المساواة الاقتصادية

وأى شىء روحى نجده فى الشرق الآن ؟ هل الفلاح المصرى الذى يـكدح فى الشمس طول يومه كلـه وينام عند الغروب وقد أسكره الاعياء فـلا يفيق الا فى الصباح أكثر روحية من الصانع البريطانى الذى يشتغل ٨ أو ٧ ساعة فى اليوم ؟ وهل الفـلاح الذى يعمل فى الحقل ماكان يجب أن يعمله الحديد والنار يدرك من هذه الروحية شيئا وهل هو فى ساعات راحته وهى أيضا ساعات اعيائه أكثر اتصالا بالله من الصانع الاوربى ؟

انى أعتقد أن الشرق هو المادى من حيث ان المادة تتسلط فيه على الانسان وتقهره وتجعله يجد

ويكدح كأنه حيوان . أما الغرب فروحى من حيث ان الانسان هو الذى يتسلط على المادة ويجعلها تخدمه .

وقد عشت سنوات فى لندن وباريس وأعرف أن الاهتمام بالدين أكبر فيهما مما أراه فى القاهرة . وليس ذلك الا لأن أوقات الفراغ تتوافر للغربى أكثر مما تتوافر للشرقى فيستطيع أن يرصد من وقته قليلا لدرس الروحيات .

(٤)

قلت ان مايميز الغرب من الشرق هو حضارته الصناعية وثقافته العلمية . لكن يجدر بنا هنا أن ننظر فى بعض المميزات الأخرى وهى فى نظرى تبع للصناعة والعلم . فمن ذلك مثلا حرية المرأة ومساواتها بالرجل وأساس هذه المساواة والحرية هو المساواة الاقتصادية بحيث ترث المرأة هناك مثل ما يرث الرجل وبحيث يستوى الرجل والمرأة فى المنافسة للحصول على الحرفة والحقوق الاخرى .

ثم هناك الحكومة النيابية الديمقراطية وهذه لم يعرفها الشرق قط فى تاريخه لأنه اعتمد على الحكومة الدينية وهذه بطبيعتها استبدادية . ومن يقرأ خطب خلفاء العباسيين يلمح فيها اللهجة البابوية واضحة قوية فى أن حكم الخليفة هو حكم الله . والأتراك يعرفون الآن أن أكبر نكبة أصيبت بها تركيا هى الخلافة .

وميزة أخرى للغرب على الشرق ، وهى أيضا ثمرة الصناعة وتكاد لاتفلح فى وسط زراعى هى التعليم العام المجانى . فهذا التعليم هو من أعجب المخترعات الأوربية وهو البر العلمى وهو الروحانية الكبرى وهو الدين القويم وهو نزعة الخير مجسمة فى الانسان .

ثم ميزة أخرى للغرب على الشرق هى هذه النزعة الاشتراكية التى يتسم بها كل اصلاح الآن فى أوربا بحيث صارت الامة كلها متضامنة إذا بلغ الفقير سن الشيخوخة دفعت له الحكومة معاشا الى أن يموت . واذا جرح أو مرض عولج واذا تعطل دفعت له اعانة أو بحثت له الحكومة عن عمل .

ولكن الاساس هو الصناعة والعلم وهذه كلها ثمراتهما .

(٥)

والآن ماذا يجب علينا نحن « الشرقيين » أن نعمله ازاء أوربا ؟

اننا ازاء واجب محتوم لأن بقاءنا يتوقف عليه. فنحن لا ندعو الى اصطناع الحضارة الغربية حبا لها أو محاكاة للغربيين أو على سبيل التفرنج فقط، وانما نحن مضطرون للدفاع عن كياننا أمام هذه الحضارة ان نصطنعها.

فمن الممكن أن يعيش قطر ازاء قطر آخر يجاوره ويمارس الزراعة. لأن الزراعة واكده من طبيعتها السلم فلا تغزو ولا تخرج من مكانها. ولكن طبيعة الحضارة الصناعية التي تسيطر على أوربا الآن هي الغزو والانسلال الى الامم المجاورة والبعيدة وذلك لأن نتاج الزراعة محدود ولكن نتاج الصناعية غير محدود. فالامم الصناعية مضطرة الى الغزو والاستعمار لكي تجد منفذاً لمصنوعاتها فاذا لم نتخذ نحن الصناعة غزتنا حضارة أوربا وقهرتنا بل ربما أبادتنا.

فان واجبنا أن نجعل ثقافتنا علمية أو نجعل العلم المادة الاولى المهمة فى هذه الثقافة ونجعل حضارتنا صناعيه ولو كان فى هذا العمل اهمال الزراعة. واعتقادى اننا لو فعلنا ذلك لجنينا جميع الثمرات التى جناها الاوربيون من الوسط الصناعى.

ولكننى ارى، فى حالتنا الحاضرة، أن بلادنا لم تعد تتسع للتطور. وانما نحن، كما يقول الاستاذ علي عبد الرازق، فى حاجة إلى انقلابات سريعة. ولذلك اظن انه يجب ان نطفر بعض الطفرة. فنأخذ هذه الثمرات التى جناها الاوربيون من الوسط الصناعى قبل أن يكتمل هذا الوسط عندنا.

مثال ذلك يجب علينا ان نساوى بين الرجل والمرأة ولكن اساس هذه المساواة هو الاقتصاد فلا معنى لأن نعطى المرأة حق الانتخاب والتصويت والسفور والتعليم ولا يكون لها المساواة معه فى الحقوق الاقتصادية الأخرى. بل يجب أن نفصل الدين عن الدولة ونجعل المرأة مساوية فى المواريث للرجل بلا أدنى فرق. ثم يجب أن نعمم التمثيل النيابى ونشرع فى ايجاد الاصلاحات الاجتماعية التى ثبتت عند الاوربيين فائدتها وقد ذكرت بعضها مثل معاشات الشيخوخة. واذكر الآن نظام النقابات لجميع العمال وبناء المنازل الجميلة الصحية وتنظيم شركات التعاون وما اليها.

ثم يجب أن نجعل التعليم العام وسيلة لتخريج رجال متمدينين ومتمدينين فقط. وربما كان اللباس الاوربى أى القبعة والبنطلون مما يجلب عطف الامم الاوربية علينا ويجعلنا ننظر الى انفسنا نظرا غربيا فلو جعلناه الزاميا لجميع الافراد لكان فيه فائدة كبرى فى الاسراع فى اتخاذ الحاضرة الغربية؟

معاقبة الصبيان

رأى للمربى الكبير ثورنديك

ينظر الناس عادة الى الثواب والعقاب نظرتهم الى ضدين متقابلين . والنظرية المعتادة ، هى أن مكافأة الميل الطيب تقوى ذلك الميل ، وأن عتاب الميل السيء يضعف من ذلك الميل . لكننا فى معهد الأبحاث العلميـة فى كلية المعلمين ، أجرينا تجارب كثيرة لمعرفة حقيقة الثواب والعقاب ، وكانت النتائج غريبة غير عادية ، ويظهر أن أثرها لا يقتصر على التعليم ، بل يمتد الى الصناعة والاجتماع الخ . أعطيت شخصاً كلمات أسبانية ومعها خمس كلمات أنجليزية ، احداها هى الترجمة الصحيحة للكلمة الاسبانية ، أما الكلمات الأربع الأخرى فليست صحيحة . وكان على هذا الشخص أن يختار احدى الكلمات الخمس ، فاذا أصاب كوفئ وأثيب ، وان أخطأ عوقب . وكانت النتيجة العجيبة أن العقاب على الأجوبة الخاطئة لم يؤد الى أى أثر طيب ، وانما يتحسن الشخص فقط لأنه يثاب ويكافأ على الأجوبة الصحيحة . والميول الرديئة لا تضعف قوتها مطلقا بالعتاب ، واذا رأينا انساناً يتخلص من بعض هذه الميول غير الطيبة ، فانما يحدث ذلك لان الميول الطيبة فيه قد قويت الى حد أضعفت معه غيرها . ومع ذلك فقد يكون العقاب صالحا حقا فى بعض الحالات . والمعتاد أن المعاقبة فى مكان ما ، تعلم الطفل أو الحيوان أن يتجنب هـذا المكان ، والالم الناشئ عن لمس أشياء مؤلمة يغرى الطفل بالرجوع الى الوراء ومن ثم يضعف ميله الى لمس هـذه الاشياء . فللعقاب على الاقل تلك الفائدة

لكن يجب ألا يفهم من ذلك أن العقاب يعوق التعليم ، فان النطق بكلمة « خطأ ! » عقب جواب ما ، قد يذكر المتعلم بالاجابة الصحيحة ، لكنه لا يرشده الى خطأه . ويحسن أن نحترس ما استطعنا فى الالتجاء الى العقاب الا اذا أدركنا أنه ليس الوسيلة الوحيدة لتوجيه المتعلم من الميل الخاطئ الى الصواب .

فان الثواب وسيلة مباشرة ومضمونة ، ويمكن الاعتماد عليها فى معظم الحالات ان لم يكن كلها . ولقد قام « كيو » بتجارب فى هذا الصدد على الفيران ، وظن أن الصدمة الكهربائية فى المكان الذى أراد أن يمنع الفيران عنه ، هى السبب فى انصرافها الى المكان الذى يريده حيث يوجد طعام للفيران . ولكننى أستطيع أن أؤكد لك أن الطعام (الثواب) فى المكان الثانى كان الدافع الاول فى اجتذاب الفيران من المكان الاول وليس العقاب اذن مقابلا للثواب ، فان النتيجة الايجابية لاحدها ليست النتيجة السلبية للاخرى ، ولهذا أهميته الكبيرة ، فان الناس فى المصانع والمساكن والمدارس والحكومات وحتى فى معاهد الدين ، يركنون الى العقاب أكثر مما يركنون الى الثواب . وقد انتهت بنا تجاربنا السابقة الى أن وسيلة نزع الميل المرذول لا تكون الا بايجاد ميل طيب يحل محله ويملأ مكانه وعلينا أن نطبق هذا فى مدارسنا ومصانعنا ومنازلنا وحكوماتنا

مبرة وصاحبها

تبرع ثرى فى أسوج بمليون كرون (خمسين جنية) لايجاد مؤسسة غايتها البحث فى الشئون الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والطبية

وهذا الثرى يدعى اكزيل فينر جرين وقد جمع ثروة ضخمة من الصناعات الكهربائية . وقد قال ان الاسباب التى دعته الى ارصاد هذا المبلغ الضخم لهذه المبرة مايلى :

« نحن نعيش فى عصر النزاع والحروب بين سلالات البشر وطبقات الامم والشعوب . واذا مااستمرت هذه الحال فان ما كسبه الانسان بالسلم سوف يفقده بهذا النزاع الى الموت بين جماعاته والامم فى حالتها الحاضرة قد نظمت للحرب فيجب ازاء ذلك أن يجتهد الافراد لتحقيق السلم بالعمل الانشائى . أو بكلمة أخرى كما أنه تتبارى الجمالات للهلاك والدمار ، كذلك يجب أن تتبارى الافراد للبناء والتعمير . وهذه المؤسسة الجديدة ستقوم بمساعدة المؤسسات الاخرى التى من نوعها كما أن عليها أن تبتكر جهودا جديدة . ويجب ألا تنفق الاموال المرصدة على هذه المبرة على البحث النظرى وحده للعلوم المختلفة بل لا بد من الاتجاه نحو العمل والمنفعة الاجتماعية »



حواء والتفاحة

الانسان وعالمه

كتاب انجليزى تأليف لانجدون ديفز

يلخصه ويعلق عليه الاستاذ بشرى الضبع

منذ خمسة عشر عاما أو يزيد قام فى مصر نزاع بين الادباء حول القديم والجديد . ولكنه كان نزاعا ضيقا محصورا ، يدور اكثره حول الاساليب والوسائل . أما اللباب ، أما النقطة الجوهرية ، فقل من كان يمسها من قريب أو بعيد . هذه النقطة الجوهرية هى الطابع العقلى او النظرة العامة الى الحياة . ففى مدرسة الطب مثلا ، يدرس آخر ما وصل اليه الطب الحديث . ولكننا اذا حاولنا أن نتبين نظرة الطلبة العامة الى الحياة وطابعهم العقلى وجدنا كثيرا منهم لا يختلف فهمهم للحياة جملة عن فهم طلبة الطب فى القرن الماضى . ويمكننا أن نقول مثل هذا عن طلبة الآداب ايضا . فهم هناك لا يفرقون بين دراسة الآداب القديمة كتاريخ وبين دراستها كعدة ذهنية و كغذاء شعورى يرون على ضوئه الحياة ويستمدون منه معاييرهم الاخلاقية التى يكيفون بها سلوكهم الشخصى ويقيمون على أساسها علاقاتهم الاجتماعية . او كينبوع يستمدون منه فلسفتهم العامة للحياة . وهذا من غير شك نقص بين فى برامج التعليم . اذ أن كل ثقافة علمية لها ناحيتها الخلقية والعاطفية . أى لها فلسفة حياة . ولكننا ، مع الاسف الشديد ، نرى الصلة بينهما منقطعة تمام الانقطاع فى مدارسنا فى وحياتنا العامة . فنحن نلاحظ ان كثرة الطلبة قد يجيدون الهندسة والطبيعة ويتفوقون فى الطب والقانون ولكن استجاباتهم الشعورية فى الحياة العامة ومعاييرهم الاخلاقية وفهمهم للسياسة واساليب الحكم ، وفى كلمة ، فلسفة حياتهم ، لا تتفق وما يدرسونه من العلوم الحديثة .

ونحن حين نتأمل تاريخنا الحديث نرى كاتبا واحدا يكاد ينفرد بالاهتمام بهذه الناحية ، هو الاستاذ سلامه موسى . فقد دأب منذ ثلاثين عاما تقريبا فى شرعدة القرن العشرين الذهنية وحاول جهده أن يزرع فى نفوس النشء الخصائص العقلية الجديدة التى تتفق وما وصل اليه العالم الحديث

ومصر ، اذا كانت يوما ما فى حاجة الى مثل هذه الجهود ، فهى فى اشد الحاجة اليها فى هذه الأيام . اننا الآن نشاهد صراعا عنيفا بين عناصر الظلام والنور ، اذا جاز هذا التعبير ، ومصير مصر متوقف على تغلب احدهما على الآخر . فاما ان نصطنع طابع اوربا العلمى الراقى ونظرتها الى الحياة جماعة واما أن نرتد الى الوراء اجيالا .

انه مما يؤسف له حقا ان نجد انفسنا فى هذه الايام مشغولين بامور أقل مايقال فيها انها ستهدم كياننا وترتد بنا الى الوراء اجيالا . فبينما نجد الصحف الانجليزية تعقد المقارنات بين مستوى المعيشة فى القرن الماضى ومستواها فى هذا العام لتظهر للرأى العام مبلغ ما وصل اليه حال العامل الاجير فى هذه الايام . وبينما نراها تكرر نشر الابحاث التى تعالج شئون التغذية والصحة العامة وتحمل على المجاعة الذهنية التى تعانيها جموع غفيرة فى البلاد ، نهمل هنا هذا المخلوق الذى يعيش على دقيق الذرة والشعير ويسكن مع الماشية وجسده يعج بالحشرات ، والبلهارسيا والبلاجرا والانكلستوما والرمد تصطلح على اذلاله وتحطيمه .

ان الفرد ليس مسئولا عن آثامه وشروره وجهله ونزواته وانما المسئول الوحيد هو المجتمع والعصر الذهبى انما هو المجتمع الذهبى . حيث تعطى الفرصة لكل افراده ليظهروا نبوغهم الدفين وانسانيتهم الكامنة المغلولة وحيث تتحرر من قيود النقل والتقليد والعادات الموروثة وتسترسل فى تفكير حر طليق .

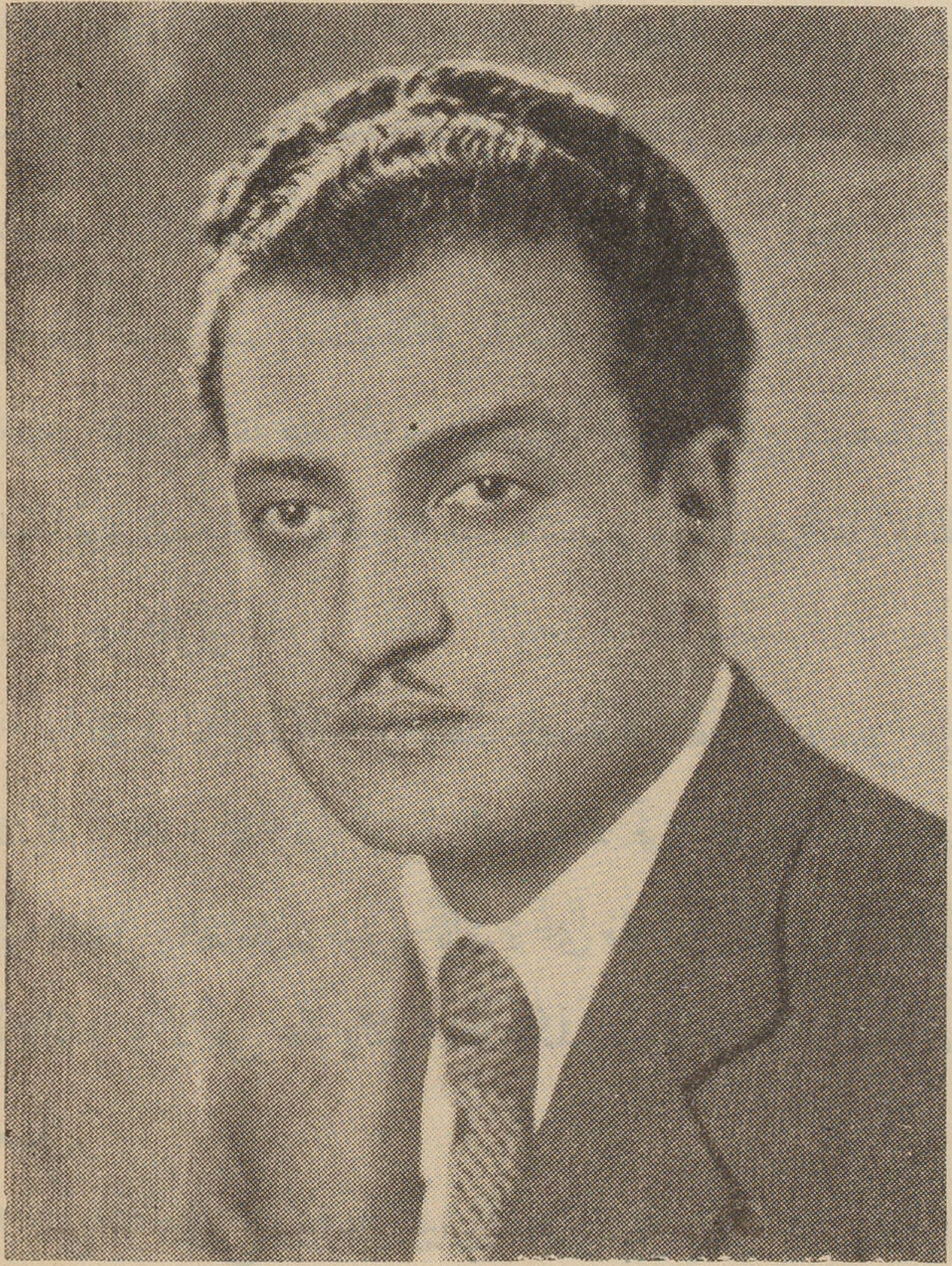
ما الفرق بين هذا الوزير وهذا الصعلوك الذى نراه ملقى على الارصفة مجردا من الثياب فى الغيظ الشديد أو البرد القارس أو بين العالم والأمى ! الفرق انما هو فرق فى الدرجه وليس فى النوع . الوزير وزير بالفعل والصعلوك وزير بالقوة اى فيه من القوى الكامنة مايهيؤه لأن يكون وزيرا والعالم عالم بالفعل والأمى عالم بالقوة . وهكذا . ولكن المجتمع حال بين الصعلوك والوزارة وبين الأمى والعلم .

انى اذ الخص هذا الكتاب الذى بين يدى الان انما اساهم بقدرما استطيع فى الرسالة الكبرى التى بدأها الاستاذ سلامه وبذل فيها مجهودا منقطع النظير وضحى من أجلها بتضحيات غالية . فبينما كثرة الكتاب يسبحون فى قممهم العالية الباردة ، بعيدين كل البعد عن الحياة الاجتماعية كأنهم

لا يسمعون ولا يحسون ولا يبصرون ، كأنهم لا يعيشون فى هـذا العصر ، لا يتحركون لما يجرى فيه من احداث وخطوب ، كان هو ولا يزال يحدثنا عن الحياة الاجتماعية حديثا فعالا خصبا منتجا ، موفرا كل جهوده لرفع مستوى هذه الحياة ذهنياً وجسديا وروحياً .

ان هذه الحياة المتناقضة الشاذة التى نحياها لن تصل بنا الا الى أسوأ النتـائج . إما القديم كله وإما الجديد كله ؛ أما القديم فلا فائدة منه على الاطلاق الا اذا استثنينا فائدته التاريخية البحتة . أما اذا أردنا حياة موفورة فسبيلنا اليها الثقافة العـلمية الحديثة وما يتصل بها من الاستجابات الشعورية والاخلاقية والنظرة العامة الى الحياة .

وانى لاتمنى أن يترجم هذا الـكتاب وما شابهه وينشر بين الناس . اذ أننى مهما حاولت فلن أعطى هنا الاصورة غامضة منه . وأهميتـه تقع فى أنه يعرض علينـا تاريخ العقل الانسانى وتتطـوره وتاريخ استجـابة القلب الانسـانى لما يعرض عليه من صور مختلفة فللانسـان فى كل عصر من العصور صـورة خاصة للعـالم تختلف كثيرا أو قليلا عما سبقها أو لحقهـا من الصور . فعواطفه وشعوره وطبيعة احساسه بالحياة جملة تابعة ومعـلقة بالصور العلمية التى يرسمها للعـالم الخارجى ولصانعه . ومن ناحية أخرى فانه لما كانت العقائد وفلسفات الحياة العامة شديدة السلطان على النفوس عسيرة الانتزاع من القلوب فانها تؤثر بدورها على صورة العالم .



الاستاذ بشرى الضبع

فبدلا من أن يشرع الانسان فى رسم صورته عن العالم بالوسائل المباشرة الصحيحة أى المشاهدة والملاحظة والاستقراء واستنتاج القوانين العامة نراه يكون صورته على أساس معتقداته وأوهامه العاطفية السائدة فى عصره .

حينما اكتشف الانسان النار ، فأمكنه بذلك أن يسيطر على مناخ المنطقة التى يعيش فيها ، واستأنس الحيوانات وسخرها فى منافعه أى حينما أخذ يصطنع الحضارة ويتحرر من طغيان العناصر الطبيعية التى كان فى يدها كالصلصال فى يد الخزاف يشكله كما يشاء ، بدأت تنبعث فى نفسه مشاعر وعواطف جديدة لم يكن له بها عهد فى حياته الحيوانية . فهو كحيوان لم يكن يأبه للشمس أو القمر أو العناصر الطبيعية المختلفة . لم يكن العالم عنده سوى طعام وشراب ومحافظة على الذات والنوع . فالهرة مثلا حين تأخذ فى التهام طعامها من الطبق المقدم لها فى غرفة من غرف المنزل ، لا تفكر فى شكل الطبق أو لونه ولا تهتم بأثاث الغرفة أو هندسة بنائها أو جمالها وروعتها . ولا يزال أثر هذا التفسير الحيوانى للحياة عالقا بنفوس الكثيرين منا . فتراهم يختزلون كل ما فى الحياة الى هذا النحو الضيق من الفهم ولايعرفون عن الدنيا سوى أنها طعام وشراب ومحافظة على الذات والنوع ولكن لو أن الانسان وقف عند هذا الحد لما تعدى الطور الحيوانى.

ولكنه الى الطعام والشراب والجنس وحفظ الذات أخذ يتأمل الشمس والقمر محاولا جهده فهم الكون ومعرفة مصيره . أى بدأ يرسم صورة للكون وينشىء فلسفة جامعة للحياة . ففى أعماق كل انسان وان كان متوحشا رغبة ملحة فى ايجاد صورة عامة منسقة تضم مظاهر الوجود المتباينة .

غير أن هناك طريقتين لرسم هذه الصورة .

أما الاولى : فهى تصوير الواقع المشاهد بحيث لا يتعارض ورغبات الانسان واحلامه . وهى الطريقة الصبيانية .

أما الثانية : فهى تكون بتنظيم الرغبات وترويضها بحيث لاتصطدم والحقائق أو تهرب منها . وهى الطريقة العلمية .

ولو أن الانسان بدأ بقوله : انى لاأعرف شيئاً ، أن أيام المعرفة معلقه بالمستقبل وانه بعد أن اتعلم تدريجيا كيف استعمل هذه الاجهزة التى تسمى التفكير والتخيل كما يجب أن تستعمل ، فانه

يمكنني حينئذ أن أتدرج في كشف معنى الحياة وطبيعة الله وسر الوجود. لو فعل الانسان هذا في أول الأمر لوفر على نفسه متاعب جمة وآلام كثيرة. ولكنه بدأ بقضايا خاطئة ظنها صحيحة وبديهية وبنى عليها كل تفسيراته للحياة والوجود والله.

فالصورة التي رسمها المتوحش عن العالم لاتطابق الواقع لأنها مستمدة من وحي رغباته وأحلامه. فبدلا من أن يبحث عن الله في موضعه الصحيح يخلقه من نفسه خلقا. فهو يريد مثلا أن يكون خالدا اذن فالانسان عنده خالد بالفعل. وهو يريد أن يسقط المطر اذن فهو قادر بالفعل على اسقاط المطر. وهو يعتقد أنه أنبل وأكرم وأرفع من القبائل الاخرى التي تجاوره اذن فهو في الحقيقة كذلك. وهو يتوهم أن دينه أحسن الاديان ولغته أرقى اللغات، اذن فهما كذلك. وهكذا. ولا تزال آثار هذا الطابع العقلي كامنة في نفوس الشعوب حتى الآن. فالتعصب للسلالات والوطن والدين مظهر من مظاهره. ولم يستطع الانسان أن يتغلب على هذا النحو من التفكير الاحين اصطنع الاساليب العلمية. اذ تمكن بها من أن يميز بين عالم الاحلام وبين عالم اليقظة. وعالم الوهم وعالم الحقيقة.

ماالفرق بين تفكيرنا وتفكير الرجل المتوحش؟ انه يكاد يكون مشغولا بنفس المسائل التي تشغلنا فهو يحاول أن يفسر النظام الشمسي كما نحاول الآن. وهو يفكر في رسائل تقيه شر الامراض والموت كما نفعل الآن. وهو يسعى جهده في الاستفادة من العناصر الطبيعية كما نسعى. وهو يتأمل العالم جملة وينسج فلسفة عامة تضم اشتات مظاهره كما نفعل الآن. أنظر الى تفسير قبائل الثونجا لحركة الشمس وماهيتها. هاهوذا فيلسوفها يقف على شاطىء المحيط يتأمله عند غروبها فيراه وقد استحال الى بحر من اللهب. فيفكر طويلا ثم ينتهي الى هذه النتيجة: ان هذه الكرة الملتهبة لابدأنها لجة انفصلت من هذا المحيط وتسلقت القبة السمادية لتنير الارض. فاذا ابرقت السماء وارعدت واشتدت عليه العواصف وثارت ثائرة الارض، بلغ به الوهم حداً يخيل اليه انه يستطيع ان يسيطر على هذه العناصر الفتاكه وان يعيدها الى هدوئها وسكينتها. وعلى هذا المنوال يعالج المتوحش امراضه ويبني فلسفة حياته. وهو معذور في هذا. فان وسائلنا الفنية تقدمت أولا ثم أمكننا بعد ذلك ان نميز بين رغباتنا الممكنة وغير الممكنة. ومعنى هذا أن فلسفاتنا ودياناتنا وعواطفنا وفنوننا تتوقف في الغالب على علومنا، اى على الصورة التي نرسمها للعالم الخارجي وعلاقاتنا به. والذي حدث هو اننا كنا في

ماسبق نعيش فى عالم الاوهام وكلما تقدمت معرفتنا بالعالم اخذنا نخرج شيئا فشيئا من هذا العالم الوهمى الى عالم الحقائق . فتاريخ الفكر الانسانى انما هو فى الواقع تاريخ نمو قدرتنا على ايجاد صورة حقيقية للعالم . ليس لارضاء العواطف ومشاعر عرضية وانما لاشباع رغبة ثابتة هى محبة الحقيقة . والآن لاتزال الكثرة الساحقة تتأمل العالم بعواطف مختلفة . ولا تزال صورة العالم فى اذهانهم نسيجا من أشتات مختلفة مما ورثوه عن ابائهم واجدادهم . وفى مصر من لايزال يعتقد ان العالم صنع فى ستة أيام وأنه خلق فى سنة ٤٠٠٤ ق . م وان آدم اول البشر . وهو يقرب الحياة ويفهم العلاقات الاجتماعية ويقيم مقاييسه الاخلاقية والشعورية على اساس هذه الصورة

وهناك من العلماء من يعتقد انه يمكننا ان نغسل جملة كل هذا من انفسنا ولكن الطابع العقلى الذى يتصل بالصورة التى رسمها ارسطو اثر على الفكر الانسانى زهاء الفين من السنين اثرا الايمحى وجعل تحقيق هذا الامر شاقا وعسيرا لانه نسيج من المنطق والوهم

ان الصورة التى يقدمها لنا ارسطو لاتمتاز ، فى الواقع ، كثيرا عن الصورة التى رسمها المتوحش للعالم لانها تستمد مادتها من نفس الطابع العقلى الذى استمد من هؤلاء المتوحشون مادة صورتهم . وكل ما تمتاز به هذه الصورة اليونانية هو ما يبدو فيها من نظام واتساق وخبرة بالحياة ومعرفة بالجغرافيا والكواكب . ولكن الذى يكسب الصورة اليونانية قيمة واهمية انما هو التفسير الذى أحاطها به ارسطو . فقد كان اليونان يعتقدون أن الشمس تدور حول الارض وان الكواكب السيارة مستديرة الشكل وان النجوم مثبتة فى القبة السماوية . وزاد ارسطو على هذه الصورة حينما رأى مسير الشمس والقمر وبعض الكواكب السيارة الاخرى ومواضعها لاتتفق والصورة القديمة . فقال بأن لكل كوكب فلكا أجوف شفافا ولكنه مادى . أى أنه اذا حاولت طيارة أن تنتقل من فلك الى فلك فانها لا تستطيع . وان هناك خمسة وخمسين الارض فى وسطها . فكون ارسطو يشبه مجموعة من كرات التنيس متداخل بعضها فى بعض فاذا سألنا ارسطو : لم خلقت الارض مستديرة ، ولماذا تدور الكواكب فى افلاك مستديرة . ولم كان الشكل الدائرى أفضل الاشكال وأين يقيم الله ، لرأيناه يجيب بان الارض مستديرة لان الشكل الدائرى هو أكمل الاشكال . وهو كذلك لانك لو وجهته فى أى اتجاه لشغل نفس المساحة . وهذا بخلاف ما يحدث ، لو أننا فعلنا ذلك بمخروط أو اهرام أو

كرسي . فلو أدرنا كرة التنس لشغلت فراغا ثابتا . وهذا ما لا يمكن حدوثه لمضرب الكرة . وعلى هذا فشكل الدائرة أفضل الاشكال وأفضلها . لانه اذا لم يكن كذلك ترتب عليه أن تكون الارض غير كاملة وهذا يعني ان خالقها ليس كاملا وهذا غير معقول . أما الله فانه يقيم في اكمل الدوائر أي في أسرعها ، اي في الفلك الخارجي البعيد . ذلك لانه لكبر قطر دائرته يضطر الى الاسراع ليكمل دورته في أربع وعشرين ساعة وهذا يفسر لنا أعوجاج كل ما هو أرضي ونقصه وميله الى الاستحالة والفناء . لان بعد الله عن الارض يجعل كماله لا يصل اليها الا بعد أن يكون قد فقد كثيرا من صفاته العليا . أما حيث يقيم الله فكل شيء كامل خالد لا يستحيل ومن هذا يتبين لنا أن هذه الصورة إنما كانت قائمة على عواطف ومعتقدات لا صلة بينها وبين عالم الكم والمرئيات ، صورة قائمة على المعتقدات الشائعة في ذلك الوقت عن الله والحق والجمال .

ولقد طغى هذا الطابع العقلي عن الفكر الانساني زهاء الالفين من السنين طغيانا شديدا الى حد أن كل مفكر يجرأ في العصور الوسطى على مناقشة كلمة واحدة من كلمات ارسطو كان يعتبر ملحدا ومجدفا . بالرغم من أن ارسطو نفسه لم يحلم في يوم من الايام بمثل هذا الطغيان الفكري .

وفي عصر اباء الكنيسة والعصر المدرسي الاول خفت صوت ارسطو قليلا واكتنف الظلام الفكر الانساني من كل ناحية وأخذ الدين يبسط سلطانه على كل ناحية من نواحي النشاط الانساني فهذا كتانتيوس نراه في سنة ٣٠٠م يقول بان البحث والتنقيب مجهودات ضائعة . فقد كشف الله عن نفسه جملة في كتابه المقدس . وكل ما نحتاج الى معرفته موجود فيه . اما ما ليس موجودا فيه فلسنا في حاجة اليه . ثم وأن تهكمه على الفلاسفة الذين قالوا بكروية الارض لصورة صادقة للطابع الفكري في ذلك الوقت . ومن أقواله في هذا الشأن ما يأتي: كيف يمكن للانسان أن يتصور أناسا يعيشون تحتنا ، في الجانب الآخر من الارض . أهناك من بلغ به البله حدا جعله يصدق وجود اناس ارجلهم اعلى من رؤسهم ويعتقد بان المحاصيل والاشجار تنمو الى اسفل . وإذا كانت الارض كروية حقا فلماذا لم يسقط كل ما عليها الى قاب السماء ومن هذا يتضح لنا أن المعرفة في ذلك الوقت لم تكن ممكنة الا من طريقين : الكتاب المقدس والكتب القديمة التي تتفق وتعاليم الكتاب .

ولم يتحرر الفكر الانساني من هذا الكابوس الخانق الا حين بدأ كوبرنيكوس وكبلر وجاليلو

يلتمسون المعرفة من طريقها الصحيحة . وهى المشاهدة والاعتماد على التفكير الشخصى وتحكيم العقل ولكنها كانت بداية مترددة خجلة . فنحن نرى كوبر نيكوس مثلا يتهرب من تبعات ماذهب اليه بقوله . انى أحاول أن أوجد صورة هندسية حسابية للعالم . وكل ما أقوله انما هو مجرد فروض . انها عقد حسابية أحاول حلها . فاذا افترضت أن الارض تدور حول الشمس فليس معنى هذا . انها تدور حولها فعلا .

ولكى ندرك مدى تأثير كتب القدماء على عقول العلماء فى ذلك الوقت نصف ماحدث لجاليليو حين ارتقى برج بيزا والقى من فوقه امام جمع من طلاب مدرسته وعلمائها قطعتين من الحديد تزن احدهما عشرة ارطال وتزن الأخرى رطلا واحدا ، فوصلتا فى وقت واحد . فقد سخفه العلماء وقالوا ان ارسطو قال ان الجسم الثقيل يصل الى الارض قبل الجسم الخفيف ولا يمكن ان يصح الأماله ارسطو .

على انه بالرغم من ان كوبرنيكس وجاليليو وكبلر بدأوا فى تردد وخوف الا انهم مهدوا السبيل لتحرير الفكر الانسانى ووجهوه اتجاها جديدا . هو الاعتماد على الحواس الانسانية وليس على النقل والتقليد . وبظهور نيوتن اخذت صورة القرون الوسطى تضمحل وبدأ الانسان عهدا جديدا . ولو ان نيوتن اخذ يبحث عما كان يبحث عنه الاقدمون وهو الله الا انه التمسه فى عالم المرئيات والمحسوسات وليس فى الكتب المقدسة فالقانون الذى يسير عليه العالم ليس القانون الخلقى وانما هو القانون الطبيعى قانون الجاذبية . وبهذا سقطت فكرة الخير والجمال من الصورة الانسانية القديمة وحلت محلها معايير جديدة كالكتلة والحركة والكم . كان العالم عند رجل القرون الوسطى عبارة عن صفات عديدة كالخير والجمال والكمال . فالنار مثلا كانت افضل وانبل من الماء والدائرة اكمل وافضل من الشكل الاهليلجى والسبعة افضل من الثمانية وهكذا . وكانت صفات الله الخير والجمال . اما عند نيوتن . فهى المهارة الرياضيه والبراعة الهندسية . فهو مهندس بارع . خلق الكون وتركه وشأنه اذ امر ادارته الى القوانين الطبيعية .

هذا فى الفلك اما فى الكيمياء فقد كان الرأى الشائع يذهب الى ان المادة اربعة انواع . التراب والهواء والماء والنار . ولكن ابحاث « دالتون » و« لافوازييه » هدمت هذا الرأى واثارت ثورة

بعيدة المدى فى الرأى العام . اما الافوازييه فقد قال بعدم فناء المادة . واما دالتون فقد بين ان المادة مكونة من عناصر عديدة تبلغ قرابة التسعين عنصرا . وان العناصر التى يتكون منها جسم الانسان هى نفس الناصر التى يتكون منها العالم . ولقد كانت هذه الآراء ضربة قاسية لغرور الانسان واحلامه فيها تبدد هذا العالم الجميل الذى يحيط به وتزعزع الأمل الذى كان يملأ قلبه . ولم يبق عليه الا ان يجيئه لابلاس وداورين معصفا باحلامه عصفا قاضيا . لقد كان الانسان الى هذه اللحظة رغم كل هذه الافكار الجديدة محتفظا بمركزه فى العالم كمخلوق ممتاز . وكان يعتقد اعتقادا لاشك فيه بهذه الآمية التى تقول : خلق الرب الاله الانسان من تراب الارض ونفخ فى منخريه نسمة الحياة وصار الانسان نسمة حية . ولكن داروين انزله من عليائه واخضعه للقوانين التى يخضع لها كل ماهو موجود ، وساواه بسائر المخلوقات . اما «لابلاس» فقد اضاف فكرة التطور والتغيير الى صورة العالم الفلكية فقد كان يظن ان الله خالق العالم كما يبدو لنا الا أنه لم يتغير ولم يتطور وسيظل هكذا الى يوم النشر ولكن لابلاس باكتشافه للسدم بين ان النظام الشمسى التابعه له كرتنا الارضيه انما هو جزء من نظام شمس اكبر وهكذا . وانها كلها اجزاء صغيرة انفصلت من سحابة غازية هائلة الحجم منذ ملايين السنين .

ولنتصور الآن انفسنا فى نهاية القرن التاسع عشر ولنتأمل ما جد على صورة العالم جملة : فماذا نرى

١ ـ لقد تبدلت صورة الكون فبعد ان كان مجموعة من الافلاك الكروية المتداخلة يقيم الله فى الفلك الخاص بهحيث الجمال والخلود ، اصبح فضاء واسعا يحتاج الضوء فيه لكى ينتقل من أحد اطرافه الى الطرف الآخر الى ١٤٥ مليون سنة . تملأه سدم هائلة الاحجام . فلم يبق فيه مكان خالد لايتغير يقضى فيه الانسان حياته الخالدة . وذهبت هذه الافكار العتيقة عن الشكل الكامل والخير والجمال .

٢ ـ اصبحنا نؤمن بقوانين عامة عمياء تسيطر على الكون بدلا من هذه الملائكة التى كانت مكلفة إدارته

٣ ـ تبخرت من عقولنا صورة الالهة الرحمة العادلة وحل محلها قانون قاس هو قانون تنازع البقاء وبقاء للاصلح ولم نعد نحلم فى عالم آخر ابدى . ولكننا لما وجدنا انفسنا فى حيرة من أمرنا اخترعنا

ايمانا جديدا يبرر استمرارنا فى الحياة وجهودنا التى نبذلها فيها ، هو الايمان بالانسانية .

٤ ـ اصبحنا نعتقد ان طريق المعرفة الوحيدة انما هو الحواس الانسانية الخمسة وحصرنا اهتمامنا بكل ماهو ملموس مشاهد خاضع للتجربة .

لقد رأينا الى الان الصورة التى انتهى اليها الخيال الانسانى عن العالم فى نهاية القرن التاسع عشر ولكن التغير الذى اصاب هذه الصورة خلال الاربعين السنة التى خلت يضارع الجهود الشاقة التى بذلها الانسان فى تعديل صورته عن العالم وتقريبها الى الحقيقة خلال الخمسة القرون الماضية . لقد عاب وليم بليك على الماديين ماديتهم الضيقة المحصورة واخذ يقول ويلح فى القول ان عظمة الله اكبر من ان تشملها حواس الانسان . وان فى الوجود من الاسرار ما تعجز العين عن رؤيتها والاذن عن سمعها والفكر عن تصورها ولكنه كان يصدر فى كلامه هذا عن صوفيه دينية وايمان اعمى ولكن ها نحن نرى العلوم الحديثة كالسيكلوجيا والبيولوجيا والفلك والطبيعة تميط اللثام عن هذه الاسرار التى انكرها القرن التاسع عشر وتفتح للانسان عالما من الاحتمالات الخطيرة فيبدو داروين فى هذه المرحلة الاخيرة كخاتمة للعهد القديم من كتاب الفكر الانسانى . ونجد رنتنجن وبيكيرل واينشتين وفرويد وغيرهم يفتتحون الفصل الاول من العهد الجديد . فقد كان العلم الى أواخر القرن التاسع عشر يعتبر المادة مكونة من ذرات دقيقة ساكنة مجردة من الحياة . ولكنها تبدو الان محملة بقوى هائلة فلو كبرنا ذرة من الذرات لوجدناها تشبه النظام الشمسى : نواة فى الوسط تدور حولها كهارب فى سرعة لاعهد للعقل بها كما تدور السيارات حول الشمس . ولكنها تخالف النظام الشمسى من حيث ان لبعض الذرات اكثر من نواة . وأن للكهارب قدرة خاصة على الانتقال من تلك النواة الى تلك فجأة وبلا زمن ما وانها « اى الذرات » قابلة للتغير . فذرة الايدروجين مثلا مكونة من نواة واحدة وكهرب واحد . فاذا سلط عليها تيار كهربائى موجب انطلق منها الكهرب واستحالت الى نواة مفردة . فاذا منع عنها التيار عاد اليها الكهرب ثانية

وثمة شيء آخر . فان الذرات المشعة كالراديوم التى تقذف اجزاء من نواتها يتغير نوعها وتصبح عنصرا جديدا . وبهذا يمكننا أن نحول أى عنصر من عناصر دالتون الى أى عنصر نريد . وليس هناك شك فى ان الصورة الجديدة للمادة تجعلنا ننظر الى الحياة نظرة تخالف نظرتنا السابقة اليها فى

القرن الماضى . اذ كنا نعتبر المادة مملكة الموت . وها نحن نراها الآن تزخر بحياة موفورة . حياة أخصب وأوفر من الحياة فى معناها العادى . وبدلا من أن نحتقر مادة الارض والكواكب اصبحنا نتساءل : أى حياة تضارع حياة ذرة من ذرات الرديوم ؟ أنحن لمعات من الحياة مسجونة فى عالم أصم ميت ؟ أوأننا أنهان فى كون موفور الحياة بعيد الاحتمالات لانستطيع لعجز وسائلنا أن نبلغ مداها .

هـذا ماحدث بالمادة . والثورة التى أحدثها اينشتين لاتقل عن الثورة التى أحدثها رونتنجن وبيكرل فى المادة . ولم يقتصر تأثير نظرية النسبية على الصورة الفلكية التى كانت شائعة الى نهاية القرن التاسع عشر فحسب ، بل تعدتها الى أمور لايكاد الانسان يرى صلة ما بينها كالاخلاق والفلسفة . فقد ظهر للانسان أنه لايستطيع أن يعرف كل شىء وأن معاييره الخلقية ومثله العليا ليست حقائق ثابتة وانما هى صور ذهنية نسبية . أما داروين فمع أننا لانزال نؤمن بنظرية التطور الا أننا بدأنا نشك فى الاسباب التى ساقها . فهناك ظواهر عدة فى الحياة تجعلنا نرتبك ، ونحار فى أمرنا فاذا التمسنا أسباب دروين لم نجد فيها ما يقنعنا . لانها ظواهر معقدة مركبة لايمكن أن نعزوها الى محض الصدفة أو الانتخاب الطبيعى . وأصبحنا نسائل أنفسنا لماذا انتهى التطور بالنوع الانسانى ولم ينته بنوع آخر . ومعنى هـذا اننا بدأنا نلمح خلال الكون ثورة مدبرة . لقد وجد الفلك عالمة فى اينشتين والسيكلوجيا عالمها فى فرويد . ولكن علم الحياة لايزال يفتقر الى عالمية المنشود ليفسر لنا أسرارا كثيرة

أما فرويد فقد حرر السيكلوجيا من أوهام كثيرة ومهد الطريق لحياة الى وأوفر ولم يقتصر أثره على السيكلوجيا فحسب بل تعداه الى نواح كثيرة من نواحى النشاط الانسانى . كالاقتصاد والاجتماع والسياسة والدين والاخلاق . فذهب بذلك بكثير من هـذه الاوهام التى تتعلق بالنقاء والزهو وما إليها من الرغبات الخادعة التى تبدو لنا فى أحلام الليل والنهار .

وقدم برجسون للانسانية ، بنظريته عن الزمن ، خلودا جديداً ونعيما طريفا . فقد يعيش انسان خمسين عاما يكتسب فيها من الخبرة والمعرفة والمتع واللذات مالا يستطيع أن يكتسبه انسان آخر فى أجيال طويلة . لان الزمن الحقيقى انما هو الزمن النفسى وليس الزمن الرياضى . فالخلود الحقيقى ليس فى الحياة الطويلة الرتيبة وانما هو فى الحياة الموفورة ، فى الحياة الواسعة الشاملة الحرة .

هذه هى رسالة العالم الحديث فى ايجاز ولـكنها لم تتمكن من نفوسنـا بعد . ان العالم الآن فى علاقاته الدوليةوحياته الاجتماعية يبدوفى صورة متناقضة شاذة . فنراه يستعمل وسائل القرن العشرين ولـكنه يقرب لحياة وينظر اليها بقلب تملأه اوهام الاجيال المـاضية . وان الساسة وولاة الامور ليحسنون صنعا لو انهم استشاروا فى كل عمل يقدمون عليه رجال الفلك والطبيعة والسكلوجيا والانتروبولوجيا والبيولوجيا . ويختم الاستاذ لأنجدون ديفيز كتابه بقوله : ان خير رسالةاداها العلم للانسانية انما هى استئصالةالخوف من قلب الانسان وبذره روح التسالح فى نفسه . فعسى أن نتعلم هذا الدرس ونجيد فهمه . لاننا اذا لم نقـابل الاراء الجديدة بنفس هادئة وتناقشهـا بصدر رحب فمعنى هذا اننا نقف بالانسانية ونؤخرها كثيرا عن غايتها .



ألمانيا الكبرى

بين يوم وليلة فوجىء العالم فى الشهر الماضى بالأمر الواقع وهو احتلال ألمانيا للنمسا . وبعد الاحتلال سمعنا قوقأة الدجاج فى باريس ولندن عن المعاهدات التى لاتحترم . كأن المعاهدات قد احترمت حين إغارت اليابان على منشوريا وحين أغارت إيطاليا على الحبشة وحين عادت اليابان فأغارت على الصين . ولو أن الدول التى هى أعضاء فى عصبة الأمم أصرت على احترام المعاهدات منذ اجتياح منشوريا لما وقعت كارثة الحبشة ولما عادت اليابان فتجرأت على مجزرة الصين الحاضرة . بل لما تجرأت ألمانيا على اجتياح النمسا

ومع ذلك يجب أن نقول أن أمة مثل ألمانيا لها قوة ولها كرامة هذه القوة لم يكن فى مستطاعها أن تبقى صامتة أكثر مما بقيت -- وهى تحس بعنفوان النهضة الهتلرية — على شقاء النمسويين . فقد كانت النمسا قبل الحرب الكبرى مركز الأمبراطورية التى تحتوى ٥١ مليوناً . فلما كانت سنة ١٩١٩ مزقت هذه الامبراطورية وتقلصت النمسا حتى صارت ستة ملايين ونصف مليون منها فينا وحدها العاصمة تزيد على مليونين

فها هو قطر عجيب تحتوى مدينة واحدة منه على ثلث سكانه . وقد احيط هذا القطر بسياج من الضرائب الجمركية توهم المتأمل لها أن الغاية الوحيدة منها إجاعة النمسويين . وقد جاعوا بالفعل . فان شوارع فينا تعج بصرخات الشقاء التى يراها السائر فى وجوه الرجال والنساء والفتيات والشبان

وهؤلاء السكان هم ألمان بالدم واللغة والثقافة . وقد رأوا النهضة الهتلرية فى ألمانيا فتفشت بينهم الدعاية للاشتراكية الوطنية . ولكن الحكومة النمسوية كانت منذ سنة ١٩١٩ تستجدى عطف الوزارات الأوربية وكانت تنال هذا العطف بشرط واحد هو ألا تتفق مع ألمانيا . ولذلك فى حين كان الشعب يطلب الانضمام إلى ألمانيا كان رجال الحكومة يكفونه ويطالبون الانفصال . حتى الاتفاق الجمركى بين الدولتين كان ممنوعا بسعى فرنسا . ولو كان فى النمسا أجانب من غير الألمان لكان هناك ما يبرر منع

الاتحاد بين الدولتين . ولكن غير الألمان فى النمسا لا يزيدون على إثنين فى المئة

وأعظم ما يبعث القلق فى اوربا من احتلال الألمان للنمسا هو خوف الدول المحيطة بألمانيا من مطالبتها بالأقاليم التى يعيش فيها الألمان . وأعظم هذه الدول خوفا هو تشكوسلوفاكيا التى يعيش فيها أكثر من ثلاثة ملايين من الألمان قد تفشت فيهم الدعاية الهتلرية . وأيضا هناك دول تخشى جوار



هتلر

ألمانيا . وأخص هذه الدول هو ايطاليا التى — على الرغم من الحب الزائف الذى تعلنه للالمان — كانت مطمئنة الى استقلال النمسا والى قيامها بينها وبين المانيا حاجزاً يمنع الاحتكاك بدولة قوية مرعبة

وقد ضمت النمسا إلى ألمانيا وتحقق حلم الزعيم هتلر . وسوف يزول عنها الشقاء الذى خيم عليها منذ ١٩١٩ لأن الألمان سيعممون أنظمتهم الفاشية التى تكفل للسكان طعامهم وشرابهم على الاقل وان كانت تنقص من حريتهم أو حرياتهم السياسية . وعن قريب سيجد العاطلون عملا يعيشون منه كما وجد ستة الملايين من العاطلين فى ألمانيا بفضل النظام الهتلرى

وليس شك فى أن حركة ألمانيا قد انتقصت من ضمان السلام العام . ولكن هذا السلام قد أصبح بعد غارات اليابان وإيطاليا وحوادث أسبانيا بلا أى ضمان وقد تزعزعت عصبة الامم وأصبحت فى حاجة كبرى إلى اعادة تنظيمها وتقويتها . وهى مع كل ماحدث لاتزال الأمل الوحيد للسلام . بل أن حوادث السنوات الست الماضية تجعل ضرورة هذه العصبة أعظم مما كانت قبل هذه الحوادث

والعبرة لنا نحن المصريين واضحة وهى أن المعاهدات قليلة القيمة . فيجب أن نقوى أنفسنا ونعد العدة للدفاع حتى نطمئن على مستقبلنا . فقد كان استقلال النمسا مضمونا تكفله عصبة الامم وتكفله فرنسا وبريطانيا وإيطاليا والمانيا بمعاهدات مختلفة فلم تجد هذه المعاهدات شيئاً . وصحيح أن احتلال الالمان للنمسا لم يخرق المعاهدات من ناحية الشكل إذ أن رئيس الوزارة النمسوية الجديد سايس إنكارت هو الذى طلب الجيش الالمانى . ولكن هذا التبرير الشكلى ليس له وزن كبير فى مثل هذا الحادث الخطير

وعبرة أخرى هى أن المعاهدات لاقيمة لها أيضاً إذا كانت تفرض فرضاً بحيث لاتجد مايبررها فى طبيعة الاشياء . فان انفصال الالمان من النمسويين على الرغم من وحدة اللغة والسلالة والثقافة هو نفصال يناقض طبيعة الاشياء والتاريخ

وبعد كل هذا الذى ذكرنا يجب ألاننسى أن هتلر نفسه نمسوى . وهو الذى يرضى بل يهىء الوسائل لاحتلال الالمان لوطنه الاصلى إذ يجد فى إنضمام النمسا الى المانيا توحيداً للقومية الالمانية



فى المرآة

الفتاة المصرية وزميلتها الاوربية

نحن الرجال قد اكتسبنا الكثير من الرقى عن طريق التقليد أو المحاكاة للرجل الاوربى . أخذنا عنه ملابسه الخفيفة وهى أسهل المظاهر للحضارة . ويجب ألا نحتقر المظاهر فانها تؤثر أثرها فى النفس فتعود ولها قوة تزيد على الطلاء الخارجى . ثم هى – أى هذه المظاهر – لسهولتها تعم أكبر عدد من السكان فيكون تأثيرها تأثير الاستفاضة والعموم. ولذلك يجب مثلا ألا نستصغر شأن الحركة التى تدعو إلى اتخاذ القبعة بين رجالنا كما اتخذتها نساؤنا وفتياتنا

ولكننا نحن الرجال قد اكتسبنا أيضا من الرجل الاوربى أو الغربى حضارته وثقافته وعلومه وآدابه ودستوره . وعمت أذهاننا أيديولوجية — أو عدة ذهنية — جديدة تجعلنا ننظر الى الرقى الاجتماعى أو الاقتصادى كأنه أشرف وأجدى مجهود يقوم به الفرد لوطنه فنحن الرجال من حيث النظر للدنيا وللأخلاق وللعيش عامة أقرب جدا الى الرجل الذى يعيش فى برلين أو لندن أو نيويورك مما نحن الى جدودنا قبل خمسين سنة . ونحن أسعد حالا وأوفر حرية وأسمى كرامة وأمتن أخلاقا باقترابنا من المثل الاعلى الذى تنشده أوربا مما كان جدودنا وهم يعيشون المعيشة الشرقيه الذليلة

وكذلك الحال فى المرأة المصرية . فان الفرق بين جدة من جداتنا كانت لا تخرج من منزلها الا وهى ملفقة بالملاءة أوالحبرة وبين لطفية النادى أو هدى شعراوى هو فرق رائع . وهو فرق يجب أن يحثنا على الاستزادة من الانتفاع بالايديولوجية الاوربية وتعميمها فى مصر بين الرجل والمرأة سواء

وهنا يجب أن نقف قليلا لكى نقرر أن كثيرا من المقاومة أو الكراهة للحضارة الاوربية أو التشنيع عليها أو الاحجام عن اتخاذ أساليبها انما يرجع الى ما يسميه السيكلوجيون «مركب نقص» فقد استقر فى عقلنا الباطن أننا ناقصون ازاء هؤلاء الاوربيين وانهم أرقى منا من جميع الوجوه . فعمدنا على سبيل الدفاع عن أنفسنا إلى تحقيرهم والابتعاد عنهم .

ومن هنا هذه النزعة التى نراها بين بعض المشايخ الى كراهة حتى الالفاظ الاوربية .وقد بلغت

الكراهة باحدهم أنه يريد أن نترجم لفظة « اكسيجين » وسائر الحدود الكماية والعلمية . وليس لهذه النزعة من سبب سوى الشعور بالنقص والضعف ازاء هذا السيل الجارف من الثقافة الاوربية . ولكن هذه الوسيلة هى وسيلة الهرب والاستكانة والانكفاف والتراجع . مع ان قليلا من الشجاعة يبين لنا أن طريق العقل أن نتخذ أساليب الاوربيين ونقبل عليهما بسرعة بل بعجلة وهرولة حتى لا يمضى وقت طويل قبل أن نكون مثلهم . و« مركب النقص » هذا نجده أيضا عندما نسمع الحملات على المرأة الاوربية من ناحية أخلاقها وما الى ذلك . وأغلب هؤلاء الحاملين عليها يجهلون الحياة الاوربية أو قصارى ما يعرفونه عنها بضع قصص قذرة . ولكنهم يغذون كرامتهم « الناقصة » بهذه الحملات .

ان فى المرأة الاوربية فضائل يمكن المصرية أن تتخذها عنها ولولا هذه الفضائل التى تمتاز بها المرأة الاوربية لما رأينا هذه الاخلاق الجديدة التى نرجو أن تتفشى فى مثل هدى شعراوى أو لطفية النادى أو سيزا نبراوى أو غيرهن ممن يعشن الآن المعيشة الاوربية وتسود عقولهن ايديولوجية غربية بل لما رأينا هذه المدارس والاندية التى تنشر النور والسعادة بين فتياتنا . ونحن الان فى طريق اتخاذ العادات الاوربية بل الحياة الاوربية عامة . ومن هذه الحياة ما هو حسن وما هو أحسن . بل منها ما هو قبيح يجب أن نتوقاه . ولكن يجب على كل حال أن نسرع فى اتخاذ الاحسن الانفع

ان أعظم ما تحتاج اليه الفتاة المصرية فى الوقت الحاضر هو الرياضة البدنية هذه الرياضة التى شاعت بين الفتيات والسيدات الاوربيات ؛ حتى فى مصر لا يكاد يخلو ميدان للعب من سيدة أو فتاة أوربية . فيجب أن تأخذ فتياتنا عنهن هذه العادة التى ترقى الجسم والذهن وتحسن القوام وتزيد الصحة والعمر . والمرأة أكثر حاجة من الرجل الى الرياضة البدنية . لأنها أقل سعيا منه للعيش وأقل حركة . وحياة القعود التى تعيشها فى المنزل تؤذيها فى صحتها مما ينجو منه الشاب أو الرجل لان عمله خارج البيت يقتضيه السعى والحركة . ولذلك يجب على كل فتاة أن تتخذ لونا من الرياضة يحرك أعضاءها وينشط دورتها الدموية . وليست فائدة الرياضة مقصورة على ذلك . فان كثيرا من الجمال أو الرشاقة يعزى الى ما نسميه «شخصية » هذه الشخصية التى تبدو لنا فى اسلوب الحياة . أسلوب المشى والكلام والتعاون والخدمة والمعاملة . والرياضة ترقى الشخصية من هذه الناحية لأنها تضطر القائم أو القائمة

بها الى ان تراعى قواعد مختلفة من الاستجابة السريعة وضبط النفس وروح الانصاف الى اللباقة وانتصاب القامة وقوة الملاحظة . وهذه كلها صفات الجمال والصحة . بل حسب الرياضة من فائدة انها تحول دون التضخم والترهل وهما من العيوب البارزة فى بعض سيداتنا . وهذا التضخم أو هذا الترهل لا ينقص الجمال والرشاقة فقط بل هو أيضا ينقص الصحة . وفى القاهرة عشرات من شركات التأمين ترفض جميعها تأمين السيدات السمينات لاعتقادها بانهن تحت خطر الموت أكثر من الفتيات النحيفات

فالرياضة البدنية هى أول ما يجب على المصرية أن تتخذه عن زميلتها الغربية ولكن كلامنا هنا عن التضخم يجب أن يجرنا الى شىء آخر كبير فى حياتنا نحن الرجال والنساء فى مصر . اعنى به المطبخ . والمسئول عن المطبخ أو الطعام من حيث عدد وجباته ومقاديرها وألوانها هو المرأة . ويمكن أن يقال على وجه الاجمال « كما تأكلون تكون صحتكم » وطعامنا الدسم هو السبب لكثير من همودنا وقلة نشاطنا . فاننا جميعا فى مصر مرضى بعد تناول الغداء تضطر الى النوم لكى يذهب عنها ثقل الطعام ولو كنا نأكل وجبة خفيفة كما يفعل الانجليز فى الغداء لما احتجنا الى النوم والانجليزى أو الفرنسى أو الامريكى لا ينام فى النهار لان طعامه خفيف لا يبعث على الخمول . وكل شىء قد تطور فى مصر : الحكومة والتعليم والقضاء والبناء والفنون والمدينة والمصنع الا المطبخ . فانه لا يزال كما كان قبل مائة سنة . ولا تزال أطعمتنا الدسمة السائلة التى لا تتفق وتناولها بالشوكة والسكين كما يفعل المتمدنون وكما تقضى النظافة . وما زالت أطعمتنا كثيرة التوابل كأن الغاية تسمين الآكلين . ثم هذا السمن الذى نخزنه فى بيوتنا فيجرىء الطباخ وهو فى متناول يده على ألا يصنع شيئا الا به . إننا فى حاجة الى أن ندرس الطبخ الاوربى والى ان تقتدى الفتاة أو السيدة المصرية بزميلتها الغربية فى طهى الطعام ـ الطعام الخفيف الذى لا ينيم آكله . الطعام الذى لا يخزن السمن من أجله فى البيوت . فاننا والهنود سواء فى اختزان السمن . ونحن وهم سواء فى الخمول عقب الغداء . ولكن فى الهند ومصر انجليزا وفرنسيين وألمانا وايطاليين لا يخزنون السمن فى بيوتهم ومع ذلك يعيشون أصح العيش وأيقظه

ان المصرية تكتسب شيئا كثيراً من الصحة والراحة والنشاط لنفسها ولأسرتها حين تأخذ عن زميلتها الغربية مبادىء الطبخ الغربى . فاننا ورثنا فن الطهى عن العادات التركية التى أخذناها

من ولاة الاتراك وموظفيهم . وهؤلاء كانوا يعيشون وادعين عيش السيادة والراحة . ولكننا نحتاج الى طعام يبعث النشاط للعمل والجهد .

لقد أخذت المصرية عن زميلتها الغربية الرغبة فى التعليم . وكثرت مدارس البنات بيننا وغزت فتياتنا كليات الجامعة . وهذا كله حسن ولكن التعليم النسائى عندنا يقصد منه اجمالا الى الثقافة . ومع أن هذا حسن أيضاً فان أحسن منه أن نقصد فيه كله أو معظمه الى درس صناعة أو فن يمكن الفتاة أن تعيش منه وتتكسب اذا شاءت . وليس فى الدنيا أحد ينكر أن البيت هو مكان المرأة الذى يجب أن تتجه نحوه جميع الجهود لتربيتها ولكن الفتاة التى تعرف فنا وأ تحذق صناعة هى خير على كل حال من الفتاة التى تجهلهما . وليس هذا فقط لان الاولى يمكنها أن تعيش حرة شريفة قادرة بعيدة عن مذلة السؤال اذا فقدت عائلها سواء اذا أكان أبا أم زوجا بل لأن المرأة التى تحذق صناعة تمتاز فى الحياة الزوجية أو حياة الامومة على غيرها التى تجهلها . فانها أعرف بالدنيا وبحاجات زوجها وأولادها لأنها مارست الكسب وأصبحت على دراية بالمعايش والضرورات الاقتصادية. والصناعة أو الفن يجعلانها أفهم للوطنية والحقوق المدنية والاقتصادية وأقدر على معاشرة الزوج الذى تستطيع أن تقدر ظروفه وصعوباته . وأقدر أيضا على تربية الاولاد لأنها تعرف هذه الدنيا التى سوف يواجهون عندما يكبرون . فيجب على فتياتنا أن يأخذن عن الفتاة الغربية هذا الاستعداد بدرس فن أو صناعة يمكنهن احترافهما اذا احتجن الى ذلك

ولكن الفتاة أو السيدة الاوربية تقوم بواجبات ومهام مدنية واجتماعية أخرى نعتقد نحن فى مصر انها يجب أن تكون مقصورة على الرجال . والواقع أن الفرق بين المرأة الشرقية ان الاولى قد استرجلت الى حد ما وغزت الميادين التى كانت وقفاً على الرجال . أما الشرقية فقد بالغت فى الابتعاد من أعمال الرجل واكدت انثويتها تأكيدا ضارا بالغت فيه كل المبالغة . وكل رقى نالته فتياتنا فى العشرين أو الثلاثين من السنين الماضية انما كان باتخاذها رويداً رويداً نظر الرجل ولون نشاطه فى التعليم والرياضة والاعمال العامة . ونحن لانكاد نفهم أن «قعيدة الدار» هى المثل الاعلى الذى ينشده الشرق ولا نرضى بهذا المثل فى عصرنا

ان المرأة الغربية زيادة على مشاركتها الرجل فى حقوق التصويت والترشيح للبرلمان والمجالس

المحلية النيابية الاخرى تقوم بنشاط تطوعى آخر هو العناية بالمؤسسات الخيرية . وانى أحض الفتاة المصرية كل الحض على أن نطالب بحق التصويت والانتخاب لا لمصلحتها وحدها ولا لأن هذا من حقها بل لأن دخولها فى الحياة المدنية الدستورية قد يطهرنا من أدران هـذه الحياة . وانى لا أكاد عقل كيف يجوز حرمان السيدة هدى شعراوى من حق التصويت أو الانتخاب فى حين يمنح هذان الحقان خادمها الذى يكنس أرض المؤسسات الخيرية التى انشأتها ولو كانت المرأة ممثلة فى برلماننا ولها صوت فى صحفنا السياسية لما فجر بعض هذه الصحف الفجور الذى رأيناه فى الايام الاخيرة

ان هذا الذى ذكرته هو قليل من كثير مما يمكن المصرية أن تقتبسه من الغربية . وفائدة الاقتباس لاتعود عليها وحدها وانما هى تشمل الأمة كلها .

القتال الماكينى

تستحيل الحرب رويدا رويدا الى ماكينات تحتاج الى مهندسين ومصانع ضخمة . فان كل دبابة صغيرة تحتاج الى ٤٨ مهندسا وصانعا ماهرا يعملون فى المصنع . وكل طائرة حربية تحتاج الى ستين صانعا وعاملا . ولم تعد قوة الجيوش قائمة على عدد الجنود وانما على عدد الدبابات والطائرات والمدافع والاجهزة التى تحفر الخنادق وتمد الاسلاك الشائكة . وعلى مقدار الغازات وقوة مافيها من سموم

المواد الكيماوية دليل العمر

تدل التحليلات الكيماوية على ان اجسام الشبان تحتوى عناصر البوتسيوم والمغنيزيوم والنتروجين والفصفور أكثر من اجسام الشيوخ . وهذه تحتوى من الكلسيوم والكلورين اكثر من اجسام الشبان

المصادر التى الهمتنى الكتابة

للاستاذ محمود تيمور

اذا نظر الكاتب نظرة سطحية إلى هذا السؤال : ماهى المصادر التى ألهمتك الكتابة ؟ أحس فيه على الفور شيئا من التوريط . فما كان أحرى بالجامعة الأمريكية أن تكشف الستار عن حقيقة غرضها وتقول للكاتب فى صراحة : حدثنا عن حياتك الأدبية ، وخبرنا عن رأيك فى نفسك ! اذ أن الكاتب وهو يتكلم عن المصادر التى الهمته ، لايتكلم فى الحقيقة إلا عن نفسه ، والتحدث عن النفس شىء يثير فى الانسان الامتعاض والتهيب ، ومن ثم كانت الصعوبة . ولكننا لو نظرنا الى السؤال نظرة عميقة . وجدنا الاجابة سهلة ميسورة ، اذ بينما يدعى الكاتب أنه أقل الناس تحدثا عن نفسه نراه فى الحقيقة اكثرهم ثرثرة وافشاء لادق أسراره ، فكل مايخطه قلمه ، صحائف ناصعة ، يترجم فيها عن احساساته ورغائبه وميوله ودفائن نفسه . والفرق الوحيد بين الحالتين ، أن الكاتب فى الحالة العادية يكتب عن نفسه وهو لا يدرى أنه يكتب عنها ، أما فى هذه الحالة ، أى باجابته عن السؤال فهو يكتب وهو عالم أنه يكتب عن نفسه . فهو بحكم هذه الحالة الواعية سيجد المجال متسعا أمامه للتضليل إذ أحب أن يضلل . أو بمعنى أشرف من ذلك ، إنه سيجد نفسه مضطرا لأن يكتب داخل حدود معينة ، يرسمها لنفسه . ومع كل ، فانى أرى من الشجاعة أن يتقدم الكاتب منا ويكشف الستار عن حقيقة نفسه بنفسه ، خيرا من أن يدع ذلك للغريب ، و « بيدى لا بيد عمرو » !

والآن نريد ان نحدد معنى « المصادر التى تلهم الكاتب » إنها فى الواقع لا تتعدى ثلاثة أمور أساسيه . وراثته ، وبيئته ، وحوادث خاصة تصادفه فتحول مجرى حياته من طريق إلى طريق . وإنى أرى أن هذه الحوادث من العوامل فى إظهار الاديب أو إضعافه وإماتته . فقديرث الانسان مؤهلات النبوغ ، ثم تساعده البيئة على إنماء هذه المؤهلات ، وبعدئذ تقع له حادثة مهمة فى حياته تضطره إلى سلوك طريق غير الطريق الذى يسير فيه . ومن ثم تبدأ مواهبه فى الفتور ، ثم النوم العميق على ممر

الأيام . واذا أردنا التوسع فى التفسير ، قلنا : إن هذه الامور الثلاثة تشمل مواهب الكاتب أى ملكاته التى خلقت معه ، وهى اتى نالها من طريق الوراثة ، وليس له فضل فى وجودها . ثم مختلف المؤثرات والحوادث التى تأثر بها فى أطوار حياته ، فأنمت هذه المواهب أو أضعفتها ، وكيف وجهتها فى الطريق التى سارت فيها .

عند ما التفت خلفى متطلعا إلى ماضى حياتى أرى أربعة عوامل أساسية قد عملت فى تكوينى كاتبـــا :

الأول والدى ، والثانى شقيقى المرحوم محمد تيمور ، والثالث حوادث خاصة كان لها تأثير فى تحويل مجرى حياتى ، وأخيرا مطالعاتى .

فوالدى أورثنى حب الأدب . وحببنى فى المطالعة والتأليف ، وأخى هذب ذلك الحب وأذكاه وحوادث حياتى ثم مطالعاتى ، هى التى وجهتنى تلك الوجهة التى اتجها الآن فى حياتى الأدبية .

ولدت فى درب سعادة ، وقضيت طفولتى فى منزل يشبه القلعة المهدمة ، ونشأت وأنا أرى لوالدى خزانة كتب قد خصها بكامل عنايته ، و لم يبخل عليها ، لابوقته ولا بماله . فكنت أنمو وهى تنمو معى ، فتآلفنا وتحابينا ، ومن ثم تولد عندى الغرام بالكتب ، فبدأت أجمع ما تيسر لى جمعه منها . وخطر لوالدى أن يحفظنا « أنا وأخوى » معلقة « امرىء القيس » ، وكانت مهمة شاقة عليه وعلينا ، فقد كنا فى سن لانستطيع فيها فهم حرف واحد منها ، واستطعنا بعد أشهر استظهارها جيدا . وعلم أستاذ اللغة العربية فى المدرسة أننى أحفظ المعلقة ، فطلب منى أن أصعد إلى المنصة ، وأنشدها أمام إخوانى التلاميذ ، فأنشدتها ، وسر الأستاذ ومنحنى درجة كاملة ، ولم أعد ألوم والدى على عمله معنا .

ولما توفيت والدتى ، ثم جدتى لأبى ، عز على والدى البقاء فى منزل « درب سعادة » . وكانت صحته قد اعتلت ، فنصح له الأطباء بتبديل ذلك الوكر الرطب ، واختيار مسكن خلوى جاف ، فانتقلنا إلى « عين شمس » . هناك قضيت أطيب أيام صباى . كان منزلنا الجديد ريفيا صميما ، يتوسط خمسة أفدنة مقسمة إلى حدائق ومزارع اعتنى والدى برسمها وزرعها فى ذوق حسن . فكنت أمرح وألعب مع أخوى فى هذا المكان الفسيح وفق هوانا . وكانت حياتنا فى هذه الفترة أقرب

لى حياة السذاجة الريفية ، فقد كان المنزل صغيرا مبنيا بالطوب الأخضر ، وأثاثه بسيطا . وكانت لنا خيول نجوب بها صحراء كفر جاموس وغيطان المطرية .

وكان دارنا مهبطا لكثير من علماء العصر وفضلائه ، أذكر منهم ، الشيخ محمد عبده ، والشيخ الشنقيطى الكبير ، وهما من الأساتذة الذين تلقى والدى العلم عليهم .

أما الشيخ عبده ، فكثيرا ماركب معنا القطار من «عين شمس» إلى القاهرة . ومازالت صورته ماثلة أمام عينى ، بوجهه الصبوح ، ولحيته الجميلة ، وجلسته التى ينبعث منها الوقار والجلال ، فكنت أصغى إلى حديثه المتزن إصغاء مسحور .

وأما الشنقيطى الكبير ، فقد صحبت مرة والدى إلى منزله ، ولعلها مرات ، ولن أنسى فى حياتى ذلك المنظر العجيب الذى شاهدته هناك ، شيخ أسمر هزيل ، يتكلم العربية الفصيحة بلهجة مغربية ، يجلس متربعا ، فى وسط حجرة تكاد تكون عارية من الاثاث ، اللهم إلا حصير وبعض وسائد منثورة هنا وهنالك ، وخلفه أكوام متراصة من الكتب كأنها تلال ، وبجواره مبصقة لايستغنى عنها . ومن عجيب أمره أنه إذا ذكر اسم كتاب وأراد أن يريه لزائره ، تحرك فى مقعده حركة ، ثم مد ذراعه فاذا بالكتاب فى يده . ولن أغفل فى هذا المقام عن ذكر عمتى « السيدة عائشه التيموريه » الشاعرة ، فقد أدركتها فى أخريات حياتها وإنى لأذكر كيف كانوا يدخلوننا إليها فى حجرتها الخاصة حيث تقضى شيخوختها ، كانت تحتفل بنا وتغمرنا بعطفها وحنانها . انى لأتخيلها الآن وهى جالسة على مقعدها الفسيح يحف بها الوقار ، فتتمثل لى صورة الملكة فكتوريا وهى متربعة على عرشها . وكانت فى ذلك الوقت بدينة مترهلة فى بدانتها ، لاتترك مقعدها الا نادراً تحيط بها مجموعة من القطط ، معظمها قد تخطى عهد الشباب ، ودخل فى سن الكهولة ، لكل منها وسادة تجلس عليها . ولما اشتد عودى ، واستطعت أن أتذوق الشعر وأفهمه ، قرأت الكثير من شعرها . وحفظت مرثيتها الشهيرة لابنتها ، وكان اعجابى بشعرها كبيرا .

كان والدى يأخذنا كثيرا الى الريف فنمضى فيه اجازة الصيف . وكنت أحب حياة الريف كثيرا ، أقضى الوقت مع الفلاحين ، وأحضر مجتمعاتهم ، وأستمع الى أحاديثهم وأطرب لأغانيهم وألعب الكرة فى أجرانهم . وعرفت هناك فيمن عرفت شخصية فذة أعجبت بها ، هى شخصية

«الشيخ جمعه» خفير جرن الاوسية

وأذكر أن أول عمل أدبي باشرته هو انشائي بمعونة شقيقي «محمد» صحيفة خاصة كنا نطبعها على « البالوظة » وننشر فيها أخبار المنزل والاصدقاء ، وكان لنا مسرح بيتي نقيمه من وقت لآخر في أحد أبهاء البيت لنمثل عليه مسرحيات ساذجة من تأليفنا ، كنا نضعها على غرار مسرحيات « سلامه حجازى ». وزكا ميلي للمطالعة ، فأقبلت على الروايات أشبع منها رغبتي ، ومعظمها مترجم مما لم يكن له قيمة فنية ، وأهدى الى والدى مجلدا ضخما من «ألف ليلة» أصدرته مكتبة الهلال مهذبا في طبعة أنيقة ، وبه صور لطيفة ، فتعلقت به ، وطالعته بأكمله ، وكنت أجمع من يرغب في الاستماع من أهل المنزل ، وأعيد عليهم تلاوة ما قرأت ؛ ولعل السر في شغفي بألف ليلة في ذلك العهد مشابهتها « للحواديت » التي عشنا في جوها ردحا من أيام الطفولة والصبا ، فكأنها أعادت الانسان الى سذاجته الاولى ، وكل منا يشعر بحنين عظيم الى عهد السذاجة الاولى ، ولكن الذى كان يعجبنا من الف ليلة ، ليس فقط مشابهتها «للحواديت» بل اتساع أفق الخيال فيها ، وخلابة حوادثها ، كل ذلك في جو شرقي ساحر ، يمت الينا بصلة كبيرة ، جو طالما تمنينا أن نعيش فيه ، فنشعر أننا نغامر مع أبطاله ، نرتفع مع الرخ الى السماء العليا ، ثم نهبط الى وادى الثعابين ، فمغارة الموتى ، فمدينة النحاس ، ثم نعود الى الاهل والأحباب ونحن غارقون في لجة من الذهب .

وألف ليلة هو واحد من كتب قليلة تكون التراث الضئيل لثقافتنا القصصية . وهذا التراث هو الذى يساعد القاص منا على انماء موهبة التخيل فيه . والخيال هو العامل الاساسى في التأليف القصصى ، وبدونه يكون القاص عاطلا من الخلق والابتكار . فتأتى أعماله سطحيه عادية لافرق بينها وبين تدوين الحوادث الجارية . والحق أن « ألف ليلة » مفخرة القصة في الادب العربي -- وان كان أصله ليس عربياً — فقد جاءنا عن طريق الفرس ، وهذا يفسر لنا قوة الخيال فيه ؛ ثم تناولته بعض الاقلام في الممالك العربية بالزيادة والتحوير . فالعربى الاصيل لم يترك لنا تراثا يعتد به في القصة وان كان قد ضرب بسهم وافر في أركان الأدب الأخرى كالشعر والخطابة والترسل ؛ فقد كانت فطرته البدوية ، وحياته في بقاع جرداء مستوية قلت فيها ألوان الطبيعة ، وقناعته بالضئيل من اسباب العيش — من العوامل التي أبعدته من إذكاء خياله وإطلاقه في تناول مظاهر الحياة وخوافيها .

وكان العصر الذى نعيش فيه فى ذلك الوقت قد تسلطت عليه النزعة المحافظة ، فكان الكاتب يرجع غالبا فى كل ما يكتب إلى السلف الصالح ، يستعير أساليبهم فى الكتابة ، وتفكيرهم فى التعبير وكان الكلام فى الخلافة الاسلامية يملأ أدمغتنا ، فكنا نرضى عن طيب خاطر بتبعيتنا لدار الخلافة ، ولانفكر فى تأليف وحدة وطنية لنا .

وإذا فكرنا فى الوطنية كانت وطنيتنا إحياء للامبراطورية العربية القديمة . فى ذلك الجو عشنا ردحا من الزمن ، ونحن لانهتدى فى طريقنا إلا بهدى الماضى ، ولكننا أخذنا نسمع على اثر اتساع البعثات إلى العالم الأوربى ، وازدياد أسباب الاتصال بيننا وبين البلاد الأجنبية ، — نغمة جديدة كانت تدعو إلى التجديد فى اللغة والأدب والاجتماع والسياسة والدين ، ولكنها قوبلت من كثير منا بالاستنكار ، وكان زعماء هذه النهضة « سعد زغلول » و « محمد عبده » وقاسم أمين ثم « لطفى السيد » وتلاميذه فيما بعد . فقد نبه سعد الأذهان إلى الوطنية المصرية ، وحددها تحديدا أخرجها عن زخرف الخلافة التركية ، واوهام الامبراطورية العربية . وأزال « محمد عبده » عن الدين الخزعبلات التى كانت عالقة به ، فرده إلى حقيقته . واقتحم « قاسم أمين » ميدان المرأة ، وأخذ يمزق النقاب عن وجهها ، ويخرجها من قاعات ألف ليلة حيث يعبق البخور إلى ميدان النور والحياة والعمل .

ولما تهذب ذوقى فى المطالعة أقبلت بشغف على قراءة « المنفلوطى » فقد كانت نزعته الرومانتيكية الحلوة تملك على مشاعرى ، وأسلوبه الجلى يسحرنى . وكل انسان فى أوج شبابه تطغى عليه نزعة الرومانتيكية والموسيقى ، فيصبح شاعراً ، ولو بغير قافية ، وقد يكون أيضا شاعراً بلا لسان .

ولما كان شقيقى الاكبر « اسماعيل » بحكم مركزه فى الاسرة قد اضطلع بالزعامة فى المنزل ، وأخذ على عاتقه القيام بما تفرضه هذه الزعامة من اتجاه الى العمليات والمحافظة على التقاليد العائلية وما يتبعها من رسميات — وجدت الفرصة سانحة للتخلف فى ذلك الميدان واستطعت أن أتحكم فى أوقات فراغى الى حد كبير ، أصرفها وفق ميولى — بعيدا عن الحياة العملية ومظاهر الرسميات ، فأشبعت ميلى الى المطالعة .

وكان نصيب الشعر كثيرا فى مطالعاتى هذه ، الشعر بنوعيه العربى والافرنجى ، وخاصة شعر

المعاصرين ، وكنت أفضل فيه غالبا ما كان خياليا مغرقا فى الخيال . وكانت المدرسة الامريكية التى أنشأها اخواننا اللبنانيون والسوريون فى المهجر قد بسطت نفوذها على الادب المصرى ، فأخذت بها ، وشغفت شغفا كبيرا بزعيمها « جبران » ، ذلك الشاعر الرمزى المغرق فى الرمزية . وكانت «الاجنحة المتكسرة» أول كتاب حظى منى بأوفر حب وتقدير ، فتأثرت به أولى كتاباتى وجلها من الشعر المنثور ذى النزعة الرومانتيكية . وكان لجبران وجماعته مجلة تدعى «الفنون» قرأنا فيها حقا لونا جديدا من الادب ، الادب الذى يحاول أن يخرج عن نطاق التقليد فى الفكرة والقالب . هذا الادب كان يستمد وحيه من الغرب . وقد استحدث فعلا ، أسلوبا غريبا خرج فيه عن بعض قواعد اللغة ، ونهج منهجا إفرنجيا ، فاستعذبناه لجدته وغرابته ، ولاجدال فى أن ذلك الادب — على مافيه من شذوذ — كان يحوى عنصر التجديد ، فلا يمكننا إنكار فضله ، فهو دم جديد لقح أدبنا المحافظ ، فنشط ودبت فيه حياة جديدة . وكان للقصة نصيب كبير فى هذا الادب « المتأمرك » والقصة حتى ذلك العهد بضاعة تكاد تكون غريبة عنا ، فتأثير هذه المدرسة فى هذه الناحية من أدبنا ظاهر ملموس . وأخذ نفوذ هذه المدرسة يتضاءل على مر الاعوام ، إذ كثرت البعوث المصرية إلى أوربا . فلما عاد أفرادها إلى مصر أخذوا يبشرون بمبادىء جديدة فى كل فرع من فروع حياتنا ، ومنها الادب ، فكانت بداية نهضة جديدة — نهضة لها خطرها . وكنا على أبواب الحرب ، وعاد شقيقى « محمد » من أوربا محملا بشتى الآراء الجريئة . كان يتحدث بها إلى ، فأقابلها فى شىء كبير من الحذر ، وفى شىء كبير من الاعجاب أيضا . هذه الآراء كانت لها نزعة ثورية قوامها الكفر بالقديم ، ولكن حدتها أخذت تهدأ على توالى الايام ، ومن ثم اتخذت طريقها الطبيعى فى التطور . والامر الذى كان يشغل فكره ، ويرغب فى تحقيقه ، هو العمل على إقامة أدب مصرى مبتكر يستوحى وحيه من صميم نفوسنا ، وصميم بيئتنا .

ويصح هنا أن أذكر حادثا مهما أعتقد أنه فصل فى حياتى الادبية بأن حول مجرى هذه الحياة لى وجهة معينة : — أصبت بمرض التيفوئيد — وكنت إذ ذاك فى العشرين من عمرى — وكانت وطأة المرض شديدة على ، فلزمت الفراش ثلاثة أشهر ، قضيتها فى تفكير وأحلام . واستطعت أن أهضم الكثير من الآراء التى أخذتها عن طريق الكتب ، أو تلقيتها من أخى ، فلما أبللت من

مرضى ، وأردت استئناف دراستى العالية ، التى كنت فعلا قد بدأتها ، — حال ضعف صحتى دون ذلك ، فعشت بعض الوقت متعطلا ، وأطلقت لنفسى الحرية بعض الشىء ، فخرجت عن الكثير مما كان يقيدنى من تحفظ عائلى ، وشعرت بازدياد ميلى للأدب ، فخصصت له دراسة تكاد تكون نظامية ، فكأنى قد أردت بهذا العمل استكمال النقص الذى لحقنى فى دراستى العليا . فمما لا ريب فيه أن حادث المرض كان بداية طور جديد فى حياتى الادبية . نقلنى من دور التردد إلى دور اليقين . ومن دور الهوادة فى التحصيل إلى دور الاغراق فيه ، وما إن انتهيت من ذلك حتى وجدت شقيقى يقتحم المسرح ، اذ كان ميدانه الأكبر — فألف فيه بالعامية ، وعالج موضوعات مقتطفة من حياتنا المصرية فى فن جديد ، امتاز بوصف شائق . وتحليل عميق، وأسلوب رشيق ، وكتب فى القصة ، فأبدع طريقة تكاد تكون غير معروفة فى أدبنا فى ذلك الوقت .

ونظم الشعر فترجم فيه عن وجدانه الرقيق ، وألف فى النقد المسرحى فاستحدث لونا جديداً مرحا فيه هزل وفيه جد . وبالاختصار كان أدب « محمد تيمور » أدبا مبتكرا قوامه الحياة المصرية ، والتفس المصرية . هذا بينما كان والدى « أحمد تيمور » يعمل ويؤلف فى ميدان آخر — ميدان اللغة والتاريخ والادب القديم . لا يبرح خزانته إلا لماما . يعيش فى جو المعجمات وحوادث العهد الغابر ، وقد يقضى الساعات الطوال بل الأيام فى البحث عن لفظ أو تحقيق خبر .

فى ذلك الوقت كنت أستهدى فى مطالعاتى بهدى شقيق ، فنصحنى فيما نصحنى به أن أطالع « حديث عيسى بن هشام » للمويلحى ، ورواية « زينب » للدكتور هيكل ، فرأيت فيهما لونا يختلف عن اللون الرمزى والرومانتيكى الذى كنت غارقا فيه ، لونا واقعيا يهبط بالقارىء من سماء الخيال العليا — حيث يعيش الناس كالملائكة فوق الضباب — إلى الارض التى نحيا عليها حيث نرى حيث نرى الناس بشرا مثلنا على حقيقتهم التى خلقوا عليها .

وحديث « عيسى بن هشام » يعد فى نظرى المرحلة الثانية للقصة فى الأدب العربى بعد ألف ليلة ، فقد نحا فيه مؤلفه منحى عصريا ، فخياله واسع ، وسرده ممتع ، لا تخلو شخصياته من احكام فى الوضع ، وهو ان كان قد تقيد بعض التقيد بالمقامات فى الاسلوب والتأليف ، فقد امتاز بانه أول محاولة ناجحة لتمصير الادب ، وصبغه باللون المحلى الفاقع ، مع سموه عن الواقعية المادية .

أما رواية «زينب» فهى كما أرى تعد أول عمل أدبى فى القصة المصرية، يتضمن العناصر الاساسية للقصة الحديثة كما نعرفها اليوم. وامتدح لى شقيقى كثيراً «موبسان» الكاتب الاقصوصى الفرنسى، فبدأت أطالعه وما كدت أقرأ مجموعة له حتى فتنت به، وتابعت قراءتى له فى شغف كبير. واتسعت مطالعاتى فيما بعد فى القصص الاوربى وتشعبت، ولكننى للآن مازلت محتفظا «لموبسان» بالمكان الاول فى نفسى، فهو عندى زعيم الاقصوصة الاكبر. وفن «موبسان» فى نظرى، فن كامل توافرت فيه كل الشروط اللازمة لبناء قصة قوية، من حيث عرض الموضوع، ومعالجته، وتحليل شخصياته، وتسلسل الحوادث، وخواتمها، كل ذلك فى وضوح واتزان، ولا أذكر انى قرأت له قطعة لم تهزنى.

ثم انتقلت بعد ذلك الى القصص الروسى، وقرأت «لتشيخوف» و «تورجنيف» ومن ماثلهما فرأيت تأثير «موبسان» واضحا فى بعض أعمالهم. ويمتاز القصص الروسى بعنصرى الصدق والبساطة فما القصة الروسية غير قطعة منتزعة من نفس صاحبها ومن مشاهداته، يعرضها فى غير كلفة ولا تنميق وقد يقرأ الانسان أقصوصة من هذه الاقاصيص، فلا يرى فيها موضوعاً تاماً له بدايته ونهايته، بل يرى صفحة ساذجة من الحياة. ولكن خلف هذه السذاجة الظاهرية، تتراءى صفحات من صميم المآسى البشرية، لذلك نرى أن قوة القصة ليست فى حوادثها الثائرة المفجعة، ولا فى مشوقاتها المفتعلة التى يتعمد القاص الضعيف أن يأتى بها ليستر ضعفه خلفها، بل ان قوتها الحقيقية فى بساطتها وصدقها، واستقرارها فى قالب فنى رفيع.

وكانت الحرب قد انتهت وبانتهائها ثارت فينا نزعة القومية، وأدركنا صلاح المبادىء التى نادى بها «سعد زغلول» وصحابه. واتسعت دائرته «المصرية» فطغت على كل شىء فى حياتنا، السياسية والاقتصادية والادبية.

أما من ناحية السياسة فقد رأينا كيف أن الدولة العثمانية التى كنا ننظر اليها كزعيمة منقذة قد بدأت تنهار ويتكشف لنا ضعفها، فعادت الينا الثقة بنفوسنا. ورأينا من «مبادىء ولسن» الاربعة عشر ما يحقق لنا حياة مستقلة سعيدة لاتبعية فيها ولاخضوع، فاعتزمنا أن نعمل لهذا الاستقلال معتمدين فى ذلك على أنفسنا وحدنا. وأما من ناحية الاقتصاد، فقد دفعتنا الحاجة الى سد الثغرة التى أوجدتها الحرب فى ارداتنا الاجنبية، فنشطت بعض الصناعات الوطنية وازدهرت، وبدأنا

نحس بلذة الفوز فى ذلك المضمار ، فطالبنا بالمزيد ، وقد تأكد لنا أن فى مقدورنا السيطرة على صناعاتنا إذا توافرت فيها الجهود الصادقه ، ومن ثم تأسس بنك مصر ، وبدأت شركاته تولد ويشتد عودها. أما من الناحية الاجتماعية فقد شاهدنا كيف أن الحرب فى أوربا قد قلبت الاوضاع والنظم ، وأنشأت أوضاعا ونظما جديدة ، فرضتها بطريقة سريعة لاتقبل نقضا ولا إبراما . فلحقنا منها الشىء الكثير ورأينا أن الانقلاب الذى كان يقدر له « قاسم أمين » عشرات السنين ، يتم فى أعوام لاتتجاوز عدد أصابع اليد .

أما الأدب فقد اصطبغ باللون المحلى الصارخ ، حتى أغانينا الشعبية غلبت عليها الصبغة المحلية ، ورأينا أنفسنا نتجه نحو الواقع ، فأصبحنا عمليين بعد أن كنا شعراء خياليين . وشاع المسرح المحلى وخاصة الهزلى منه ، وانتشر الاقتباس وبدأ الابتكار بينهما تضاءلت الترجمة . فى هذا الجو كتب « محمد تيمور » أقاصيصه « ماتراه العيون » وقد نحا فيها نحو المذهب الواقعى ، وصور فيها مناظر مختلفة من بيئتنا المصرية وأشخاصها ، صاغها أقاصيص جمعت بين فن مبتكر وأسلوب رشيق سهل فأعجبت بها إعجابا دعانى لأن أؤلف على غرارها ، فكتبت قطعتى الأولى القصصية « الشيخ جمعه » وهى قطعة وصفية عن خفير من خفراء الضياع ، ثم أردفتها بأقصوصة تسمى « يحفظ بالبوسطة » . وكنت قد أهملت الشعر المنثور ، فاندفعت أكتب متتبعا فى كتابتى المذهب الواقعى ، وذلك تحت تأثير ذلك الجو الجديد الذى تعيش فيه ، وما كنت أقرؤه من قصص على هذا المذهب . وكنت لا أحفل بالأسلوب احتفالى بتصوير الواقع .

وفجعنى القدر فى ذلك الوقت بوفاة « شقيقى محمد » وهو فى ميعة صباه ، وشرخ شبابه ، وتألق أمانيه ، وشعرت بعد موته بانهيار أمله الكبير فى اقامة أدب مصرى جديد ، كثيرا ماكان يحدثنى عنه فى حماسة ويقين . وداهمنى اليأس ورأيت نفسى أضعف من أن أقوم بما كان يبشر به ، فخلدت إلى السكينة وقد توقعت الفشل : . وانقضت الأيام وبدأت عجلة الحياة القاسية تسير فى طريقها لايعنيها من أمور العالم إلا استكمال دورتها ، فأخذت الجروح تندمل ، وان كانت الذكرى باقية بقاء الروح فى الجسد .

ورأيت نفسى قد نشطت للعمل ، واستمعت من ضعفى قوة تقدمت بها فى ميدان التأليف، وقد

أخذت أنفض عنى اليأس ، وأقصى شبح الفشل ، معتمدا على نفسى مهتديا بهدى شقيقى الراحل . فكنت أعمل وكأنى مندفع بدافع من « واعيتى الباطنة » الى استكمال ما كانت تصبو نفس شقيقى الى اتيانه لو أتيحت لها الحياة . وكنت أحس أننى بهذا العمل أرضى روح شقيقى وأقريها واجب التحية والاجلال .

وما أن أقبل عام ١٩٣٥ ميلادية حتى رأيت أنه تجمع عندى مادة من القصص يصح إظهارها فى كتاب . فطبعت « الشيخ جمعه وقصص أخرى » ثم أردفته بغيره .

ولما هدأت نزعة المصرية الحادة بألوانها المحلية الصارخة ، واستقرت الأمور فى طريقها الطبيعى بدأت أنظر إلى الأدب نظرة أوسع وأعمق

وسافرت فى ذلك الحين إلى اوربا ، ومكثت بها أكثر من عامين، قضيت معظمها فى سويسرا فتفرغت للقراء ، واتصلت بالأدب الأوربى الحديث اتصالا مباشرا . وطالعتنى فى أثناء إقامتى هناك مرئيات ومشاهدات هزت نفسى .. وتغلغلت فى صميم قلبى . . كما أن خبرتى بالحياة . . ومعرفتى لها قد اتسعت وتنوعت . فكان لهذه الحياة الجديدة التى عشتها هناك أثر لاينكر فى تطور تفكيرى ورأيت على ضوء مطالعاتى الجديدة وفهمى لنظريات الأدب العالمى أن اللون المحلى ليس كل شىء بل هو بعض الشىء . . وما الأدب الكبير الا أن يوجه الانسان شطره نحو النفس البشرية . فحولت اتجاهى نحو هذا السبيل محاولا السير فيه مااستطعت الى ذلك سبيلا . وانى الآن أعتقد أن الاديب يجب ألا يقيد نفسه فى التأليف بمذهب يتمذهب به . . فالأدب ميدان فسيح . . على الكاتب أن يمرح فيه بحرية . . فيطلق روحه على سجيتها . . فما المذاهب الأدبية إلا من صنع النقاد لا من صنع الأدباء . . وضعوها لينظموا بها فهم . ويخضعوه لقوانين منطقية .

ولا أستطيع أن أختم هذه العجالة قبل أن أتحدث عن أمر أضعه فى مقدمة الامور التى أثرت وما زالت تؤثر فى مجرى حياتى . . وأعنى به صحتى . . فقد تألبت على الأمراض منذ الطفولة . وأذكر بالخير طبيبى الاول . فقد كان يجمع بين الطب والطيبة . أى بين العلم والصداقة . فلم يكن يداوى . الجسم فحسب . . بل يداوى معه النفس . هذا طبيب الطفولة . رجل نحيف بطربوش أفطس ووجه اسمر أعجف . ويخيل الى أنه ذو لحية . ولا أدرى لماذا يخطر ببالى كلما شاهدت صورة « دون كيشوت » هذا الطبيب أو بالاخرى هذا الصديق . كان يحضر لزيارتنا ويمكث معنا

الساعات الطوال، يجرعنا الدواء ويتجرعه معنا ، وهو يروى لنا القصص والنوادر منذ الصغر . والعلل تتردد على الفتها الان ، وأصبحت غير غريبة عني . منذ سنين طويلة وأنا فى رقابة الطب فى المأكل والمشرب والعمل والنوم ، سن لى هذا الجبار قوانين لا أستطيع الخروج عليها ، فأنا اعيش من مرضى فى قفص ، انظر الى الاصحاء من الناس يستمتعون بحريتهم كاملة ، فأغبطهم وتنالني حسرة اليمة

وهكذا كنت أحس فى أعماق نفسى بنقص يحجزنى عن الاستمتاع بما ينعم به غيرى ، هذا النقص دفعنى وما زال يدفعنى الى ان استكمل فى الخيال ما عجزت عن إتيانه فى الواقع . ومع ضعف صحتى ، وما نالني من مرض أجد نفسى قد تخطيت الاربعين وما زلت حيا أسعى ، فأعجب لذلك وأقول « لسه لك عمر »

بهذا أختم حديثى والسلام عليكم ورحمة الله ؟

السيد عمر مكرم

شخصية مصرية عظيمة فى عصر محمد على

انى أنصح لجميع القراء الذين تهمهم الكرامة المصرية والروح الديمقراطية أن يقرأوا سيرة هذا الرجل . وقد وضع هذه السيرة الاستاذ محمد فريد ابو حديد فى كتاب يمتاز بجمال الاسلوب وترتيب الحوادث وابراز المغزى . فان المؤلف ليس أديبا فحسب ولا مؤرخا فقط وانما هو أديب ومؤرخ ووطنى . وقد خرجت من قراءته بشعور هو المزيج من الكبرياء ومن الاسف

فأما الكبرياء فلأن هذا الرجل المصرى الذى عاصر نابليون ومحمد على كان مصريا كريما يدعو الى سلطان الشعب ويؤمن بكرامته وحقه . أما الاسف فلان استبداد محمد على قد حال دون الرقى الذى نشده هذا المصرى العظيم

وقبل ان نشرع فى تلخيص سيرة هذا العظيم يجب ان نلقى نظرة عاجلة على بلادنا فى القرن الثامن عشر . فمنذ سنة ١٥١٧ كانت مصر تحت أقدام الاتراك وهم لا يزالون يمثلون همجية آسيا . فلم يكن الوالى منهم يدرك من الحكم سوى النهب . وكان المماليك قد ضعفوا وهانوا ونسوا المجد الذى بناه آباؤهم قبل دخول الاتراك . ولم تكن فى قدرتهم الثورة على تركيا . ولكن لما جاء القرن الثامن عشر ابتدأت أوربا — وخاصة روسيا — ترد الموجه التركيه التى اجتاحت قسما كبيراً منهما . فاشتغلت تركيا بحروبها فى أوربا عن الالتفات لمصر . وشرع المماليك يثورون ويستقلون بالحكم . ففى هذا القرن نسمع عن مملوك يدعى اسماعيل ايواظ يستقل بالحكم ويتحدى الأتراك ويستقيم له السلطان المطلق مدة ١٣ سنة . وفى سنة ١٧٧٣ نسمع عن امير مصرى - مملوك - يدعى على بك بلوط يحارب الدولة العثمانيه ويغير على الشام ولكنه ينهزم ويقتل . ثم يستأنف الحرب مملوك آخر يدعى محمد أبو الذهب . فاذا كانت أواخر القرن الثامن عشر نجد أن المملوكين مراد وابراهيم قد استقلا بالحكم — وهو أسوأ الحكم — ولم يباليا الدولة العثمانية

ثم جاء نابليون فصدم الامة المصرية كلها صدمة عنيفة هى صدمة القرن التاسع عشر لظلمات القرون الوسطى . فان مصر التى كانت تعيش فى النظام الاقطاعى ولا تعرف من فنون الحرب سوى الفروسية رأت رجلا حديثا يتحدى الاقدار . وهو رجل كان يمكن أن يعيد الى مصر اتصالها بأوربا بعد أن قطعت عنه أكثر من الف سنة . ولكن يقظة انجلترا وخوفها منه جعلا اقامته فى مصر صغيرة غير مثمرة من الناحية الاجتماعية وان كانت قد أثمرت من الناحية السياسية

وقصارى مايمكن أن نقول أن مصر انتفعت به من مجيء نابليون أن المصريين أدركوا أن المماليك ليسوا على ما توهموا من الخبرة الحربية . اذهم قد رأوا كيف فر مراد وابراهيم فى خزى وجبن أمام نابليون كما أن تقرب نابليون من شيوخ الازهر قد أعاد لهؤلاء كرامتهم القومية أزاء المماليك

وفى هذا الوقت نسمع عن رجل مصرى يدعى عمر مكرم يرافق ابراهيم الذى فر من وجه نابليون الى يافا . وهذا الرجل يظن أنه ولد حوالى سنة ١٧٥٥ أى أنه كان فى عنفوان الحكمة والفتوة فى سنة ١٨٠٠ عندما كانت مصر تذكر نابليون وتتطلع الى محمد على . وهو يلقب عند الجبرتى بلقب « السيد » كأنه يريد أن يقول أنه ليس من شيوخ الازهر وان كان قد تعلم فيه

وفى سنة ١٧٩٩ كان نابليون قد زحف بجيشه الى فلسطين فوجد حامية تركية مصرية فى يافا فحاصرها . وبعد سقوطها وجد بين سكانها عمر مكرم الذى كان قد أمضى ثمانية أشهر فيها فرده الى مصر مكرما لما سبق أن سمع عن مكانته وأقام عمر مكرم فى القاهرة يرقب ويدرس هذه الدنيا الجديدة مماليك أو غاد جبناء وفرنسيون مجازفون ومصريون منهوبون . وأدرك بذكائه أن مصير الفرنسيين الى الجلاء وأن المماليك قد انقشع عن الامة الوهم الذى سلطوه عليها عن شجاعتهم . ووقف يتربص

ولم يمض عام حتى كان المقامر العظيم نابليون قد رحل بل فر الى فرنسا وترك قائده كليبر يقود جيشه . فاذا كانت سنة ١٨٠٠ نرى أن عمر مكرم يقود الثورة المصرية على الفرنسيين . وكانت ثورة « مصرية » محضة لأن مماليك ابراهيم كانوا قد فروا وتشتتوا فى سوريا . أما مراد المملوك الاخر فكان قد خضع على حذر للفرنسيين فى الصعيد وقبل أن يكون واليا من قبلهم ...! وهكذا بزغت الوطنية المصرية خالصة ممحصة لاتعرف غير أبناء الدم المصرى يدافعون عن وطنهم . وانهزم

المصريون أمام الفرنسيين ففر عمر مكرم مرة أخرى الى سوريا

ولم يمض قليل حتى نجد أن الأتراك والانجليز قد استطاعوا بالقتال والمفاوضة معاً إخراج الفرنسيين من مصر. وهنا يعود عمر مكرم فيجد محمد خسرو باشا والياً من قبل الدولة العثمانية. ويجد قائداً صغيراً يدعى محمد على يقود الجنود الارناؤود. وكانت المقدرة المالية للبلاد بعد طول هذه المحن قد ضعفت فلا يجد الأرناؤد مرتباتهم ويثورون على هذا الوالى الذى يفر منهم متجهاً نحو الشمال

وعينت الدولة بعده أحمد خورشيد والياً على مصر. وشعر هذا أن مقام محمد على وسلطته تزدادان بتقربه من الشعب. فسعى عند السلطان حتى استصدر مرسوما بتعيينه والياً على جدة لكى يتخلص منه. ولكن محمد على الذى كان قد عرف عمر مكرم وصادقه كما عرف فيه هذا سيرة حميدة وتقربا من الشعب استطاع أن يجمع جمهورا من أعيان الشعب ويطلبوا من خورشيد استبقاءه وأن يكون الوالى الى مصر

وهنا يجب أن نقف لكى نعرف أن محمد على لم يصل الى الولاية التى ورثتها أسرته الكريمة بعده بحق الفتح أو حتى باقتراح الدولة العثمانية وأنما نالها باقتراح الشعب المصرى الذى مثله عمر مكرم وسائر الاعيان والعلماء. والاجابة المشهورة التى أجاب بها خورشيد على هذا الطلب تدل على هذا الموقف الديمقراطى إذ قال: لقد ولانى السلطان ولن يعزلنى الفلاحون، ويمكن أن نترجم هذه العبارة بقولنا «لقد ولانى الاتراك ولن يعزلنى المصريون ويولوا على أنفسهم رجلا يختارونه»

وانتهى هذا الخلاف إلى قتال فحاصر المصريون يؤيدهم محمد على بجنوده الارناؤد هذا الوالى خورشيد فى القلعة. وهنا ننقل ماقاله المؤلف لأنه يدلنا على الفهم الصحيح الذى فهمه عمر مكرم من معنى الحكم. قال:

«وقد حدث فى الايام الأولى من الحصار حادث لاتستطيع أن نمر به بغير أن نقف عنده قليلا لنعرف منه شيئاً من أسلوب تفكير عمر مكرم وعقيدته السياسية. فقد طلب الوالى خورشيد من الثائرين أن يرسل اليهم رسلا من قبله يفاوضونهم ويناقشونهم. عسى أن يصلوا معهم إلى حل يحسم النزاع. فأرسل من قبله جماعة كان رئيسهم أحد اتباعه من الارناؤد اسمه عمر بك. وذهب

اليهم جماعة من الثائرين كان عمر مكرم على رأسهم . وانعقد الاجتماع . فسأل عمر بك قائلا :

« كيف تثورون على من ولاه السلطان عليكم وقد قال الله تعالى : وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » وظن أنه لن يجد لهذا السؤال جوابا فتقوم الحجة على الثائرين وينصرف عنهم اتباعهم . فاجاب عمر مكرم قائلا وكانى به يبتسم ساخراً من منازله :

« ألا فاعلم أن أولى الأمر هم العلماء وحملة الشريعة والسلطان العادل . وهذا الحاكم الذى أرسلته ماهو إلا رجل ظالم خارج على القانون البلاد وشريعتها . فقد كان لاهل مصر دائماً الحق فى أن يعزلوا الوالى إذا أساء ولم يرض الناس عنه . على إننى لا أكتفى بذكر ماجرت عليه عادة البلاد منذ الازمنة القديمة . بل أذكر لك أن السلطان أو الخليفة نفسه إذا سار فى الناس سيرة الجور والظلم كان لهم عزله وخلعه »

وهذه لهجة تذكرنا بلغة عرابى وسعد زغلول . بلغة المصرى الذى يحس ان الشعب مصدر السلطان وانه لايجوز لفرد أو أفراد أن يحكموه على الرغم من ارادته

وانتهى النزاع بالحصول على فرمان سلطانى بتعيين محمد على والياً على مصر . ولكن محمد على الذى نال هذه الولاية باقتراح الشعب بل بثورته عاد فاستبد مثل من سبقه من الولاة حتى إنه عند ماأرسل الانجليز حملة على مصر سنة ١٨٠٧ قصد اليه عمر مكرم وطلب اليه أن يشترك الشعب فى الدفاع عن مصر . فرفض محمد على وشعر عمر مكرم بخيبة الأمل فانقطع عن زيارة محمد على وبقى بعيداً كارهاً لنظام الحكم الاستبدادى

وحدث فى سنة ١٨٠٩ أى بعد تعيين محمد على والياً على مصر بأربع سنوات ان احتاج محمد على إلى موافقة الاعيان على وثيقة كان قد طلبها منه السلطان بشأن حساب ما جباه من الضرائب وأنفقه . فبعث يطلب عمر مكرم اليه لكى يقرأ هذه الوثيقة ويوقع عليها . ولكن عمر مكرم رفض وقال فى رفضه أنه لا يذهب الى القلعة واذا شاء محمد على فلينزل من القلعة ويقابله فى بيت السادات . وشعر محمد على بالاهانة المضمرة فى هذه الاجابة ولكنه كظم غيظه ونزل إلى بيت ابنه إبراهيم . ثم عاد يطلب عمر مكرم فرفض هذه المرة أيضاً واعتذر بالمرض

وكان محمد على قد استوثق من الحكم ولم يعد يخشى الثورة فعزل « السيد » عمر مكرم من نقابة

الاشراف وأقام مكانه الشيخ السادات . ثم نفى عمر مكرم الى دمياط التى اقام بهـا الى ان مات وعندئذ خلا الجو لمحمد على الذى حكم مصر الحكم المطلق الذى كان فى بعض ألوانه أحلك ظلاما من حكم المماليك . ونسى المصريون الدروس التى تعلموها من الثورة على نابليون ومن تأكيد سلطتهم ازاء المماليك والوالى العثمانى خورشيد . وبقيت الحال على ذلك إلى زمن اسماعيل الذى سلم ببعض سلطته لمجلس الوزراء

ان سيرة عمر مكرم هى سيرة المصرى الذكى الذى يخلص لوطنه ويطلب له القوة والسلطان

تحت أشعة رونتجن



ضفدعتان وضعتا تحت أشعة رونتجن

حكمة اخناتون

للآنسه اريس حبيب المصرى

للـكاتب الانجليزى جرانتام مسرحية اسمها « حكمة أخناتون » كتب فى مقدمتها يقول : لقد كان أخناتون شاعرا فنانا متطلعا صوب المثـل الاعلى ، ولـكنه كان حازما قوى الارادة الى درجة استطاع معها أن يحقق احلامه . ولا يسعنا الا أن نأسف حين نتخيل الفردوس الذى كان سيتحول اليه العالم لو ان البشرية وهى بعد فى طفولتها تركت الاحقاد والخصومات وامتـلأت بنشوة الحياة التى جاهد فى سبيلها « ابن أتن » الجميل ... وان المتشـــائمين من المؤرخين يحلو لهم ان يصوروا اخناتون يموت يائسا كسير القلب ينعى ضياع امبراطوريته ويظنون ان موته المبكر انمـا هو نتيجة فشله . ولـكن اذا قسنا المجهود الهائل الذى صرفه بما يبدو فى صورته من ضعف البنية ادركنا السبب فى موته فى شرخ الشباب . فلقد كان قويا الى درجة انه لم يحجم عن مهاجمة الآلهة القديمة علنا واتخاذ التدابير اللازمة لـكبح شكيمتها والقضاء على سلطانها الذى ظل اجيالا عديدة مستحوذا على النفوس وليس من شك فى أن اثر اخناتون فى مصر كان عميقا الى حد حمل البعض ممن جاءوا بعده على محاولة محو كل معالمه ، ولو أن حركته كانت قليلة الغور ضئيلة الأثر ماحاربها خصومها بهـذا العنف بعد موت اخناتون بسنين . ولو لم تتدفق جماهير المتوحشين من الامم المغـيرة على مصر لـكان من المحتمل ان تستعيد مصر عبادة أتن نهائيا ولاكتسبت لنفسها شرف ايجاد الحل لمشاكل الانسانية المنشقة على نفسها . ولا يحتاج العالم الآن الى شىء قدر احتياجه الى رسالة الاخوة التى نودى بها فى مصر منذ اجيال عديدة . » والرواية تصف كفاح اخناتون ليقنع شعبه بترك الحرب وما أصابه من النجاح فى هذا الاقناع ، فهو يهيب بقومه ان يجاهدوا فى سبيل السلام . واليـكم النداء الذى وجهه الى قومه :

اخناتون :

ياجنود مصر

ابناء النيـل الفياض

ستصرخون الآن

« لنختر السلام » ،

— ولـكن الصرخة ضعيفة بعد

صادرة من شفاه مترددة .

أتظنون انه سلام الخمول ،

ام سلام الجبان المستسلم

لما فى العالم من ظلم وجبن —

ذلك السلام الذى أطلبه لـكم ؟

سلام المتبرم الذى لايغفر ،

سلام الشر حالك بالمرارة والذل

ومختمر بالانتقام الخفى ؟

كلا ـ انما هو سلام

ملىء ، حافزه الطموح ،

حافل بالمعارك الشاقة التى يجب خوضها

ضد قوى الظلم والفساد المتكاتفة ،

وضد رذائلـكم الخاصة ، وغروركم واطماعكم

سلام النصرة التى يجب نيلها

بالتعرض للخطر وللموت ،

سلام الفوز الذى يتطلب اقصى الشجاعة النفسية ،

واسمى ماعندكم من أقدام ، وخضوعكم بلا تساول

لقدسية تلك الدقائق الرهيبة

حين يتكلم صوت الاله فى نفوسكم ،

وحين تسمو بكم اجنحة الاله

فترفعكم الى فوق فى تحليقها .

الا تحسون برفرفة هذه الاجنحة الآن

هامسة فى آذانكم لتحولوا قلوبكم عن حروبكم الحقيرة

التى ليست سوى زئير الوحوش الكاسرة وافتراسها ،

وحيث الشجاعة قسوة وعنف

والمخاطرة بالنفس

ليست سوى بريق

لمياه المستنقعات الراكدة ؟

الا تحسون بها وهى تحثكم على أن تقذفوا بانفسكم

فى الكفاح العظيم ـ الذى هو وحده جدير بالرجال ،

الكفاح المستعر ضد المرض والجهل والالم ؟

جهاد يجعل منكم

جنودا متهللين لأتن ،

ويبعث بكم لتحفروا آبار مياه حية

وسط رمال الصحراء ،

لتقيموا موانى آمنة

على الشواطىء الصخرية التى ترتطم عليها الامواج

لتقدموا المعونة لثقيلى الاحمال

لتؤوا من ليس لهم مأوى

لتنشروا ـــ لا ما ينشره الجند

من الهرب واليأس والخراب —
بل المعونة والرفق والمودة
لكل المتألمين وكل المضطربين ،
وكل من يتلمسون طريقهم فى الظلام .
يا أبناء مصر
لهذا القتال الذى هو السلام الكامل
ولهذا السلام الذى هو قتال مجيد
أود أن أجند حماسة شبابكم
و درب واكم الفتيه
فهل تقدمونها ؟
هل تجيبون مثل هذا النداء —
نداء أتن الهابط اليكم
على أجنحة الأشعة الذهبية
وعلى أنفاس الرياح التى تطوق العالم بأسره
الجموع : نرضى ، نرضى ،
قدنا الى سلامك ياأختاتون !
سلام الى فرعون
وتحية الى سلام أتن !
أخناتون : نعم ، تحية الى السلام
ياأبناء الله ، لن نصلى
بذلة بعد اليوم قائلين .
ليت الحرب تنتهى » —
بل سنصيح من أعلى امواج الشهوة العنيفة

ونعلق فوق الظلام والعواصف
وهتف . « ستنتهى الحرب » !
لن تكون المحبة بعد اليوم نجما ضئيلا يسطع على الندى من بعيد
ولا زهرة نحيلة تتفتح عند الفجر
ثم تذبل تحت حرارة الظهر —
بل ستكون الشمس المتقدة الخالقة
التى تصهر وتخلق
طول النهار بما فيه من كد وتعب
لن تتداعى فى حسرة ،
ولا فى ألم العاجز عن الوصول
ولا فى حدة المتطلع اليائس ،
ولن ترتعد كالشريد الباكى
فى ظل حياتنا المهدرة ،
لن تلمع عن أبعاد شاسعة
فلا نلمح الا قبسا من بهاءها وجمالها
بل سنجعلها منذ اليوم
الالهام الذى يوحى غرضا مجيدا
والغبطة بالجهاد الموفق
والتهلل بعد التسلق
ستخطف أبصارنا كالبرق
فتحول كل ما هو مظلم قاتم
الى بريق مستعر ،
ستغمرنا كالنيل فى فيضانه

فتطهر كل ما هو عقيم قذر ،
وتغرق فى لجة المياه الحية
كل ما هو حقير تافه دنىء
ماذا يضيرنا لو أننا فشلنا ومتنا الآن
أن طريق البغضاء كثيف مملوء
بالعظم الرميم والجماجم الفارغة ،
وعلى قارعته أشلاء مهشمة
هى فريسة الكره والحقد
ماذا يضيرنا لو بالسيف والنار والنطع
وبالاكاذيب السامه وبالسجن
حاول الاشرار أن يخنقونا ؟
سيحطم صوتنا كل الاصفاد ،
وسيصرخ حتى داخل ضمائرهم ،
ويعلو منتصرا من أعماق قبورنا
فيجعلها أرضا مقدسة
يتطلع إليها كل مجاهد
ماذا يضيرنا لو ضاعفوا بالآلاف
عددهم ، وأرهفوا آلات تخريبهم ؟
نحن أيضا نستطيع القتال ووسائلنا خالدة
الحق لا الكذب ،
البركة لا اللعنة .
سنغفر لاولئك الذين أساءوا الينا ،
ونساعد الذين راموا أن يعرقلوا سيرنا .

وفوق أغانى البغض والموت التى ينشدونها
سنرفع أناشيد المحبة والحياة ،
سنقابل فساد تخريبهم
ببهاء مانتشئه .
لن نبغى أن نقتل أعداءنا —
سنقتل الكراهية فى قلوبنا
فلا نلبث أن نصير بلا أعداء .
لن نبنى أسوارا حول مدننا
ولا نقيم لابوابنا متاريس
ليس لاننا لانملك كنوزا
بل لانه ليس عندنا لصوص ،
سيتحول كل خوف الى احترام ،
وغرور الجهل
سيستحيل الى تواضع الحكمة .
وبدموعنا واغلاطنا وتقصيرنا
بل حتى بجرائمنا
سنعد الفجر المجيد ،
حين يصبح عدل الله قاعدة البشر ،
وتصير المحبة الخالدة هى المحرك
والعقيدة الراسخة كل ساعات من ساعات حياتنا
نعم — سنجعل من آمال الصبح وأحلام المساء
أساسا قويا ثابتا
نشيد عليه معبدا حيا يعلو حتى السماء

وفى كل بلد وكل مدينة

وكل مسكن بشرى

سيقام ذلك المعبد — معبد النور —

وسيكون مدرسة لخطانا المعثرة ،

ونبعا نغتسل فى مياهه المقدسة ،

فيقوى اقدامنا

ونتسارع صوب الجمال .

وكل شعوب الارض

المتباعدة الآن

لكثرة ماسال من دماء الحقد والغضب بينها

ستتحد تحت قبة النور ،

ستتأخى فى عالم المحبة ،

عابدة الروح الخالقة المقدسة ـ

كل بلسانه

ولكنهم جميعا يتغنون بلغه واحدة

كل بنشيده

ولكن الاغانى التى يترنمون بها واحدة .

ينبثق الفجر رويدا . تستطيع الجبال جهة الغرب باول شماع ويرتفع معه صوت الاناشيد ترحيبا ببزوغ الشمس

اخناتون : على ركبكم

ياجميع الثملين بالدماء ،

ان النمرة لتحمى اشبالها

تدفع حياتها ثمنا ،

الذين يظنون المجد في التخريب
والعدل في الانتقام !
على ركبكم
يا أرواح الشر الداعية الى الشقاق ،
الدافعة بالناس الى التهلكة
بما تهمس به من فتنة وشر .
على ركبكم
أيها المفترون الذين بالخيانة والكذب
وبالتلفيق والخداع
ينفثون سمومهم
فيضخمون المشاجرات الحقيرة
ويحيلونها معارك داميه
يظل تأثيرها على الدهور
فيسمم بلعنته
افكار أجيال لم تولد بعد !
على ركبكم
يامن تلوذون بالظلام لان اعينكم لا تحتمل النور ،
وتتمسكون بالاكاذيب لانها ترضى غروركم
وانتم تخافون الحق !
على ركبكن
ايتها السيدات غير الجديرات بامومتكن البشرية ،
انكن تطلبن عزاء لحزنكن
بمضاعفة آلام الغير !

ولكنكن من وراء أسوار مدنكن المحصنة
تدفعن بثمرة بطونكن الى المذبحة !
زعما بان هذا الموت تضحية
متعطشات الى دماء أبناء أمهات أخريات ،
لتتحول دموعكن الجارية
الى هتاف الغلبة
فيرضى تصفيق الجماهير غروركن !
على ركبكم
أيها الكهنة الذين يشوهون وجه الله
بشهوات دنيئة ناقمة
تخجل منها ضمائركم فى أعماقها ،
من يطلبون أن يضيقوا سماءه
الواسعة الرحبة
ويصورونها سجنا مظلما
اذ يرسمونها ذهبية لجنس واحد فحسب !
(يركع الجميع)
اخناتون : أكنت قاسيا عليكم ؟
سامحونى .
ضيق الصدر ؟
احتملوا حماسة محبتى .
شدوا قلوبكم بالتطلع
الى أبعد زرقه فى الاجواء العظيمة .
ونجوم الله فى الليل

ستسكب بلسما على دموعكم .

اتبعوا وميض خطواته

وسط الاشواك والصخور

النامية على طريقكم - طريق الشك والالم ،

وفى المساء سيطوقكم حنانه

ويرطب أرجلكم الدامية .

اليست الحياة معلقة لكم

على الاغصان العظيمة التى للخليقة

حمراء مستديرة كثمار الصيف الناضجة ؟

اصبروا — ففى ملء الخريف

ستجنون منها خمراً عجيبا .

لا تجعلوا هتافكم للسعادة

يرتعش لتأوهكم على أشياء تافهة ؛

اجعلوه يعلو ويرتفع حتى يصير انشودة النصر

وتسبحة الحمد ،

ويتدفق كالموسيقا الفياضة

على قيثارة الله الذهبية ،

ليتردد صداها على مدى الاجيال

فتطرب لها قلوب البشر المقبلة

يا أبناء سماوات مصر

عبدة الشمس والنور

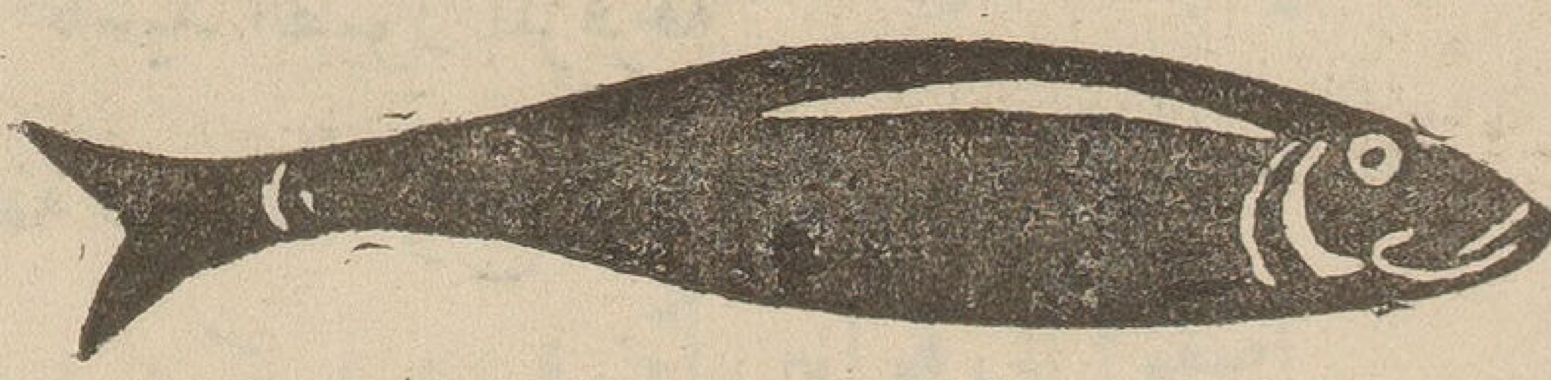
اصغوا الى قوانين آتن ،

والى حكمة طرقه

أن قرصه العظيم آت مشرق
سيجعلكم تتفرغون بعد قليل لأعمالكم -
فليذهب كل فى طريقه
ولكن لا ينظر أحدكم الى منسجه أو حقله أو مخزنه فحسب
ولا حتى الى بهاء هياكلكم ؛
ولا الى ما تنتجون من أعمال الفن والجمال ،
بل من حين الى حين
اخطوا خارج حياتكم الضيقة المحدودة
واكسروا حاجز شخصياتكم
وارموا بأفكاركم بعيدا - بعيدا -
دعوا خيالكم يمرح حيث شاء
ويدور معتليا الأفاق مع العواصف
ويتدفق مع المياه الجارية
ويصفر مع الريح العاتية
دعوه يتحد مع الاغصان المتمايلة
ويقتحم الغابات المجهرلة ،
اتركوه يتلألأ مع قوس القزح
ويتلاشى مع الغيوم السارية .
لتغنى نفوسكم فى موسيقا المحيط المترامى الاطراف
وفى أناشيد الطيور المرفرفة
الهاتفة فوق الأمواج المتلاطمة .
احلموا بالسكون الرهيب
الذى للأقمار الغاربة ؛

أحسوا ببهاء الفجر المنبثق
فوق قمم الجبال الشامخة ،
افتحوا أبواب حواسكم
لكل خفقة
من خفقات النور الفياض ،
ولترن دقات قلوبكم لصدى الأفلاك
فتردد أنشودة الحياة !
وعندما تتقد نار القوى الالهية
فتصهر الغشاوة المنسدلة على عيونكم ،
وتتدفق الابدية خلال أرواحكم
ويغمر نفوسكم غنى الله .

ايريس حبيب المصرى





أغانى الربيع — للرسام بوجورد

سجين زنده ...

قصة تأليف الكاتب الانكليزي «انتونى هوب»

عرض وتلخيص – بقلم أسعد حسني

« قرأت هذه القصة الرائعة من عدة سنوات . ثم عدت »
« فرأيتها على الشاشة الفضية في هذه الايام وها نذا الخصها للقراء »
« فيما يلي مع المحافظة على فكرة المؤلف الاصيلة . . وقد أجريت »
« سرد الحوادث على لسان بطلها كما هي فى الاصل » « الكاتب »

كنت كسولا خاملا ، محبا للدعة ، ميالا الى الراحة . أقضى وقتى فى غير ما فائدة تنفعنى ، ... فتضايقت منى أسرتي ، ونصح لى افرادها بالسفر وبوجوب الرضى بالرحيل ، والقنوع بوظيفة فى احدى السفارات ، فى أى بقعة من بقاع الارض . فترددت لأول وهلة ، ووجلت من الاقدام على الغربة ، والنأى بعيدا عن الأهل والاحبة . وأخيرا صممت على الخروج من دائرة الجمود والخمول المستحوذين على . فسرت على – غير الهدى – الى جهة ليست معينة . معولا على قطع الوقت فى التجوال وتصادف انني علمت ان احدى الممالك القريبة من موطني روريتانيا ستحتفل بعد ثلاثة أسابيع بتوبيج ملكها « رودلف الخامس » فسافرت اليها ، ووطدت العزم على حضور الاحتفال ، الذى سيقام فى مدينة « سترلسو »

وكانت عرى العلائق بين العائلة المالكة وبين عائلتنا ، موطدة ، وثيقة الاواصر . فزادنى هذا الامر شغفا ، ونبه فى نفسي ميلا ، وحرك كوامن الشوق فيها ، فواصلت السفر اليها ، وكنت أجيد معظم اللغات الاوربيه ، وأتحدثها كأحد افرادها . واحسن الرماية ، وضرب السيوف . ولكن على الرغم من طفوح وجهى بحمرة الشباب ، وفتوته ، فقد كنت ابرد مخلوق فى البشر ، وأجبن انسان على وجه البسيطة . !

* * *

وظللت مجدا ، حتى بلغت حدود هذا البلد ، فوصل الى مسمعى ، أن الحفـلة قد أرجئت يومين لأسباب لم تذكر فى حينها . هذا وقد تبين لى مما شاهدته من ازدحام العاصمة ، وتدفق أفواج الناس عليها - غرباء ، ووطنيين ، - ان ذلك كان من دواعى ارتفاع المعيشة فى العاصمة . لذلك عولت على مغادرتها ، لأبتعد عن هذا الصخب ، والضجيج . . لأننى ممن يحبون العزلة . . ويتعشقون فلسفة الصمت . . والخلود الى السكينة . فأنتحيت بلدة «زنده» - وهى قرية صغيرة . . جميلة الموقع . . لا تبتعد كثيرا عن العاصمة . فأصبحت أقضى هناك ايامى فى التجوال بين الروابى . . والمنحدرات . . والاودية . . والتوغل فى الغابات . . واجتلاء محاسن الطبيعة الجميلة . . وكنت مسرورا فى احضان هذه القرية البديعة !

* * *

ولقد لاحظت ان القرويين - قليلو الاكتراث للأمر . ولقد سمعت بعض الذين يدعون المعرفة يتحدثون عن مليكهم الجديد ، بلهجة لاتبعث على الراحة . . والاطمئنان . مشيعين عنـه احاديث واقاويل ولقد كانوا يرجحون تولية اخيه «ميشال» . ووجوب تنازل هذا له لأنه احق منه بالافضلية ولقد كانت هذه الاراء معضدة بالثقة العجيبة ، فى بعض الاحايين !

* * *

وفيما انا انتقـل من هنـا الى هنـاك ، كالفراشة من حقـل الى حقـل - اذا بى قد توغلت فى غابة كثيفة ، كنت قد سرت فيها أكثر من ساعة ، وأنا مأخوذ اللب بروعة جمالها الهادىء ، وجلال سكونها المهيب . وقد رأيت فيها منزلا فخما ، رابضا على قمة إحدى الروابى كالطود الراسخ . . وما لبثت حتى شعرت بميل الى الراحة ، فاستلقيت مستنـــدا الى جزع شجرة ، ولموقة طليلة ، واستسلمت للتأملات البهيجة ، ثم للأحلام العذبة ، التى لم يقطع سلسلتها الذهبية على الاصوت هاتف يحدث آخر معه قائلا :

— يا لله ! . تعال ! وأنظر ! أحلق لحيته . تراه الملك عينه !

ففتحت عينى مدهوشا ، فاذا رجلان يحدقان فى وجهى بغرابة ، وثانيهما يقول فى عجب :

— بلى ! كل المشابهة ! والقوام هو ذاته أيضا . .

فنهضت متثاقلا ، وأنا أنتفض من الخوف ، وساد صمت رهيب دونه صمت الابد !. ثم حياني احدهما بأدب واحترام ، وهو يقول :

— هل يتكرم سيدى ، باسمه ولقبه ؟

ثم تقدم الآخر وأشار الى صديقه قائلا :

— وأما هذا فهو الكولونيل سابت ! وأما أنا ، فاسمى «فرتز» وكلانا فى خدمة جلالة الملك وقد جئنا هنا للرياضة والصيد . ومعنا جلالة الملك ، الذى يشبهك كل المشابهة !

وهنا انحنيت امامهما واجبت

— أما أنا فرودلف راسندل السائح الانجليزى نزيل زنده !

ولم أكد أتم قولى ، حتى رن خلفى صوت يصرخ

— فرتز ! فرتز ! أين أنت ؟؟

وأعقب ذلك ، وثبة شاب من وراء جزع شجرة ضخمة أمامى . فما رأيته حتى صرخت مندهشا وهو أيضا تراجع الى الوراء منذعرا ..

واسترد يقول :

— انظر .. لولا لحيته لكان مثلى تماما .. ولولا ما توحيه الى مكانتى من الشعور بالعظمة .. لكان هذا الصديق ، هو «رودلف الخامس» ! ثم طال بيننا صمت عميق ..

* * *

ولشد ما دهشنا ، وجعل الدهشة تطول أمدها ـ هو وقوفنا صامتين هنيهة غير قليلة .. غير انني تمالكت قواى ، واستطردت أقول ، فى رعشة ذاهلة ، بعد أن رأيتهم يغرقون فى الضحك

— جميل هذا اللقاء ، بهذه المصادفة المستملحة ، أيها الاصدقاء ! ولكن أرجو أن لا تؤاخذونى على ما بدر منى من الوجل امامكم .. فليس أبدا يتسنى المرء أن يرى نفسه مضاعف المثيل ، فى كل حين

فنظر الى الملك ، وأجاب فى تؤدة وهوادة

— أنا أولى منك بتقدمى معتذراً .!

فأجبت

— عفوا يا مولاى !. ولـكن ، أرجو أن لايكون تشابه الشكل بيننا ، مدعاة لاستياء جلالتكم

فقطع الملك على استرسالى فى الحديث سائلا

ولـكن قل لى .. الى أين تذهب ؟؟

قلت :

— الى العاصمة طبعا ، لشهود حفلة التتويج !

فسمعت أحد الرجلين يتمتم قائلا :

— يجب ألا يذهب ! لئلا يستغل شقيق الملك هـذا الالتباس ، فيفتك بنا ، ويمثـل دور الخديعة والدهاء !

فأجاب الملك :

— ماذا تعنى ؟

وجرى بينهما جـدل مبهم العبارات ، طال أمده ، استخلصت منه عـدم ارتياح تابعى الملك لوجودى ، خوف المشاكل وأثارة الريبة .

فقلت فى صوت عال :

— حسبكم أيها السادة ! أنى أستأذن بمغادرة بلادكم الآن !

فأجاب الملك فى غضب :

— أقسم أنك لن تغادرنا — شئت أم لم تشأ — بل أقسم أنك ستتناول طعامك على مائدتى. وأخـذ يدى ، وسار فى طريقه ، وفى المساء كنت على مائدة الملك الفاخرة ، وشرب كل منا نخب الآخر .

وافرط الملك فى الشراب ، على الرغم من نصيحة اتباعه بعدم الاكثار . ولم يعر أحداً منا التفاتاً ، وكنا وقتئذ نشرب ونتحادث . وأخيراً عقدنا النية على الاكتفاء . فاذا بالخادمة تحمل الينا زجاجتين من الخمر المعتق ، وهى تقول :

— ان الدوق « ميشال » شقيق الملك ، يرجوه أن يشرب نخبه هذه الزجاجة ، وأنتم تشربون الاخرى !

فقال الملك :

— حسنا ! سأشرب نخب أخى الماكر المحتال « ميشال » . ! وشرب الزجاجة عن آخرها ، حتى ثمل !

وكان هذا آخر ما أذكره من ذلك المساء ! .

* * *

قمت من نومى متيقظاً فى الصباح الباكر ، على أثر هرج ومرج من « سابت » الذى رأيته مذهولا حائراً ، مرتجفاً — وهو يحمل تحت أبطه اناء ماء ، والعرق يقطر ، وينضح من جبينه ، وهو يجهد نفسه فى افاقة الملك المخمور ، الذى كان ممدداً على الارض من الاعياء ، وقد ثقلت أنفاسه ، وعبقت بالشراب ، واحتقن وجهه بالاحمرار ، حتى حاكى شعر رأسه ، فما وقع نظره على ، حتى قال :

— أننا نعالجه منذ ساعة ياسيدى . وهو لايزال على حالته هذه ! فسألته :

— هل زجاجة الخمر التى شربها ، كان بها مخدر ؟

أجاب :

— لاأدرى ! ولكن الذى أعلمه أنه أن لم يتوج اليوم فأنه سيخسر العرش الى الابد ! . . فأن أخاه . .

وصمت هنيهة . ثم استطرد يقول بعد أن فكر قليلا :

— ولكن ! على كل حال ! . فالواجب ذهابك الى العاصمة وتمثيل الدور ، و . .

فأدركت مايضمره وصحت بشدة :

— كلا ! هذا مستحيل !

قال :

— اذا صممت على الرفض ، فأنك ستودى بارواحنا الى السجون ! بل من يدرى ؟ . الى القبور ! وسيخسر العرش ! وقد كان باستطاعته تلافى الامر ! فتحمل ، وأحمل العبء ، وأذهب !

— نعم . ! سأعمل !

ثم فكرت قليلا ، والتفت الى الملك المخمور الملقى على فراش الاعياء ؛ وصحت فى عزم أكيد .

ـــ سأذهب ، بعـد برهة وجيزة . فهيا يارفاق ! أعملوا فى لحيتى الاساحة ! وألبسونى ثياب الملك! وأمسكونى سيفه الذهبي ، وصولجانه القليد !

وتم كل شيء فى لحظات ، وبعد قليل أصعد « فرتز » أنفاس الارتياح ، ونظر الى فى عطف مشوب بالتقدير ، وقال باطمئنان وهو يبتسم :

ـــ ياجلالة الملك ؟ ستفعل ! .

* * *

ثم حملنا الملك الى غرفة مستورة فى الطابق الاسفل من البيت ، لنخفيه لحين يفيق من غيبوبته عند المساء ، فيركب الى العاصمة ، ونستبدل مراكزنا ، ثم أهرب ، أنا إلى الحدود ، ويتبوأ هو عرشه!

وفى خـلال الطريق الى العاصمة ، المت من « سابت » بـكل العادات والتقاليد المتبعة ، وأطلعنى على دقائق الامر ، وأصبحت بحق ، كأننى « رودلف » ـ ابن بجدة العرش ـ ولما أقتربنا من العاصمة ، سمعنا على بـعد رنين الاجراس المتعالية وصدحات الموسيقا الشجية ، يحملنا الاثير الينا . وهتاف الجماهير المتصاعدة فى الجو ، تنبئ بما يجيش فى النفوس من العواطف المختلفة .

ولما ترجلت ، وأشرفت على الجمـاهير الزاخرة ، أحسست قلبي من الذعر ، كأنما يتحرك فى صدرى ـ كالطائر ينفض ندى جناحيه فى أشعة الشمس ـ وشعرت كأنى محاط بضباب كثيف ، وكأنى أنوء بثقل ما أنا فيه ، ولـكننى تشجعت . وتجلدت مقدراً خطورة الموقف .

ثم تقدمت بين الجمـاهير ، وأقسمت يمين الملك ، فصدحت الموسيقا ، ودقت الاجراس ، وتعالى الهتاف . وتوليت العرش ! .

وتقدمت الى فتاة جميلة ، خلال اجراء هذه الطقوس ، ووقفت بجانبى وسمعت صوتاً يعلن الى قائلا :

-- صاحبة السمو الملـكى الاميرة فلافيا . .

فانحنيت باحترام ، وأخـذت يدها ، وقبلتها ، بعد أن كنت خائفاً فيما يجب على عمـله لان « سابت » لم يلقنى ما أفـله ، ضمن دروسه . .

ثم تقدم بعدها « ميشال » ـ وسمعت الاصوات تهتف باسمه ، فتقدم الى ، وهو مرتعد الخطى ،

ينظر من الرجفة التي عرته ، يمنة ويسرة ، ووجهه ينتابه الاحمرار طورا ، والاخضرار طورا آخر . فلما صار على قيد خطوات مني ، أخذته بكلتا يدى ، وغمرته على خديه بالقبلات !.. قبلات أنا أرجح انني ما انتهيت منها الا و كنت قد شعرت بسرور ، كالذي يلقي عن عاتقه حملا ثقيلا ..

وأخذت بعدها أجيل النظر في جميع الحاضرين ، لأرى أقل ارتياب ، فلم أر بفضل الشبه العظيم بيننا . . .

و بعدها ركبت العربة الملكية ، والى جانبي الاميرة الى القصر .. ولقد لاحظت أنها تطيل النظر الى وجهي ، وتكثر من مداعبتي قائلة . انها تراني اليوم اكثر رزانة وأعظم هدوءا مما تعهدني ، وانني تحول عن عهدها بي !.. فارتجفت وتأملت في نفسي حينئذ ، ما عساه أن يكون حال الملك الحقيقي الآن !!

« * »

وفي المساء تحت جنح الدجى ، خرجنا ثلاثتنا ـ فرتز وسابت وأنا ـ الى القصر الذى تركنا به الملك ، متخفين ؛ لنرى بأى حال هو ـ فلم نجد الحارس ، ولا الملك ـ ومن ثم علمنا أن الدوق « ميشال » قد أخذه أسيرا إلى قصر زندة ، وسجنه في أحد حصونه المخيفة ـ ـ فقال لي سابت :

ـ ان كنت رجلا شهما ، تستطيع أن تخلصنا ، وتخلص الملك من سجنه ـ ـ ولكن حذار ان تقع أنت في أيديهم ، فنهلك جميعا !!

قلت ، وقلبي يموج خوفا :

ـ ولكني أخشى أن يفتضح الامر ـ ـ ـ

فقال :

ـ لا تخشى شيئا ـ ـ ـ فانهم ان وشوا بك ، وشوا بأنفسهم وبجرمهم !

قلت :

ـ ولكني أخشى أن يكونوا قد قتلوا الملك ـ ـ ـ ثم ماذا يكون مصيري !

أجاب ، وهو يفكر :

ـ خفف عنك !.. فالامر في يدنا ، اذ تصبح أنت بحق رودلف الخامس ، وأنا أرى أنهم لا

يقتلونه حتى تقع أنت فى قبضتهم ، فيأمنوا شر الشبيهين ؟؟

« * »

... اجتابت فيما بينى و بين نفسى خطورة الموقف ، فاتضحت لى حقائقه الهائلة ، غير أن روح الشباب المغامر ، ونزعاته الجريئة، حببت الى فى شوق، أن أتمم العمل المملوء بالغرائب ... فرجعت الى القصر ، وقد عقدت العزم على اتمام الدور حتى النهاية ... وليكن ما يكون ، اذ لن يصيبنى غير المقدور !!

ولقد حدثنى «سابت» انه يجب على أن أتقرب للاميرة بحبى ولم يكن فى هذا الامر صعوبة ، اذ قد غدوت أحبها حقيقة ، وغدت هى الاخرى ، تحبنى أيضا ... وقد حدثتنى فى يوم التتويج ونحن فى العربة قائلة :

- لست أعلم يارودلف ، لماذا أنا أحبك بشغف اكثر من قبل . لقد كلفت بك كلفا شديداً ... ولم أكن أحبك هكذا من قبل !!

آه ياالحلم العذب الجميل ؟ هو طيف السعادة الماثل بين يدى ؟ لا يلبث أن يتلاشى ويضمحل كأنه لم يكن حقيقة راهنة من قبل ؟؟

قلت لها :

هل حقاً تحبيننى ، ولو لم أكن ملكا .. ؟

فنظرت الى بحنان وأنشأت تقول :

- ان شخصك هو الذى يملأ قلبى لا الملك ؟

قلت :

ولكن لو لم أكن ملكا ... بل رجلا من العامة ، هل كنت تقبلين هواى ؟

أجابت ..

- ولو مجرماً شريراً ، لبقيت مليكى كما أنت !!

« * »

وفى المساء ، كنت جالساً مع الاميرة ، احادثها ، وأقبلها ، وأضمها الى صدرى ، فدخل علينا

« سابت » ولم يكـن يـعنيه من حبي ، او حب الاميرة شيئا ، فقد كان كل منا فى نظره آداة لتنفيذ غرض معين ، وهو التغلب على الدوق « ميشال » ـ غير أنه أسر فى اذنى قائـلا . .

ـ يافتى ؟ إنك مسؤل عن الامانة والشرف ! !

فحقدت عليه ، ونهرته بغضب قائلا فى صوت خافت . .

ـ انه فى وسعى ان اقيم عليكم المدينة كلها فى دقائق معدودة ثم أفوز بالاميرة ؟

فقال وهو يبالغ فى تهدئتى واحترامى . .

ـ لاانكر هذا الامر ، ولكن الشرف والرجولة ؟ ؟ و . . . و . . . . .

* * *

وفى ثانى يوم ، خرجنا للرياضة الى جوار « زندة » ،ولم يـكن خروجنا للرياضة حقيقة ، ولكـن لانقاذ « سجين زندة » ؟

ولما كـنت فى طريقى اليها ، تقدم الى احد رجال «ميشال » قائلا :

ـ ان الدوق يطمئنى على حياتى ، ويعرض مكافأة كبيرة لقاء رحيلي واجتيازالحدود ، اذا انا تزلت عما أنا فيه ورحلت من البلاد ، ، ولم يكد يتم قوله ، حتى هم بمعالجتى بطعنة من مديته،ولكنى ملت عنها بسرعة ، فلم تصب مني مقتلا ، غير انها جرحتنى ،والواقـع ان هذه الضربـة التى بعثهـا « الدوق ميشال » على يد رسوله لم تؤثر فى اطلاقاً : .

وفى منتصف السير ، انسللت تحت جنح الظلام ،وذهبنا انا والاتباع ، الى « زنده » ـ وهجمنا هجمة عنيفة على القاعة التى اسر فيها الملك .

فالفيناه ملقياً فى فراشه فمد يده الى مصافحاً ، فشددت عليه قائلا :

ـــ لقد اجهدت نفسى فى أن لا أعبث بكرامة الملك .

فاجاب بصوت خافت :

ـــ لااستطيع التعبير بالشكر ، غير أنك ستبقى معى .

فقلت :

كلا . اعفنى . لقد انهيت مهمتى ، وسيبقى الامر مكتوماً بيننا . فدعنى أذهب .

وعرفت الاميرة كل شيء ، فارسلت الى « فرتز » ترغب فى رؤيتى ، فذهبت اليها ، بعد أن أرتدى الملك ثوبه ولبست أنا ثيابى العادية وأخذت أكفر لها عما اقترفت وقلت لها ان الامر لم يكن بيدى.

فبادرتنى بقولها :

ـــ ولـكن حبي لك لم يكن مصطنعا ، فقد هويتك منذ الساعة الاولى ، وثق أن كل ماتحدثنى عنه لايؤثر فى نفسى ، لأننى صادقة فى غرامى.

قلت وقد شجعتنى كلماتها :

ـ ولـكن هل تظلين على ايثارى . اننى ذاهب لاجتياز الحدود. فهل تذهبين معى قبل أن يرانى أحد

قالت :

ـــ لو كان الحب كل شيء . . لسرت معك ! حتى ولو اقتضى الامر لبس الاطار . . نعم . لسرت معك الى أقصى المعمورة ؟ . . ولـكن لو كان الحب كل شيء لتركت أنت الملك يموت فى أسره فى « زنده » . ان الشرف ، يهيب بى الى عرفان الواجب ، وشرفى كائن فى اخلاصى لبلادى . ومن اجلها يجب ، أن أبقى .

* * *

ثم ظللنا حائرين جامدين !

وتم وداعنا المؤثر ؟

وهنا طرقت أذاننا ترانيم المعابد ، وأجراس الكنائس فكأنها ترثى لسرورنا الضائع ، وحبنا الدفين .. فوقفنا فى خشوع الوداع وجلاله ،، صامتين ؟

(*)

وركبنا ـ فرتز وسابت وأنا ـ الى الحدود ، حتى اذا بلغناها ، صافحتهما قائلا :

ـــ يارفاق ؟ لقد كنتم رجالا شرفاء ؟ وجريت معكم شوطا جميلا طويلا ؟ وتصافحنا ثانيـة ، وشيعانى بانظارها حتى غبت عنهما ... والآن

ـــ أسمع الهواء يحمل الى على أثيره صوت الاميرة العذب يردد إسمى بنغمة شجية ؟... أنى أسمعها الآن ، ولكن هل أرى وجهها الصبوح الباهت ... وشعرها الغزير الأشقر ... آه ؟ وا أسفاه؟ ان القدر لا يتكلم ، أو قلبى يوحى الى املى..؟؟

مسائل الشباب المصريين

الاقتصادية والقومية والروحية والجنسية

س . م ؟

مشاكل فى مصر متعددة . ومعظمها يرجع الى أننا نعيش فى عصر انتقال من الأخلاق القديمة إلى الأخلاق الجديدة . فاجتماعنا واقتصادياتنا وأخلاقنا فى تطور لاينقطع . واحتكاكنا بأوربا يجعل هذا التطور أحيانا سريعا أو يجعل هذا الاحتكاك شبيهاً بالاصطدام . وعند التحليل للعوامل المختلفة نجد أن الأساس لهذا التطور هو تغير الأحوال الاقتصادية التى يترتب عليها كل تغير آخر فى الاجتماع والأخلاق بل فيما هو أقل منهما شأنا وظهوراً

وأبرز المسائل التى تواجه شبابنا فى الوقت الحاضر هى المسائل الاقتصادية والوطنيه والدينية والجنسية

« * »

فاما المسألة الاقتصادية فتتضح فى هذا العدد العظيم من الشباب الذين تعلموا ثم لايجدون عملا . وذلك لأن مدارسنا لاتزال على نظامها القديم الذى قصد منه الى تخريج موظفين يؤدون المهام اليومية المتكررة فى الحكومة . وهذه المهام يكفى فيها الالمام بالقراءة والكتابة . فلما كثرت المدارس وكثر خريجوها وازدحمت الحكومة بأكثر من حاجتها من الموظفين رأينا عدداً غفيراً من المتعلمين العاطلين

وميدان العمل الحر يحتاج إلى كثير من الشباب ولكن شبابنا للاسف ليس فيهم الكفاءة للقيام به . فان حامل البكالوريا أو إحدى الشهادات من كليتى الآداب أو العلوم لايمكنه أن يزاحم شاباً إيطاليا أو يونانياً فى الحصول على عمل فى متجر أو مصنع . لأن هذا الأخير وإن كان أقل ثقافة منه يعرف مقداراً من الرطانة أو القليل من مبادىء اللغات الحديثة التى لا يعرفها الشاب المصرى .

كما أنه فى الاغلب يعرف كيف يكتب بالمكتاب أو يحسب بالآلة الحاسبة . ثم أن تربيته بين أسرة أوربية قد اكسبته شخصية نفتقدها فى شباننا المصريين فلا نجدها . فهو يعرف كيف يتحدث إلى السيدات أو الرجال فى لباقة وخفة فى حين يعجز الشاب المصرى عن ذلك . ونحن هنا بالطبع نعني بالعمل الحر أن يجد الشاب المصرى مكانا فى المتاجر القائمة . ولانفرط فى الامل فنقول انه يمكنه أن يؤسس بنفسه متجراً . فان هذا التأسيس يحتاج الى دربة طويلة وخسائر كبيرة . فقصارى مانطلب من العمل الحر هو الاستخدام فى المتاجر القائمة . وشبابنا يعوزهم الشيء الكثير من شروط الاستعداد للحصول على هذه الوظائف التى يحصل عليها أبناء الجاليات الاجنبية وان كانوا هم ـ أى شبابنا ـ أكثر ثقافة منهم

ونحن نحب لهذا السبب أن يتجه التعليم فى مصر نحو كسب العيش كما يتجه نحو التثقيف سواء فيجب أن تعرف وزارة المعارف مايطلبه متجر مثل شيكوريل أو بنك مثل بنك روما فى الشباب الذين يحتاجان لاستخدامهم . ثم نعلم طلبتنا بالمدارس الثانوية وبعض الكليات المواد التى تساعدهم على الحصول على وظيفة متواضعة فى ميدان العمل الحر

كما أننا يجب ألا نهمل روح الاقدام وأن نساعد الشباب على الابتكار وتأسيس المتاجر أو المصانع المستقلة التى يديرونها بأنفسهم . ولكن التأسيس ـ كما قلنا ـ يحتاج الى دربة طويلة ويتعرض القائم به الى خسائر كبيرة اذا هو اقتحمه واغلا بلا اختبارات سابقة تنبهه عن الخطأ والصواب فى سيره . ولذلك يجب أن نعلم شباننا التواضع والرضى بأن يتخذوا فى الابتداء بعض الأعمال الصغيرة كمستخدمين حتى اذا درسوها استطاعوا أن ينتقلوا منها الى غيرها الى أن تحين لهم فرصة الاستقلال وكنا نحب أن نرى فى المؤلفات الحديثة بعض الكتب السيكلوجية التى تبين لقرائها طرق النجاح فى البيع والعرض والاغراء بالشراء وتزيين الشخصية بالرشاقة ولباقة الحركة واختيار الزى الملائم وترتيب نافذة الدكان ونحو ذلك . فان هذه المؤلفات كثيرة فى أوربا وأمريكا ولكننا لانكاد نعرف منها واحداً فى العربية

كما أننا نعتقد أن تعميم الحركة التعاونية فى المدينة والقرية يفتح أبواباً جديدة فى ميدان العمل الحر وينبه الاذهان الى قيمة الاخلاق الفاضلة — وهى مع فضلها رابحة ـ فى التجارة والصناعة

ان العطل الذى يعانيه شبابنا المتعلمون كبير الاثر فى اجتماعنا . وعلى وزارة المعارف ـ قبل غيرها ـ يقع عبء العلاج الذى يمكن أن تقوم به خير قيام اذا هى عنيت بجعل الغاية من التعليم كسب العيش الى جنب التثقيف

* * *

وإذا كانت المسألة الاقتصادية ونعنى تفشى العطل أو عجز الشبان عن طرق ميادين العمل الحر من المسائل الخطيرة فان خطورتها قد تهم الشاب باعتباره فرداً أكثر مما تهم الامة . ولكن هناك مسائل أخرى تهم الأمة بمقدار ماتهم الفرد بل أكثر . فان الطريقة أو الاسلوب الذى يؤدى به الوجدان الوطنى أو الدينى يمس الأمة ويؤثر فى كيانها تأثيراً عظيما

فهذا الوجدان الوطنى أو القومى مثلا كما يعبر عنه شبابنا يجب ان يلقى كل العناية من قادة الفكر إذ ليس بعيدا أن تسود على عقول شبابنا نزعات تنمو وتتفشى وتخرج يوماً من التفكير والكلام إلى التنفيذ والعمل . وعندئذ نلوم أنفسنا لاننا أهملنا التوجيه ولم نقدم العدة الذهنية التى يحتاجها هؤلاء الشباب . فانى افتح إحدى المجلات التى يصدرها بعض اخواننا السوريين وهى مجلة الفتح فاجد فى صدرها أن من مبادىء المجلة « العالم الاسلامى وطن واحد » وأجد مقالا فى هذا العدد أيضا يدعو فيه كاتبه الى الا يختار الناخبون غير المسلمين نوابا عنهم . فهذا توجيه أعتقد أن الاقباط ليسوا هم وحدهم الذين يخشونه فى تطور القومية المصرية اذ ان المسلمين يخشونه أيضا .

وقد تلقينا دروساً عن لطفى السيد يجب ألا ننساها هى ان مصر وطن المصريين مسلمين ومسيحيين ويهوداً وكافرين وملحدين لا شأن للدين فى الوطنية . ولكن لطفى السيد لا يكتب ومحب الدين الخطيب يكتب . والجيل الجديد لا يعرف من هو لطفى السيد وما هى الجريدة التى كان يحررها ويجاهد فيها دعاة الدولة العثمانية والجامعة الاسلامية كما انه يجهل قاسم امين . مع ان هذا الجيل يستمتع بثمرة جهاديهما كليهما فى تحديد الوطنية المصرية وتحرير المرأة . وان كان لا يعرفهما . ولكن ما أدرانا أن يتكاثر أمثال محب الدين الخطيب . . .

ويتحتم علينا لهذا السبب أن نعد شبابنا بالعدة الذهنية (الايديولوجية) للوطنية الصالحة . ونحن فى ظروفنا القائمة نشبه أوربا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . ووجداننا الوطنى غامض يمكن

أن يستغل للخير أو للشر . فاذا ترك الخيرون الميـدان للاشرار فيجب ألا يلوموا إلا أنفسهم إذا فوجئوا يوما ما بدعوات مسمومة . والمذاهب السياسية الشائعة لاتزال مجهولة فى مصر بل هى مجهولة أكثر جداً مما نتخيل . فان الشبان يجهلون مبادىء الحريين ومعنى الديمقراطية ووسائل الحكم الديمقراطى ولا نذكر هنا الفاشية أو الشيوعية وأحزاب اليسار عامة

وعندنا اننا فى ظروفنا القائمة يجب أن نتوقى الغلو فيجب أن نبعد شبابنا عن مثل الفاشية أو الشيوعية . لأن مثل هذا الغلو يخلق ازاءه غلوا آخر فلا يكون غير الصدام والنزاع . ثم يجب ألا ننسى أن المذاهب الجديدة المتطرفة فى أوربا انما نشأت بعد تربية طويلة واسعة من المبادىء الديمقراطية فاذا كانت الحكومة غير ديمقراطية فى برلين أو رومه أو موسكو فان الشعب فيها كلها قد تربى التربية الديمقراطية . أما مثل هذه المذاهب فى مصر فانها لو قدر لها نجاح لعادت طغيانا لايختلف من طغيان المماليك أو ملوك الشرق المستبدين . وهذا يبعثنا على الشعور بعظيم حاجتنا الى بث التربية الديمقراطية والى غرس مبادىء الحريين فى مصر هذه المبادىء التى أفشت فى أوربا برامج الاصلاح الاجتماعى المختلفة وعممت التعليم ونهضت بالفقير وأوجدت النقابات للعمال وأمدتهم بمعاشات وقت الشيخوخة وبأجور وقت العطل وبنت لهم المساكن وكفحت الامراض وعممت التسامح الدينى ودعت الى الايمان بالعلوم وروجت للاكتشاف والاختراع .

نحن فى حاجة الى مبادىء الحريين هذه قبل أن نتحدث عن الاشتراكية والشيوعية والفاشية . وهذه المبادىء تقوم على روح السخاء والبر والمروءة . والجمهور يفهمها ويساعد على تحقيقها قبل أن يفهم نظرية التفسير الاقتصادى للتاريخ .

ونحن مع اعتقادنا بالقيمة الكبرى لهذه النظرية نستطيع أن نتحمل مغزاها الفلسفى ونؤجل العمل به دون أن نقلق . بل نزيد على ذلك ونقول ان هذه النظرية انما قامت وتفشت على الأساس الذى بناه دعاة مذهب الحريين وبعد ان ظهرت طبقة من المحرومين المتعلمين لها وجدان سياسى يدفعها الى المطالبة بحقوق لا يفكر فيها بتاتا المحرومون المصريون . وخلاصة القول اننا فى طورنا الحاضر نحتاج إلى الدعوة إلى الاصلاحات الاجتماعية التى تخدم الفقير والمحروم دون أن تبعثه على الهياج والامتعاض بل دون أن تبعث الطبقة السائدة على المقاومة العنيفة التى تجعل الجهاد عقيما أو تؤخر ثمراته

ولعل من أحسن ما يمكن الصحف المصرية أن تقوم به من الخدمة لقرائها أن تعنى بشرح المسائل الداخلية فى الامم الأجنبية المتمدنة . فان صفحة الأخبار الخارجية فى جرائدنا تكاد تقتصر على « العلاقات » السياسية بين الدول واشاعات الحرب وأخبار المعاهدات . ومع أن هذه الأخبار منيرة وضرورية فهناك غيرها مما ينير القارىء المصرى ويفيده أكثر نعنى الاصلاحات الداخلية فى المانيا وإيطاليا وأسوج وبريطانيا وغيرهن . فان شرح هذه الاصلاحات ينير أذهان شبابنا ويوجههم نحو الوجهات المثمرة فى ترقية وطننا كما انه يستبدل بالنظر القروى الضيق نظرا عالمياً نقيس به رقينا بمقاييس التقدم العالمى

* * *

وليست المسألة الدينية دون غيرها فى الخطورة عندما نتحدث عن مصاعب الشباب المصريين هؤلاء الذين غمرتهم الموجة العالمية . وهى ليست ناشئة من التشكك القائم على البحث والدرس . فان هذا التشكك هو فى الحقيقة أول درجات الايمان ولا يبعث عليه سوى الحماسة الدينية أو الارادة السكون الى مذهب تصطلح فيه النفس مع الكون . وحتى عندما ينتهى هذا التشكك الى الالحاد الصرف (وهذا فى ظنى مستحيل) فان الملحد عندئذ يبدى من المحاسبة لنفسه والشعور بمسئوليته اكثر جدا من كثير من المؤمنين . لأن هذا المتشكك دائب فى الدرس والنقد . وهو لابد منته فى آخر الأمر الى صوفية خاصة يرضاها لنفسه . وهذه الصوفية تستنبط منه أحسن ما فى طبيعته وتجعله انسانا اجتماعيا شريفا له ضمير يقظ بل ضمير متأنق

ولكن الموجة التى أشرنا اليها والتى غمرت شبابنا مسلمين وأقباطا هى موجة المجانة أى الاستخفاف بالدين . والماجن هنا لايبحث ولكنه لايبالى . وهو فى ظاهره مؤمن لانه يتزل على العرف ولكنه فى صميمه بارد بعيد عن الحماسة التى تمده بقوة البخار للعمل فى البر والخير . والحماسة هى الشرط الاساسى لكل دين لأن الدين يعنى العمل . ولايمكن العمل بلا حماسة أى حرارة الايمان وكل دين حسن . وكل دين يبعث فينا الحماسة اذا نحن درسناه وبحثناه . ولكن فى حياتنا القائمة وتعدد ألوان اللهو يصعب على الشاب أن يرصد بعض وقته للدرس . ثم هو قد لايجد المؤلفات لهذا الدرس أو يجد مؤلفات لاتستهويه ولاترغبه فى التعمق والتأمل . وهذا هو حال شبابنا المصريين

الآن ، فانهم أو على الاقل أكثريتهم لايبالون الدين

ولكن هنا يجب أن نقول أن الشاب المسلم أحظى بالعناية من الشباب القبطى . فان تاريخ الاسلام (والتاريخ بعض الدين بل واحد من أسسه) معروف وله مؤلفات كثيرة حسنة تبعث الحماسة التى تستتبع الايمان فالعمل . ولكن القبطى لايجد مثل هذا التاريخ لكنيسته . وقد يقال هنا أن تاريخ المسيحية فى العالم معروف وله مؤلفات كثيرة . وهذا صحيح . ولكن ليس فى العربية شىء منه . ثم أن الشاب المسلم يمتاز أيضا بثقافة دينية ضخمة هى فى متناول يده وذهنه . أما الشاب القبطى فلا يجد شيئا من ذلك . بل لولا أن المبشرين طبعوا الكتاب المقدس لكان الظن الاغلب اننا كنا نبقى الى الآن ونحن محرومون من هذا الاصل أو هذا الاساس لديننا

ونزيد على ذلك أنه فى السنوات الاخيرة تقدم جمهور كبير من المؤلفين المتفوقين والمتوسطين المسلمين ووضعوا مؤلفات مختلفة فى السيرة النبوية وسير صحابة النبى . ولهذا أثره الحسن فى بعث الحماسة الدينية فى قلوب الشباب المسلمين . ولكن الاقباط محرومون من مؤلفات مدنية تشرح حياة المسيح والرسل وأبطال الكنيسة كتلك المؤلفات التى وضعها هيكل وطه حسين وتوفيق الحكيم وغيرهم عن النبى والصحابة وأبطال الاسلام . ولذلك نستطيع أن نقول أن الشاب المسلم أحمس لدينه واكثر ابتعاثا للعمل وفق تعاليمه من الشاب القبطى الذى لايجد المنبهات لهذه الحماسة

ومصلحة الامة تقتضى العناية بالدين وباشراب النفوس مبادئه ومكافحة المجانة أى هذا البرود المميت والقنوع بعرف الايمان وشعائره الظاهرة دون التعمق فى مبادئه . ومن الخير العظيم لشبابنا أن يجدوا ما يمدهم بالحماسة الدينية من وقت لآخر فى كتاب يتناول بحث المبادىء أو حياة الانبياء والرسل . والرجل الذى يحيى ضميره يجب ألا ينكف عن بحث الدين وان يدرس مبادئه بمثل الهمة التى يبحث بها على الاقل السياسة العامة

***

وفى مصر بين شبابنا ما يمكن أن نسميه «المسألة الجنسية» وهذه المسألة — الى حد ما — لا وجود لها فى أوربا وأمريكا حيث الاختلاط بين الجنسين مستفيض وحيث كل منهما ينزل على الحقائق الواقعة ولايقيم لنفسه خيالا يناقض أو يخالف الواقع . وانفصال الجنسين فى مصر من العلل القوية

لمتاعب نفسية كثيرة تصيب شبابنا وفتياتنا سواء . ولهذا السبب يتفشى الانحراف الجنسى فى مصر بين الشبان كما يتفشى القلق العصبى بين فتياتنا اللاتى يلجأن الى التفريج عن سبيل الزار . والاصل فى كل ذلك هو هذا الانفصال بين الجنسين وهو انفصال يناقض الطبيعة

وقد كان القدماء يعتقدون أن الاخلاق الفاضلة انما هى مجهود الفرد وحده وأن قصارى مايطلب من المرء لكى يكون فاضلا أن يتبع أوامر دينه ونواهيه . ولكنا نعرف الآن أكثر من ذلك . فان الاخلاق هى ثمرة النظام الاجتماعى . وهذا الأخير هو ثمرة النظام الاقتصادى . وما عند الافراد من الاخلاق انما يكتسب بحكم البيئة الاجتماعية مع الكفاية الوراثية . فلا يكفى لأن نقول لأى انسان : كن فاضلا . لأننا قبل ذلك يجب نهىء له الوسائل التى تيسر التزام الفضائل واجتناب الرذائل . وهذه الوسائل لاتكاد تخرج أو تزيد على خصائص هذا النظام . والشاب المصرى فى ميزاته ونقائصه وفضائله ورذائله بل أمراضه الجسمية والنفسية انما هو مسير بقواعد هذا النظام لاجتماعى

وجميع الذين احتكوا بالشباب المصريين ودرسوا مشاكلهم يعرفون مدى القلق النفسى الذى يستوحذ عليهم من جراء المتاعب الجنسية . وهو قلق يتخذ ألوانا مختلفة . فهذا شاب دائم التذمر بل التمرد . وهذا آخر لايلتزم عملا كثير التنقل والسخط . وهذا ثالث قد يتفاقم معه القلق فينتهى إما بالسجن وإما بالمارستان

ولسنا بهذا القول ندعو الى الاختلاط العاجل فان للعجلة عواقب سيئة ولابد من أن نسير فى الطريق الوئيد طريق التطور نحو الاختلاط بين الجنسين . والفصل بين الجنسين هو فى عصرنا أشد مرارة وقسوة وأدعى الى الخبل مما كان قبل خمسين أو مائة سنة . على الرغم من القليل الحاصل من الاختلاط فى عصرنا . و ذلك لأن آباءنا وجدودنا كانوا يتزوجون فى سن مبكرة فلم تكن غرائزهم الجنسية تجد سبيلا الى الخلل . أما الآن فاننا نتأخر فى الزواج الى الثلاثين أو أكثر . والشاب الذى يصل الى هذه السن وهو لايختلط جدير بان تنحرف غريزته الجنسية أو يهوى الى مهاوى البغاء . ومع اننا نقدر الفائدة من القليل من الكبت فاننا يجب أن نعترف بأن الكبت التام هو السبيل الى كثير من الرذائل والامراض . وكل ما نستطيع أن نعمله فى ظروفنا الحاضرة هو أن نعمم بين شبابنا الثقافة الجنسية التى تبين الاضرار الفادحة التى تنشأ من الامراض الزهرية ومن الانحرافات الجنسية . وأن نبين لهم مصاعب الكبت

ومايؤدى اليه . وهم عندما يعرفونها يكونون اقدر على تجنب عواقبها السيئة بالطريق السليمة كالتسامى أو غيره . ويجب أن يدخل فى هذه الثقافة الجنسية التى ذكرنا طرق منع الحمل لكى تجرىء الشبان على الزواج فى سن مبكرة دون أن يخشوا العيلة قبل أن يستعدوا لها الاستعداد الاقتصادى . وهذا بالطبع الى تشجيع الاختلاط بين الجنسين فى اجتماعات مهذبة يشرف عليها أشخاص مسؤولون حتى يعتاد شبابنا وفتياتنا هذه الحياة الجديدة

ان المشاكل الكبرى التى يلقاها شبابنا فى طورنا الانتقالى الحاضر أربعة . اثنتان منها لا تمسان الوطن مباشرة هما مشكلة تحصيل العيش وتوقى العطل والمشكلة الجنسية . فانهما جاثمتان على قلوب معظم الشبان . أما المشكلتان الأخريان وهما مشكلة المجانة نحو الدين وفساد العقيدة القومية فأكثر مساسا بالوطن منهما بالفرد . ولكن يجب أن نقول أن كل ما يشكوه الفرد يجب أن يكون موضع الاهتمام من الوطن كله . وكذلك ما يمس المصالح الوطنية يجب أن يكون موضع اهتمام الفرد

الاسبوع خمسة أيام

اللورد ترنت هو من أثرياء الانجليز وهو صاحب مصانع بوتس التى تصنع المواد الكيميائية والعقاقير . وهو مثل كثير من كبار الصناعيين الانجليز يتجه نحو التفكير الاجتماعى . فانه أنشأ صندوقا للعمال جمع فيه فى مدى الاثنتى عشرة السنة الماضية نحو أربعمائه الف جنيه جمعت بالتعاون بين العمال من ناحية وبين الشركة من ناحية . وهو يقصد من جمع هذا المبلغ أن يعطى معاشا لجميع العمال عندما يبلغون الستين سائر حياتهم . فالعمال عنده لا يخشون الشيخوخة ولا يؤدى بهم العجز إلى الفاقة

ومن أعظم مبتكرات اللورد ترنت انه جعل الاسبوع خمسة أيام أى أن العمال ينقطعون عن العمل آخر نهار الجمعة ولا يعودون إلا فى صباح الاثنين وهم مع ذلك يتناولون أجر اسبوع . وهذان اليومان من الراحة يبعثان فيهم النشاط للعمل والرغبة فى الاجادة

من الادب الروسى :

نعاس.

لانطون تشيكوف

.. الوقت ليـل ، والمربية فاركا ، وعمرها ثلاث عشرة سنة ، تهز مهد الطفـل الصغير بيدها وهى تتمتم أنشودة فى صوت وئيد خافت:

« بايو . بايو .

سأغنى لك أغنية جميلة . . »

وفى جانب الحجرة يخفق مصباح باهت يرسل خيوط أنواره الخضراء الغامضة على الحـائط الأيمن من الحجرة ، حيث أردية الصبي معلقة ، وفى سقف الحجرة تسطع بقعة من النور خضراء باهتة ، وأثاثات الحجرة الصغيرة ترسل أطيافا على الموقد فى ناحية اليسار . وعلى مهد الطفـل . وعلى فاركا . وتشبع فى الحجرة رائحة غامضة .

والطفل يبكى . ورغم انه كان هزيلا ضعيفا من كثرة البكاء الا أنه كان لايزال يبكى . ولسنا نعلم متى يسكت . وفاركا تريد أن تنام . فجفناها الباهتان ساقطان . ورأسها يدور ، ورقبتها تؤلمها . ووجهها الساذج الاصفر . وكل جارحة فيها تريد أن تنام .

« بايو . بايو .

سأغنى لك أغنية جميلة . . »

ويزقزق صرصور ناحية الموقـد ، ومن الغرفة المجاورة يسمع صوت رب البيت مع ضيفه أثاناسيوس . وفاركا لاتزال تهز المهـد ، ولاتزال تتمتم فى خفوق وسكينة . ولـكن الطفل لا ينام .

وتخاف فاركا أن تتركه وتنام لان قسوة سيدها وسيدتها لاتزال ماثلة أمام عينها فى الكدمات العديدة فى جسمها الضعيف الناحل .

ويخفق اللهب . وتتحرك البقعة الخضراء فى السقف ومعها تتحرك الاطياف . وتلاحظ ذلك فاركا بعينيها الثابتتين النصف المفتوحتين . وهناك أطياف أخرى غير التى ذكرناها تدور فى قسوة وعنف ، أطياف مظلمة غامضة خلقها خيال فاركا النصف المستيقظ . وهى ترى حيث تنظر السماء من النافذة فى أقصى الحجرة سحائب سوداً قاتمة يطارد بعضها البعض ويصرخ المنهزم منها . ويعول الطفل . عويل الطفل الكريه الراقد . وتهب ريح . ويختفى السحاب ، وترى فاركا طريقا متسعا يملؤه طين لزج ، وترى عربات متتابعة ، ورجالا منهوكى القوى ، يحملون أثقالا على ظهورهم ويزحفون فى بطء ومشقة . والاطياف تخفق ثانية فى حلوكة الليل البهيم .

وترى فاركا خيالات أخرى ولكنها لاتزال ترى الرجال . فهم قد وقفوا وسط الطين اللزج ، واستطابوا الهزيمة وسكنوا إليها . ولكن . « لم هـــذا ؟ » تساءلت فاركا . فأجابها خيالها المحموم المضنى : « ليناموا ليناموا . » وقد نام الرجال . نوما عميقا ، ساكنا ، حلوا . وترى فاركا السحاب الراعد العابس يوقظ النائمين بصوته الاجش الهادر . كصوت الطفل الكريه الراقد .

« بايو . بايو .

سأغنى لك أغنية جميلة . »

وترى فاركا فيما ترى من خيالات والدها ياكيم ستيبانوف يرقد على الارض جوارها . ولكنها لاتكاد تتميزه بل تسمع صوت جسمه المتقلب وأنفاسه الزاخرة فى مشقة وتعب . تذكرت فاركا أنه كان ذا فتق . وكان ألمه هائلا حتى لم يكن ينطق بحرف واحد بل كان يخرج أصواتا متحشرجة فى بطء رهيب قاتل . « بو . بو . بو . »

وترى فاركا الطبيب وقد أتى أنه أمر بنقله إلى المستشفى لخطورة حالته . وتذكر أيضا أنه لم تكن هناك وسيلة لنقله إلا عربة الخضراوات الهرمة . تذكر كيف حملت أباها تساعدها العمة بلاجيا ووضعته فى العربة نصف حى ، حيث مات فى المستشفى حال وصوله . تذكر ذهابها الى الغابة حين وصول النبأ إليها حيث بكت وبكت حتى تعبت من كثرة البكاء وحتى نامت .

وتصيح فاركا إثر صفعة قاسية على قفاها وترى سيدها مائلا كشيطان وهو يهدر:

« فاركا . أيتها اللعينة . كيف تنامين والطفل يبكى ؟ »

وتصحو المسكينة ، وتطرد النوم عن عينها ، وتهز المهد بيمينها وتتمتم فى همس .

وتخفق بقعة النور الخضراء وتعود الاطياف والخيالات تتملكها . وترى الطريق المغطى بالطين وترى الرجال وعلى ظهورهم الاثقال . لقد عاودها النوم . لكم تتمنى أن تضطجع فى تراخ ودعة ! لاتزال ترى الاطياف . وأيضا العمة بلاجيا ، وتسمع صوتا يقول : « هاتى الطفل يالعينة . إنك نائمة . » وتستعيد فاركا شعورها . لاترى خيالات ، ولا البقعة الخضراء ، ولا الرجال النائمين فى الطين ، بل ترى أمامها سيدتها وقد أتت على صراخ الطفل . وتقف الفتاة فى منتصف الحجرة وعلى وجهها ألم ممض .

ويأتى ضوء أبيض باهت من النافذة ، فتختفى الاطياف . وكذا البقعة الخضراء . وتضع الأم وليدها فى مهده وتعاود فاركا الغناء وتداويه . ولكن النوم القاسى يعاودها فى شدة وهى تطرده فى مشقة . ويثقل جفناها ويدور رأسها ويميل

«فاركا .. أيتها اللعينة .. اوقدى المدفأة»

ومعنى ذلك ان النهار قد طلع وعليها أن تبدأ عمل اليوم . وهى تترك المهد اللعين وتذهب لتأتى بالوقود . ان أساريرها منشرحة . فعندما تمشى أو تجرى لايغريها النوم كما يغريها وهى جالسة . وتأتى بالوقود وتشعل النار . ويضىء وجهها ويصفو ذهنها

« فاركا .. نظفى فراش سيدك »

وتذهب فاركا لتنظف فراش سيدها . وهنا يعاودها النوم ولكنها تطرده فى عزم ممض

«فاركا .. نظفى سلالم المنزل» فتنظفها وتوقد المدفأة الاخرى فى سرور ورضى

«فاركا .. قشرى البطاطس» وتذهب فاركا الى المطبخ لتقشيرها . تلك أصعب مهمات اليوم ، فهناك حيث الدفء يعاودها النوم وهى جالسة . وتلمع السكين فى يدها ثم تسقط وقد نامت وتصرخ ربة البيت ، وتصحو المسكينة وتعاود تقشير البطاطس .

ويمر النهار فى سلام ويأتى الليل البغيض ويأتى معه ضيوف سيدها .. كثيرو العدد ، عديدو المطالب

«فاركا، حضرى الشراب وتحضر فاركا الشراب

«فاركا، اذهبى واشترى زجاجتى جعة ـ وتذهب فاركا وتشترى الجعة

«فاركا، أين الفودكا ـ فتأتى بها

«وأخيرا يذهب الضيوف الى خير رجعة. تطفىء فاركا الموقدة. والوقت ليل

«فاركا.. لاحظى الطفل وهزى مهده حتى ينام

وتأخذ فاركا الطفل وتضعه فى المهد. وفى ناحية الموقد يزقزق صرصور، وفى السقف بقعة خضراء، وخيالات الاثاث تمر امام الفتاة. وتتملكها الاطياف

بايو -- بايو --

سأغنى لك أغنية جميلة --

ولكن الطفل يصرخ ويكاد يشق طوقه من الصراخ ـ وترى فاركا طريقا عريضا فيه طين لزج وترى رجالا وعلى ظهورهم الاثقال، وترى العمة بلاجيا، وترى أباها المسجى ـ ترى كل اولئك فى وضوح وقوة ـ ولكنها لاتكاد تفهم ـ وتنقل بصرها فى الحجرة تبحث عن شىء يريحها وينقذها من عذابها فى توسل حزين ـ ولكنها لاتجد شيئا ـ وأخيرا تتملك شعورها وتركز فهمها وبصرها فى محتويات الحجرة لترى العدو الخفى. ترى البقعة الخضراء وترى خيالات الاثاث فلا تفهم شيئا وتنتبه أخيرا على صراخ الطفل -- وترى عدوها اللدود -- انه الطفل --

وتضحك فاركا ـ لقد ذهلت ـ كيف لم تعرف قبل ذلك شيئا بسيطا كهذا -- وخيل اليها أن الصرصور يضحك منها ـ وان البقعة الخضراء فى السقف تتطلع اليها فى هزؤ وسخرية ـ وتتملكها فكرة ـ وتقوم من مكانها وتتمشى فى الحجرة ذهابا وجيئة وعلى شفتيها ابتسامة غامضة مروعة ـ لقد تملكتها الفكرة وسعدت بها -- سوف تتخلص من الطفل الذى أنهكها وحطم حياتها -- سوف تقتله وتنام ويصفو ذهنها وتتقد بصيرتها ـ لاتزال الابتسامة الغامضة على شفتيها ـ تقترب من المهد وتنحنى فوق الطفل -- ويعلو صراخه ثم يخفق فى دعة ثم يهدأ وينام ـ

وتجلس فاركا على الارض بجانب المهد فى براءة الطفولة ـ تتملكها النشوة وتسرى فى عروقها سعادة هائلة -- لأنها ستنام ـ ولا يلبث رأسها أن يدور ثم يسقط ببطء على الفراش ـ وواتاها النوم فى سكون وعمق كسكون الطفل المسجى جوارها ـ

ترجمة محمد سعد فوزى

فلسفتي في الحياة

بقلم كمال أتاتورك رئيس الجمهورية التركية

نشرت جريدة « بلقان هيرالد » التي تصدر في بلغراد عاصمة يوغوسلافيا حديثا لكمال أتاتورك رئيس الجمهورية التركية نلخصه فيما يلي :

اجتزأت من وقتي فترات قضيتها في مطالعة طائفة من الكتب لأشبع رغبتي في معرفة آراء الفلاسفة في الحياة فخرجت من مطالعاتي بنتيجتين . احداهما أن الفلاسفة الذين ينظرون الى الحياة من ناحيتها السوداء يقولون « مادمنا فانين ، كتب علينا الفناء ، فليس في هذه الحياة الدنيا متسع للسرور والسعادة » والنتيجة الثانية أن فلاسفة أكثر من سابقيهم حكمة قالوا « اذا كان قد كتب علينا الفناء ، فلنقض الحياة في مرح وسرور »

وأنا من الذين يأخذون بهذا الرأي الاخير ويوافقون عليه ويعملون على تحقيقه إذا توافرت فيه شروط لايمكن ان يتحقق بدونها .

إن التعس حقاً هو الذي يعتقد أنه ، بمفرده ، ينهض دليلا على وجود النوع البشري . أو أنه ، وحده يمثل حياة الناس . إنه جرىء على الحقيقة متجن على ما اصطلح عليه الناس من أن الرجل ، كفرد في المجتمع ، مكتوب عليه الفناء فيصبح أثرا بعد عين . ومن ثم وجب عليه العمل لا لنفسه ولكن لتهيئة حياة تسعد الاجيال القادمة . ولايستطيع رجل رشيد أن يشذ عن هذه القاعدة أو أن يحاول ان يعتقد غير ذلك لان السرور الشامل والسعادة الكاملة لاتتوافران في هذه الحياة الدنيا الا للذين يصدرون في أعمالهم عن رغبة صادقة في تهيئة السعادة والرفاهية للاجيال القادمة

ولكن قد يصغى الرجل الرشيد الى هاتف من نفسه يقول له : « من أين للاجيال القادمة أن

تعرف أنك كنت قاصداً الى نعسها عاملاً على تهيئة سعادتها ؟» وهنا أكرر ماصرحت به مراراً وما زلت أدعو إليه وهو أن أسعد الناس طراً هم الذين يتطوعون فى خدمة الاجيال القادمة ثم لا يريدون منهم جزاء ولا شكوراً

لكل منا رأيه فى لون السعادة التى ينشدها ، وفى الوسيلة اليها . فمنا من يريد الوصول اليها عن طريق غرس الأرض وجني الثمر . أو تعهد الورود والرياحين . ومنا من يعتقد أن الوسيلة الفاضلة للسعادة الكاملة هى أن ينشىء الرجال ويتعهدهم . وانك اذا سألت الرجل الذى يتخذ تعهد الورود والرياحين وسيلة الى اسعاد نفسه ، عن الفائدة التى يرجوها من عمله هذا ، لاجابك على الفور : لست أبغى فائدة ولست أرجو نفعاً وحسبي ان اشعر بالسعادة . أفلا يحسن أن يحذو الرجل الذى ينشىء الرجال ويتعهدهم حذو ذاك الذى يغرس الورود والرياحين ويتعهدها ؟ ان الرجال الذين يعملون بهذه الروح هم ، دون خلق الله أجمعين ، الذين ينفعون أوطانهم ويبنون مجدها ويضعون الحجر الاساسي فى صرح سعادة الاجيال القادمة

أما الذين يضعون مصلحتهم الشخصية فوق مصلحة وطنهم ويظنون ان عظمة وطنهم مرهونة ببقائهم ، تفنى بفنائهم ، فليسوا فى العير ولا فى النفير ، ولا خير فيهم ، واذن من الخطأ البين أن يظن رجل ، كائناً من يكون ، أن نهوض وطنه يقف بوقوف دقات قلبه

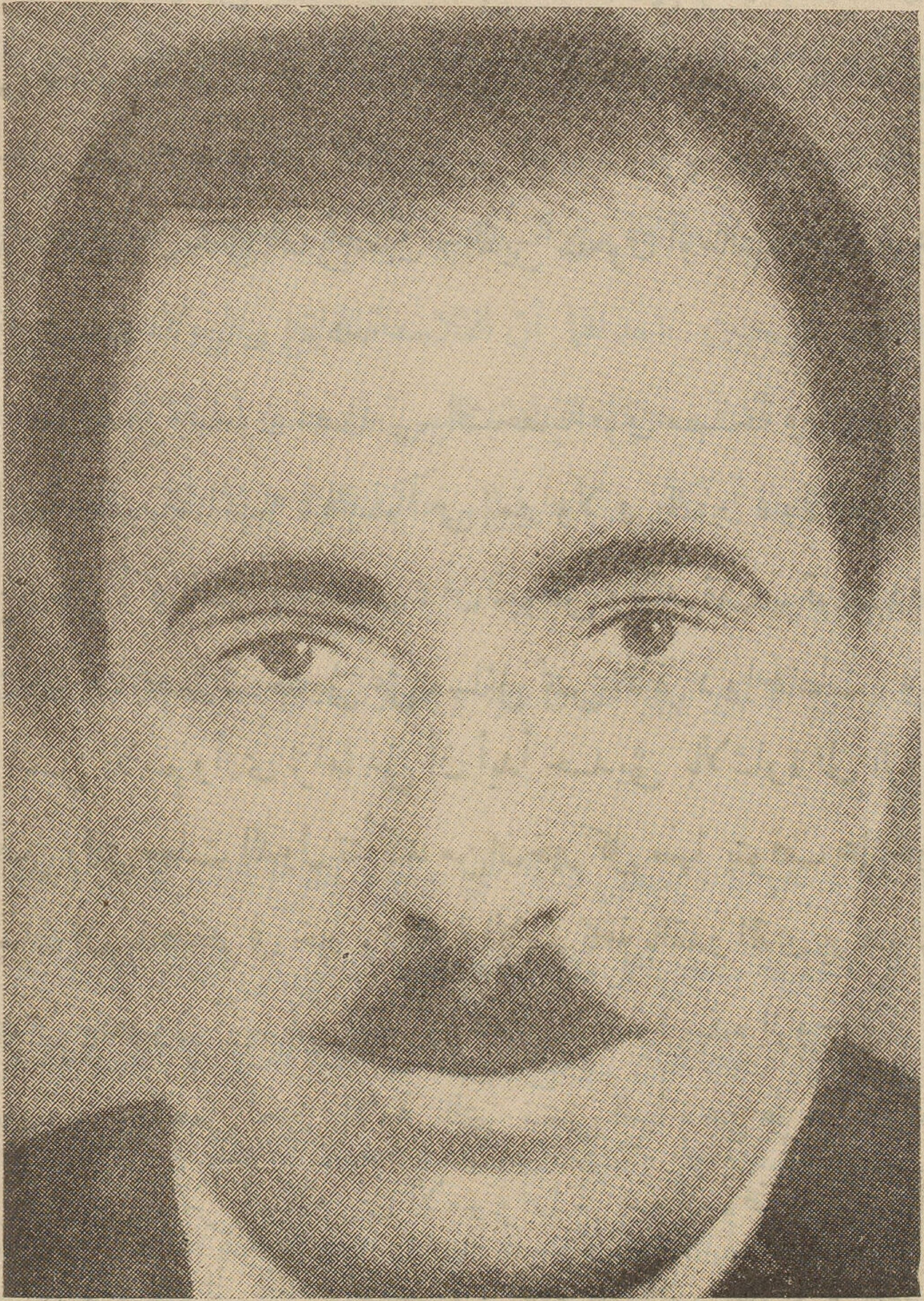
الى هنا قصرت حديثي على مسائل تمس الافراد والجماعات . وسأنتقل الى الكلام عن المسائل التى تمس الامم وأرى لزاماً علي أن أبدأ حديثي بالاشارة الى الروح التى سادت العالم فى الوقت الحاضر والتى جعلت الدول تتأكد من ان خير كل منها يتوقف على خير الاخريات . ومن ثم يجب على الانسان أن يفكر فى خير ورفاهية الامم كافة بالقدر الذى يريده لوطنه . وأحسب أن كل العاملين المخلصين يعتقدون أنهم لن يخسروا شيئاً اذا عملوا بهذه الروح لان العمل لخير المجتمع هو فى الواقع إحدى وسائل العمل لخير الامة التى ننتمى اليها ، عن طريق غير مباشر .

واذا لم ينتشر السلام بين الامم واذا لم يعم النهوض وتسود الرفاهية ، فان العمل لخير أمة بعينها قد لا يؤدى الى الغاية المنشودة . هذه نصيحتى أسديها لاصدقائى وأحبابى .

صحيح أن زعماء الامم مسئولون عن العمل لخير وطنهم . ولكن يجب عليهم أن يخدموا المجتمع أى جميع الامم فوق خدمتهم لوطنهم

أدباء مصر يكرمون الأديب الوزير

لما نال الاديب الكبير محمد حسين هيكل باشا منصب الوزارة ورتبة الباشوية عقد أدباء القاهرة احتفالا لتكريمه . ونحن ننقل هنا ما قالوه فى أدب هيكل باشا



« صاحب المعالى محمد حسين هيكل باشا »

كلمة منصور فهمى بك

رأى لفيف ممن تربطهم وشائج الصداقة والأدب بالدكتور هيكل باشا ان يقدموا لذلك المؤلف الكبير وزميلهم فى القلم ، وصديقهم تحية صادقة للمناسبة السعيدة التى تجلى عليه فيها عطف المليك الكريم . ولقد قدر هؤلاء الأعضاء من أسرة القلم ان تفضل جلالة الملك باكرام عضو نابه من اسرتهم ، انما هو تفضل يمتد إلى حملة الاقلام جميعاً . ولا عجب اذا حظى حملة الاقلام بعطف الملك المحبوب المرجو ، فلقد كان المرحوم والده العظيم ، شديد البر بالحركة الأدبية .

شديد الرعاية لها ، والحدب على مزاوليها . ومن شابه ابه فما ظلم ؟

إذا كان مختلف الطوائف التي تتكون الامم من مجاميعها تطمع في رعاية عامليها وعطفهم ، فان احق الطوائف بهذا الطمع هم المشتغلون بالأدب السليم الراقي ، لأنهم الممهدون لسبيل الحياة الفكرية في الجماعات ، ولأنهم الدعاة للحياة الرفيعة في الامم ، ولأنهم العاملون على بث الحياة الروحية في الشعوب

وإذا كان الملوك بطبيعة مراكزهم ، ونقاء عناصرهم ، هم مثل عليا للحياة السامية العالية ، تفيض من سماها على الامم والشعوب سموا وازدهاء ، فان الأدباء الحقيقيين الجديرين بخدمة القلم ، هم الأدوات الصالحة التي تتحقق بنشاطها الحياة الراقية ، وهم الذين يبثون في الناس ما يفيد من كل مصادر الفيض الرفيع . فبين الأدباء والملوك اذن صلة الفيض العالي بمجراه . ومن حق كل أديب اذن ان ينتعش عندما يكرم جلالة الملك فردا من أسرة الادب

وهذا اليوم الذي يجتمع فيه الادباء لاظهار حظهم من الانتعاش ، انما هو جهر بما للادب من كرامة .

ربما كان يود الدكتور هيكل باشا لو أن اخوانه الذين شاطروه في كل ما تحرك له فؤاده من حوادث الحياة ، ارسلوا تحيتهم اليه في حفل عائلي مقصور على الزملاء خاصة والاصدقاء تواضعا منه وحرصا على راحة الحاضرين . لكن الظروف تقضي الا نكون عند رغبة المحتفل به ، وذلك لأنه كسب للادب ان يلتقي الاديب بقارئيه ومقدريه في كل فرصة سانحة . وفي ذلك اللقاء يبوء الادب الحي من حيث لا يتعمد بتحقيق الصور الاجتماعية من منازع النفوس .

لذلك حرص زملاء الدكتور هيكل باشا على ان يخرجوا الاحتفال من دائرة الصداقة الضيقة ، إلى دائرة أوسع ، يتاح فيها للمعجبين بنبوغ الدكتور ان يشتركوا في مسرة الادباء ، فلجأ القائمون بالاحتفال الى وزارة المعارف في تخير هذا المكان . وسرعان ما لبت الوزارة رغبتهم . فلها ولجميع الحاضرين صادق الشكر ، ووافر الثناء

يعز على الا يمكنني دوري في هذه الحفلة ، وفي الدقائق المحدودة للخطباء والمتكلمين ، من عرض ما اعرف من شمائل المحتفل به ومزاياه . لكن يهون على انه يتاح لمن يتناولون الحديث من اخواني ذكر بعض ما يعلمون عنه من خير كثير

وليسمح لى ان أقول : اننى عرفت هيكل باشا الذى ارتفع به قلمه الثابت وجهاده الفكرى الى أعلى الرتب ، من نحو ثلاثين سنة وهو بين طلاب العلم وبين أعضاء الجمعيات العاملين ، وبين ناشئة الكتاب المتميزين . وكان يبشر منذ أدب الشباب الرائع بما كان ينتظره فى كهولته من نضج الادب وكان سمو خياله فى صباه ينبئ بطموحه فى سمو المقاصد ونيلها . وكان صدقه وصفاء طويته يشعرنا بصدق وطنيته ، وفوق ذلك فقد كان هيكل طالب العلم والكاتب والمحامى فى صفاء من الود لا يتسرب اليه حقد لخلاف فى رأى . ولم يقطع صلة من صلات المودة لغضب . وهو يتكشف فى كل عن عرف حسنة يحييها ويرتبط به من أجلها . فهو حبيب للجميع محبب الى الجميع ، وأهل لكل تكريم من الجميع .

كلمة مصطفى عبد الرزاق بك

كنا شبابا ، ليس للماضى سلطان على نفوسنا ، لان ماضى الشباب ضيق غير رحب . ضئيل الحظ من الذكريات . وكان المستقبل كل همنا

فالمستقبل منبسط بين يدى الشباب فسيح يتسع للاحلام والتخيلات ، تترقرق فى افاقه كالسراب ، يبدو قريبا حينا فيبعث الأمل ، ويبدو بعيدا حينا فيبعث الاشفاق . وخير لذات الحياة احلام وأمانى تتردد بين الرجاء والاشفاق

كنا شبابا . نطلب العلم فى باريس ، وذهبنا ثلاثة الى بعض الملاهى ، نلهو كما يلهو الشباب ، ووجدنا هنالك عرافا ، يصف للناس اسرار نفوسهم . وينبئهم بما يضمر الغيب لهم فى المستقبل المحجوب . فذهبنا نستبق ، الى كاشف الحجب عما يجىء به الغد ، منصرفين عن كل ما يطيف بنا من صنوف اللعب والمتاع

وقد كان الرجل من غير شك فطنا ذكيا ، فقال لنا فى أنفسنا قولا بعضه حق ، وأعدنا بذلك لتصديق ما هجم به على استار الغيوب

قال لاحدنا وهو يومئذ اصغرنا سنا ، واحدثنا بباريس عهدا ، انك ستكون عظيما بين اصحاب القلم . ولم تكن هذه البشارة كبرى البشائر التى شرح العراف بها صدورنا للمستقبل . لكنها كانت

على ذلك اكثر روعة فى نفوسنا وابلغ تأثيرا من كل ما عداها

ذلك بان الشباب المصرى المثقف ، كان فى ذلك العهد ينزع بحماسة الى مذاهب الديموقراطية التى تريد ان تهدم التفاوت بين الناس ، بالاموال والانساب والمناصب لتبنى مراتب البشر على اساس الثقافة والعلم - وكان يصور المثل الاعلى للارستقراطية الجديدة فى قلوب الشباب استاذ الجيل لطفى السيد

قد تكون بشارة العراف لزميلنا الشاب اعانت على توجيهه وجهة الدراسات الادبيــة الى جانب دراساته القانونية والاجتماعية وكان زميلنا من الذكاء والجد والنشاط بحيث نهض بهذه الدراسات المختلفة نهضة السباق الممتاز

ونال الدكتور محمد حسين هيكل شهادة الدكتوراه قبل ان ينالها اخوانه وعاد الى وطنه فاشتغل بالمحاماة وتبوأ بين رجالها مقاما كريما ، على انه لم يزل يساهم فى الحركة الادبية بنصيب موفور . ثم تولى تحرير السياسة فمهد اسباب نهضة الادب الصحافى المصرى وضاق الميدان السياسى عن ثمرات جهوده فانشأ السياسة الاسبوعية خالصة لتغذية الحركة الادبية وكان لها فى العالم العربى اثر غير منكور

لم يكف كل ذلك فى ارضاء طموح الدكتور هيكل ولم يتسع لثمرات جهوده الخصيبــة فنشر الرسائل والف الكتب والقى المحاضرات والخطب

وليس فيما يكتبه الدكتور هيكل شىء من نوع الادب الرخيص الذى لا يقتضى جهدا ولا يحمل عناء بل كل اثاره الادبية تمتاز بالفكر العميق والتحليل الدقيق ولا تخلو من فن فى الصياغة والاسلوب يخلب الاذواق والقلوب

تأثر ادبنا منذ اوائل هذا القرن بالادب الغربى تأثرا عظيما حتى اصبحت اساليبنا نوعا من انواع الترجمة للاساليب الفرنجية واصبحت معارض تفكيرنا مقتبسة مما عند الاجانب بل كادت تصبح موضوعات تفكيرنا عارية بعيدة الصلة بحاضرنا وماضينا

واذا كان لا غنى لادبنا عن التغذى بالاداب الاجنبية فان من الخطر على كياننا الادبى أن تفنى أساليبنا فى البيان ومنازعنا فى الذوق والاحساس والتفكير فى منازع غيرنا ، ومن الخطر على كرامتنا واستقلال عقولنا أن نلتمس فى غير ماضينا وفى غير حاضرنا وفى غير مستقبلنا وجهات تفكيرنا :

والدكتور حسين هيــكل يعتبر بحق أسبق من تنبهوا من رجال الادب الحــديث الى هــذه

الاخطار ، فنهض لتلافيها بكفاية وحزم .

وفى كتاب (حياة محمد) وكتاب (فى منزل الوحى) توجيه للأدب العربى جديد يصونه عن فقدان شخصيته فى الاداب الاجنبية من غير أن يضيع عليه معنى من معانى النهوض والتجديد والرقى .

عظيم بين أضحاب القلم من تكون آثاره الادبية كآثار الدكتور محمد حسين هيكل فى جلال شأنها وكثرة عديدها ومن يكون مقامه فى توجيه الادب توجيها صالحا مقام المؤلف لكتاب (فى منزل الوحى)

ولقد صدق عراف باريس منذ عشرات السنين فهو لم يقل إلا حتما ولو كشف الغطاء لعراف باريس عن الغيب كله لرأى نواحى من عظمة هيكل لا يزال الزمان يكشفها .

وهيكل قبل ذلك كله وبعد ذلك كله عظيم الاصدقاء

كلمة الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

كنت أؤثر أن اكتفى من المشاركة فى هذا الاحتفال - بالتشريف ، والاصغاء ، والتصفيق لاسباب شتى لأأدرى أيها أقوى . ولكنى أسرد لكم ما فطنت الى أنه دار بنفسى منها ، والرأى لكم فيها . ويغرينى بذكرها أنه لا يخلو من فائدة . فمن ذلك أن المشاركة الصامتة تنظمني فى سلك الوجهاء وتحشرنى فى زمرة الكرام الذين يتفضلون مثلكم بتشجيع الادب والادباء . ومنها انى خشيت أن يقال زميل قديم يثنى على زميله . ولن اثنى والله الا بالحق وان رأسى لعلى كفى والرزق على الله ولكن الناس ظنونهم شكول . وما يعنينى أن يظنوا بى أنا ما يشاءون ولكنه يعنينى الانصاف وان لايجوز فرع على أصل ومنصب عارض على أدب باق . وخفت كذلك أن يقال وزير يرجى ويخشى ولهذا كان التكريم ومن أدرى الناس أن اكثر دعائى اليوم أن يعفينى الله من خير الوزراء ويقينى شر ضعفهم ؟ على أنه لم يزد شيئا بالوزارة ولست أراها غيرته عن هدى به وليست الوزارة جاها أو ربحا وانما هى تبعات ثقيلة لا يستخف بها الا من ليس كفؤا لها . وما كان هذا التكريم لمنصب قلده أو رتبة منحها بل لأدب لا تختلف قيمته أو تتفاوت تبعا للمنازل التى ينزلها صاحبه فى حياته العامة

وأخيرا حيرنى الامر فان الكلام فى أدبه وألوانه وتطوره واتجاهاته ، يطول ويمتد به النفس الى غير نهايه . وقد شككت فى قدرتى على تقطير الكلام حتى يتجاوز بى المسافة الزمن المضروب، واشفقت أن ابخسه حقه بالسهو أو بالاضطرار الى الايجاز . وغير مقبول أن يتناول المرء قبضة من رمل ويقول هذه هى الصحراء أو أن يملأ كوزا ويروح يزعم أن هـذا هو البحر . ولـكنه لا مفر من هذا الاقتضاب فارجو منه ومنكم أن تغتفروا لى قصورى وان تغضوا عن حماقتى فى زيادة التضييق على نفسى بهذا التمهيد

اذا كانت الذاكرة لم تخنى فقصة « زينب » هى أول ما افتتح به الدكتور هيكل حياته الادبية على أن أهم من ذلك انها كانت لونا جـديداً من ألوان الادب المصرى فى وقت كانت فيه المعركة حامية بين القديم الجامد الذى لم تبق فيه قطرة من ماء الحياة وبين دعاة المذهب الحديث . وصحيح ان ما يشبه القصص كان قد ظهر قبل ذلك مثل سطيح وعيسى ابن هشام ولـكن زينب كانت أول قصة بالمعنى المفهوم من هذا اللفظ . ولم يتلها غيرها لأسباب يطول الكلام فى شرحها فلنعد عنها . ولا يسعنى الا أن أقول ـ وأعتقد أن الدكتور هيكل يوافقنى الآن على ذلك ـ فان فيها عاميا غير قليل ـ لكان أثرها أسرع فى ازخار هذا التيار الجديد . ويعنينى من أمر هذه القصة التى لقيت بعد ذلك بسنوات من الانصاف ما هى جديرة به أنها أولا ابتداء فى ميدان جديد وثانياً أن روح الايمان التى برزت جدا فى كتابيه حياة محمد وفى منزل الوحى ـ ظهرت فى هذه القصة

وهذا هو الذى أريد أن الفت اليه النظر . فان روح الايمان ظاهرة فى كل ما أخرج الدكتور هيكل من الاثار الأدبية ـ بل حتى فى مقالاته السياسية ـ وبغير الالتفات الى هذه الناحية يستحيل أن يعلل المرء على وجه مقبول يستريح اليه العقل هذا الوثب المفاجىء من الغرب الى الشرق ، ومن العناية المقصورة على الادب الاوربى الى العناية المقصورة على ينبوع التاريخ الاسلامى ومصدره الاول

وقد كنت فى أول الامر وقبل أن تتصل أسبابى باسبابه أرانى فى حيرة من أمره ـ لا أرى له عناية تذكر بالادب العربى والتاريخ العربى . وكنت فوق ذلك أسمع أنه ملحد . وكان هذا مضافا الى ذاك يجعلنى أتصور أنه سائح طاب له المقام فقام ؛ ولكنه بقى محتفظا بخصائصه التى جاء بها ولم يتأقلم . ولكنى كنت أعود الى كتبه وأراجع نفسى فى مقـالاته السياسية التى يكتبها كل يوم فى

السيـاسة فاستغرب . ذلك أن روحه هى روح المؤمن العميق الايمان لاروح الملحد الذى يجترىء على الحـكم على مالا يفهم بجرة قلم مريحة . وسألت نفسى يوما كيف يكون ملحـدا من لايختار من كتاب فرنسا الاجان جاك روسو ليترجم له فى العربية ؟ لماذا لم يختر فولتير مثـلا ؟ وكيف تتطلع النفس وتتجه دائما الى المثل العليا وصور الكمال فى الدنيا وتكون مع ذلك نفس ملحد. وهيكل ثائر فكيف يتاتى ان تنزع الى الثورة والتمرد نفس ملحد يكتفى من النظر بالـكف عن النظر ومن عذاب البحث بالراحـة من البحث ؟ ومضت الايام فعرفته وكتب لى الحظ ان أعمل معه وان أكون أحد أعوانه فى السياسة فلم احدثه فى هذا فقد أغنانى الاتصال به عن السؤال فلماشرع يكتب - ونحن فى غمرة ثقيلة من المشاغل السياسية - حياة « محمد » وينشرها تباعا فى السياسة الاسبوعية كنت واحدا من القليلين الذين لم يستغربوا منه هذا الاتجـاه ولم يقع منهم موقع المفاجأة بل كنت على يقين جازم بانه - بفضل استيلاء روح الايمان على نفسه - اقـدر من يكتب حياة « محمد » كما ينبغى ان تكتب . وارجو ان تصدقونى حين أقول أنى فرحت بكتابته لحيـاة « محمد » وان فرحى وزهوى ما كانا ليزيدا على ذلك لو انى كنت الـكاتب الموفق لحياة «محمد» . ولا احب أن اكتمكم ان فرحى لم يخل من أنانية فقد اغتبطت لأن نظريتى لم تخطىء حين اعتقدت من قبل ان اعرفه ان فى نفس هذا الرجل كنزا من الايمان كثير ان ينفرد به واحد . ولو ان بيير بونت مورجان أو روكفلر وزع من ملايينه التى لا يستطيع أن ينفقها كلها ، على بضع مئات ، لا يسروا ، ولما أحس هو بخسارة أو فرق ، وكذلك هيكل المليونير الروحانى . فليته يعطينا مما أعطاه الله فيسبقنا من هـذه النار الخالدة . . اذن لـكان لمثلى أن يطمح أن يكون يوما من الأيام شيئا

قصيدة الاستاذ عباس محمود العقاد

جار النبوة فى منازلها ... والملك.حسبك منهما مجدا
الدين والدنيا قد اجتمعا ... فاهنا بجمعهما وما أسدى
هى شرعة الايمان نتبعها ... أو مشرع السلطان يستهدى
وحيـان انت على منارهما ... تهدى القلوب وتلهم الرشدا

يامن يبين القول مقتدرا ‏ ‏ ‏ ‏ يامبدى النجوى بما ابدى
أفمن يشبع النور مفتقر ‏ ‏ ‏ ‏ لابانة أو سائل حمدا
قالوا « النهار » وحاولوا صفة ‏ ‏ ‏ ‏ قلت النهار كفى . كفى جدا
ما شرفوك وانما قصدوا ‏ ‏ ‏ ‏ شرف العقول فأحسنوا القصدا
اغنى البرية عن حلى ، لقب ‏ ‏ ‏ ‏ من كان يشرف باسمه فردا
من كان قولك «هيكل» سمة ‏ ‏ ‏ ‏ تغنيك أن تتجاوز الحدا
تغنيك او تغنيه معرفة ‏ ‏ ‏ ‏ وتحية ، ومدائحا تشدى
يا هيكل الاداب طاف به ‏ ‏ ‏ ‏ حجاجها وتجمعوا وفدا
اذكر فريقا لست محصيهم ‏ ‏ ‏ ‏ ان كنت محصى جمعنا عدا
امم من الشرق البعيد الى الغر ‏ ‏ ‏ ‏ ب البعيد ، استعذبوا الوردا
بلغوا « حياة محمد » واتو ‏ ‏ ‏ ‏ منها الحجاز وشارفوا نجدا
ورأوا منازل وحيه حرما ‏ ‏ ‏ ‏ وأى العيان . وما لقوا جهدا
واستمرأوا اقصصا سبقت بها ‏ ‏ ‏ ‏ وتدبروا التفكير والنقدا

« * »

الحج انت قضيت منسكه ‏ ‏ ‏ ‏ فاجعل لمنسك حجهم ردا
اكتب لهم تاريخ أولهم ‏ ‏ ‏ ‏ واسرد لهم آياته سردا
واذكر لمشرقهم قداسته ‏ ‏ ‏ ‏ ما جد منه ومال ناى عهدا
واجعل لوادى النيل حصته ‏ ‏ ‏ ‏ فيما رويت . فكم سقى عهدا
من يرض خالقه وامته ‏ ‏ ‏ ‏ ومليكه . فقد ارتضى الخلدا
لا زلت بالفاروق معتصما ‏ ‏ ‏ ‏ وبسدة الفاروق مسندا
ملك له فى الأرض صولته ‏ ‏ ‏ ‏ ومن السماء أرى له جندا
أما الأولى غدروا بموثقه ‏ ‏ ‏ ‏ فالله يجعل دونهم سدا

حكم القضاء ولا مرد له ولسوف ينجز فى غد وعدا
بدأت طوالع فجرها وجرت سعدا . ويجرى صيحها سعدا

كلمة الاستاذ عبد العزيز البشرى

كنت اعرف شابا على شىء من اليسار فيه دعابة وكان حاضر النكتة ، فاجر أطيانه على العادة لبعض الفلاحين ، ولم يمض غير قليل حتى علا ايجار الارضين وارتفعت طوعا لذلك اثمان مطالب الحياة . وفى هذه الاثناء انعم على صاحبنا برتبة البكوية ، فدعا المستأجر وآذنه بفسخ الاجارة ، فدهش الرجل وقال له : وكيف ذلك ؟ قال : انما استأجرت من محمد افندى . أما أنا الآن محمد بك . فابحث لك يا أخى عن محمد افندى وضع يدك على ارضه ، واصنع بها ما انت صانع ! وصاحب المعالى الدكتور هيكل باشا هو بلا شك ، صديقى سابقا يوم كان الدكتور هيكل فقط ، ويوم كان الدكتور هيكل بك أيضا . ولو اقيمت له يومذاك حفلة تكريم ، لهرولة اليها هرولت الصديق لتكريم الصديق أما اليوم فكيف لى بصداقة (المعالى) وكيف (للمعالى) بصداقتى

ولن استطيع اليها الصعو د ولن تستطيع الى النزولا

وكيف لى بالاشتراك فى تكريمه وقد فصلت بيننا هذه (المعالى) وامسى المرتقى على جد صعب وجد مخيف !

على اننى ، تحت ضغط ايثارى القديم له ، واكبارى لشخصه فى الزمان الطويل ، قد راجعت نفسى ، ومازلت بها حتى خرج لى من هذه المراجعة ان صاحب المعالى الدكتور هيكل باشا وزير الدولة ، مازال ولن يزال هو الدكتور محمد حسين هيكل صاحبنا القديم !

لم يكن عهدى به صغيرا فكبر ، ولا هزيلا فسمن ، ولا خاملا فنبه ، ولا مغمورا فذهب له فى الفضل صيت وذكر

الا وان المناصب ، مهما جلت ، لن تحيل من الرجل الصغير رجلا كبيرا والالقاب مهما علت لن تسبغ اى احترام على من كان غير حقيق بالاحترام . حتى الاجازات العلمية فانها مهما انتفخ اسمها

ما كانت قط دليلا على ان محرزها جدير بان ينظم فى سلك العلماء !

اللهم ان الالقاب الحق ، والاجازات الحق ، هى التى تسجل للمرء قدره الحق ، من غير مبالغة ولا تقصير والا فما اغنت عن الحق فى قليل ولا كثير !

ولقد سجلت رتبة (المعالى) لصديقنا على الدوام حقه ، وترجمت عن قدره ، وكانت عنوانا صادقا على هذا الفضل العظيم

فاذا كنت اشارك اليوم فى الاحتفال بتكريم صاحب المعالى الدكتور هيكل باشا ، فاننا فى تكريم فضل قديم ، سجله انعام حديث

وبعد ، فلقد كنا نحن معشر الازهريين ولعلنا ما زلنا نعتقد أن المنطق الصحيح حكرة لنا دون الناس جميعا . ذلك بان علم المنطق يدرس فى الازهر حق درسه ، ولا يعنى به كثيرا فى غيره . فاذا اصبنا غير ازهرى يرتب المقدمات ترتيبا منطقيا ، ويجرى الاقيسة اجراء مستقيما ، حتى يصل الى النتائج الصحيحة ، اخذنا من صنيعه العجيب وملكنا الدهش ،

ثم عرفت الشاب . هيكلا ، وقام يخطبنا فى الحزب الديمقراطى ، ولعل ذلك كان فى سنة ١٩٢٠ فاذا هو على تدفقه فى خاطر الساعة ، واذا هو على تعمقه فى طلب دقاق المعانى ونظمها فى انور الالفاظ لا ينحرف قيد شعرة عن سبيل المنطق فى ترتيب المقدمات ونظم الاقيسة ، على اختلاف اشكالها ، نظما صحيحا لا يطرقه اى خلل فى اى قطر من اقطاره ، حتى ينتهى منها الى النتائج التى ترغم على التسليم

لقد راعنى منه هذا وقلت فى نفسى : اذا كان هذا الشاب قد درس المنطق كما يدرسه اهل الازهر حتى تهيأ له كل هذا فذلك فضل منه عظيم . اما اذا كان قد اوتيه بوثاقة العقل وسلامة الفطرة ودقة الحس ، فذلك فضل فيه اعظم ! وكيف لا ، وعلم المنطق انما هو اثر الفطرة السليمة والتفكير المستقيم ، كما أن الفن الجميل انما هو أثر الحس المرهف والذوق السليم ؟

من ذلك العهد ، ايها السادة ، امتدت الصلة بينى وبين الدكتور هيكل ، وجعل الود يستوثق بيننا على الايام . اذ لا تزيدنى شدة المعرفة به الا اكبارا لقدره ، وتعاظما لفضله ، حتى كاد ينيف من تقديرى له على مدى التقدير !

أول مايشعر محدث الدكتور هيكل وقارئه ، على السواء ، هو ابعاده فى النظر وأمعانه فى

التفكير حتى لقد يرثى المرء له ولامثاله وامثاله قليل ، على مابذلوا فى ذلك من جهد وماعانوا من تعب وكد فى انفاذ الفكر الى هذا الحد . فكيف بهم اذا قاموا على هذا فى كل ما كتبوا وما استظهروا وفى كل ما تصوروا وصوروا . وكيف لعمرى احتملت اعصابهم كل هذا وكيف واتهم الاذهان به على شدة الشحذ والاعتصار فى الزمان الطويل ! والوقع انه لا كد هناك ، ولا ارهاق عصب ولا اى حمل على الذهن انما هى الموهبة تجلو على ايسر النظر مايتعاصى ، ولومع الجهد والمطاولة على كثير من الافكار وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

بل انه ليخيل لى ان هؤلاء العبقريين ايسواهم الذين يسددون اذهانهم الى الحقائق ويمنحون فى طلبها منحا . بل ان فى هذه الاذهان لمغناطيسية قوة هى التى تجذب ادق الحقائق واخفاها اليها جذبا ماجهدت فى تعب ولاتعبت فى معالجة وانتزاع والا فكيف تهيأ لهيكل كل هذا الانتاج الفخم الرفيع الجزيل ؟

وهنا يجمل بى ان اقول ان النابغة حقا ليس الذى يعتريك بما يستصعب على فهمك ويعنى فكرك وما تراه غريبا على نفسك بل ان النابغة حقا ياتيك بالجديد سرعان ماتظنه قائما فى نفسك مترقرقا فى صدرك حتى ما تحسب له فضلا الا بتفطينك اليه وكذلك كان هيكل فى كل ما طرق من بحوث ضخام .

وحسب هيكل باشا فضلا ان خلقا من الناس كانوا يظنون ان هناك تناكرا بين العلم والدين ، فاثبت بكتابه « حياة محمد » ان الدين لاينافر العلم ولم يقف عند هذا بل لقد اثبت ان الدين مما يحتمه ويلزم به العلم الصحيح

وبعد فان الانعام على الدكتور هيكل باشا هو فى الواقع انعام على كل عالم واديب فحق على هؤلاء جميعا ان يتوجهوا بالشكر الى صاحب الجلالة مولانا المليك المعظم ، وان يبتهلوا بالدعاء الى الله تعالى ان يحفظه ويديمه خير معز للدين والعلم والادب جميعا اللهم آمين

هل الحبشة صفقة خاسرة لايطاليا؟

لاتستطيع الدوائر الرسمية أن تخفى الحقائق وقتا طويلا . فان الاخبار تتسرب من بعض الزوايا النائية وتشيع بين الاوساط التى لاتجد حرجا فى الكلام والافشاء . وقد حرص الاستعماريون الايطاليون على أن يوهموا العالم أن فتح الحبشة غنم عظيم وان ايطاليا سوف تشحن الذهب أكواما من الجبال الحبشية الى رومة . وان الامن يعم هذا القطر العظيم وما الى ذلك من الامال التى جعلت الايطاليين يقدمون على الحرب أقدام التفانى والاخلاص وكل منهم يزعم أنه يخدم وطنه ويستعيد له امبراطوريته الرومانية الزائلة .

ولكن الحقائق تقول غير ذلك . فان المارشال جرا تسيانى الذى جرح قبل عام فى أديس أبابا هو الآن مقعد لايستطيع حراكا من الجروح التى أصيب بها . والمذبحة التى أعقبت هذا الحادث جعلت أديس أبابا مدينة مهجورة لايعيش فيها غير الفقراء والارامل والأيتام . وقد كانت هذه العاصمة عروسا أيام هيلا سلاسى وكانت أسواقها تزدحم كل يوم بالقادمين اليها من الريف يحملون البقول والالبان وسائر المنتجات القروية . أما الان فان السكان الايطاليين أى الجنود والضباط يبعثون إلى ايطاليا فى طلب الاطعمة المحفوظة والاقمشة وأنواع الخموز التى لايطيقون أن يعيشوا بدونها

وليست الحبشة قطرا صغيرا يمكن الايطاليين أن يستولوا عليه كله فى عامين أو ثلاثة . فان مساحته تزيد على مساحة فرنسا أربعة أضعاف . وكل مايمكن أن يقال عن مجهود ايطاليا الهائل أن الايطاليين الان يستولون الآن على سدس الحبشة . أم خمسة الاسداس الباقية فلاتزال بعيدة عن رقابة الايطاليين لأنها أدغال تشتبك فيها الاشجار أو جبال وعرة المسالك أو سهول وبيئة بالحميات التى يتوقاها الايطاليون ويخشونها ويبتعدون عنها . وفى هذه الاماكن يعيش الاحباش بعيدين عن

السيطرة الايطالية وعندهم أسلحتهم المخبوءة لايبالون أوامر الحكومة الجديدة فى تسليمها ولايرون أحدا من الايطاليين لتنفيذ هذه الاوامر

وقد جهد الايطاليون فى شق الطرق ونجحوا فى ذلك بعض الشيء وأصبحت اسمرة متصلة باديس أبابا وكذلك الحال بين مدن أخرى . ولكن الطرق الجديدة التى كلفت الايطاليين أموالا كثيرة ليست كلها من الاسفلت وانما هى ممهدة فقط قد سويت أحجارها وترابها وبعضها قد شق على أسناد الجبال فهو عرضة للاخطار ولا يمكن الاتومبيل أن يسير عليه إلا اذا كان السائق متمرنا حذرا . ولذلك جلبت ايطاليا بعض السواقين المهرة من الايطاليين ورتبت لهم المرتبات الضخمة لكى يرضوا بالعمل فى الحبشة

وقد انفقت ايطاليا على الحرب الحبشية مائة وخمسين مليون جنيه . وكانت الآمال معلقة بها ستستخرج كنوزا من المعادن والمحصولات الزراعية . ولكن لم يتحقق شيء من ذلك. فان صادرات الحبشة قبل الحرب كانت تنحصر فى البن والجلود والقطن . ولكن منذ أن احتلتها ايطاليا وقف التصدير وليس معنى ذلك لان الناس كفوا عن زراعة البن أو القطن أو لانهم لا يذبحون الماشية ويسلمون جلودها بل لان الايطاليين أقاموا نوعا من الاحتكار ووضعوا العقبات أمام التجارة الحرة فارتبكت الامور وسكنت حركة الاخذ والعطاء ورحل التجار الاجانب عن أديس أبابا . ومن الغريب حقا أن يعجز الايطاليون المقيمون فى أبابا عن الحصول على طعامهم من الاحباش وأن يبعثوا فى طلب علب السردين واللحوم المحفوظة من ايطاليا لهذا الارتباك الذى أوجدوه فى حركة التجارة الحرة

وكثير من الايطاليين الذين استبشروا بفتح الحبشة وسافروا اليها وهم يحملون رؤوس أموال غير صغيرة قد انفقوها انفاق الاستهلاك وعادوا الى ايطاليا وهم يدقون كفاً بكف ندماً على أموالهم الضائعة ولا يخفى ايطاليو الحبشة سرا يذاع الآن فى جيبوتى واسمرة ومصوع ان صفقة الحبشة هى صفقة خاسرة

كتب الشهر الجديدة

١ - الحاكم بأمر الله : للاستاذ محمد عبد الله عنان (٢٧٧ قطع كبير)

٢ - ملتقى اللغتين العبرية والعربيــة .. لمراد فرج بك (٤١٨ - ٥٨٣ - ٣١٨ ثلاثة مجلدات قطع كبير)

٣ - السير . لمحمد سيـد لطفى (٢٣٧ قطع كبير)

٤ - سارة . قصـة للاستاذ عباس محمود العقاد (١٩٢ قطع متوسط)

٥ - دائرة معارف التعليم المنزلية لجملة مؤلفين قامت بطبعها و نشرها مطبعة دار النشر (ثلاثة مجلدات قطع متوسط)

---

١ — قصة الحاكم بامر الله من القصص الطريفة. فأنه هو طرفة تاريخية تعددت أطواره وتضاربت تجمع بين الفاسفة والجنون . وقد عانت مصر فى زمانه اهوالا من تقلب اطواره . ومؤلف هـذا الكتاب هو الاستاذ محمد عبد الله عنان الذى اختص بدرس تاريخ مصر الاسلامى . ومثل هذا العمل يحتاج الى مجهود لا يقدر عليه غير الاستاذ المؤلف الذى ينبعث بغرام كانـه الهوس لدرس التاريخ والحق انه قد بزل مجهودا فائقا فى جمع هذه السيرة وابراز الحاكم كما كان فى الحقيقة . وأحسن ما قيل فى الحاكم الذى تولى الحكم فى مصر بين سنة ٣٧٥ وسنة ٤١١ للهجرة ان الناس كانوا فى ايامه « امنين على اموالهم غير مطمئنين على نفوسهم » وهذه الكلمه تدل على ان الرجل كان يقصد الى العدل ولـكن بصيرته كانت زائغة . فأنه لم يصادر احدا فى ماله ولـكنه قتل كـثيرين . وفى احدى السنوات اعتق جميع ما يملك من الرقيق . وهذا سخاء عظيم اذ ان عبيد الخليفه وامائه كانوا يعدون بالمئات . وقد منع التفخيم فى مخاطبته ومنع الناس من تقبيل الارض بين يديه . ومـع ان قصره كان يحوى كنوز الفاطميين فانه كان يقنع باتخاذ المبتذل بل الرث من الثياب . وهذه الشمائل تدل على انه كان يجاهد

نفسه ويفكر ويفلسف . بل هو عند ما طغى انبعث فى طغيانه بنية العدل كما يتوهم العدل. فانه نشأ فى بيت يعيش بالدعاية . وكان لهذا البيت وزير للدعاية يدعى « داعى الدعاة » . وكان الحاكم يطغى لكى يرقى المجتمع المصرى

وقد اشتد على النساء حتى حرم عليهن الخروج . وامر بمنع الخمور وحرم التنجيم . وهذه الاعمال كلها معقولة وان كنا نختلف فى قيمتها الاجتماعية . ولكن طغيانه اتخذ الوانا اخرى غير معقوله كمنعه بيع بعض المأكولات كالملوخية والجرجير مثلا . او حين كان يحرق الشون لكى يتأمل النار فى اضطرامها .

وهذا يذكرنا بنيرون . وفى وسط هذه الاضطرابات التى تبدو لنا من سيرته نجد بصيصا من النور بين لنا حقيقة امره . فقد ذكر احد المؤرخين انه كان يتشنج وهو صغير . وقد عاصره مؤرخ يدعى يحى الانطاكى عرف فيه المرض وعلل به تصرفاته العجيبة

ومثل هذا الكتاب يجب أن يملأ فراغا فى مكتبة التاريخ المصرى . واذا لم تستطيع أن تشتريه فاقترضه

٢ — أما ملتقى اللغتين فمن الكتب التى تدل على مجهود كبير ودراية عظيمة باللغتين الشقيقتين العبرية والعربية .

ونقول شقيقتين لكى نزيل الوهم الذى ربما يتوهمه القارئ من أن العبرية لانقراضها منذ ٢١٠٠ سنة تقريبا قد سبقت العربية وأنها بمكانه الام منها . لان أرجح الظن أن العربية قديمة جدا وانها لانحصارها مدة طويلة فى صحراء العرب استطاعت ان تحتفظ بنقائها . ولذلك كثيرا ما نجد الاشتقاق واضحا فى الفاظها البدائية . ومؤلف هذا الكتاب يهودى يتقن العبرية . وقد استطاع أن يؤلف فى هذا الكتاب معجما ابتدائيا يبين العلاقات والاشتقاقات بين اللغتين وهو شاعر فى العربية قد مارس النظم والنثر وعرف سحر الالفاظ وارتباط المعانى . وهو يستخدم خياله أحيانا لكى يصل الى العلاقة بين اللفظين فى اللغتين

وهذه العلاقة تتضح أحيانا كثيرة ولكنها تغمض فى أحيان أخرى. مثال ذلك أن السين العربية تستحيل شينا (أو العكس) والصادضادا . والقاف همزة فى العبرية حتى ليتوهم المتأمل ان اتفاق

المعنى انما هو مجرد المصادفة . ولكن ارتباط المعانى بين الاصل وفروعه فى كل من اللغتين يقيم البرهان على أن المصادفة لاتكفى للتفسير . فلفظة نقص هى ناص . وكبش الخراف هو كبس فى العبرية . ولكن قهر هى هكر فى العبرية

ومثل هذا الكتاب هو خطوة للأمام فى تفسير الالفاظ العربية على أصول علمية . ويحسن رجال اللغة اذا هم وضعوا مؤلفات أخرى عن علاقة لغتنا بالاغريقية واللاتينية والفارسية حتى تجتمع لنا بذلك المواد التى تستطيع أن تستخرج منها معجما اشتقاقيا للغة العربية

٣ — كتاب السير هو المجلد الذى أخرجه الاستاذ محمد سعيد لطفى بك مستشار محطة الاذاعة . والاستاذ المؤلف هو شقيق صاحب المعالى أحمد لطفى السيد باشا . ولكنهما يختلفان فى أساس ثقافتهما . بل لعلهما يختلفان فى المزاج . وليس لنا أن نستغرب هذا الاختلاف اذا عرفنا أن بين الشقيقين ستة عشرة سنة فرقا فى السن . وان احدهما منقوع فى الثقافة الفرنسية فى حين أن الآخر كان فى جامعة اكسفورد وقد حصل منها على شهادة الشرف . ولكنهما يشتركان فى البيئة الاولى بيئة القرية المصرية التى تربيا فيها . ولذلك فان همومهما الوطنية هى ترقية السواد والتفكير فى اصلاح الفلاحين وجمهور الامة .

وهذا الكتاب هو بعض هذا التفكير فان الاستاذ سعيد لطفى يرى أن العناية بالتاريخ تزيد القومية المصرية وجدانا وقوة وهو لذلك يحض على درس الفراعنة والعرب حتى يستشعر المصرى بعزته المكسوبة منهما . وهو هنا يحدثنا عن عظماء العرب فى محاضرات سبق أن اذيعت وكان لها أحسن الوقع وابلغ الموعظة عند جمهور المستمعين . وجمع هذه المحاضرات فى مجلد هو خدمة نافعة للقراء . وقد جمع هذا المجلد أحاديث عن عمر بن الخطاب ومعاوية وعلى وهارون الرشيد الى جعفر المنصور وغيرهم . وقد استغرق الكلام عن عمر بن الخطاب ست محاضرات . وليس هذا غريبا اذا عرفنا الغاية التى قصد اليها المؤلف . فانه يريد أن يبث بيننا الاخلاق المتينة تلك الاخلاق التى تجعل صاحبها يقسو على غيره لانه يقسو على نفسه فى سبيل الحق . وسيظل عمر ابن الخطاب أعجوبة الدهر .

ولعلنا لانستغرب أن غاندى زعيم الهند كبير الاعجاب بعمر خاصة والصحابة عامة

وطريقة المؤلف هى الطريقة القصصية يذكر القصة ولا يكاد يعلق عليها لان فى مغزاها الواضح التعليق الكافى . ثم ينتقل من قصة الى أخرى لكى يسترق انتباه السامع (أو القارىء). فانظر مثلا الى قصة ذلك السكران الذى لقيه عمر . فهم بالقبض عليه لمعاقبته . ولكن السكران شتمه وعندئذ تركه عمر . فلما سئل عن السبب قال : « لو عزرته (أى عاقبته) لكنت قد انتصرت لنفسى » وهكذا الشأن فى هذا الكتاب . قصص طريفة يراد بها غرس الاخلاق الكريمة وتربية النفوس الشريفة. وهو تحفة فنية فى جمال الاسلوب وانسجام العبارة وتخير اللفظ الانيق والمعنى الانيق

٤ — سارة هى قصة بديعة للاستاذ عباس محمود العقاد أو هى تحليل سيكوجى بين حبيبين ولكنه أيس التحليل الجاف الذى الفناه فى كتب الطب النفسى . وانما هو تحليل فنى قد امتزج فيه فن الادب بالعلم والقصة . وفى مجموعها حوار بارع وشرح منير فى أسلوب لا يستطيع غير الاستاذ العقاد أن يؤديه فى متانته وجماله معا . وأحيانا يستطرد المؤلف فيذكر فى شرحه بعض اللمحات والصور التى تترك للقارىء مجالا للتفكير . واليك ما يقول مثلا تحت عنوان «وجوه»

« ذو الوجهين منافق وذو الوجه الواحد ميت

«يعيب الانسان أن يضع له نفسا غير نفسه . ووجها غير وجهه وان يبدو للناس بوجهين يلعن احدهما الآخر . ويعلم هو انهما ـ كليهما ـ ملعونان

« ولا يعيبه أن يكون له مائة وجه ينم كل منها على سمة من سماته ومعنى من معانيه . ويعرض لنا من ذهنه وسليقة قلبه فى ساعة ما ليس يعرضه فى ساعة أخرى . لان كل وجه من هذه الوجوه حق وليس بكذب . وجوهر وليس بطلاء . وصفحة من كتاب لاتتم قرائته الا باستعراض جميع الصفحات

« ذو الوجهين فى كل وجه من وجهيه كذب وطلاء

«ذو الوجوه المنوعة السنات المعددة الملامح المتفرقة المعانى راوية صادق الخبر يرينا كل يوم بينه جديدة على صدقه ونونا جديدا من تمامه ونقصه . ونمسا جديدة فى تعبير جديد

«والرجل الذى لا تختلف له صورة ولاتمثال من تمثال هو جماد يختلس عنوان الحياة

«والوجه الذى يصوره مائة مصور يخرجون جميعا بطابع واحد لايتبدل هو جدار فى هيئة انسان.

ولكنه جدار لاتختلف عليه الظلال والالوان

« لنابليون بونابارت مئات من الصور الزيتيه . ولانذكر الا صورة واحدة منها تقول لنا حين ننظرها لاول وهلة : هذا وجه ايطالى لامراء . فلولا اننا نعلم ان نابليون ايطالى من شعبة ايطالية لقلنا ان الصورة كاذبة . او ان فراستنا هى التى كذبتنا مارأيناه . ولكنا نعلم انه ايطالى من شعبة ايطالية «فالصورة اذن اصدق من جميع الصور التى خفيت فيها ملامحه الايطالية ولم تبرز لنا هذا البروز

«وجمال الدين الافغانى يختلف المترجمون فيه هل هو من الفرس او من الافغان ؟ ولكن صورة من صوره التى ترتسم فيها عيناه القلقتان الوامضتان وخداه الناتئان وشفتاه العصيتان تفض الجدال ونقول فيه اصدق مقال : ان هذا الوجه لأفغانى ولو ولد فى البلاد الفارسية . وانه لأفغانى ولو نماه اليهم قوم من الفرس ونفاه عنهم قوم من الافغان »

هـذا قليل من كثير من اللمحات الفنية التى تتخلل فصول القصة أو تتخلل الحوار . وهو كما قلنا حوار بارع يستوقف القارئ مرات للتأمل وتقدير الملاحظة

٥ — دائرة معارف التعليم المنزلى وقد قام بتأليفها عدد كبير من المؤلفين وهى ثلاثة مجلدات. الاول فى الصناعات المنزلية والمجلد الثانى فى الطهى وترتيب المائدة وصنع الحلويات . والمجلد الثالث فى تربية الطفل وتقرب صفحات هذه المجلدات الثلاثة من الف صفحة . وقد قامت بنشرها مطبعة دار النشر وهذا الكتاب مجهود حسن فى تعميم الثقافة المنزلية وترقيتها معا

فان المطبخ المصرى لم يسر فى طريق التطور الذى سارت فيه شئوننا الاخرى . ومن الحسن أن يتطور وأن تؤلف المؤلفات فى ترقيته . وكذلك وفيات الاطفال تتجاوز حدود العقل . فوضع مجلد خاص بتربية الطفل هو ميزة وخدمة للقومية المصرية معا

المقتطف

المقتطف مجلة تقرأها اليوم وترجع اليها فى المستقبل — ولا أدل على ذلك من مطالعة مجلداتها السابقة كل مجلد تاريخ واف للسنة التى صدر فيها . فيه وصف المستنبطات التى استنبطت والمكتشفات التى اكتشفت وأشهر حوادث التاريخ وأهم مشكلات العالم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وسير أعظم رجال وآراء أكبر العلماء وكل ما يهم المرأة معرفته من ادارة مملكتها البيتية — وكل ذلك بكلام بليغ قريب التناول وصور كثيرة وتحقيق وتمحيص اشتهر بهما المقتطف مع مقالات كثيرة فى مواضيع شتى علمية وأدبية وفلسفية فاذا كنت ممن يعنون بالنهضة الشرقية الحديثة -- اذا أردت أن تتطلع على ارتقاء الحضارة الغربية فى السنين الماضية — اذا أردت تاريخا وافيا لسير العمران منذ أكثر من نصف قرن الى الآن . فيجب ألا تخلو مكتبتك من مجلدات المقتطف وهى تباع مفردة أو مجموعة وقيمة الاشتراك فى القطر المصرى جنيه مصرى واحد ، وفى الخارج بمبلغ مائة وعشرين قرشا مصريا أى ما يساوى ٦ دولارات أمريكية

ويخصم ٢٠ فى المائة لحضرات الاساتذة والطلبة الذين يرفقون طلبهم بقيمة الاشتراك وبشهادة من مدير المدرسة . والعنوان . ادارة المقتطف بمصر

ايصالات الاشتراك

جميع ايصالات الاشتراك يجب أن تكون موقعة بامضاء صاحب المجلة الجديدة

الاشتراك فى المجلة الجديدة

١ — الاشتراك فى المجلة الجديدة الشهرية فى مصر والسودان لمدة عام هو ٤٠ قرشا و٢٠ قرشا لستة أشهر . وفى الخارج ٥٥ قرشا فى العام

٢ — الاشتراك فى المجلة الجديدة الاسبوعية فى مصر والسودان هو ٣٥ قرشا فى العام و١٨ قرشا لستة أشهر . وفى الخارج ٥٠ قرشا فى العام و٢٥ قرشا لستة أشهر

٣ — الاشتراك فى المجلة الجديدة (الشهرية والاسبوعية) فى مصر والسودان هو ٦٥ قرشا فى العام و٣٢ لستة أشهر . وفى الخارج مائة قرش فى العام و٥٠ قرشا لستة أشهر

٢٤ _ شارع الفجالة (حارة جاد) مصر

مطبعة المجلة الجديدة

كتابان مفيدان

أذا أردت أن تعرف ان اكتشاف دواء يشفى السل يكون كارثة على مستقبل الانسانية فاطلب كتاب (الطبيعة كطبيب) من مؤلفه الاستاذ وهبه موسى . وأذا أردت أن تعرف اننا خالدون — وأنه رغما عن الآف السنين من الموت وافسادها نحن جميعاً مجتمعون فاطلب كتاب (عن الموت) من مؤلفه المذكور . عن الأول ٥ قروش صاغ — والثانى ٨ قروش صاغ ترسل له بعنوانه بشارع الطيران نمرة ١٢ بهليوبوليس يصلانك خالصين أجرة البريد

ايصالات الاشتراك

جميع ايصالات الاشتراك يجب أن تكون موقعة بامضاء صاحب المجلة الجديدة

الاشتراك فى المجلة الجديدة

١ — الاشتراك فى المجلة الجديدة الشهرية فى مصر والسودان لمدة عام هو ٤٠ قرشا و ٢٠ قرشا لستة أشهر . وفى الخارج ٥٥ قرشا فى العام

٢ — الاشتراك فى المجلة الجديدة الاسبوعية فى مصر والسودان هو ٢٥ قرشا فى العام و ١٣ قرشا لستة أشهر . وفى الخارج ٥٠ قرشا فى العام و ٢٥ قرشا لستة أشهر

٣ — الاشتراك فى المجلة الجديدة (الشهرية والاسبوعية) فى مصر والسودان هو ٦٠ قرشا فى العام و ٣٠ قرشا لستة أشهر . وفى الخارج مائة قرش فى العام و ٥٠ قرشا لستة أشهر .

١٢ شارع نوبار (مكتب بريد الدواوين بمصر)

شركة مصر

لعموم التأمينات

تؤمن لكم على أرواحكم

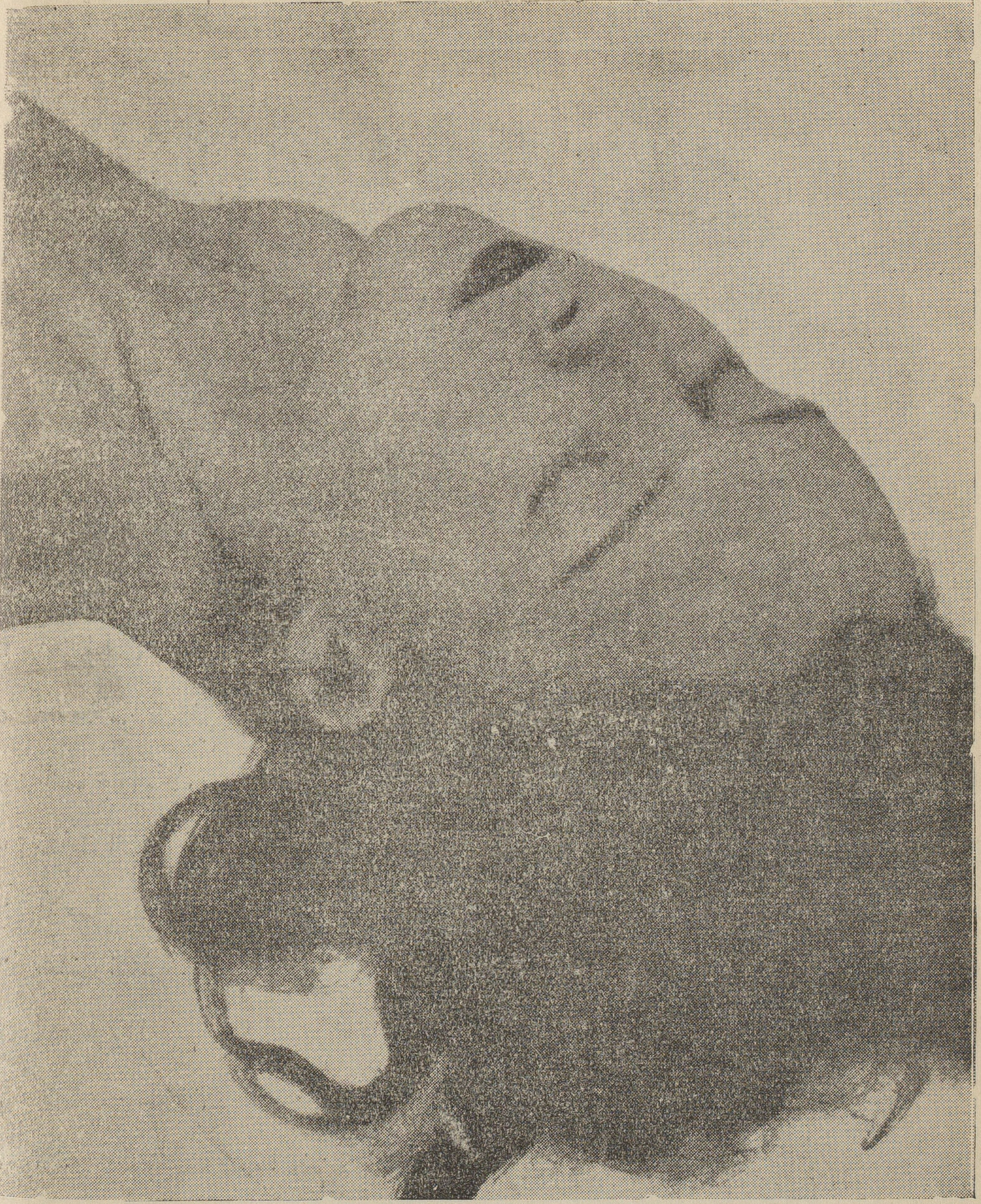
املاككم وعقاراتكم

ضد جميع الاخطار والنكبات

كالحريق . والنقل البحرى والبرى والجوى والسيارات .

مطبعة المجلة الجديد

فهرست



الحلم !..

صاحبها ومحررها
سلامه موسى

المجلة الجديدة

العدد الخامس
من
السنة السابعة

المجلد السابع

مايو ١٩٣٨

فكرة العصبة وهل تموت

لما استقال المستر ايدن من الوزارة البريطانية أدرك الجميع أن استقالته تعنى أن بريطانيا ستجعل من هذه الاستقالة حدا فاصلا بين سياستها القديمة القائمة على تأييد عصبة الامم والتعاون بين الدول لاقامة قانون عام يسود المعاملات بين هذه الدول، وبين السياسة الجديدة التى تعود الى ما كان يسمى قبل الحرب توازن القوات بعقد المحالفات والمعاهدات التى تمنع أى دولة كبرى من الطغيان

فقد شعرت بريطانيا أن « محور روما — برلين » قد أصبح مركزا للثقل فى السياسة الاوربية بدلا من أن يكون هذا المركز كتلة الحلفاء القدماء الذين حاربوا دولتى الوسط . ورأى المحافظون الذين يرأسهم المستر تشمبرلن أن المستر ايدن بتأييده لعصبة الامم لن يقوى هذه العصبة ولن ينفع الامم الصغيرة ولن يضر الامم الفاشيـة التى تزداد قوة بزيادة آلاتها الحربية . ولذلك انتهى الى الاستغناء عن المستر إيدن وصمم على الاتفاق مع الدول الفاشية

والمستر ايدن من الاحرار الذين يتضاءل عـددهم فى بريطانيا لأن الاختلاف السياسى يـكاد ينحصر بين الاشتراكيين والمحافظين . فمن كان معتدلا من الاحرار فأنه ينضم الى المحافظين . ومن كان متطرفا فانه ينضم الى الاشتراكيين . ولم يبق للاحرار سوى عدد صغير جداً فى البرلمان . بل لا يكاد يذكر الانسـان حزب الاحرار الانجليزى الا ويشطـح به الفكر الى المستر لويد جورج الذى ترك السياسة واحترف الزراعة

ويمثل المستر ايدن مذهب الاحرار بكل ما كان فيه أيام عنفوانه أى الدفاع عن الديمقراطيـة والحرية والدعوة الى السلام . وكان من أحسن ما قاله فى الشهر الماضى :

« ما هو أحسن ما سوف تتركه بريطانيا للاجيال القادمـة ؟ ليس هو جيوشهـا وأساطيلها وطائراتها . بل ليست ميزتها التجارية أو براعتها الصناعيـة ولكنها ستترك « فن الحكم الذاتى فى شعب حر » فنحن على حق فى ادخار هذا التراث — الحرية — لانه اذا لم يكن الناس أحرارا فكيف

يستطيعون العمل بعضهم مع البعض على قدم المساواة والتفاهم المتبادل ؟ وهل يشك احد فى أن ادراك الجميع للحرية سيكون خطوة فى ايجاد سلم دائم ؟ وعلى ذلك هل نرى أن بريطانيا ستسود وهى القطر الذى يدرك قيمة الحرية المنظمة والحكومة الدستورية ؟ أهى البلاد التى تحاول بالامثلة التى يضربها أبناؤها أن تلهم الغير عقيدتها فى التسامح والحرية والسلم ؟ أهى البلاد التى تعمل للبناء لا للهدم ؟ »

ويشعر المتتبعون لسير الحوادث فى العالم ان عصبة الامم فى جنيف قد وصلت الى اعمق مكان فى الهوة حتى لاينتظر لها بعد ذلك سوى الموت . فان الاتفاق الذى تم بين بريطانيا وايطاليا وبه تعترف الاولى بشرعية اعتداء الثانية على الحبشة ـ هذا الاتفاق يدل على ان بريطانيا لم تعد تؤمن بعصبة الامم . وخطبة المستر ايدن هى كما قلنا صرخة حزب الاحرار الذى ينشد الحرية والديمقراطية والسلام أمام ضغط المحافظين الذين يتزعمهم تشمبرلن وهم ينشدون الامبراطورية والوطنية والقوة الحربية . وهذا الاتفاق هو انتصار الوطنية على العالمية أو مبادىء الامبراطورية على مبادىء عصبة الامم

وفكرة العصبة ـ كما يذكر القراء ـ فكرة تعود الى الرئيس ولسون الذى دخل الحرب وهو يعلن ان أمته لاتطمع فى احتياز أرض ولا تطلب غرامة . فلما انتهت الحرب انتهز الفرصة . وفى اللحظة السيكلوجية والامم مثخنة بالجراح جعل الصلح ينطوى على الفكرة المحورية للمستقبل وهى انشاء عصبة أمم تكون بمثابة البرلمان الذى يضم جميع أمم العالم فلا تنفرد امة برأى ولا تجرؤ على الاقدام على حرب . وقد قبلت جميع الأمم هذه الفكرة لانها وجدت فيها أمنية لذيذة أو حلما باهرا بعد الافلاس والخراب العام . وصرنا نجد الدعوة الى العالمية تتفشى فى انحاء العالم بل صارت العبارة التى قالتها الآنسة الممرضة كافيل كأنها الرمز للعصر الجديد . فقد أعدم الألمان فى بلجيكا هذه الآنسة بعد أن اتهموها بالتجسس . فكان من أقوالها « ان الوطنية لاتكفى » أى ان الانسان يجب أن يرتفع فوق الوطنية الى العالمية وأن يجعل الدعوة الى السلم واتحاد الامم غايته

وفى هذا الجو المشبع بالرغبة فى السلم أسست العصبة . ولكنها لم تكن ثمرة التفكير المتزن والتدبر للمستقبل وأنما كانت ثمرة العواطف المتعبة والتعلق بامنية جميلة بعد سنوات من اليأس القاتم

ولهذا لم تكد الظروف الاقتصادية تعود الى حالتها المألوفة قبل الحرب أو قريبا من ذلك حتى شرعت المطامع الامبراطورية تنتعش وشرعت الدول الكبرى تشعر أن هذه العصبة تقف فى طريقها عقبة .

ولذلك تجب ازالتها

وقد كان هذا ولا يزال رأى جرائد المحافظين فى بريطانيا منذ انشاء العصبة الى الآن كما هو رأى الفاشيين فى ايطاليا أو الهتلريين فى المانيا أو الامبراطوريين فى اليابان

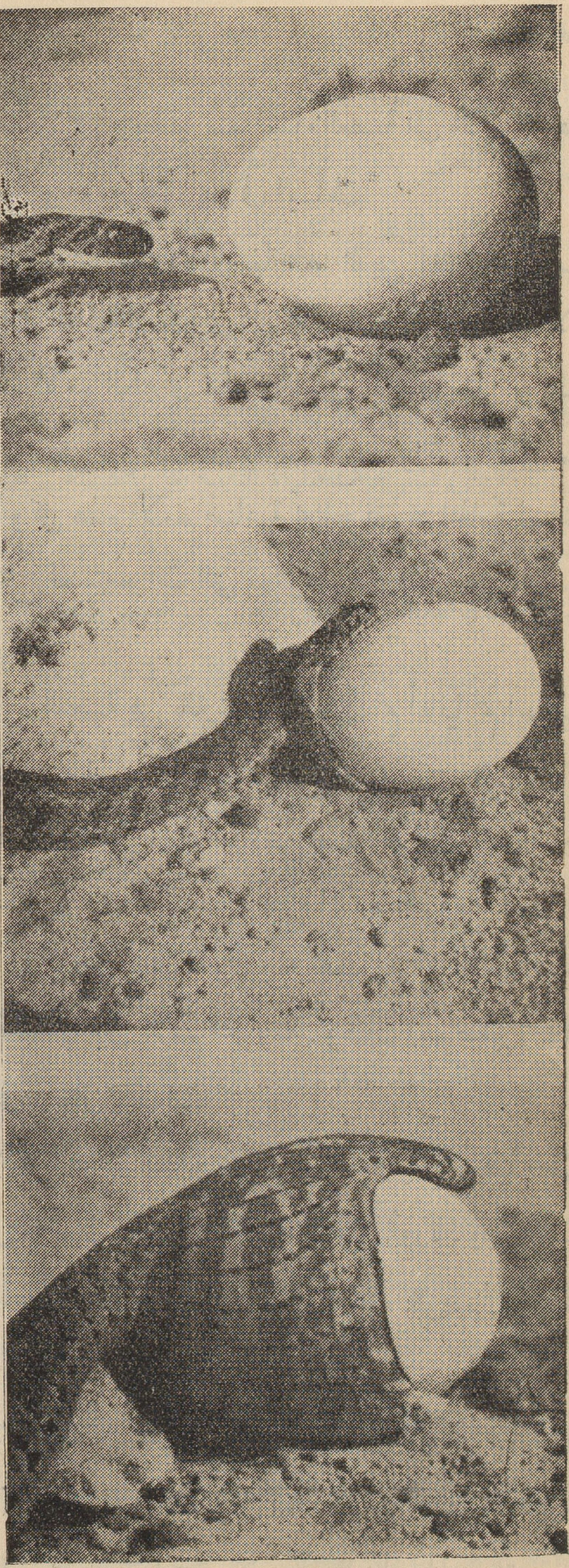
والاسباب لتضعضع العصبة كثيرة قد يكون منها قلة الائتمان بها عند الذين انشأوها أنفسهم ولكن لابد من أن نرجع على الدوام فى التطورات العالمية الكبرى الى الاسباب الاقتصادية لانها هى المحور الذى تحور عليه هذه التطورات . فان الامم الكبرى تنقسم قسمين احدهما مثل بريطانيا وفرنسا وهو يملك المستعمرات الواسعة التى تتسع لما يفيض من السكان والبضائع . والقسم الثانى مثل اليابان والمانيا وهو لا يملك مثل هذه المستعمرات ، وكل هذه الامم صناعية تحتاج للمواد الخامة لمصانعها كما تحتاج للاسواق العالمية لبضائعها . بل كما تحتاج للمستعمرات التى تستوعب من يفيض من سكانها . ولا يمكن السلام مع هذه الحالة

ولذلك نجد أن الامم التى ثارت على فكرة العصبة هى بالترتيب اليابان ثم المانيا ثم ايطاليا ، وكلهن تفيض بالسكان والبضائع ولا تملك ما يؤبه له من المستعمرات . وقد خرجت اليابان من العصبة سنة ١٩٣٣ لأن العصبة لم توافق على اعتدائها على منشوريا ومن هذا الوقت اتضح لجميع المفكرين ان اعلان السلام باقامة العصبة لا يكفى ، وانه لابد من اعطاء الامم المحرومة قسطا من هذا العالم . ولكن مثل هذا الاقتراح لا يعنى فى الواقع سوى القول بأنه يجب انتزاع الامبراطورية البريطانية أو الامبراطورية الفرنسية واعادة اقتسامها بين الامم المحرومة . وهناك أمم صغيرة تمتلك مستعمرات شاسعة الابعاد كما هو الشأن مثلا فى برتغال وهولندا

ولذلك عادت الوطنية بأشد مما كانت قبل الحرب الكبرى . وظهر مذهب السيف باصرح وأقوى مما يظهر مذهب العصبة وقد عدنا الى ما يسمى « توازن القوات » فى أوربا . والى التسلح كأنه الضمان الوحيد من الحرب . وصارت المعاملات الدبلوماتية تجرى فى الخفاء للوصول الى عقد محالفات ومعاهدات كأن العصبة لم تكن .

والآن هل ماتت العصبة . انها اذا لم تكن قد ماتت فهى فى حكم الميتة . ولا يمكن أن تنهض الا بعد أن يعاد التنظيم لاقتسام المواد الخامة وازالة العراقيل للاسواق العالمية . ولو تم هذا لأغنى عن امتلاك المستعمرات . وعندئذ يمكن أن تنشأ العصبة على أساس صحيح من العدل والمساواة

الثعبان



١ — المعاينة

الفم صغير والبيضة كبيرة . ولكن المحاولة تجرى

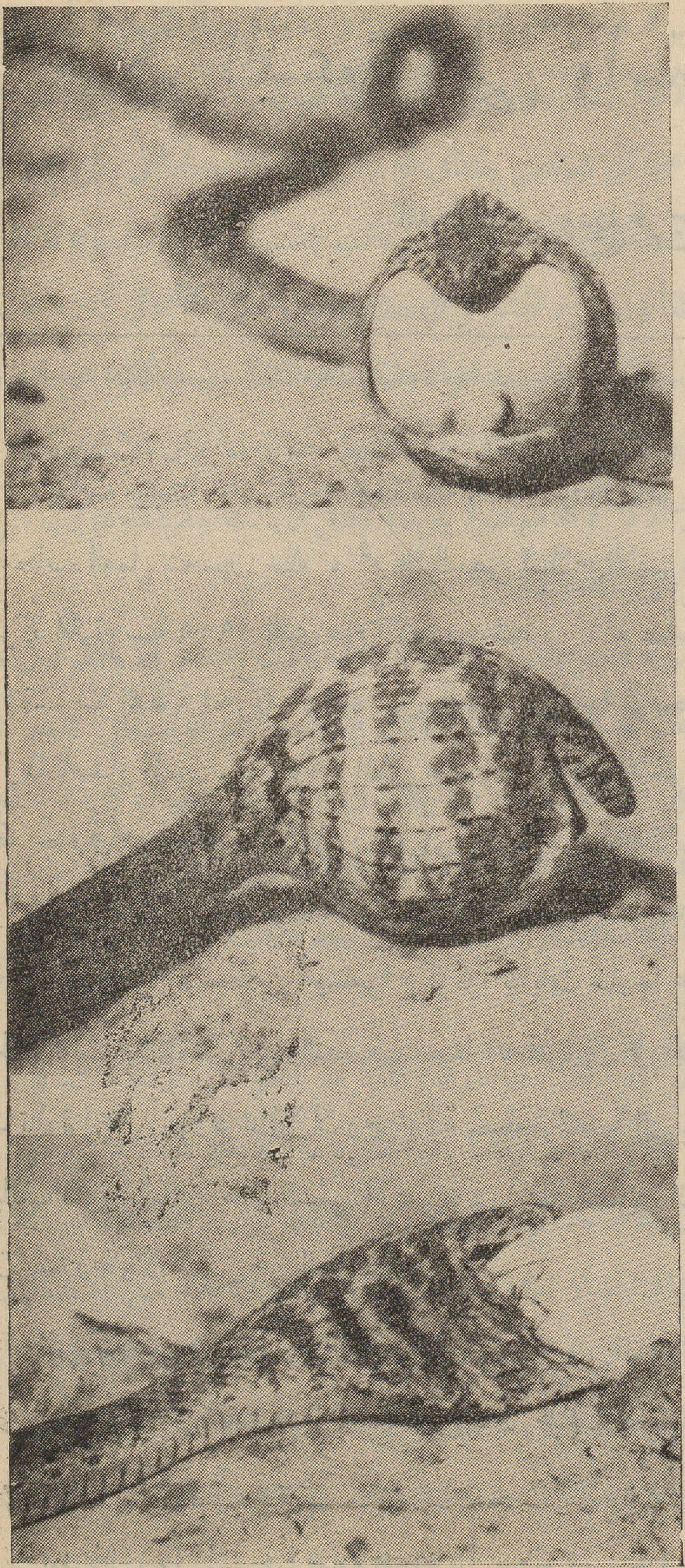
٢ — المحاولة

الفم ينفتح كأن الشدقين قد انكسرا حتى تلامس البيضة الحلق

٣ — الاطباق

يطبق الآن عليها ولكن فى رفق لئلا تنكسر قشرتها ويسيل ما فيها من غذاء على الارض

والبيضة



٤ — الاحتياز

البيضـة هى الآن فى حوزته ولا خوف عليها من الاراقة ولكن الشدقين لم يحتوياها

٥ — الاحتواء

قد أحتوى الشـدقان البيضة وبعد قليل ينطبق الفم ثم تضغط البيضة ويبلع ما فيها

٦ — اللفظ

ها هو قد بلع ما فيها وها هو يلفظ القشرة ولم تقع قطرة منه على الأرض

الحكم الديموقراطى واسترضاء الناخبين

للدكتور وديع فرج

بدأت نهضتنا الحديثة بعد ثورة سنة ١٩١٩ بيقظة بعض طوائف العمال ، وقام بعضها يطالب صحاب العمل بتحسين حاله ، ثم لجأ البعض لسلاح الاضراب ، والكثير يذكر اضراب عمال شركة الترام سنة ١٩١٩ الذى دام أكثر من شهرين ، ثم بدأت بعض الطوائف تكون النقابات ، وانتشرت الدعاية للحركة النقابية بين العمال ، لدرجة ازعجت مشرع ذلك العصر ، فحاول سد تيارها باصدار قانون سنة ١٩٢١ الذى يحرم التنازل عن الاجور كلها أو بعضها اكتتابا فى النقابات . وقد جاء فى ديباجة هذا القانون ما يأتى بالنص « بما انه لا يوجد الان تشريع يتضمن الاحكام الواجب مراعاتها فى تأليف النقابات ، وبما أنه على الرغم من عدم وجود مثل هذا التشريع فقدحدث أخيرا ان بعض الاشخاص اجتمعوا وكونوا نقابات خارجا عن دائرة أى تقنين ، وبما ان مثل هذه الحالة كانت مدعاة الى سوء التصرف ، وبما انه قد تبين على الاخص ان بعض أعضاء هذه الجماعات قد تنازلوا عن أجرهم تنازلا لا رجوع فيه لمصلحة النقابة التى ينتمون اليها ، وبما انمثل هذا التنازل مخالف للنظام العام والحالة تقتضى الاسراع فى اتخاذ التدابير الواقية لمصلحة العمال انفسهم وذلك الى أن يصدر قانون خاص عن النقابات »

ظننى فى غنى عن القول بأن هذا القانون لم يمنع من انشاء النقابات ولم يمنع النقابات من الانتشار حتى اصبحت الان تضم عددا عظيما من عمال مختلف الطوائف وعلى الاخص من عمال الطوائف صناعية

بعد ذلك لجأ المشرع فى سنة ١٩٢٣ الى وضع نص يعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز سنة أو بغرامة

لا تزيد على ٥٠ جنيها كل من استعمل القوة أو الضرب أو الارهاب أو التهديد أو التدابير غير المشروعة لاجبار شخص على الاشتراك أو منعه من الاشتراك فى جمعية من الجمعيات أو شرع فى ذلك. وقضى المشرع بنفس العقوبات على كل شخص يعتدى أو يشرع فى الاعتداء على حق الغير فى العمل أو فى ان يستخدم أو يمتنع عن استخدام أى شخص . وعاقب بنفس العقوبات بمجرد التحريض على كل هذه الافعال . وفى نفس القانون حرم المشرع على مستخدمى وعمال الاعمال ذات المنفعة العامة كالسكك الحديدية والترامواى والانارة وتوريد المياه وما شابه ذلك ان يتوقفوا عن عملهم بكيفية ينشأ عنها تعطيل سير العمل بدون ان يخطروا المدير أو المحافظ كتابة مع بيان الاسباب قبل التوقف عن العمل بخمسة عشر يوماً على الاقل والا عوقبوا بغرامة تصل الى ٥٠ جنيها، وعوقب من حرضهم بالحبس سنة أو بغرامة قد تصل الى مائة جنيه

ولو ان نظام الحكم فى الدولة المصرية بقى على ما كان عليه وقت اصدار هذه القوانين ، لاستمر المشرع فى مقاومة حركة طوائف العمال هذه ، بل لتمادى فى ايجاد أشد الوسائل لقمع كل محاولة تصدر منهم لتحسين حالهم . غير انه حدث انقلاب خطير فى حياتنا السياسية ، كان له أكبر أثر فى المجتمع المصرى من الوجهة الاقتصادية والتشريعية ، فقد حل المصريون محل الاجانب فى ادارة شئون البلاد ، وبدأت النهضة الحقيقية للتشريع ، وصاحبتها نهضة اقتصادية مصرية هى محل اعجاب الجميع الان من أجانب ووطنيين

ليس من المستطاع الآن أن نبحث فيما يتوقع لتشريع الطوائف والطبقات فى مصر بعد نهضتها هذه الا اذا عالجنا أولا نظام الحكم الجديد فيها بشىء من التفصيل . فقد لمسنا فيما قلناه الى الان ذلك الارتباط الوثيق بين نظام الحكم فى الدولة ومركز الطوائف والطبقات من التشريع

لما أراد المغفور له الملك فؤاد اختيار نظام للحكم يتفق وما نالته البلاد من الاستقلال شكلت الحكومة تنفيذاً لامره الكريم لجنة لوضع مشروع الدستور المصرى ، ولم تر تلك اللجنة أفضل من نظام الحكم الديمقراطى البرلمانى فاختارته وكانت وقتئذ محقة فى ذلك ، لان الديمقراطية البرلمانية كانت هى النظام السائد فى كل بلاد العالم المتحضرة ، سواء منها البلاد التى خرجت منتصرة من الحرب العظمى أو البلاد التى هزمت فيها ، بل أن الديموقراطية البرلمانية كانت فى ذلك الوقت مكللة

باكليل الغار اذ هى التى نالت الفوز فى الحرب على الحكومات الفردية أو الارستقراطية. ويمكننا أن نقول بحق انه حينما وضع الدستور المصرى الحالى — أى دستور سنة ١٩٢٣ — كان الاجماع منعقدا على اعتبار الديمقراطية البرلمانية النظام الوحيد الذى يتفق وكرامة الشعوب الناضجة ويحقق سعادتها ولم يشذ عن ذلك سوى دولة واحدة اتبعت بعد انهزامها نظاما مرذولا : هى روسيا

وما كان يخطر ببال عاقل أن ينظر الى تلك الناحية لاقتباس نظام تحكم به بلاده وفى الواقع أن نظام الحكم الديمقراطى البرلمانى يمتاز على ما عداه من الانظمة بأنه يحقق الى ابعد مدى حريات الافراد ، كحرية الرأى والاعتقاد والحرية الشخصية وحرية القول والكتابة والاجتماع ، وهى كما نرى من أثمن مايهم الانسان ، وخاصة الرجل المتثقف ، فى الحياة

بعد وضع دستور سنة ١٩٢٣ ، حدثت ازمات دستورية متعددة مما لا يزال ماثلا أمام أعيننا فلم تتح الفرصة لتطبيق ذلك النظام فى مصر تطبيقا يصح معه الحكم له أو عليه ، فيما يتعلق بأثره فى تشريع الطوائف والطبقات ، أو معرفة أثر ذلك التشريع فيه عندنا ؛ لهـذا لا نرى مندوحة عن الاستعانة فى بحثنا بما جرى فى البلاد الاخرى من هذه الناحية

ربما ساء معتنقى مذهب الديموقراطية البرلمانية أن يعلموا أن هذا المذهب فى نكوص مستمر فى عصرنا هذا ، فقد انهار وزال فى بلاد بقيت متمسكة به دهرا طويلا وعطل أو مسخ فى بلاد قامت عليه من بداية كيانها الدولى أى من وقت استقلالها ؛ فايطاليا نبذته. ويوجوسلافيا عطلته زمنا طويلا واليونان ورومانيا وبلغاريا مسخته وتركيا لها برلمان يبدأ وينتهى فى خالق نهضتها العظيم وبولونيا كانت مثلها ولم تتغير الحال فيها كثيرا بعد وفاة المرشال بلسودسكى . والمانيا لاتعرف سوى ارادة الفوهرر اماإسبانيا فقد أوصلتها الى ماهى عليه ، أو قطعت أوصالها اذا فضلنا الديمقراطية البرلمانية وخارج أوربا نرى اليابان وسيف آلهـة الحرب مرهف فوق رقاب نوابها وايران والافغان لاارادة فيها فوق ارادة الشاه والملك

وقـد لجأت جمهورية برازيل أخيرا الى الفاشية ، وحتى الولايات المتحدة لم تر مفرا أخيرا من التسليم للرئيس روزفلت بسلطات دكتاتورية . كدت انسى روسيا غير أن هذه الدولة لاتدخل فى حسابنا لانها لم تعرف الحكم البرلمانى الديمقراطى فى تاريخها سوى بضعة أشهر فى عهد

كيرنسكى الضعيف

من الغريب أن معظم البلاد التى فتكت بالديمقراطية البرلمانية أو فتكت بها تلك الديمقراطية هى من البلاد المحيطة بالبحر الابيض المتوسط أو القريبة منه ولم يبق متمسكا الى الان بذلك النظام على وجه التقريب سوى شعوب الشمال فى أوربا والشعوب البريطانية وتشيكوسلوفاكيا وسويسرا وفرنسا ولم أذكر فرنســا فى النهاية الا لانى سأقف عندها طويلا لانها هى التى ستعطينا صورة صحيحة للرابطة الوثيقة بين نظام الحكم فى بلد من البلاد وتشريع الطوائف والطبقات فيها . وقد اخترتها لانى خبرتها أكثر من غيرها ، فقد عشت فى عاصمتها دارسا انظمتها وقوانينها متتبعا بنفسى حركات شعبها متنقلا بين مدنها وريفها مدة تقرب من عشر سنين ، وفوق ذلك فبيننا وبينها روابط ثقافية قديمة وتشريعنا مشتق الى حد كبير من قوانينها بل ان مشرعنا الى اليوم كلما أراد استلهاما لجأ الى انظمتها وتشريعها

دستور فرنسا الحالى وضع سنة ١٨٧٥ وهو فيما يتعلق بموضوعنا يشبه الدستور المصرى كثيرا واذا صرفنا النظر عن التفاصيل فان أساس الدستور الفرنسى هو الاقتراع العام للرجال البالغين ٢١ سنة والمسؤلية الوزارية أمام ممثلى الشعب ويكفينى من دراسة النظام الفرنسى ظاهرة حديثة قوية اعتقد انها سترشدنا الى ما نحن فى حاجة اليه من دراسة هذا النظام

حدث فى انتخابات مارس سنة ١٩٢٤ ان انخذلت اغلبية الميمنة التى كانت تعتمد عليها وقتئذ وزارة بوانكاريه وتسلمت مقاليد الحكم وزارة تستند الى أغلبية من أحزاب الميسرة وبقيت تلك الاغلبية مسيطرة على الحكم عامين ثم انهار سعر العملة حتى اصبح الجنيه يساوى ٢٥٠ فرنكا فى صيف سنة ١٩٢٦ فما الذى ادى الى تلك النتيجة الخطيرة؟ حدث ان اغلبية الميسرة التى ماوصلت الى الحكم الا بفضل تلك الوعود الخلابة التى قطعتها على نفسها لاسترضاء جماهير الناخبين وجدت نفسها مضطرة لتنفيذ الكثير من تلك الوعود فاندفعت فى تبديد الاموال العامة ارضاء لطوائف مؤيديها فاغدقت الخير على المحاربين القدماء وعددهم يربى على ثلاثة ملايين وعلى الموظفين وعددهم هائل فى فرنسـا اذ يقرب من المليون ، وكانت كلما منحت طائفة شيئ طالبت طائفة اخرى بنصيبها ثم بدأت تضعف الدخل العام بتخفيض الضرائب عن صغار دافعيها فرفعت الرقم الذى يبدأ عنده الاعفاء من ضريبـة الدخل وكان من اثر

كل ذلك ان اضطرت فى النهاية لان تتخطى الحد الذى وضعه القانون لبنك فرنسا فى اصدار اوراق النقد فدارت المطبعة دورتها وكثرت تلك الاوراق فهوى سعر الفرنك لان اصحاب رؤوس الاموال وحاملى سندات الخزانة لمدد قصيرة ذعروا فلجاوا الى استبدال السندات الاجنبية بما يستطيعون جمعه من النقد الفرنسى او السندات الفرنسية خشية ان يلحق الفرنك بالمارك الالمانى ونشأ عن ذلك ان استدعت اغلبية الميسرة بوانكاريه لتولى الحكم مع انه خصمها العنيد الذى خذله الناخبون قبل ذلك بعامين فتولى بوانكاريه انقاذ الموقف. بل ان مجرد وجوده على رأس الحكومة كان كافيا لاعادة الثقة فى الفرنك حتى وصل سعره الى ١١٩ فرنكا للجنيه فى بضعة اسابيع واضطرت الديموقراطية البرلمانية الى تخويل بوانكاريه سلطة اصدار ما يراه لازما من القوانين لعلاج مركز الفرنك اى خولته سلطته من نوع الدكتاتورية لاصلاح ما افسدته هى

وقد استطاع بوانكاريه ان يتم هذا الاصلاح لانه لم يكن يحسب اى حساب لاسترضاء الطوائف والطبقات بل جعل نصب عينيه الصالح العام دون غيره وقد نجح فى تثبيت سعر الفرنك بنسبة ١٢٤ فرنكا للجنيه الذهب فى سنة ١٩٢٨ قبل ان يتخلى عن الحكم لمرضه تاركا للميزانية الفرنسية فائضا احتياطيا ضخما فى الخزانة التى كان قد تسلمها على حافة الافلاس قبل ذلك بعامين

بعد ذلك ، لم يمض وقت طويل الا وبدأت الامور تعود سيرتها الاولى فعادت الطوائف المختلفة تطالب ممثليها الذين اوصلتهم باصواتها فى كرسى النيابة والذين تتوقف عليها عودتهم اليه بعد انتهاء مدة نيابتهم عادت تطالبهم بمختلف الفوائد والامتيازات وقد افضى الاغراق فى الاغداق الى انهيار العملة من جديد فى العام الماضى فى وزارة الاشتراكيين ، مما ادى الى تركهم رياسة الوزارة الى ممثلى الحزب الذى يليهم كثرة فى المجلس غير ان هذا لم ينقذ الموقف ولا يزال الفرنك فى كفة القدر

ولو أضفنا الى هذا قصر عمر الوزارت فى فرنسا مما لا يمكنها من القيام باى اصلاح جدى ، وذلك الاضطراب الاجتماعى الخطير الذى كثيرا ما يأخذ شكلا عنيفا ثوريا ، من احتلال معامل الى اضطرابات الى اغلاق مصانع الى القتال الدموى فى الشوارع والطرقات لتمثل لدينا ما تعانيه الديموقراطية البرلمانية الفرنسية الان من الشدائد المضنيات ، مما جعل الكثيرين من قواد الرأى

الفرنسيين انفسهم يتساءلون فى النهاية عما اذ كان من مصالح فرنسا الاستمرار فى التشبث بهذا النظام

ويظهر ان من اهم اسباب هذه الحال السيئة ، هو تنازع الطوائف والطبقات ومحاولة المشرع استرضاءها دون مراعاة للصالح العام ، فمع ان المفروض فى النائب نظريا ان يمثل الامة باجمعها ، الا ان النواب لايعرفون عادة من الامة الا ناخبيهم ولايحسبون حسابا الا لارضاء ناخبيهم ، لذا نرى فى مجلس النواب الفرنسى ظاهرة توضح لنا الكثير من عيوب هذا النظام : فاعضاء المجلس مقسمون الى ما يقرب من ماية «فريق دفاع» يضم كل منها عـــددا كبيرا من النواب من مختلف المبادىء السياسية والكثير منهم مشترك فى أكثر من «فريق دفاع» واحد ، وغرض كل فريق ارضاء طائفة معينة من الناس فهناك فريق دفاع لكل من الطوائف الآتية : المحاربين القدماء ، العمال المسنين غير المتمتعين بمعاش ، زراع البنجر ، مستخرجى النبيذ ، مستقطرى الكحول ، عمال البريد والتلغراف والتلفون ، بائعى الدخان ، المستأجرين ، ذوى المعـــاشات ، الصناع المستقلين ، عمال الحكومــة ، مستخدمى الجمارك موظفى الادارات العامة ، موظفى البوليس وغيرهم مما لافائدة من الاطالة فى تعداده ، ويقول المسيو تارديو فى كتابه الحرفة البرلمانية فى ذلك ، وقد قضى حياته بين النيابة والوزارة ورياسة الوزارة مرارا ـ « ان تقسيم النواب الى فرق الدفاع هذه أدى الى نهب الميزانية وتبديدها واهمال الصالح العام والوساطة والمحسوبية وعدم الاستقرار بل والرشوة »

واذا كنتم لا تستريحون لشهادة رجل سياسى كهذا فهاكم ما كتبه فقيه من أكبر فقهاء القانون فى فرنسا بل من أئمته فى العالم الان وهو العلامة ريبير اذ جاء فى مؤلفه « النظام الديموقراطى والتشريع المدنى الحديث» ، عند كلامه عن الصناع المستقلين ما يأتى : قوتهم السياسية عظيمة لأنهم منظمون تنظيما حسنا وعددهم كبير ، فلهم ٣٢٠ نقابة تضم ٢٠٠ الف عضو ، وقد بلغ من قوتهم ان وجد لهم فى البرلمان (فريق دفاع) ومن معمل التفريخ هذا خرج عدد كبير من القوانين (ص ٤٠٩)

ثم يقول فى موضع آخر : وكل طائفة تنال ما تطلب ، لأن السلطة السياسية ليس لها من القوة ما تستطيع به مقاومة ذلك التيار الجارف من المصالح ، واذا حدث ان الامتيازات الممنوحة تتعارض والصالح العام ، فلا يرى ذلك أحد ولا يأبه للمستقبل أحد (ص ٤١٩) ثم يقول : يحـدث أحيانا تنازع بين المصالح فى تجارات أو صناعات مختلفة ، ويتوقف الحل عنـدئذ على درجة النفوذ وأحيانا على

مقدار النقود أى على الرشوة وأعضاء البرلمان فى هـذا النضال يدافعون بكل قواهم عن هذا وذاك ، واضعين المبادىء السياسية وراء الصالح الشخصى أو الانتخابى « ٤٢٠ » ص ثم يقول « اذامنحت طائفة امتيازا فروح التقليد والغيرة تدفع الطوائف الأخرى للمطالبة بمثله ، فاذا استحالت مساواتهم بها طلبوا تعويضا يكون غالبا على حساب الميزانية العـامة بحيث نشـاهد الان نهبا مستمرا لأموال الدولة ارضاء لبعض المصالح الطائفية » ص ٤٢١ .

هذا هو وصف عاجل لبعض ما هو جار فى بلد ديموقراطى عرك الـكثير من أنظمة الحـكم وعركته ، ونال درجة من الرقى الاجتماعى والنضج السياسى لايدانيه فيها سوى القليل من الشعوب

والان هل تستخلص مما فات ان النظام الديموقراطى البرلمانى لا يصلـح لنا وان أى نظام آخر اصلح منه ؟ كلا طبعا فانى لم يرد فى ذهنى خاطر كهذا لأنى أعتقد يقينا ان نجاح أى نظام من نظم الحـكم أو فشله فى أى بلد من البلاد لا يستلزم مطلقا نجاحه أو فشـله فى بلد آخر ، فـكل دولة وما يلائمها تبعا لظروفها ودرجة استعدادها . بل ان الدولة الواحدة قد تقرر لنفسها نظاما تتبين موافقته لها مدة من الزمن ثم يصبـح غير ملائم لحاجاتها فتنبذه الى غيره مما تراه أصلح لتطورها ونموها

وانما الذى نستنتجه من دراسة تطبيق أنظمة الحـكم عند غيرنا ومصيرها فى بلادهم هو تلك الحقيقة الملموسة وهى أنه كلما كان الغرض من التشريع مجرد استرضـاء طائفة من الطوائف أو طبقة الطبقات ، بمحاباتها على حساب الصالح العام ، وبتمييزها ابتغاء ضمان البقاء فى الحكم أو الوصول أو العودة اليه ، اختل التوازن بين مصالح الطوائف وحل الحقد والتطاحن بين الطبقـات وتأججت فى صدورها الشهوات ، وانتهى الحال بالمشرع الى العجز عن حفظ السلام الاجتماعى فى الدولة ، وما من نظام ، مهما كان محبوبا وعزيزا على الامة التى اختارته ، يستطع الثبات مع هـذه النتيجة ، وما النظم السياسية فى النهاية الا مجرد وسيلة ، الغرض منها حكم الامة بما يتفق وصالحها ، وكل وسيلة لاتؤدى الى الغرض الذى وجدت لبلوغه ، يجب طرحها جانبا واختيار ما هو أنجع منها

فالسلام الاجتماعى اذن ، وهو أهم أغراض الحكم فى أية أمة من الامم ، لا يمـكن ضمانه إلا بتحقيق التوازن بين مصالح الطوائف والتعاون بين مختلف الطبقات ولا سبيل الى ذلك الا بتوخى العدل الاجتمـاعى فى التشريع . فلو ان مشرعا ، فى أى نظام من الانظمة ، راعى العدل الاجتماعى

فى تشريعه ، فلم يظلم طائفة ولم يحاب أخرى ، ولم يستعبد طبقة لطبقة من السكان ، لبقى نظامه قائما ما بقيت الارض لاهلها بصرف النظر عن شكله ولونه .

فلنعد الى مصر بعد هذا الطواف العاجل لنرى ما يتوقع لتشريع الطوائف والطبقات فيها على ضوء هذه المبادىء الاساسية التى استفدناها من دراسة حال البلاد الأخرى .

على الرغم من تعطيل النظام البرلمانى مرارا فى المدة السابقة ، فقد تطور نشاط الدولة عندنا فى العشر السنين الاخيرة تطورا كبيرا ، جعلها اميل فى سياستها الى نظام التدخل الاقتصادى منها الى نظام الاقتصاد الحر ، ويكفينى أن أشير هنا الى تلك الجهود المشكورة التى أثمرت خلق الصناعات الجديدة بايجاد المصانع النموذجية واستقدام الخبراء والفنيين لارشادنا ، وانشاء بنك التسليف الزراعى لمعاونة طائفة الزراع ، وبنك التسليف العقارى لاغاثة طائفة الملاك ، فضلا عن توجيه السياسة الجمركية لحماية المنتجات المصرية ، الزراعية منها والصناعية .

وقد اقترنت تلك النهضة الحكومية بنهضة قومية اقتصادية أصبحت كما قلنا محل أعجاب الاجانب قبل الوطنيين .

رسالة وزارة المعارف

بقلم وزيرها محمد حسين هيكل باشا

رسالة وزارة المعارف لا تقف عند اعداد الناشئة لحياة الحاضر وتسليحهم للنضال فيها بل هي تتعدى ذلك الى تصوير المستقبل كيف يكون . والى التهيئة العقلية لهذا المستقبل لمتابعة التطور والعمل على استمرار نشاطه ابتغاء الكمال ، وكل تعليم يقصر دون هذه التهيئة ويقف جهوده على ما ينفع الناس فى شئون العيش لحاضرهم تعليم تنقصه الروح وهو لذلك أقصر من أن يدفع الامة للنهوض باعباء الرسالة الانسانية الملقاة على عاتقها

وأول مايجب لاداء وزارة المعارف رسالتها بث روح الايمان بالحق فى نفوس الناشئة ، وتأديبها باحترام العدل المنزه عن الهوى ، وتقوية الملكة العلمية فيها بما يدفع الشباب الى الحرص على الاستزادة من معرفة أسرار الحياة والوجود . واذا كان أول العلم الحق أن يعرف الانسان نفسه وما يحيط به ، فاول التهذيب الصحيح أن تعرف الناشئة وطنها معرفة علمية بالغة غاية الدقة . وأن نؤمن برسالة هذا الوطن فى العالم كله ، وأن تؤيد هذه الرسالة ، وان تدعو اليها ، وأن تبذل الجهد والنفس فى سبيلها . وانما ترسخ هذه العقيدة فى نفس الشبيبة ويصبح الايمان الوطنى يقينا ثابتا فى قلوب المصريين جميعا حين يرون أن علمهم وأدبهم وفنهم ليست عارية مستوردة من بلاد أجنبية عنهم ، فلاحظ لهم منها غير فضل النقل ، وانما هو علم مصرى ، وأدب مصرى ، وفن مصرى ، وأن جهود أبناء الوطن هى التى صاغت ذلك كله ، مستلهمة فى صياغته قواعد العلم الحديث والفن الحديث ، وانها استمدته من ماضى مصر البعيد وماضيها القريب ، وانها ترجو به ان تبعث الحضارة التى نشرتها مصر فى العالم منذ عصور التاريخ الاولى ، ثم نشرتها فيه من بعد فى صورة أكثر سموا وبهاء فى عصورها الاسلامية الزاهرة ، وانها تريد بذلك أن تصل بينها وبين سائر الامم بصلة تعاون علمى وعقلى قائم على الاخذ والعطاء ، وقائم على العطاء أكثر من قيامه على الاخذ ، وان ما تأخذه من غيرها يندمج فى الثقافة المصرية بعد أن تسيغه وأن تهضمه ، وبعد أن تنفى بذلك زيفه لتسلك الصحيح منه فى نظامها .

التربية الذاتية للسعادة و المنفعة

الامريكيون مشهورون بانهم عمليون . وهذه النزعة العملية قد أحالت عندهم السيكلوجية من علم محض ونظريات مجردة الى تجارب غايتها البحث عن امثل الأساليب للتفكير والاستذكار وتعود السلوك الحسن وتحقيق النجاح وزيادة البراعة وغير ذلك . وفى الوقت الذى يؤلف فيه الألمان نظرية رائعة هى نظرية «جيشتالت» تبحث عن التفكير البشرى كيف يسير ويتم يبحث الامريكيون عن الطرق التى يمكن بها البائع أن يجذب بها الزبون . أى أن الالمانى يخدم العلم لمجرد العلم أما الامريكى فيخدم العلم للعمل به . ونحن فى حاجة الى الاثنين لأن كلا منهما يتمم الآخر

ومن السيكلوجيين الشعبيين أى الذين يكتبون لعامة الشعب عالم امريكى يدعى البيرت ويجام. وقد قرأت له عن التربية الذاتية للسعادة . وفى الوقت نفسه كيف يخدم الانسان الناس فينفع نفسه وغيره. وقدوضع ويجام سبعة شروط لتحقيق هذه الغاية أو هاتين الغايتين . وظنى أن قراء هذه المجلة ينتفعون بتأملها جميعاً

وأول الشروط للنجاح أو السعادة والمنفعة هو سلامة الصحة . وهذا الشرط واضح لا يحتاج الى شرح . فان كثيرا من الخيبة يعود الى المرض والضعف وما يجران من العجز عن تأدية العمل . وصحيح أن التفكير الحسن لا يحتاج الى صحة عظيمة الافى القليل من النشاط الذى يحتاج اليه التفكير الحسن وحده . اذ هو يتطلب النشاط والصحو فى الكد الناصب . فاذا كان الانسان مريضا يحتاج الى النوم الكثير فى النهار وفى الليل واذا كان الاعياء يناله للمجهود الصغير فان نجاحه لن يتحقق ولسنا فى حاجة الى أن نقول أن سعادته لن تتحقق أيضا ونعنى هنا حتى السعادة الاولية التى تنشأ من صحة الجسم وتأديته لوظائفه بلا تعب أو ألم . فلا بد لمن ينشد النجاح أو السعادة أن يعنى قبل كل شىء بصحته أكبر العناية

أما الشرط الثانى الذى يضعه ويجام فهو فصاحة الكلام والالقاء . ويجب أن أقول هنا أن

ويجام خطيب . ولعله هذا السبب يكبر من شأن الفصاحة التى هى بضاعة الخطيب . ولكن لا نكران فى أن كثيراً من الشخصية يعود الى اللغة التى يتكلم بها الانسان . ونحن نستثقل ظل الناس أو نستخفه حين يتكلمون وذلك لأن لنبرات الصوت وطريقة الالقاء واختيار الألفاظ أثرا كبيرا يتركه المتكلم فى أذهاننا . بل الملاحظ أن الكاتب الذى يطبع شخصيته فى أذهان قرائه انما يؤثر هذا الاثر لأن له لغة خاصة أو أسلوبا معيناً . والواقع أن لكل انسان أسلوبا فى مشيته وحركات أعضائه وكلامه ولكل منها أثره . ولكن أثر الكلام أوضح ولهذا هو أبلغ

أما الشرط الثالث للنجاح أو للتربية الذاتية الحسنة فهو أن يكون للانسان مقدار كبير من الالفاظ والعبارات التى تؤدى المعانى المختلفة . أو بكلمة أخرى يجب عليه أن يعرف اللغة التى يتكلم بها المعرفة الدقيقة . وليس هذا من أجل التأثير فى الغير بل من أجل التفكير الحسن الذى لا غنى عنه لمن يطلب الفهم الصحيح للاشياء . فاننا لا نستطيع أن نفكر تفكيرا سليما حسناً مالم تكن لدينا ثروة من الالفاظ التى هى فى الحقيقة أدوات التفكير ورموز المعانى . والمعنى لا يزال غامضاً مضطربا حتى نحدده ونعينه بلفظة . وقديما قال ماكس مولر اننا لا نستطيع التفكير بلا ألفاظ أو ما يقوم مقامها من اشارات كتلك التى يستعملها الاخرس

بقيت شروط أربعة أخرى يسهل على القارىء أن يعرف قيمتها فى النجاح . فان ويجام يجعل الشرط الرابع قدرة الشاب أو الفتاة أو أى شخص كائنا من كان على التعاون مع الناس وتجنب الخصومة . وكلنا يفهم قيمة هذا الشرط بل لعلنا نعرف كثيرين أضاعوا مراكزهم لأنهم كانوا سريعين الى الشر والخصومة ليس فيهم ذلك اللين أو تلك الدماثة التى تقتضيها الصداقة والرفقة . كما نعرف كثيرين أصابوا الخيبة بدلا من النجاح لكثرة خلافهم ولأنهم كانوا يكرهون التعاون مع زملائهم

أما الشرط الخامس فهو عند ويجام التفكير النزيه السليم . وأظن أن هذا الشرط كان يجب أن يكون مضمرا فيما اشترط قبل ذلك بشأن العناية بالالفاظ . لان هذه العناية تقتضى تفكيرا فى الاختيار مع التدرب على القراءة والدرس

ولكن لعل ويجام أراد تأكيد هذه النقطة . وله الحق فى ذلك . فان كثيرا من تفكيرنا يقوم على عادات واعتبارات من ناحية الالتفات للعرف قد تعود علينا بالضرر . ولذلك فان التفكير المستقل يحتاج الى جهد. مثال ذلك أن كثيرين فى مصر يتغالون فى شراء الارض الزراعية جريا على العادة والعرف

فقط . وهم لو استقلوا فى تفكيرهم لطرقوا أبوابا أخرى لاستغلال أموالهم

والشرط السادس هو عندى من أحسن ماابتكره ويجام فى هذا المقال. فانه يقول أنه يجب عليك اذا أردت أن ترقى وتنجح أن تنضم الى شأن عام كأن تدعو الى دعوة سياسية أو اجتماعية فتنضم الى حزب أو جمعية أو عصبة تعمل عملا خيريا قوميا . وذلك لان عضويتك فى هذه الهيئات تنبه ذهنك وترقى اخلاقك اذ هى تشعرك بانك عضو نافع فى هذه الهيئة الاجتماعية . ومتى تنبهت الى ذلك فانه يبعد عليك كثيرا أن ترضى بالانحطاط أو ملابسة الرذائل . وهذا بالطبع زيادة على أنك ستنفع هذه الهيئة التى تخدمها . وهنا يجب أن نذكر كلمة للزعيم الانجليزى برايط . فقد قال اذا لم تستطع أن تخدم الناس وانت تخدم شأنا عاما فثق بان هذا الشأن سيخدمك . وهذا قول حق

أما الشرط السابع فهو تجنب المطامع الذاتية هذه المطامع التى كثيرا ما تجنح بصاحبها الى الدمار . فان الشاب الناجح فى وظيفته أو عمله قد ينتهى بالخراب والسجن اذا وقع فى هوى امرأة سافلة أو اذا حملته أطماعه على السرقة أو التزوير . بل هو أحيانا يفشل لانه يبعثر قواه ويشتتها لكثرة مطامعه وتعددها

ولست أقول أن هذه الشروط السبعة هى قصارى ما يمكن أن يقال عن النجاح والتربية الذاتية ولكنها تستحق النظر وفيها كثير من الفوائد التى يجنبها المتأمل فيها

فاذا تركنا ويجام فاننا نجد عشر قواعد أخرى قد وضعها صاحبها الامريكى أيضا ـ والامريكيون يؤمنون بديانة النجاح — وهى كما يرى القارىء يقصد منها النجاح المالى :

١ أطلب النجاح قبل اللهو

٢ تعلم شيئا كل يوم

٣ لا تلتزم العادة المألوفة

٤ احصر ذهنك وجهدك فى الربح الصافى

٥ اذا صنعت جميلا فاعلن عنه

٦ لا تهتم بالتوافه

٧ عليك بتحصيل المهارة الفنية

٨ اجعل نفسك جديرا بالمعونة والولاء

٩ اكبر جدا من شأن الاخلاق

البيع بالايجار

شاعت عادة البيع بالايجار . يبيع التاجر سلعته الغالية ويكتب عقد ايجار عنها مع المشترى الذى يستأجرها لمدة عام أو أكثر ويؤدى كل شهر عنها قيمة الايجار المطلوبه حتى اذا انتهى العام أو مدة عقد الايجار أصبحت السلعة ملكا خالصا له

وقد وجد التجار أن البيع بالايجار يشجع المشترى على شراء السلع الغالية التى يعجز معظم الناس عن شرائها بالنقد . ثم هو فى الوقت نفسه يجعل المشترى مسئولا عن السلعه إذ لا يمكنه أن يبيعها ويتصرف فيها إذ هى لن تكون ملكا خاصا له إلا بعد ان يؤدى الثمن الكامل لها .

وقد أقبل الجمهور على شراء السلع المختلفة بالايجار وزادت الحركة التجارية ولكن لهذه الطريقة عيوبا ربما كان أهمها ان البائع يمكنه أن يسترد سلعته اذا عجز المشترى عن تسديد جميع الاقساط . وقد يكون المشترى قد أدى نصف الثمن أو حتى ثلاثة أرباعه ثم بعد ذلك تعترضه عقبات تحول دون تسديده الربع الباقى . وعندئذ يتقدم البائع ويسترد سلعته . ويعتبر ان مادفع انما كان ايجارا فقط

وقد رأت الآنسة إلين ويلكنسون وهى عضو فى مجلس العموم البريطانى أن هذا الغبن الذى يقع بالمشترين بالايجار يجب أن يرفع عنهم . وهذه الآنسة كانت وزيرة فى وزارة العمال الماضية وقد قدمت مشروع قانون نلخصه فيما يأتى :

١ ـ انه يجوز للمشترى أن يسترد سلعته اذا كان قد أدى بطريقة الايجار من ثمنها الثلث . أى ان هذا الثلث يحسب له ويعود لاستئناف تسديد الاقساط

٢ ـ ينص المشروع على وجوب تعيين الثمن بالنقد العاجل والثمن بالايجار . وتعيين جميع السلع المقدمة للايجار

٣ ـ يجب أن يوقع البائع والمشترى على عقد الايجار

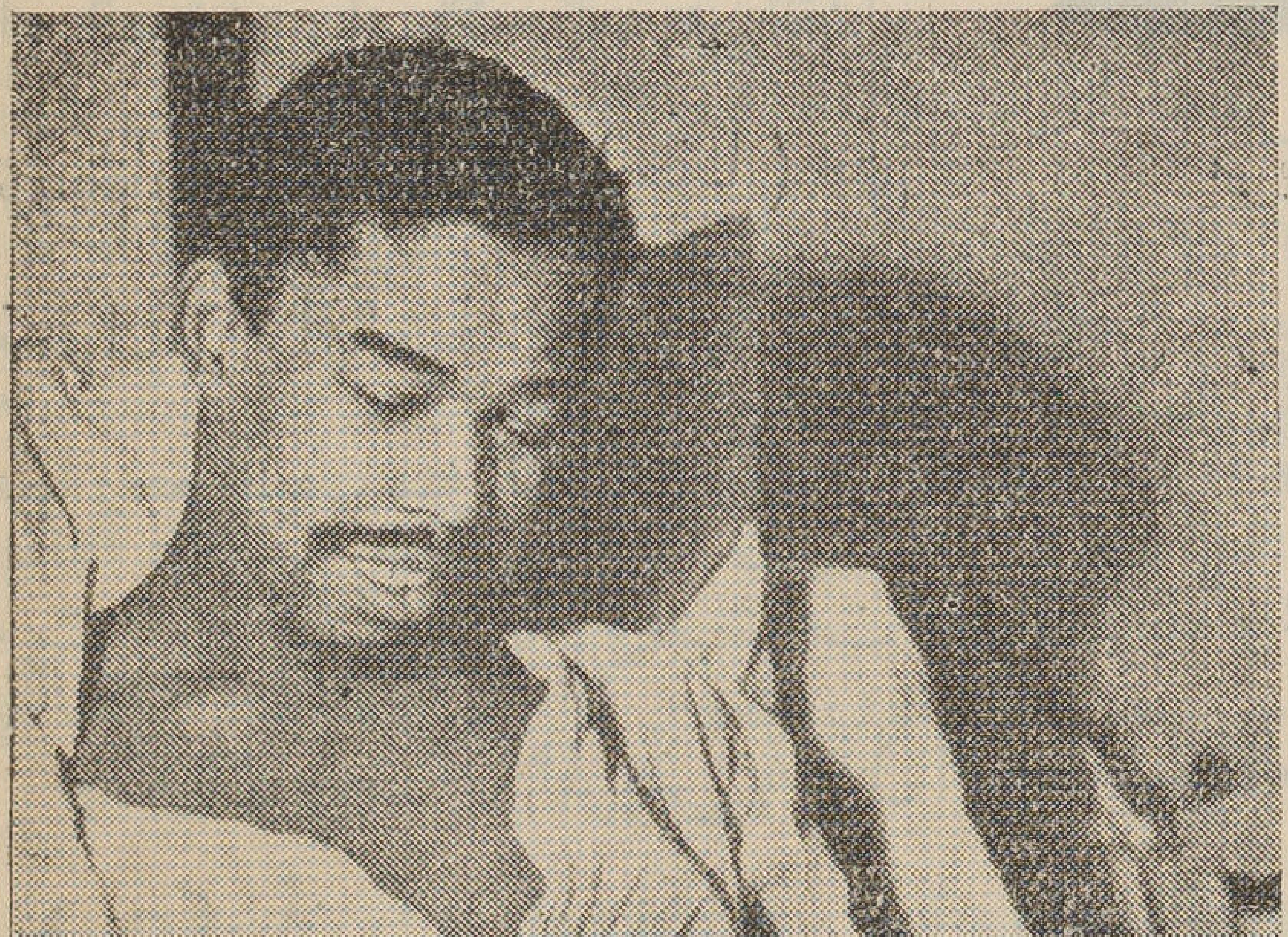
٤ ـ للمستأجر أى المشترى الحق فى رد السلعة وانهاء العقد مع دفع مبلغ يعادل انتفاعه فقط

وقد وجد هذا المشروع ترحيبا من أعضاء البرلمان والجمهور

معالجة الجنون

كان الجنون يعالج قديما بضروب من القسوة باعتبار أن المجنون ممسوس بالجن كما تدل على ذلك لفظة «مجنون» نفسها. ثم لما شاعت المبادىء الانسانية فى القرن التاسع عشر انتفع بها سكان المارستان كما انتفع بها سكان السجون. فنالوا شيئا من الرأفة بعد القسوة. فصارت جدران المارستان تبطن بالقطن أو القش. وصار المريض يعالج بالرفق ويعطى من الاعمال اليدوية ما يخفف عنه سأم الحبس

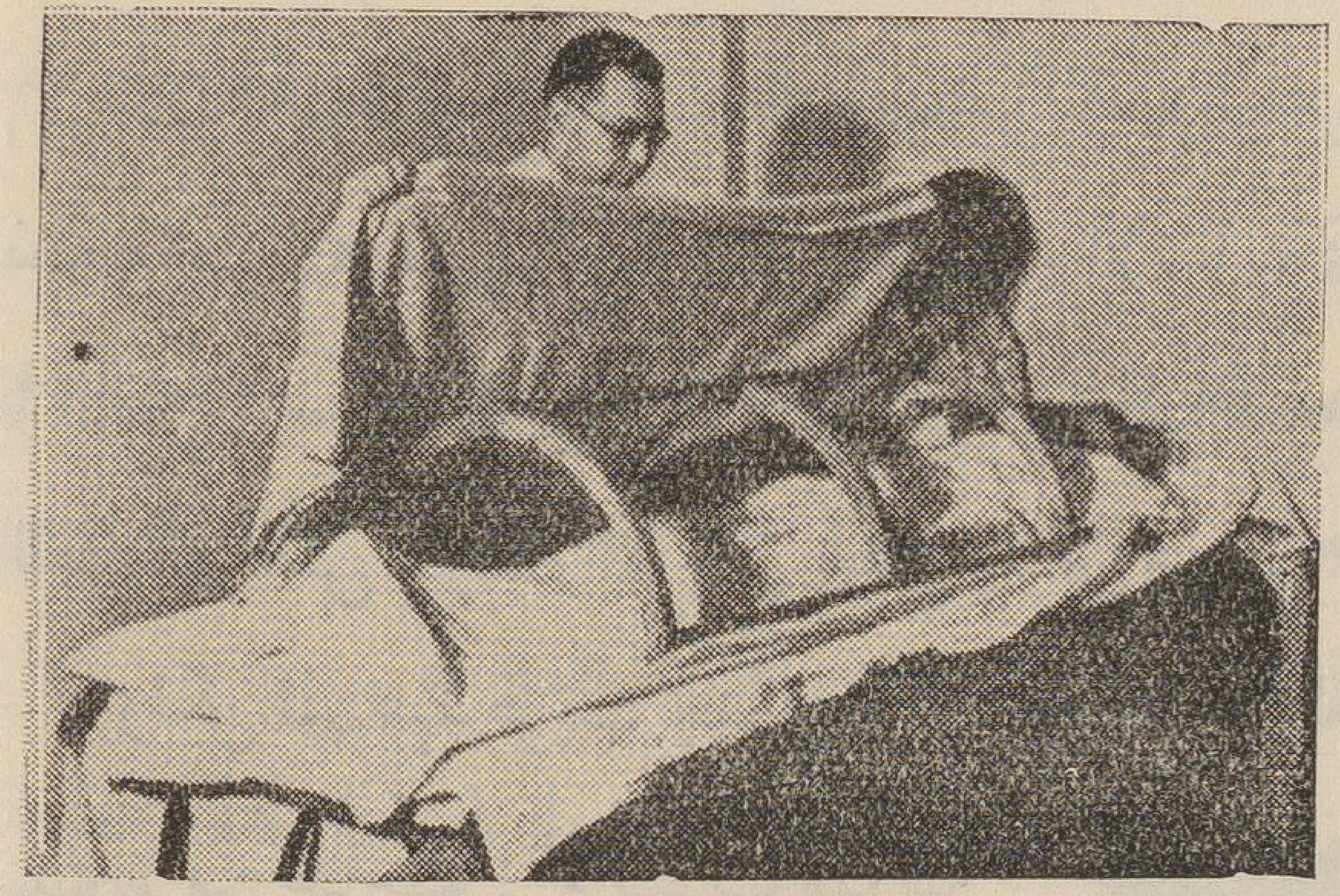
ولكن الى عهد قريب لم يكن يعرف من وسائل العلاج للمجانين سوى استعمال المسكنات التى تهدىء من هياجهم. ثم ظهرت مدرسة التحليل النفسى التى أسسها فرويد. ففتحت أبوابا جديدة لدرس الجنون والشذوذ النفسى بالوانه المختلفة ودرجاته المتعددة واتضح من أبحاث هذه المدرسة أن ٧٥ فى المائة من مرضى المارستانات يعزى جنونهم الى اضطرابات نفسية وعقد عاطفية - وان الجسم ونسيج الدماغ يبقيان مع هذه الاضطرابات سالمين - ويقتصر العلاج هنا على الوصول الى هذه العقد المندسة فى العقل الباطن وهى بعيدة عن وجدان المريض وحلها وايضاح غوامضها ومتى وقف المريض على تفاصيلها انكشفت



مريض بالشيزوفرنيا عولج بصدمة الانسولين

له نفسه وعرف مابها واستطاع أن يتصرف بعد الحدة والاضطراب

ولكن هناك جنونا يصيب بعض الاشخاص نتيجة أمراض تبتلى بها أجسامهم مثال ذلك هذا المرض المعروف باسم الشيزوفرنيا . فانه جنون يطرأ على الشبان والفتيات منذ سن السادسة عشر أى عقب المراهقة فيؤثر فى أذهانهم - ومع أنه لا يعرف مكان الداء فيه فان الظن الذى يقارب الترجيح أنه نتيجة خلل فى بعض الاعضاء - ويزيد هذا الظن قوة أن « التحليل النفسى » لم ينجح فيه - وان معالجته بالانسولين قد عادت بفوائد واضحة - والانسولين هو المركب الذى يستحضر لمعالجة المرضى بالداء السكرى - أو بالاحرى هو الغذاء الذى يتناوله السكريون (حقنا) حتى يهضموا المواد النشوية - وقد وجد أنه عندما يحقن المريض بالشيزوفرنيا بحقنة الانسولين حتى يحدث له منها رجع عنيف منه كالتشنج والاغماء ثم تعاد اليه الافاقة بحقنة من السكر أو اطعامه بغذاء سكرى فانه يشفى من الشيزوفرنيا - وقد شاعت هذه الطريقة ونجحت نجاحا عظيما



مريض بالخذل يعالج بالحمى الصناعية

وكذلك وجد أن المريض بالخذل أى بالشلل العام الذى هو آخر درجات السفلس — هذا المريض يمكن أن يشفى باحداث حمى صناعية له - وقد استعمل بعوض الملاريا لايجاد هذه الحمى فيه كما استعملت طرق اخرى ونجحت نجاحا عظيما أيضا - ولا يعرف كيف تشفى حقنة الانسولين جنون الشيزوفرنيا - ولكن الشفاء الذى يتحقق منهما يدل على أن المرض عضوى وليس نفسيا

اطالة العمر والطعام

الكسيس كاريل هو العالم الفرنسى الذى يعمل فى مؤسسة روكفلر فى الولايات المتحدة. وقد وقف حياته لبحث موضوع الانسجة الحيوية وما يعمل لصحتها أو لمرضها. وهو المعروف بتجربته المشهورة إذ نزع نسيجا حياً من قلب جنين فرخ سنة ١٩١٢ ثم وضعه فى سائل يحوى المواد المغذية وهو يتعهد هذا السائل فيجدده حين يفسد. وقد مضى على هذا النسيج ست وعشرون سنة وهو حى وليس هناك ما يدل على أنه سيموت ابدا

وقد القى الدكتور كاريل محاضرة عن اطالة العمر قال فيها إن الوسائل التى استعملت إلى الآن لاطالة العمر كانت سلبية من حيث أن الغرض منها كان منع عادية الامراض عن الجسم حتى يعيش سليما ويصل إلى أقصى سنى العمر. أما الوسائل الايجابية فلم تستعمل إلى الآن لانها مجهولة أو لأن المعروف عنها قليل. ولا يزال الناس يعيشون إلى الستين أو الخامسة والستين فتبدأ عناصر الشيخوخة تدب فى أجسامهم حتى أذا بلغوا السبعين أو حواليها ماتوا. واولئك المعمرون الذين يبلغون الثمانين أو التسعين قليلون وهم يكادون يتميزون فى اسر معروفة يرثون التعمير كما يرثون ملامح اعضائهم وتقاسيم قاماتهم

ولكن القليل المعروف عن الوسائل الايجابية يمكن أن يستغل كله أو بعضه لاطالة العمر. ويجب أن نعرف أن ما يطيل العمر يزيد الصحة وليس منا من يطلب زيادة السنوات فقط فى شيخوخة منهوكة مهدمة: وقد قام بعض العلماء بتجارب مختلفة فى الفئران فوجد أنها وهى محبوسة ممنوعة من حرية الحركة والنشاط تعيش أكثر مما لو كانت مطلقة حرة تجرى. وهذا يدل على أننا نؤدى ثمن النشاط نقصا فى العمر. ولعل هذا هو السبب فى التعمير الشاذ الذى نراه فى كثير من الرهبان. بل لعل قلة النشاط هذه هى السبب لزيادة الاعمار فى النساء على الرجال فى جميع انحاء العالم.

وهناك تجربة اخرى قام بها كاريل هى تصويم الفئران عدة اجيال متعاقبة فقد كان يفرض الصوم على

على الفأر مدداً مختلفة فكانت النتيجة ان هذه الفئران صغرت اجسامها ولكن ذكاءها ازداد كما ازدادت اعمارها .

وهاتان التجربتان لاتجدان الارتياح من جمهور الناس . فان الرياضة الجسمية قد أصبح لها الشأن الكبير فى حياة الشبان وهى تبعث السرور واللذة . فالقول بان الدعة والسكون يطيلان العمر لن يقنع الشاب يترك الرياضة . ويجب الا يقنعه لان العمر لايعد بالسنوات فقط . زد على هذا ان الدعة والسكون مع الاطعمة الوفيرة التى تحفل بها الموائد يدعو الى السمن . وليس من السهل ان يضبط الانسان نفسه عن تناول الاطعمة . ولولا حركة العمل ونشاط الرياضة لترهل كثيرون . وفى السمن والترهل من الاضرار مالا يخفى

اما الصوم فان كثيرين من دعاة الثقافة الجسمية يدعون اليه وهم وحدهم يجدون فيه تجديداً للجسم ووسيلة للتخلص من السموم المتخلفة فيه . واكبر دعاة الصوم هو مكفادين الذى يصوم فترات تبلغ عشرة ايام او خمسة عشرة يوما . وليس مثال غاندى بعيداً . فانه يصوم عشرين يوما بسهولة ويخرج من الصوم وهو أجود صحة واوفى نشاطا . بل ان بعض دعاة الصوم يعتقدون انه العلاج الحقيقى للتخلص من الامراض أو من معظمها

ولكن اطالة العمر لاتزال تعتمد على الوسائل السلبية اكثر مما تعتمد على الوسائل الايجابية . فيجب قبل كل شيء توقى الامراض وخاصة أمراض الكهولة مثل السرطان والسكرى والامراض الروماتزمية . واذا استطاع الانسان ان يتوقاها فان الاغلب انه يصل الى سن السبعين وهو سليم وقد يتجاوز هذه السن مع الاحتفاظ بصحة جسمه وذهنه .

* * *

كتب أحد علماء اليابان مقالا عن الاطعمة قال فيه أن جميع الناس تقريبا يأكلون أكثر من حاجتهم . وهم حين يفعلون ذلك ويعتادون هذه العادة مدى السنوات المتوالية تدفع القناة الهضمية عن نفسها الزائد من الطعام بايجاد بطانة جديدة لها تجعل الهضم قليلا . وهذا لايحدث بالطبع إلا بعد أن يكون الجسم قد أرهق بالغذاء الكثير وتضخم بالشحم المخزون

والبرهان على اننا نأكل ضعف مانحتاج اليه اننا عند مانشرع فى تخفيف أنفسنا بالاقلال من

الطعام نجد أننا نصل أحيانا إلى نصف المقدار الذى كنا نتناوله قبل ومع ذلك لا ينقص وزننا بل يبقى كما هو ، ونحتاج إلى أن ننزل المقدار إلى أقل من النصف حتى يبدأ النقص فى وزننا

وأعظم ما يبعثنا على أن نأكل أكثر من حاجتنا اختلاف ألوان الطعام . فان هذا الاختلاف يحث النفس على الاشتهاء . لان الاكل عندئذ لا يقصد منه كسر الجوع بالشبع بل التسلية بالتنقل من لون إلى لون . والعلاج الوحيد للذين يجدون فى أنفسهم عجزا عن مقاومة الطعام أن يقتصروا على لون واحد يأكلون منه حتى الشبع . فانهم هنا يشبعون بأقل جداً مما يشبعون بالالوان المتعددة

ولكن هناك سبباً آخر للافراط فى الاكل هو كثرة التوابل التى تحث على الاستزادة . وهذه التوابل زيادة على ما فيها من ضرر إذ هى تحدث التهابا فى جدران الامعاء ، تجعلنا نستوعب كثيرا من الملح الذى نحتاج إلى مقدار كبير من الماء لكى يتخلص منه . وهذا بالطبع إلى هضم مقادير كبيرة من الطعام لا حاجة لنا به

ونحن فى مصر أكثر استعمالا للتوابل واقبالا عليها من الاوربيين . بل المصرى الذى ينزل فى عاصمة أوربية لاول مرة تصدمه الوان الطعام بقلة توابلها ومساخة طعمها لانه اعتاد فى مصر الملح الكثير والفلفل وسائر الحريفات

ولذلك ينبغى لمن يريد أن يتوقى التضخم والترهل أو ينشد النحافة أن يتجنب الاطعمة المتوبلة إلى التزام لون واحد من الطعام . وهو عند ما يستقر على هذه الخطة يرى نفسه قانعا بنصف الطعام . الذى كان يأكل قبل

ويمكن كل انسان أن يعرف اذا كان يأكل قليلا أو كثيرا بالاعتماد على وزن جسمه . والقاعدة هنا أن يحسب على كل سنتيمتر بعد المائة من القامة كيلو جرام . فاذا كانت القامة ١٦٥ سنتيمترا . فان الوزن يجب ألا يزيد على ٦٥ كيلو جراما . ويجب أن يزن الانسان نفسه من وقت لآخر حتى يعرف هل هو سائر نحو التضخم أم نحو الهزال

والضمور أى النحافة هو غير الهزال فان الاول ثمرة الصحة والرياضة أما الثانى فثمرة الضعف والمرض . والشخص النحف اقدر على العمل والجهد من الشخص السمين . وهو قلما ينام القيلولة لانه يقضى نهاره بل بعض ليله فى صحو . فى حين أن السمين لا يكاد يتماسك عقب الغداء للخمول

الذى يستولى عليه

والعواقب السيئة للسمن كثيرة جدا . وهى تبقى كامنه الى مابعد سن الاربعين ولا تظهر الا عند الاقتراب من الخمسين . فان السمين فى هذه السن اما أن يكون قد أرهق جسمه بالاحماض التى تحدث له أوجاعا رومتزمية ، وأما أن يكون قد اتلف جهاز البنكرياس فيعجز عن تمثيل المواد النشوية والسكرية فيمرض بالمرض السكرى المعروف

و كثير من العامة يتوهمون أن السمن برهان الصحة . مع أن القليل من التأمل يبين عكس ذلك . فان النحيف يمكنه أن يعدو المسافة الطويلة ويبلغ آخرها وهو مرتاح ساكن فى حين يلهث السمين وكأنه يعجز عن التنفس . وقل أن يموت نحيف بالنقطة أو السكتة فى حين يصاب بهما السمين . وعندما تفشو وافدة تجد السمين يموت فى مضاعفاتها فى حين ينجو منها النحيف بأقل مجهود

وهناك كلام بل لغط كثير عن الفيتامينات يجب ألا يأبه به القارىء كثيرا . فان أطعمتنا العادية تحتوى الكفاية منها . وليست العبرة باتخاذ هذا الطعام أو ذاك وانما هى بالاقلال من مقدار الطعام . وليس المقصود من هذا أن الاطعمة لا تتفاضل فان الخبز الاسمر مثلا قد ثبتت أفضليته على الخبز الابيض . وأطعمة البقول ومشتقات اللبن قد ثبت أنها تفضل غيرها من حيث صيانة الجسم من الامراض . ولكن لا فائدة من اختيار الطعام الحسن اذا كنا نأكل منه بنهم الى أن يرهق جسمنا به فنتضخم ونترهل

مدرسة الأذكياء

فى نيويورك مدرسة تديرها الدكتورة ليتاهو لنجورت تدعى « مدرسة سباير » ليس بها سوى خمسين تلميذاً من الجنسين تتراوح أعمارهم بين الثامنة والحادية عشرة وهم جميعا ممتازون بالذكاء الذى يبلغ متوسطه ١٣٠ (العادى ١٠٠) وهؤلاء التلاميذ يقرأون الجرائد اليومية ويتحدثون على صغر سنهم عن قاعدة الذهب وبرنامج روزفلت ويناقشون ما تكتبه الجرائد الكبرى من الموضوعات الخطيرة . وقد اختير هؤلاء الخمسون من عشرة آلاف تلميذ ممتاز فى مدارس نيويورك التى يبلغ عدد تلاميذها مليونا

وقد كانت الدكتورة ليتا هولنجورت تشتغل بالتعليم فى المدارس العادية . فوجدت أن العناية بالضعفاء المتأخرين كبيرة حتى إنه أسس لهم فصول بل مدارس خاصة فى حين أن الأذكياء لا يجدون أية عناية إذهم يتركون فى المدارس العادية التى يسأمون الدرس فيها فتشتغل أذهانهم — من السأم — بضروب من الأذى وينصرف نشاطهم الى مجار سيئة . ولذلك أنشأت هذه المدرسة لهم حتى يمكن الانتفاع بذكائهم . والبرنامج الدراسى يدرس نصف النهار الأول . أما بعد الظهر فان التلاميذ يعاملون كأنهم طلبة جامعة اذ عليهم أن يقوموا بالابحاث المختلفة التى يفتشون عن أصولها بارشاد المعلمين فى مكتبة المدرسة وكثيراً مانجد التلميذ مشغول بقص بعض النبذ أو الاختيار من احدى الجرائد أو المجلات لأنها تختص بالموضوع الذى يدرس

والظن الشائع أن التلميذ الذكى يكون فى العادة هزيلا على عينيه نظارتان وهو لا يكاد يعرف اللعب . مع أن الحقيقة التى تبرزها هذه المدرسة ان مستوى الصحة عندهؤلاء الأذكياء أعلى مما هو عند غيرهم . بل هم أيضا يمتازون بالوسامة إذ ليس فيهم تلميذ يمكن أن يوصف بالدمامة ومما هو جدير بالذكر أن جميع هؤلاء التلاميذ ينتسبون الى أسر متيسرة من طبقة الفنيين الذين يعيشون بحرفة تحتاج إلى مهارة . ولا يكاد يكون بينهم واحد من أسرة فقيرة . وذلك لان الذكاء يورث من

الابوين . والعادة أنه اذا كان هذان ذكيين فانهما يصلان الى مستوى اليسر الذي يطلبه الجميع بما لهما من كفاءة . وهذه الكفاءة (أى الذكاء) يرثها ابنهما . وعند الدكتوره ليتاهولنجورث ان الوسط لايؤثر فى الذكاء . وان معظم الاذكياء من الاسر الحسنة يكونون فى العادة الابن البكر أو الابن الوحيد . ويكون الابوان متقدمين فى السن . وهى تفسر هذه الظاهرة الاخيرة بأن الاذكياء فى الظروف الاقتصادية يتبصرون قبل الزواج ويرفضون الارتباط به قبل الاستعداد الكافى للمعيشة المتيسرة

أما علامات الطفل الذكى كما تراها هذه المعلمة فهى رغبته فى تعرف المعانى للالفاظ المختلفه وحبه للساعات والاعداد والتقاويم والعدد . وقل أن يزيد الاذكياء فى أسرة على اثنين . والعادة أن الاسر الذكية تكون قليلة التناسل لشعور الابوين بمسئوليتهما ولانهما أيضا لايجهلان طرق منع التناسل .

وتقول الدكتورة ليتا أن ما يشاع عن ذكاء الصبيان اليهود ليس حقيقيا وان فى مدرستها ثلاثة من صبيان الزنوج

اصلاحات اجتماعية فى اليابان

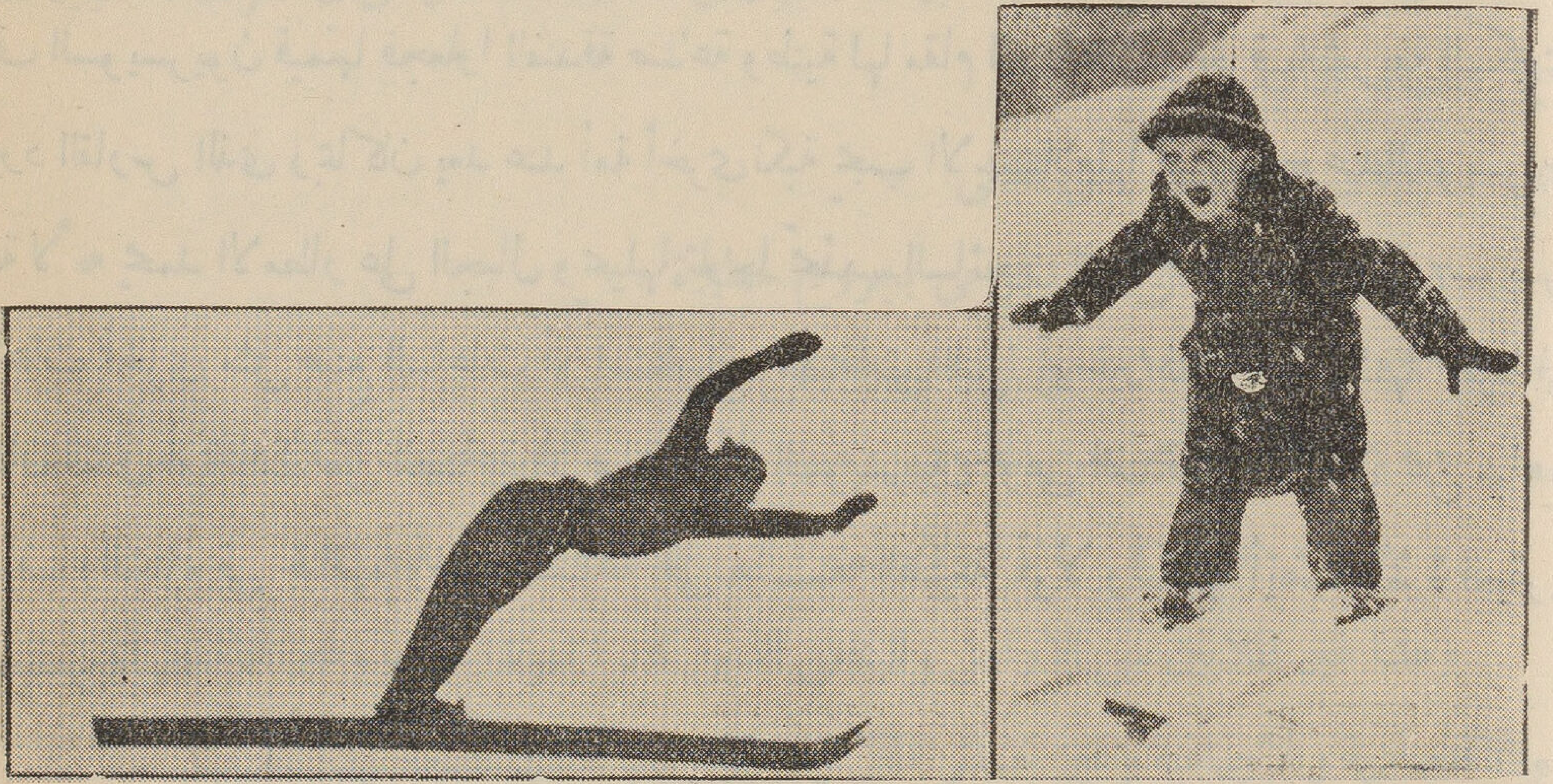
من الاصلاحات الاجتماعية التى تقرر القيام بها فى اليابان بمقتضى برنامج عام واسع النطاق الاستغناء عن الكيمونو وهو لبس نسائى واسع خفيف . فبعدما نشر اليابانيون هذا الزى فى العالم كله قاموا عليه الان يقولون انه يعرقل الحركة ويمنع السرعة وينضلون عليه لبس البنطلون للسيدات كالرجال . لانه اوفى بمقتضيات الحياة الجديدة . ويقولون ان شيوعه فى اليابان لايكون غريبا . فزوجات الفلاحين فى شمال اليابان كلهن يلبسنه ويؤكدن انه حسن .

وسيمنعون الفتيان والفتيات دون سن العشرين من التدخين وشرب المسكرات . ويقولون ان هناك قانونا موجودا فى هذا المعنى ولكن لا يكترث له احد . فيريدون ان يتقيدوا به من الان فصاعدا والاصلاح المهم الذى يراد اجراؤه فى اليابان يقضى بتقليل اكل الارز وهو طعامهم الرئيس . فقد قرروا انه يسمن الجسم لكنه لا يكسبه قوة . وهم يريدون القوة .

صناعة سويسرا الوطنية

لبعض الأمم ميزانها التى تؤثلها وقد تجعل منها رأس المال الذى تستغله وتعيش منه ، وقد وجد السويسريون أن بلادهم فقيرة إذ هى مجموعة من الجبال والسهول التى لا تثمر الا الضئيل من الزراعة ففكروا فى استنباط صناعة يستغلون بها هذه الجبال فكانت صناعة السياحة

والسياحة هى الصناعة الوطنية فى سويسرا . ولها المقام الاول فى نظر الحكومة والأمة . وتعد



التزلج على الثلج فى سويسرا

الفندقة أى ادارة الفنادق من الحرف الشريفة التى تتساوى فى الدرجة مع سائر الدرجات الجامعية كالطب والادب والقانون والعلوم وذلك لأن السويسريين يحتاجون إلى اتقان هذا الفن حتى يجد السائح الاجنبى الاغراء لزيارة سويسرا وتكرار الزيارة عاما بعد عام

وسويسرا تزار فى الصيف حين يقسو الحر فيجد الزائر على جبالها درجات مختلفة من الجو . فعلى الاسناد السفلى نسيم يروق ذوى الاجسام الضعيفة ، وفوق القمم أو قريبا منها يجد غيرهم الجو

البارد والثلوج التى لا تريم . وكثير من أغنيائنا يفرون من جو نا فى الصيف الى سويسرا حيث يستجمون ويستردون من ثلوج الالب ما أفقدهم الكد والحر فى مصر

ولكن السويسريين لم يقنعوا بأن تكون بلادهم مصيفا لاوربا أو غير اوربا بل جعلوها أيضا مشتى وذلك لان جبالهم تكسوها الثلوج وخاصة على اسنادها فتبدو أحاديرها كانها قد سويت للتزلج والمرح والوثب . ولا يكاد الشتاء يبتدىء حتى يهرع اليها آلاف السائحين الذين يقصدون الى جبالها ويتزلجون . وهذا التزلج فن يتفاوت فيه الزائرون . ومنهم من يبرع فيه فيقطع المسافات ويثب فوق الهوات وكأنه عصفور يطير عليها ومنهم المبتدىء الذى يتعثر فى قبقابه ولا يكاد يخطو خطوة الا وتقارنها سقطة تحتاج الى نهضة مضطربة

فجبال سويسرا — بهمة ابنائها — قد استحالت من أن تكون علة للفقر الى سبب للثراء . وقد عرف السويسريون قيمتها فجعلوا الفندقة صناعة وطنية لها مقام الصناعات والحرف الشريفة الكبرى والبرد القارس الذى ربما كان يعد عند أمة أخرى نكبة يجب الاستسلام لها قد أصبح عند السويسريين نعمة لأنه يجمد الامطار على الجبال ويحيلها ثلوجا تجذب السائحين للتزلج والمرح . وفى سويسرا صناعات أخرى مثل صنع الساعات أو استخراج مشتقات اللبن أو غير ذلك . ولكنها جميعا فى المكان الثانى أو الثالث من الصناعة الأصلية لجميع السويسريين وهى الفندقة والاعلان عن مباهج الصيف والشتاء فى جبالهم وهذه الصناعة هى هبة الطبيعة أولا ولكنها أيضا ثمرة العبقرية السويسرية

الحرب القادمة وكيف تكون

جرى العرف على تسمية الحرب الأخيرة الاوربية بالحرب الكبرى . ولكن المتأمل للتقدم الذى تحقق منذ هذه الحرب الى وقتنا هذا فى الفنون الحربية يرى أنها أحق بان تسمى بالحرب الصغرى اذا قيست بما سوف تكون عليه الحرب المنتظرة سواء من ناحية المدى الذى سيشمله القتال أم من تعدد الاسلحة أم من تعدد قتلاها وجرحاها

فان الاحصاءات التى قام بها خبراء مختلفون فى أقطار العالم تدل على أن الحرب الاخيرة قد أدت إلى الخسائر التالية :

٧٧١ و ٩٩٨ و ٩ من القتلى

٣١٢ و ٢٩٣ و ٦ « الجرحى بجروح خطيرة

٥٩٩ و ٠٠٢ و ١٤ من الجرحى بجروح خفيفة

٦٠٠ و ٩٨٣ و ٥ من المفقودين ومنهم الاسرى والذين خفيت اشلاؤهم فلم تعرف أشخاصهم

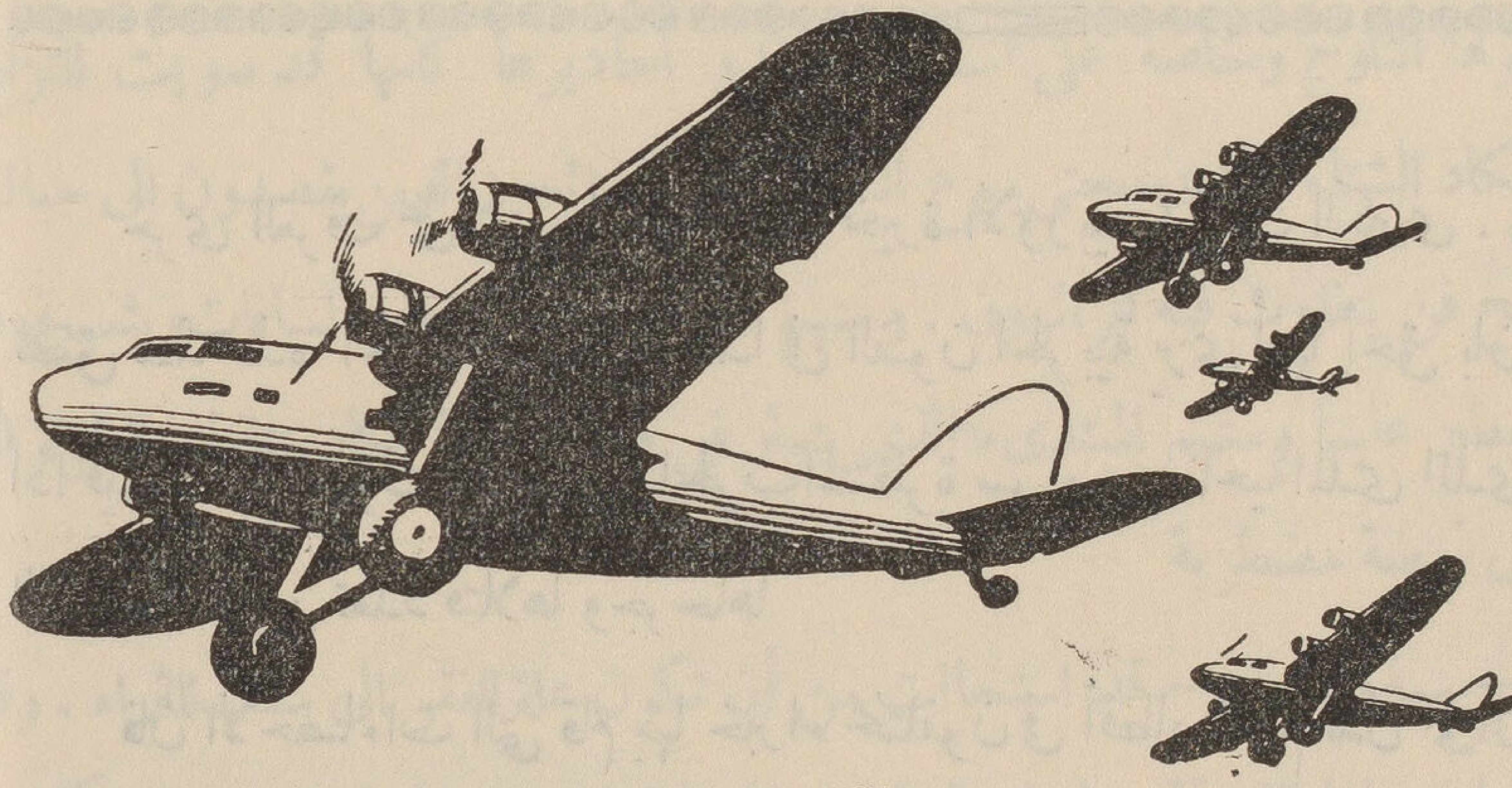
٠٠٠ و ٠٠٠ و ١٠ ماتوا بالانفلونزا التى عقبت الحرب سنة ١٩١٨

وهذا غير الملايين من الارامل واليتامى الذين كانوا ثمرة الحرب وغير الاضطرابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغير خسائر المال والثقافة وكلها كانت نتيجة بهذا الحرب

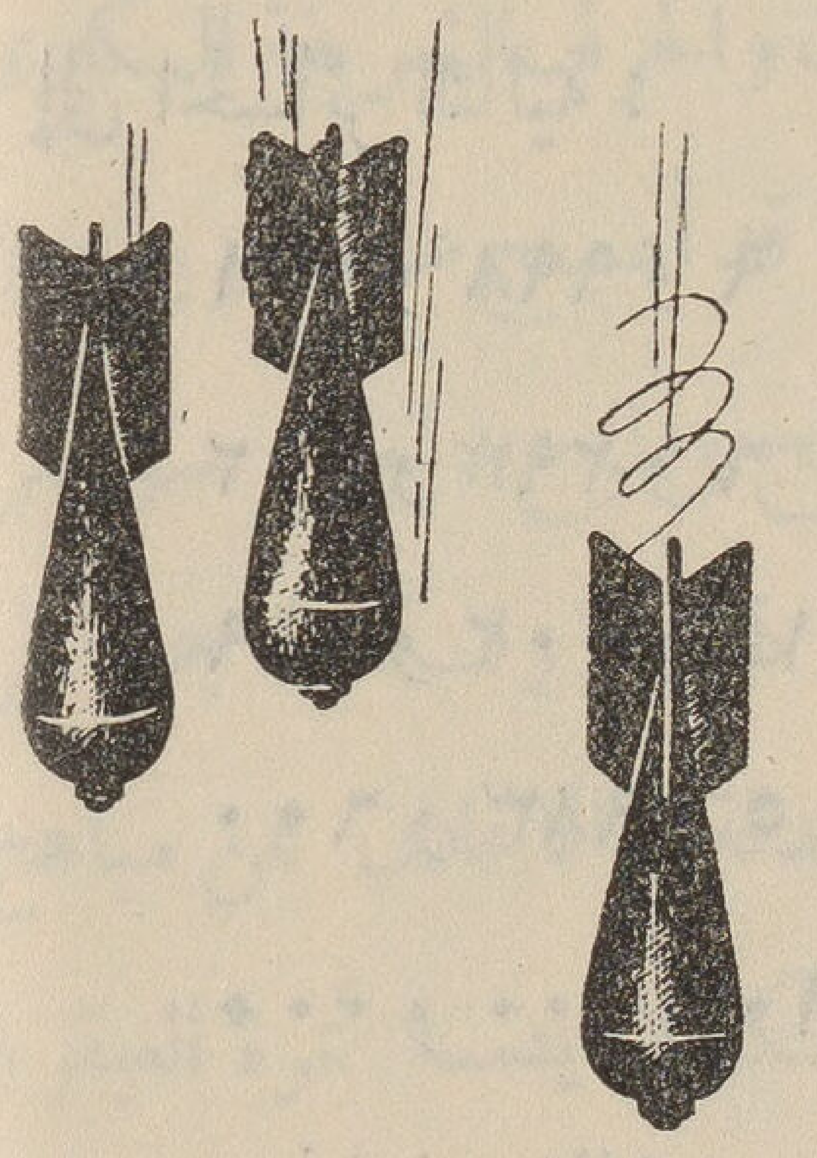
هذه هى خسائر الحرب الماضية . ولكن التقدم فى الفنون الحربيـة يدل على أن خسائر الحرب القادمة سوف تكون أعظم وأخطر . لان معدات القتال فى أيامنا قد تضاعفت قوتها وازدادت مخترعاتها الفاتكة . والجيوش القائمة قد زادت جنودها على ما كانت عليه سنة ١٩٢٣ بنحو عشرين فى المائة . ولكنها زيادة ليست شيئا فى جنب النظم الحربية الجديدة . ففى كل من ألمانيا وإيطاليا هيئات مؤلفة من الشباب الذين يعدون اعدادا حربيا . وهذه الهيئات تزيد فى المانيا اثنى عشر ضعفا على عدد الجنود الرسميين فى الجيش . وقريب من هذه الحال ما يجرى فى ايطاليا . وعند نشوب الحرب تستحيل هذه

الهيئات الى جيوش منظمة للقتال

وقد زادت الدبابات والطـائرات فى جميع الجيوش. فان عند ألمانيا وحدها ٠٠٠ و ١٠ دبابة و ٧٠٠٠ طائرة . وكانت الجيوش فى الحرب الماضية تجهز بمدافع على حساب أربعة مدافع لـكل ألف جندى أما الآن



فقد تضاعف هذا العدد أى صار هناك ثمانية مدافع لكل ألف جندى وهذا الى التقـدم العظيم فى زياده القوة فى هذه المدافـع . فان أقصى ما كان يمكن القنبلة أن تصل اليه سنة ١٩١٤ أربعين ميلا ولكن مداها الآن يبلغ ٦٥ ميلا



وقد أصبح للطيران القيمة الاولى فى الحروب الحديثة المنتظرة ويمكن الطائرة الحربية أن تجول فى منطقة تبعد عن مركزها بنحو ٦٠٠ ميل . ولذلك يمكن جميع الطائرات الاوربية أن تصل الى أية عاصمة فى أوربا فتدمرها فى ساعات قليلة وتعود الى مركزها لكى تعيد الكرة عليها أو على غيرها من المدن . وقد حسب الخـبراء الحربيون أنه يمكن ٣٠٠ طائرة أن تلقى معاً من المقذوفات الفاتكة أكثر مما يمكن جميع الاساطيل البريطانية أن تقذفه معاً . ومن هنا يدرك القارىء خطورة الطائرات فى الحرب الحديثة . وخاصة عند ما يعرف أن ثمن دارعة صغيرة يكفى لانشاء أكثر من مائتى طائرة كبيرة مجهزة بأفتك الآلات . وكثير من الطائرات يمكنه أن يحمل اثنى عشر طناً من المقـذوفات التى تلقى إلقاء على المدن فتفتـك بها أكثر من القنـابل التى ترسلها المدافع الثقيلة . وقد وضحت آثار الطائرات فى الحرب الاهلية الاسبانية اذ دمرت الطائرات مدينة جيرنيكا . وكادت تمسحها من الخارطة كما كادت تدمر برشلونه

وخطر الطائرات يعود الى قدرتها على التوغل وضرب المدنيين من السكان ، ولذلـك فان قتلاها من الاطفال والنساء سيكون كبيراً . ثم هى يمكنها أن تحمل الى العدو مقاتلين فتلقيهم خلف

جيوشه بالباراشوت . وهؤلاء يهيئون لها الهجوم بقطع المواصلات وتدمير المراكز الحربية ثم هي تمدهم بالرجال والآلات فيتحصنون حيث هم ويعودون وهم قوة مخيفة في أرض العدو

وقد ارتقت الدبابات ارتقاء عظيما من حيث قدرتها على اجتياز القنوات والخنادق بل من حيث سرعتها وقدرتها على حمل المدافع الثقيلة للتدمير والمدافع الخفيفة للقتل

وتقدمت الكيمياء الحربية تقدما آخر نرى أثره في الغازات التي كانت العامل الفاصل في الحرب الحبشية . وهناك أنواع مختلفة من الغازات . ومنها غاز تلقيه الطائرة سائلا يتبخر فيحرق الجلد ويعمى العيون ويسمم الجسم . ومع كل ما يقال عن القناعات الواقية وهم اذ يجب أن يقال إنه ليس هناك قناع واحد يقي الوقاية التامة من فعل هذه الغازات . وهناك مواد كيماوية أخرى تحدث ناراً شديدة تصهر الفولاذ وتضرم المدن بحيث تعجز فرق المطافىء عن اطفاء الحرائق التي تشب منها

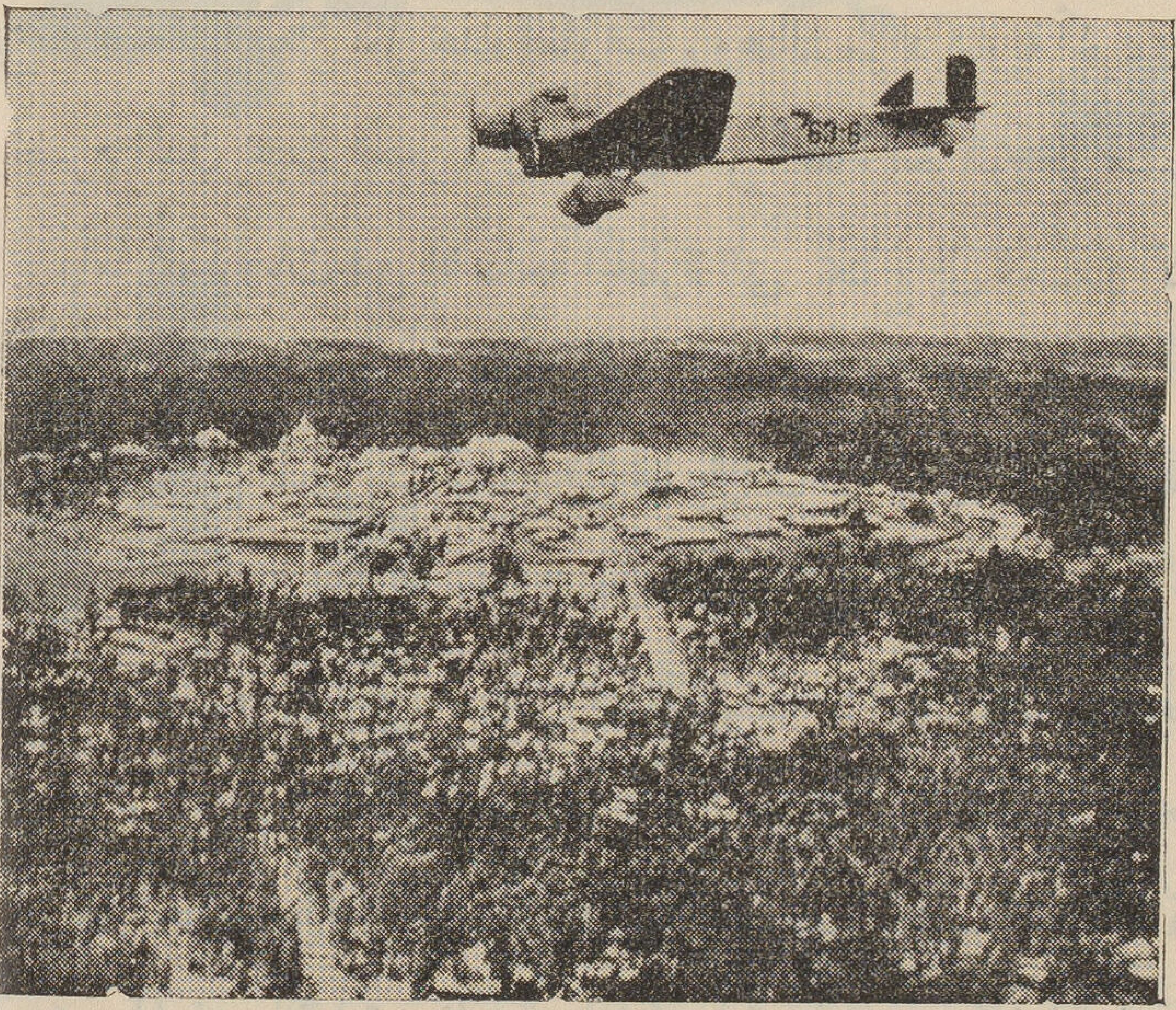
أما الميكروبات فمن الاسلحة الخطرة التي تحتاج إلى الحذر لأن الفريق الذي يرميها ويعدها للالقاء على العدو يجب أن يحذر الوقوع فيما يريده لعدوه . وليس الميكروب مما يوافق كل جو أو مناخ فان بعض المكروبات تحتاج الى فصول خاصة والى درجة معينة من الحرارة ولكن عندما ينجح الميكروب ويثبت في بيئة جديدة فان خطره لا يمكن ان يقدر . اذ هو عندئذ يعود مصنعا يصنع نفسه بالتكاثر وميزة هذا السلاح قلة تكاليفه اذ تكفي بضع زجاجات تفرغ ميكروباتها في الأنهر والبرك أو تحقن بها بعض الحيوانات فتفشى الهلاك بين السكان

هذا هو بعض ماسوف تكون عليه الحروب القادمة ، تعبئة عامة لشباب الأمة وآلات حربية لاحصر لها . وطائرات وغازات وميكروبات تفتك بسكان المدن قبل الفتك بالجيوش

أما ان الحرب قادمة فهذا ما يستنتج من الاستعدادات الهائلة التي تستعد بها كل دولة . وهي مع هذا الاستعداد تعلن رغبتها الاكيدة في السلم وأنها أنما تقصد من النفقات العظيمة التي تنفقها على السلاح والذخيرة الى الدفاع فقط ، وقبل كل شيء يجب أن نقول ان الدفاع يقتضي أحيانا الهجوم . ثم يجب أن نقول ان الاستعداد للحرب يؤدى وحده الى الحرب لأن الدولة وهي تستعد وتغامر بانفاق مواردها على السلاح والذخيرة انما تندفع الى هذا الاستعداد بالقلق أو الخوف الذي يستوحذ عليها ، وهي اذن في حالة نفسية سيئة تجد نفسها فيها غير مطمئنة الى حركات الدول الاخرى محترسة

منها ترقب استعداداتها وتؤول نياتها . ومثل هذه الحالة تنتهى بالانفجار اى بالحرب

وهناك اسباب اخرى للحرب منها هذا الغضب الالمانى الذى احتقن بالضغط حتى صار حقداً ، فان من العسير جدا على امة قوية لها وجدان القوة وعنفوان النهضة ان ترضى بتقطيع اوصالها حتى تحكم امة ضعيفة مثل تشيكوسلوفكيا ثلاثة ملايين ونصف مليون من ابنائها وحتى تفصل دانتسيج عن جسمها بما يسمى الممر البولندى . وقد نجحت الاشتراكية الوطنية فى بعث الحماسة وروح الاتحاد بين الالمان فى جميع انحاء أوربا حتى ليشعر القارىء للصحف الاوربية ان المان فى بولندا وتشيكوسلوفاكيا وسويسرا بل فى فرنسا يتوفزون وكأنهم على أهبة الانضواء الى راية الحرب



طائرة ايطالية تلقى قنابل الغازات على اديس ابابا
فى الحرب الحبشية الاخيرة

وسبب آخر للحرب هذا الزعيم موسولينى . فان نظام الفاشية فى ايطاليا بل نظام الديكتاتورية فى أى قطر يقتضى الزعيم العمل والحركة والانبعاث . إذ أن الديكتاتور لا يمكن أن يركد ويسكن . ولو فعل ذلك لتساءل كل انسان فى الدولة التى يتزعمها : ما ميزتك ؟ وهذا هو ما يدعو الامم الفاشية الى الحركات المتوالية سواء فى السياسة الداخلية أم فى السياسة الخارجية

* * *

فالحرب لهذه الظروف المختلفة متوقعة بل لابد من وقوعها . وأقوى أسبابها عندنا هو السبب السيكولوجى أى هذا الاستعداد الذى لا ينقطع لان العدة الحربية ترافقها عدة نفسية . ولابد من الوصول الى حالة التوتر فالانقطاع

اما ماهى الدولة التى ستحارب وفى أى فريق ستكون فرنسا أو بريطانيا أو ألمانيا فهـذا مالا يزال فى طى الغيب . والتخمين به هو رجم لا أكثر . ولـكن من المبالغة فى التجاهل الا نعتقد أن فرنسا ستكون فى الصف الذى يحارب ألمانيا . أما أين تكون ايطاليا أو بريطانيا أو حتى روسيا فهذا مالا يمـكن التكهن به وخاصة بريطانيا فانها ترفض — وهى مخلصة — أن ترتبط بمعاهدة أو حتى بوعد يدل على الصف الذى ستنتظم فيه وقت الحرب ، ويجب أن نقول أن الحـكومة البريطانية نفسها تجهل الدور الذى ستلعبه فى الحرب القادمة وهى تعلق خطتها على تطور الحوادث

وتطور الحوادث هذا قد يخالف كل منطق . وهنا يجب أن نذكر قصة قد أفشاها سكر وتاتور الذى يكتب فى الصنداى تيمس عن دخول تركيا فى الحرب الـكبرى سنة ١٩١٤ ، ففى الاسابيع الاولى التى سبقت انضمامها لدولتى الوسط ضد الحلفاء كان أنور باشا يفكر فى الانضمام الى الحلفاء ، وقد فاوض بالفعل ممثـلى بريطانيا وفرنسا . ولـكن جواسيس الالمان عرفوا ذلك فتنبهوا إلى الخطر . وكانت تركيا قد اشترت البارجة جوبن الالمانية واحالتها الى بارجة تركية وكانت هذه البارجة قد لجأت إلى بحر مرمرة هربا من بوارج الحلفاء فى البحر المتوسط وهذا باعتبارها بارجة المانية .

ولم يكن عند الاتراك من البحارة والضباط مايكفى لقيادة بارجة كبيرة مثل جوبن فتركوا لها ضباطها وبحارتها الالمان بعد أن البسوهم الطرابيش أو القلبك التركى . وكان ان أوعز الى القبطان الالمانى بان يقصد الى الموانى الروسية فيضربها وعندئذ ترد روسيا على تركيا بالحرب وتتورط تركيا فيها

وقد ذكرنا هـذه الحادثة لأنها تدل القارىء على أن للمصادفات وزنا حتى فى الحرب التى قد تنتهى بابادة دولة وولادة أخرى . ولذلك لايمكن التكهن بتعيين الصفين المتقابلين فى الحرب القادمة .

وكل ما يمـكن التكهن به أن الحرب لابد من وقوعها . وما دامت الحرب واقعة فمن مصلحة الانسانيه التعجيل بها حتى يقرب عهد السلام الحقيقى . لان أغلب الظن أنه لن تخرج دولة ظافرة من هذه الحرب وانها جميعها ستخرج مجرحات مهدمات . ولا يـكون همها بعد ذلك الا فى اعلان التوبة وتنظيم السلام . وقد تكون عصبة الامم اداة هذا السلام أو قد تنشأ هيئة غيرها . ولـكن مما لاشك فيه أن التوبة هذه المرة ستكون صادقة وأن الامم ستنظر الى ذنوبها نظرة المجرم الذى يعرف ان حياة الاجرام عقيمة مؤذية وأنه يجب أن يصلح نفسه

أهو الحب !!

للأستاذ بشرى الضبع

« انه النور الذي يجلو العين ويكسبها البصر »
« الالهى ، والعصا السحرية التى تمس الاذن فتجعلها »
« تصغى لوثبات الخلق . انه البهاء الذي يغمر النفس »
« ويفتق البصيرة فيتسع صدر الانسان ثم يتسع »
« حتى يشمل الاكوان كلها . »

فى صباح يوم من أيام الربيع الجميلة من عام سنة ١٩٣٥ ، هبت الدنيا كلها تحتفل بولادة يوم جديد من أيام الحياة . وأخذت الشمس تغمر العالم بفيض من نورها المترقرق ، ونشطت العصافير تملأ الفضاء بانغامها المختلطة العذبة فرحة بهذه اليقظة المشرقة. وبكر الباعة يجلجلون باصواتهم الحادة تتجاوب أصداؤها فى فضاء الصحراء الفسيح . وأخذت الاتومبيلات والعربات تقعقع بعجلاتها غادية رائحة . وارتفع صوت الصبية والفتيات الصغار كزقزقة العصافير يقفزون أو يحجلون الى مدارسهم بقلوب غضة بريئة . كل شيء هب يستقبل الشمس الا صاحبتنا « آمال » فقد بقيت فى فراشها ، شبه يقظانة أو شبه نائمة . لم تدر أول الامر أين هى . دائما كان يخيل اليها أنها سابحة فى فضاء شاسع ، لا هى الى السماء ولا هى الى الارض . كانت تحس احساساً غامضاً بعيداً بمشاعر لينة ناعمة تجريها فى أعصابها ودمها خواطر لذيذة . وفجأة ، أحست أنها تنتقل الى مكان ضيق محصور بين أربعة حوائط ، تخلل النور اليه من خشب النافذة . وتنبهت الى جسم زوجها الثقيل يميل عليها فاشاحت عنه وقد سرت فى جسدها رعشه باردة . ثم أغمضت عينيها وتمنت لو يطول الليل ويطول فلا يطلع عليه صبح قط . وعاودها حنين غامض الى هذا الفضاء الشاسع الذى كانت تسبح فيه . ولكن زوجها ، عاصم بك ، قام وفتح النافذة فعصف الضوء الذى غمر الغرفة باوهامها وجذبتها حركاته البليدة الى عالم الواقع الملموس . فقامت متثاقلة والقت الى فضاء المخدع نظرة قاتمة وصعدت نفساً طويلا ثم تمطت وأخذت « روبها » الحريرى ووضعته على كتفين عاريتين صاغهما الله من نور

وبلور مذاب . ومضت الى النافذة وأخذت تتأمل الدنيا حواليها بعين فارغة وقلب ثقيل ، غير عابئة أو منتبهة الى ثرثرة زوجها . ثم تلاشى كل شىء حولها واندفعت فى سيل دافق من خواطر سريعة! «لم لا تظلم الشمس وتقف الارض عن الدوران وتبد الدنيا» على أن الشمس لم تظلم والارض لم تقف عن الدوران والدنيا لم تبد ، بل ظلت بفرحها هذا الذى يبدو امام عينيها عبئا ثقيلا على قلبها ..

وأشرق فى نفسها صوت بعيد بدأ كالمعة خاطفة . أهى تحبه ! لماذا اذن تفكر فيه طويلا وتهتم بأمره ! ولماذا استحوذ على نفسها وأخذ عليها كل سبل التفكير . ألم تترك زوجها وأصحابه مساء اليوم الماضى متعللة بتعب أصابها . ثم ذهبت الى مخدعها لتعيش معه فى خيالها . ألم تستحضره بلحمه ودمه فى خاطرها . ألم تقبله وتضمه فى لهفة حارة وشوق قلق ! ثم انتفض جسدها وانتشرت على قسمات وجهها الجميل كآبة مظلمة .. ماذا بها . لا لا .. هذا مستحيل . انها لا تحبه . انها لا تدرى ماذا بها . ربما كان هذا الزوج الثقيل كل بلائها - انها لا تحب أحدا - انها تتمنى الموت -

ثم التفتت ، من غير أن تدرى ، الى نافذة الطابق الثالث من المنزل الذى يجاورها - واشرق فى نفسها حنين غريب .. وحدثت نفسها . ترى ماذا يصنع الآن .

* * *

ترى ماذا يصنع الآن ! !

كان جلال طالباً فى السنة النهائية بكلية الطب ، فى السادسة والعشرين من عمره . لم يكن جميل القسمات ولكن كان يشرق على وجهه جمال باطنى وكان يبدو فى عينيه كأنه يعرف كل شىء ويتغلغل الى اعماق النفوس . كان يقطن فى الطابق الثالث من المنزل المجاور لمنزل عاصم بك . عرف عاصم بك فى المترو منذ ستة شهور . ولما علم هذا انه جار له دعاه لزيارته . وتوطدت اواصر الصداقة بينهما فكان جلال يتردد عليه اول الأمر فى الفينة بعد الفينة . ولكنه شعر فجأة بشىء يحتجزه عن هذا البيت . فاخذ يتحاشاه جهده . ولكنه ايضا لم يستطع الامتناع عنه . كان يشعر بقوه قاهرة تدفعه اليه . فاخذ يذهب اليه فى فترات طويلة . ما الذى حل به ! كان يعود الى بيته فلا يكاد يصل اليه حتى يكب على كتبه فى نهم . كانت تسيطر عليه آمال عريضة . لم يكن بالأنسان الذى يقنع بحياة رتيبة مملة : يذهب الى عيادته ليكسب ثم يفنى حياته فى لذات طارئة جوفاء . كان يستأثر بروحه امل

كبير . كان يطمع فى ان يقوم بعمل جليل . ان يقدم للانسانية خدمـات نافعة تخفف الامها وترتفع بها . كان باستير الشخصية القوية والمثل الأعلى الذى يجذبه ويحركه . فاهمل السينما والقهوة والنادى وزيارة الاصدقاء . ونسى تماما انه لحم ودم ، انه انسان ينبض بالحياة لم يكن الانسان عنده هـذه المجموعة من الغرائز التى لاتعرف من الدنيا سوى انها شراب وطعام وجنس . انه الفكـر ، الفكر البنائى المنتج

وكان الحب فى نظره عبثا لاغناء فيه وكثيرا ما كان يثور بينه وبين صديقه الحميم «حسن» جدال عنيف حول هذه المسائل .

حدث مرة ان جاءه هذا الصديق الطيب القلب فوجده مكبا على اوراقه يلتهم مافيها التهاما . فاخذته الشفقة عليه وقال له فى رفق .

— ستتحطم ياعزيزى لو مضيت على هذه الحال . ستنهار كما ينهار بنيان مرصوص مشيد على رمل .

فرفع صاحبنا اليه عينين محمرتين وقال وقد اخرج منديله يمسح به عليهما .

— هذا غريب حقا . انت تقول شيئا . وانا اقول شيئا آخر . ولكنى اعتقد انى على حق .

— وانا اعتقد ايضا انى على حق .

مال جلال على مكتبه ووضع مرفقيه عليه وشبك كفيه ثم اسند ذقنه عليهما وقال له كأنه يتحداه .

— قل لى . ايهما افضل للانسانية ! ! غاندى وباستير او انت يامن تزعم انك تحيا حياة الحب والضياء الطلق . والتى تبالغ فتدعى انها هى الحياة الموفورة ، الحياة الحقة ؟

— غاندى ! اتعرف مايحس هذا الرجل العظيم ! اتظنه يحس انه يعيش . انى اعتقد انه يتمنى لو يبيع حياته كلها بيوم يقضيه مع كاعب حسناء . وباستير ! أين هو الآن ! ! انه حلم من احلام الزمن ! ! باستير بلحمه ودمه ! ! لقد اصبح قبضة من رماد فى مهب الريح . اين قلبه الآن ! قلبـه الذى كان ينبض بشهوة المجد وبفرح الانتصار . اتحس عظامه بشىء فى القبر . اتملأه الآن غبطة المجد وزهو الانتصار . لقد باع حياته بثمن زهيد . وزهيد جدا . ليس لى شـأن بالانسانيه انى احيى وكـفى . انى رجل ! !

— جزاك الله . هـذا هو الكفر الصحيح . أتقول أن غاندى لا يحس أنه يعيش . ماقساك . أتعرف . ليس فى الوجود كله انسان يحيى كما يحيى هذا الرجل العظيم . انه يحس بفرح الهى عظيم . ألم يصبح قوة خالقة . وما الانسان الآن بحضاراته الضخمة هذه الا هذه القوى الخالقة التى تعاقبت عليه فى اثناء التاريخ فدفعته ورحلت به الى ماهو عليه الآن . ألم يحاول غاندى أن يرتفع ويحلق بشعبه الى اسمى الدرجات : الى الحب الانسانى العام والخير الـكامل ، أن يتقدم به خطوات نحو العصر الذهبى . انه أعلى من الحياة ، لانه لا يحس ضروراتها ، أنه حر طليق ، قوة خلاقه تستطيع أن تندمج فى فرح الهى عظيم مع القوة الابدية التى تدفع الانسان الى الأمام . ان الوجود الحق هو فى أن يتحرر الانسان من ضرورات الحياة فيصبح فـكرا ، قوة عبقرية بانية «فضحك صديقه وهز رأسه قائلا بالانجليزية

-- آسف ياعزيزى . ثم اردف بالعربية : الوجود الحق هو أن يعيش الانسان فى سحر العيون والنهود .

ثم توقف فجأة عن الـكلام . وبدا له خاطر بعيد . بعيد فى اغوار نفسه ، كأنه رؤيا . ادركه كما يدرك بريقا خاطفا فى السماء . ثم أهمله وتناساه معاندا . لاح له : الانسان ! هذا الانسان . أى شىء هو ! ! اهو جسد خالص ! اهو روح خالص ! أو هو مزاج من الاثنين معا : روح جسد ! ! وهل هناك مايمنع الانسان من أن يـكون له نفس باستير وميول بافنوس . ألم يـكن « غوتيه » الشاعر الالمانى الـكبير مثلا رائعا لهذا المزاج الحى !

ولـكنه اندفع قائلا . لقد كان قلبه عامرا بالحب فى ذلك الوقت :

— أتريد قولا صادقا حقا . اذن اليك ماقاله ريمى دجوريون :

« وجاءتنى الزهرة وهمست فى أذنى قائلة : «ان الحب الصحيح ، الحب الذى له وزن وهو حق ، انما هو الحب الجسدى . »مارأيك فى هذا ؟

— انه قول داعر ! متبذل ! هراء ! حياة الفكر تسمو على كل حياة . انى عقل مطلق . اعدمت كل الرغبات فى نفسى . انى أعلو على الحياة نفسها ، أنى اتقدمها . وأنا سعيد مغتبط بذلك .

فوضع حسن رجلا على رجل ومال قليلا الى الامام ثم قال له مصوبا اليه عينيه كأنه يكشف له

شيئا بعيدا فى اغوار نفسه :

— لا تخادع . شد ماتتوق الى رؤية هـذه المرأة التى تطلب وترتمى على قدميها وتقول لها انى أعبدك — ثم اتكأ على مسند المقعد الجلدى واردف قائلا كأنه انتصر عليه :

— أنعرف أين تكون الحياة .

— ماذا تعنى

إنها بين ذراعى امرأة !

— محض سخافة .

— انت تعلن الحرب على الحياة نفسها ـ على وجودك كرجل ـ

— انى أنكر هـذه الطبيعة ـ انى أسخر منها ـ ان فى نفسى قبس من نور الله ـ والله فكر ـ وهو حق ـ لم يكن حسن ملتفتا اليه . كان يفكر تفكيرا عميقاً . ثم أشرق وجهه وكأنه اكتشف سراً عظيما فقال فى صوت عميق

— جلال ـ ان الله نفسه لم يرض الوجود المجرد فخلق هذه الكائنات لـكى يعيش فيها ويستمتع بلذة الوجود الانسانى والطبيعة الانسانية ـ

— كفى سخافات يا حسن ـ أنت تقول هذا ـ ولـكنى أشعر بشىء آخر ـ انى المسه ـ انى أحسه تمر على لحظات خاطفة أشعر فيها على آفاق جديدة ـ ويخيل الى انى أسمع همس الوجود ، همس النشاط الكامن ـ همس عبقرية الحياة السـائرة نحو الوجود الذهبي ـ أشعر أحيـانا بنغم خفيف غير متميز القسمات ينبض فى خفيفـاً غامضا ولـكنه لذيذ قوى يرتفع بى ويحلق فوق آفاق شاسعة ـ انه نغم الخلق ـ سأكون يوما ما كباستير الذى انكر نفسه وخدم الانسانية ـ لسنا ملـكا لانفسنا . أنا ملك للانسانية ـ ثم أخرج منديله ومسح العرق المتصبب على جبينه ـ واردف قائلا :

— لعلك عقلت الآن ياحسن .

ولكن حسن لم يعقل بل شعر بشفقة مفعمة عليه . ووجـد ان لا فائدة من الجدال . فقال :

— لنترك هذا البحث ولنتكلم فى شىء آخر واخذا فى احاديث شتى . ثم استأذن وانصرف .

***

هذه عقيدة جلال قبل ان يعرف عاصم بك وزوجته . ولكنه الآن انسان آخر . لقد كره الدرس والكتب . وانتابته نوبة كره شديد للحياة . وكثيرا ما كان يعتكف فى مخدعه يسائل نفسه . الحياة ! ماهى ، انها قبض الريح . لسنا الا ظلالا تحلم . ما الذى حدث لى . لم يعد هذا العالم يبهرنى اويخيفنى ، اين ذهبت القوة الدافعة التى كانت تحركنى . لست ارانى ابحث عن شىء او افزع الى أمل . وهذه الخيوط الشمسية . ماذا حل بى . اهى حقا كذلك . إنها تبدو لى كخيوط واهية لونها كالح كالرماد ، اشيب كشعر امرأة عجوز . انى رجل نفسى . انى شبح يتحرك . مسخ - ما الذى حل بى - - -

سأل نفسه هذا السؤال مرات عديدة . وبغتة لاح له خاطر من بعيد : اهو الحب . اترانى احبها - لا لست احبها - انها سخافة - احبها : انه وهم - - ثم اخذ يتأمل - ولكن لماذا كان يشعر بالسعادة الخالصة حينما كان يجلس اليها تتحدث اليه احاديث مختلفة وتغمره بنكاتها اللاذعة - اهو الحب : ألم يذهب اليها يزورها وزوجها فيتحدثون احاديث شتى - فى السياسة والكتب واحوال المجتمع المصرى وما الى هذه الاحاديث العادية - كل هذا امر لا غرابة فيه - ولكنه ايستطيع ان ينكر انه كان يشعر بالسعاده الموفورة بجوارها - وانه كان يفكر فيها طويلا بعد ان يتركها - الم يكره النوم ويقاومه لأجلها لانه كان يفصله عنها - الم يقض ليالى طوالا يقظان فى فراشه لكى يعيش معها - يعيد حديثها الى نفسه يلتذ نبرات صوتها الموسيقى البديع ويكرر على اذنيه دعاباتها الرقيقة -

فكر فى هذا طويلا ثم سأل نفسه . لم كل هذا ؟؟ أترانى أحبها - - - - لم يستطع أن يجيب وتولته حيرة - ثم أردف هامسا الى نفسه : ولكن أتراها تحبنى ؟ فاسقط فى يده ولم يستطع جوابا ثم قال الى نفسه : انها تعطف على عطفا شديدا وتحدب على وتطرح الكلفة حينما أكون معها وتعاملنى كأكثر من أخ ، كشبه حبيب ! - - - اتحبنى ! ثم فكر طويلا وقال : ولكن كيف السبيل الى معرفة ذلك

فى هذه اللحظة كانت صاحبتنا آمال تشرف عليه من نافذتها ، كان مستلقيا فى فراشه يتمنى الموت - بينما هى كانت تسأل نفسها - اتراه يحبنى - ترى ماذا يصنع الآن - -

* * *

فى مساء ذلك اليوم الضاحك المشرق خرج جلال فى طريق طويل يشرف على الصحراء . عاقر ممل - كنغمة جوفاء رتيبة ، هاربا من منزله لعل هواء الصحراء يثلج صدره المحموم ويدخل الطمأنينة

الى نفسه المضطربة - ولم يكد ينتصف الطريق حتى وجد نفسه أمامها - هى بعينها - حياها مضطربا وجلا ولم يلاحظ ما بها من ارتباك وسرور خفى - حياها بالفرنسية :

— مساء الخير

— ازيك

تمالك قليلا وقال

— شعرت بالضيق فى المنزل فجئت أتريض

— وأنا كذلك - لم أرك منذ زمن طويل - لماذا لا تأتى لزيارتنا -

— لقد حان موعد الامتحان - انى مشغول جدا -

-- أظن هذا يضايقك كثيرا - سيحرمك الامتحـان من قراءة بول فاليرى و برجسون وولز ولذة الاستماع الى السيموفونيا التاسعة لبتيهوفن -

— ابدا - انى مازلت أقرأ لهم واستمع اليه -

ماذا تقرأ فى هذه الايام -

— وقع فى يدى مصادفة كتاب لبول فاليرى - اسمه «الحيه» اقرأته ؟

— أجل قرأته - انه كتاب رائع -

— لقد وضحت لى أشياء جديدة

— (باهتمام) جديدة - ايمكنني أن أعرفها --

— من غير شك انها ليست سرا - على العكس انى أشعر بسعادة (مستـدركا) اعنى بسرور اذ أفضى به اليك - وكأنها شعرت فى غموض وابهام بشىء يشرق بينهما فقالت له كأنها تشجعه :

ــ انى أحب حديثك - (ثم اردفت بالفرنسية كانما بدا لها انها اذ تفعل ذلك لا تنم عمـا فى نفسها جملة) انه خصب -

ــ اوه - شكرا - كم أنا سعيد (مرتبكا) انا أشكرك جدا - ولكنها ليست كل شىء - انها لا شىء انها لم تخلق لنعيش فيها

ــ ماذا تعنى

ـــ أعنى اننا خلقنا لنحيى - لنحس. لنشعر قبل كل شىء - الحياة هى الاحساس. الشعور الموفور

ـــ أنا أيضا أحسست بذلك .

ـــ لم أعرف هذ الا حينما أحسست وشعرت . كأنما كان قلبي ميتا فنبض بالحياة -

ـــ تعنى أن الحياة هى الاحساس - الشعور .

ـــ هو ذلك تماما -

ـــ ولكن أى احساس تريد

فارتبك قليلا ولكنه تشجع وقال .

ـــ الحب -

هنا شعرت كأن شيئا ثقيلا ينزاح عنها وأحست كأن صدرها يتسع ثم يتسع حتى ضاقت به الصحراء - ورنت اليه فبدا لها جميلا فاتنا وودت لو تقبله - وسرت اليها كهرباء منبعثة من رجولته - فتورد خداها - ثم قالت بلا وعى منها فى صوت عميق خافت -

ـــ الحب .

ـــ (متشجعا) ولكنه أمر شاق يحتاج الى شجاعة نادرة ، شجاعة الابطال -

ـــ ولم لا - ان الحب بلا شجاعة يستحيل الى رخو ، ضعيف هزيل يستوجب الشفقة والرثاء -

ـــ ليس دائما - فهناك حالات يصبح فيها الحب أمرا شاقا جدا

ـــ ما هى - ؟

ـــ الاتعرفين أن المحب لايستطيع أن يبوح لحبيبته بامر الا بعد صراع عنيف بينه وبين نفسه -

ـــ (وكأنها شعرت انها على أبواب الفردوس) ولكن سيكاشفها فى النهاية على أية حال -

ـــ لا . ليس كل انسان يستطيع ذلك غير جدير بالحب - انه يستحق عقاب الحرمان منه -

ـــ ولكن ، انى أعنى شيئا آخر -

ـــ ما هو - ؟

اسقط فى يده واحتار فى أمره - أيستمر أو يتراجع - وأخيرا جمع كل قواه وقال :

ـــ هبي ان انسانا أحب انسانة متزوجة - عرفها أول الأمر معرفة عادية - ثم نما الحب وترعرع فى

قلبه مع الزمن ولم ير منها مايؤكد له تأكيدا صريحا أنهـا تبادله لا بحب . أتظنين أنه يستطيع فى هذا الظرف الدقيق ان يكاشفها بذات نفسه .

وكأنما سرى فيها ما يسرى فى أعصاب الذائد المستميت عن وطنه : ولم لا . انه اذا لم يفعل يكون انسانا أحمق .

— ولكن هي أنها لاتبادله حبا بحب . الا يكون موضع سخرية واحتقار .

— لا . فى رأيي أن المرأة التى تسخر ممن يفاتحها بالحب امرأة غبية جاهلة ، ناكرة للجميل . انت لاتعرف قلب المرأة . كل امرأة فى الوجود تتمنى أن يقول لها كل رجل يقابلها . انى احبك . وهى قد ترفض حبه ولكنها تشكره من أعماق نفسها .

— (فرحا) اذن اتغفرين لى شجاعتى

— (فى فرح واضطراب) ماذا تعنى !

— أحبك . . . . . .

— (كأنها فى غيبوبة) ماذا تقول ! ؟

— (مرتجا عليه مستسلما) أرجو أن تغفرى لى جرأتى . لست أعنى . . . أعنى . . .

— (مقاطعة) لا . لا . جلال انى فرحة . فرحة . فرحة .

— (مبهوتا) أتحبينى

— (فى غيظ وفرح) انت أعمى !

— اتغفرين لى .

— (فى حنان) أغفر لك !

أشرقت عيناها وارتسمت على وجهها دعوة ملحة الى قبلة .

فى هذه اللحظة كان الحب قد فتح عينى جلال وارهف حواسه فادرك ماتريد : فضمها الى صدره وقبلها قبلة طويلة تجمعت فيها كل نفسه . وأحست كل خلية من خلايا جسمها بشفتيه الدافئتين وهما تضغطان شفتيها فى رفق . ورجولة ! ولأول مرة فى حياتها تشعر ان فى داخلها قلبا ينبض وأن نسيم الصحراء ينعش نفسها ولاول مرة يشعر جلال أنه مخلوق له أعصاب ودم يجرى فى عروقه . . وانه يحي !

وتعاقبت الأيام . .

واذا بجلال يجلس الى دروسه و كتبه فى نشاط متوثب و نفس متفتحة . وشعر بحياة موفورة تشرق فى داخله . وتبين له وأحس أنه يستطيع أن يكون فكرا وحيدا معا .. أن يكون انسانا .

وكانت آمال تستيقظ مع الشمس ، فتقوم من فراشها فرحة تغمرها السعادة و نفتح النافذة تستقبل الشمس وتهمس الى نفسها : ما أجمل الشمس !

أهو الحب !

بشرى الضبع

حفرية تتحدث عن عمر الارض

عثر أخيرا فى لندن على سرطان متحجر فى طبقات الطين على عمق ٨٦ قدما من سطح الارض وهذه الطبقات تكونت فى عصر الايوسين أقدم التكاوين فى حقب الحياة الحديثة المسمى الكاينوزوئى الذى يقدر عمره بنحو ٤ فى المائة فقط من مجموع الزمن الجيولوجى أى من عمر القشرة الارضية . وقدر العلماء بأن عمر هذه الحفرية يبلغ أكثر من ٥٠٠٠٠٠٠٠ خمسين مليونا من السنين وعلى ذلك يكون عمر الطبقات الطفالية فى لندن أكثر من ذلك ، وعلى ذلك فعمر القشرة الارضية قد يكون أكثر من بليون سنة بكثير .

صفحة من التعاليم البهائية

مقتبسة من مبادىء بهاء الله وعباس عبد البهاء

يخاطب بهاء الله كل البشر قائلا : أنتم أوراق شجرة واحدة وثمار غصن واحد . أعنى أن عالم الوجود ليس إلا شجرة واحدة . والأمم أو الشعوب أشبه بأغصانها المختلفة أو الاعضاء ، والافراد أشبه بثمار تلك الشجرة . . بينما كانت دنيا البشرية مقسمة فى كل الكتب الدينية القديمة إلى قسمين: أحدهما أهل الكتاب أو الشجرة النقية والآخر الشجرة الشريرة . .نصف البشر كانوا يعتبرون من المؤمنين والنصف الآخر من الكفار والغير المتدينين ـــ نصف الناس تشملهم رحمة الخالق والنصف الآخر معرضون لغضب صانعهم . . ولكن بهاء الله أعلن وحدة العالم البشرى وعم كل الناس فى بحر الكرم الالهى

***

يجب على الانسان الا ينساق انسياقا أعمى وراء أسلافه وأجداده بل عليه أن ينظر بعينيه الذاتيتين ويسمع بأذنيه ويتحرى الحقيقة لكى يجدها بنفسه وليس بالتقليد الأعمى .

***

إن الأساس لكل المدركات السماوية هو فى تلك الحقيقة الواحدة ـ يجب أن تكون هناك حقيقة.. والحقيقة واحدة وليست متعددة . . وعلى ذلك فأن أساس الاديان السماوية واحد . ولكننا نستطيع ن نرى أن التقاليد الخاصة والطقوس المختلفة قد دخلت واندست . هى حادثة لأنها تختلف: وهى بذلك تسبب الخلاف بين الأديان . ولكنا إذا ألقينا هذه التقليدات جانبا وبحثنا عن حقيقة الأساس فاننا سوف نتفق جميعا ـ فالدين واحد وليس متعددا

***

يجب أن يكون الدين سببا للوحدة البشرية . . إن كل دين هو ضياء سماوى .. هو سبب للحياة

بين الناس ـ سبب للشرف . للانسانية . لم يكن الدين للعداوة والبغضاء . . ليس للطغيان أو الظلم . .
واذا كان الدين سببا للعداء والاحقاد .وسببا للتفرقة بين الناس فعدم الدين يكون خيرا . أذ أن الدين
والتعاليم التى تتعلق به هو المعاملة وما الغرض من المعاملة ؟ انها علاج وشفاء . أما اذا كانت نتيجتها
مجرد تشخيص المرض ومناقشة العوارض فأن الغاءه أفضل ولاشك . وفى هـذا المعنى يكون هجر
الدين -خطوة نحو الوحدة العالمية

* * *

يجب أن ينسجم الدين مع العلم والعقل . يجب أن يكون الدين معقولا ومتفقا مع العلم وبذلك
فالعلم يقبل الدين والدين يسند العلم : يجب أن يسير الاثنان معاً وراء الحقيقة

ان المساواة بين الرجال والنساء موضع غرابة فى تعاليم بهاء الله لان كل التقاليد الدينية القديمة
وضعت الرجال فوق مستوى النساء .. ان البنـات والبنين يجب أن يتساويا فى التربية ويتبعا نمطا
واحداً فى الدراسة . فهذا يساعد فى الوحدة بين البشر

* * *

ان كل أنبياء الله قد أتوا ليوحدوا بين أطفـال البشر ولم يأتوا للتفريق بينهم .. أتوا ليضعوا
قانون المحبة لا العداوة وعلى ذلك فيجب أن يبطل كل تحيز وتعصب — سواء اكان تعصبـا جنسيا
أم وطنيا أم دينيا أم سياسيا .. يجب أن نصير عاملا فى وحدة الجنس البشرى

* * *

ينبغى على كل الناس وكل الامم أن يعمـلوا للسلم .. يجب أن يكون هنـــاك سلام عالمى بين
الحكومات .. وسلام عالمى بين الاديان .. وسلام بين الشعوب .. وبين كل الاجناس .. أن أهم
مسألة فى عالم البشرية اليوم هى مسألة السلم العالمى .. وتحقيق هذا المبدأ هو الحاجة الصارخة للعصر
الحاضر ..

* * *

يجب أن تشترك البشرية كلها فى المعرفة والتربية كليهما . وهـذا الاشتراك فى المعرفة والتربية
هى احدى ضرورات الدين .. ينبغى أن يكون تعليم كل طفل اجبـاريا واذا لم يكن له والدان فعلى

المجتمع أن يعتنى بالطفل . وكل انسان يجب أن ينال نصيبه من العلوم .

* * *

لم تتكلم الـكتب الدينية القديمة فى المسألة الاقتصادية بينما حلت هذه المسألة فى تعاليم بهاء الله فقد وضحت أنظمة خاصة تضمن رفاهية البشرية وتقـدمها . . وكما أن الغنى يتمتع براحته ومسراته محوطا بالترف كذلك يجب أن يكون للفقير منزل مريح حتى لا يعانى الحاجة . . الجميع سواء فى نظر الله .. حقوقهم واحدة وليس ثمة تمييز لاى نفس - والكل تحميهم عدالة الله

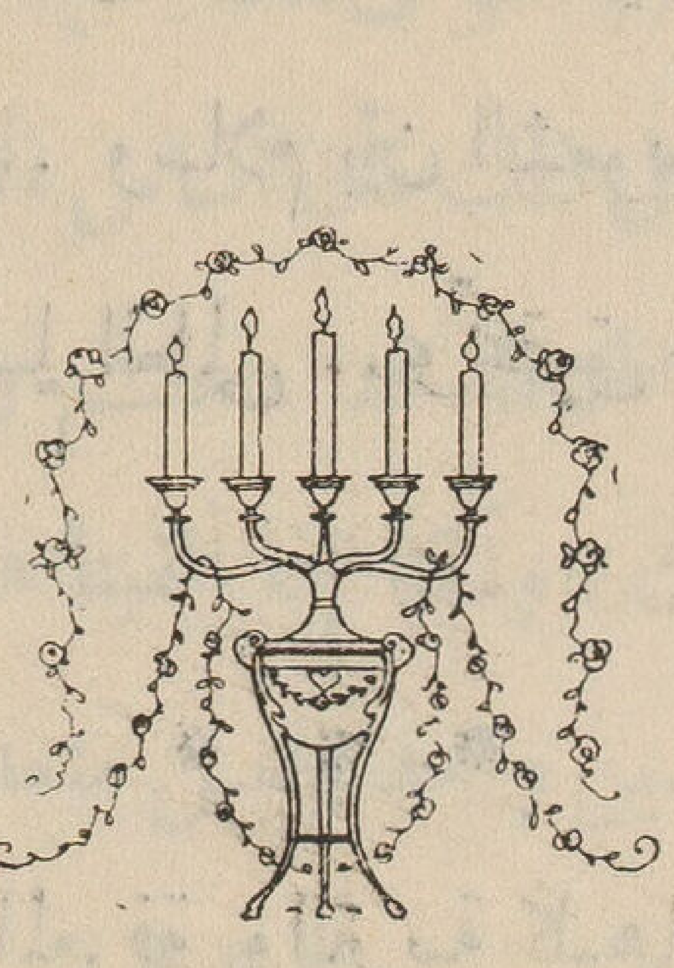
* * *

يجب أن تقرر لغة عالمية تعلم فى جميع المدارس وفى كليات العالم .. تنتخب جمعية دولية لاختيار لغة مناسبة تكون وسيلة للاتصال العـــالمى وبذلك لن يحتاج الانسان إلا الى لغتين : لغته الوطنية واللغة العالمية

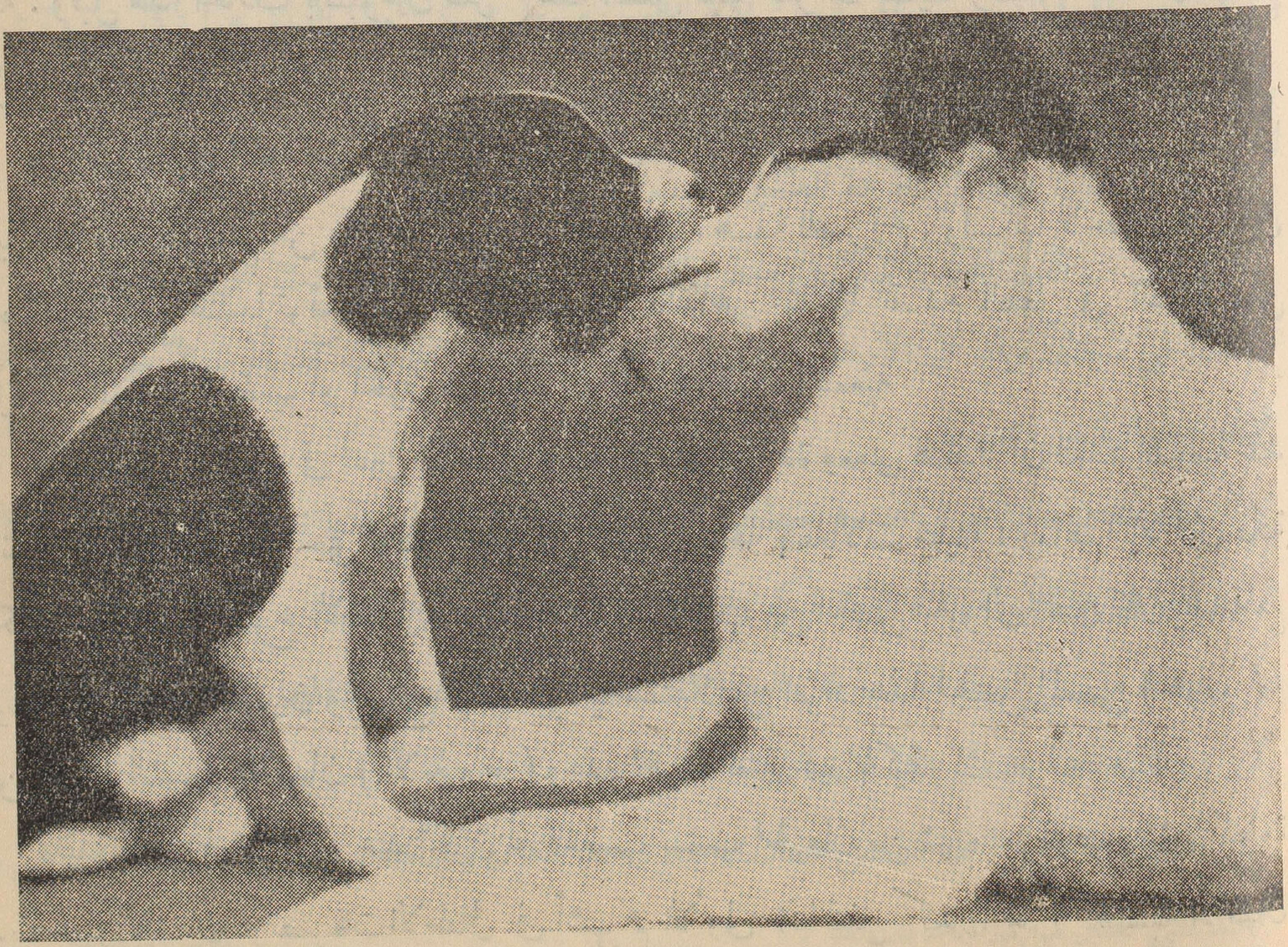
* * *

تؤسس محكمة عالمية تكون تحت قوة الله وفى حمـاية الناس كلهم . ويجب أن يطيع كل انسان قرارات هذه المحكمة لـكى تزول مصـاعب الامم .. منذ خمسين سنة أمر بهاء الله فى « الكتاب الاقدس » أن يستتب السلام العالمى بين الناس ودعا كل الامم الى المائدة السماوية لفض النزاع الدولى حتى مسائل الحدود والممتلكات الوطنية والمنافع الحيوية بين الشعوب يمكن أن تقرر بواسطة محكمة العدل الدولية

« نون »







الدموع والبكاء

الاطفال فى الاشهر الأولى من حياتهم يصرخون بسبب مؤثرات معينة ، ولـكنهم لا يسكبون الدمع نتيجة لهذه المؤثرات خصوصا قبل بلوغ عمرهم الثلاثة الأشهر وفى بعض الحـالات قد يستمر هذا عدة أشهر أخرى .

وليس هذا نتيجة لنقص فى غددهم الدمعية حتى هذه السن إذ أن هذه الغدد موجودة منذ الولادة ويمكن أثارتها فعلا وجعلها تفرز الدمع بكثرة بفعل مؤثر خارجى غير الحرمان من الغذاء أو غيره مما يسبب الصراخ فقط . ومن أمثلة هذه المؤثرات المسببة للبكاء مس مقلة العين بجسم صلب .

وقد روى تشارلس داروين أن طرف كم سترته لمس احدى عينى طفله البالغ من العمر ٧٧ يوما فصرخ الطفل وانسكب الدمع بغزارة من هذه العين وحدها ، أما العين الأخرى فكادت تكون جافة . وقبل هذا الحادث بأسبوعين صرخ هذا الطفل نفسه صراخا شديدا ولـكن عينيه تبللتا بدمع قليل لا يذكر .

وروت احدى السيدات أن طفلتها فى سن التسعة الأشهر كانت تصرخ فى حالة الغضب صراخا عاليا جداً ومع ذلك فلم تكن مقلتاها لتعرف فى الدمع أثناء هـذا الصراخ . ولـكنها لاحظت أن أعين هذه الطفلة تدمع عندما توقع عليها عقوبات معينة . فالظاهر أنه كلما تقـدم الطفل فى العمر أمكن للمؤثرات المسببة للغضب أو الحزن الشديدة أن تؤثر فى غدده الدمعية

فبدء ظهور الدموع فى أعين الاطفال لا يكون منذ الولادة ومعنى هـذا أن الغدد الدمعية عند الانسان تحتاج الى مرانة حتى تؤدى عملها من ناحية تأثرها بانفعالات معينة ، وماهذا إلا لان عادة البكاء قد اكتسبها النوع الانسانى حديثا جـدا منذ تشعب عن الجنس الحيوانى الذى كان يجمعه مع مجموعة كبيرة من الحيوان واصبح نوعا حيوانيا مستقلا عن افراد هذا الجنس المسمى (هومو) ؛ وعن القردة الشبيهة بالانسان (الانثروبو) وهذه القرده تعتبر غير باكية

فالقدرة على أفراز الدمع عند الحزن أو الغضب بسبب الحرمان من شىء مرغوب فيه ، كفاءة حديثة عند الانسان . وتصرفات الاطفال فى أشهرهم الأولى انما تمثل كثيرا مما اكتسبه الانسان

من اسلافه الحيوانية منذ أقدم عصور الحياة فلا غرابة اذن فى أن يتأخر ظهور الدمع عند الانسان شهرين أو أكثر لأن القدرة على سكب الدموع لم تتأصل فيه منذ القدم .

تختلف قدرة الغدد الدمعية على أفراز الدموع عند الغضب أوالحزن الشديد أو الحرمان باختلاف النوع الحيوانى كما أنها تختلف باختلاف أفراد النوع الواحد ، والمهتمون بدراسة هذا الموضوع وأمثاله التى يمكن أن يستفاد بها فى دراسة بعض الموضوعات البيولوجية ، أو النفسية يعتمدون كل الاعتماد فى دراستهم على المشاهدات المختلفة .

روت سيدة من بورنيو أنها باعت الى حديقة الحيوان قردا من نوع خاص ، وقد لاحظ الحارس ان هذا القرد كان يبكى فى بعض الاحيان بمرارة فكانت الدموع تترقرق فى عينيه وتسيل على خديه ، ولكن هنا الحارس نفسه لاحظ أن قردين آخرين من نوع القرد الأول لايبكيان مطلقا مهما بلغت شدة المؤثرات التى تجعلهما يصرخان بعنف .

ويقرر العالم رنجر أن الحيوان المسمى « سيبس أزارى » اذا حرم من شىء يرغب فيه أو إذا أخيف بوسيلة ما فانه عينيه كثيراً ما تملأهما الدموع ، ولكن هذه الدموع لم تكن فى وقت من الاوقات كثيرة الى الحد الذى يجعلها تسيل على الخدين .

كما ان هناك نوعا من القردة الصغيرة يدمع كثيرا إذا أخيف .

ويقال ان الفيلة الهندية تبكى فى بعض الاحيان ، فقد شاهد سير تننت أن بعض الفيلة التى حبست فى سيلان ترقد على الارض دون حراك ولا تبدى من علامات التألم شيئا سوى انسكاب الدموع بغزارة من عيونها .

وشوهدت فيلة أخرى عندما اضطرت الى الامتناع عن الطعام انها تصرخ وتبكى . كما أنه كثيرا ما شوهد أن أمهات الفيلة تبكى بغزارة اذا أبعدت صغارها عنها .

وعند ما تبكى الفيلة الهندية فان العضلات المتصلة بجفون العينين تتقلص فتغطى المقلتين الى حد كبير ، وشبيه هذا يحدث عند الانسان

أما فى فيلة افريقيا فلا تتقلص عضلات الجفون عند الحزن والبكاء ، وهى فى ذلك تختلف عن فيلة الهند التى تعتبر من نوع مخالف لها .

نظمى شحاته

فلتات اللسان في السيكلوجية

واخطاء أخرى شائعة

يضيف الألمان مقطع «فر» قبل الفعل ليفيد الخطأ فى أداء مدلوله . فى التكلم . أو الكتابة . أو القراءة . أوالسمع . أو التذكر . أو وضع الاشياء فى محالها

وقد يقابله فى الانجليزية مقطع «مس» ولكنه أقل استعمالا . وأداء للمعنى

أما فى العربية . فليس له مقابل. ولكن هذا لا يفيد عدم وجود علاقة مشابهة بين كل تلك الأخطاء فكلها مع وحدة الخطأ فى أدائها ، تافهة النوع . وقتية الأثر . ضئيلة الأهمية غالبا

ولا يعنى هذا أنها ضعيفة الدلالة . وهنا موضع الجدل

يقول علماء النفس : فكم من ظاهرة بسيطة بدهية . ما أن تنبه لها عالم حتى استغلها فى اختراعات قلبت نظام العالم . وطفرت بالمدنية ألى الامام طفرات لم نكن لنتخيلها . أو نحلم بها . . .

ويقولون . فهل تنتظر من مجرم أن يترك لقاضى التحقيق بجوار جثة ضحيته . صورته الشمسية مذيلة بتوقيعه وعنوانه ، أم أننا نقنع منه بعود ثقاب . أو أثر قدم . أو بصمة أصبع خفية نلاقى فى كشفها الأمرين ؟

ويقول مخالفوهم ولكن هذه الاخطاء تافهة لا تتم الا عن مجرد تعب القوى الجسمية عقب أجهاد، أو مرض ، أو هى صداع خفيف ، أو الانشغال بالتفكير فى أمر ذى بال . أو ثورة عاطفية من فرح أو غضب أو ما أشبه من حالات الانفعال العادية

ويرد علماء النفس أن الأخطاء قد تحدث فى هذه الحالات فعلا . وقد لا تحدث أطلاقا .فهناك مرضى يلازمون الفراش ، بل يبلغون النزع ولكنهم لا يخطئون القول أو الفعل أو التذكر . وهناك من تشغل انتباهه فكرة ذات بال . ومع ذلك يمشى فى طريق محفوف بالمخاطر ، أو يقود سيارته . أو

يكتب بالآلة الكاتبة . أو يرسم . أو يعزف الموسيقى . وكلها أفعال دقيقة تستلزم قدرا كبيرا من الاهتمام أو الانتباه . ولكنه لا يخطىء فى أدائها — وهناك مهام حيوية نعرف كيف نؤديها . ولكننا بالضبط فى الوقت المناسب . وقت الامتحان واللحظة الفاصلة ، ننسى ونخطىء ونفشل . فما تغنى الرغبة وشدة الانتباه والحرص فتيلا

وكم يفرح انسان فينطق الشعر ارتجالا آية فى البلاغة والاعجاز ، أو يغضب فيخطب طويلا من شواظ وصواعق تكهرب الجو ، وتثير عواطف السامعين ، فما تاجم العاطفة الجامحة لسانا ، ولا يستدعى الانفعال الشديد خطأ ما

وفى مقابل ذلك يحصل الخطأ والانسان فى غير هذه الظروف ، بل ويحصل باصرار وعناد عجيب مهما أردت تجنبه وحاولت ..

فالاصح القول بأن ظرف المرض أو التعب أو تشتت الانتباه أو فورة العاطفة قد يشجع ظهور الخطأ ، كما قد يشجع الظلام ، أو خلو المكان على ارتكاب الجريمة

وليس ضربة لازب أنه حين المرض يرتكب خطأ ، وحين الظلام ترتكب جريمة

فالخطأ يحصل بصرف النظر عن حالة الجسم من الصحة والمرض ، كما تحصل الجريمة فى وضح النهار أو حلكة الليل

فلا بد أن للخطأ ، أو للجريمة أسبابا وبواعث أخرى

كذلك فان وقوع الخطأ بشكل معين ، أو جريمة معينة دون غيرها . يدل دلالة أكيدة على أن تلك الاسباب والبواعث هى التى تكيف نوع الخطأ ومظهره ووقته المناسب

فالعامل الاساسى فى وقوع الخطأ نفسى ، فمن وظيفة علم النفس وحده أن يبحث فيه .. ويتحدث عن أسبابه ودوافعه

* * *

وقد اخترنا أن نخص فلقات اللسان بالذكر . لانها أكثر الاخطاء حصولا ، والحظها ظهوراً وأبعدها أثرا مذكورا ..

وقد يعتذر كل منا اذا بدرت منه فلتة لسان ، بانها مجرد خطأ تافه لا معنى له ، ولكننا كسامعين

وكقاعدة عامة ـ لا نبدى هذا التساهل فى معاملة خطأ الآخرين

يذكر التاريخ أن الاولين طالما حاسبوا على فلتة اللسان حساباً عسيرا ، وانى لاذكر من ذلك ما قرأناه فى «كلية ودمنة» على لسان حكيم قوله « أنا اذا لم أنطق الكلمة ملكتها ، واذا نطقتها ملكتنى » كما أذكر أننا قرأنا أن رقابا طارت لكلمة ربما بدرت خطــأ امام حاكم ، وان مصاير عظماء ارتبطت بالكلمة فارتفعت الى الذروة أو هبطت الى الحضيض

ولعلنا نميل الى الظن بأن خطأ غيرنا يعبر عن دخيلة نفسه ، وان من العدل اذن أن نحاسبه على ذلك الخطأ ، ونأخذه عليه حجة ..

فما أن يفلت من لسان منكر أمر ما ، حتى نصيح به «أرأيت ، هذه كلمة الحق ظهرت ! ففيم الأنكار ـ ؟ »

وكذلك النسيان أمر شائع . حتى ليقولون جبل الانسان من النسيان ، ولكن ذلك لا يمنع اننا لا ندع نسيان الغير لأمر يمسنا يمر سهلا ، كما لا يمنع ان يعامل الناس فى القانون العسكرى بمنتهى الشدة ، فالعقوبة على عدم تنفيذ الأمر أو مخالفته واحدة سواء وقع عدم التنفيذ عمدا ، أو مجرد سهو

***

قد أريد نطق كلمة ، ولكننى فى آخر لحظة أشعر بأن كلمة أخرى تدفع نفسها فأنطقها ، أو أقاوم فأذا بى أنطق مزيجا حائرا من الأولى والثانية

وقد يكون بين الاثنتين تشابه فى اللفظ، أو وحدة المقطع . أو قرب المخرج والصوت . وقد تكون مجرد علاقة زمنية أو مكانيـــة أو معنوية ، وقد تكون العلاقة طردية أو عكسية وعلى خط مستقيم

كنت فى أول عهدى بالفرنسية ، أذكر أن أبسط شكل للأجابة هو نعم أو لا يا « سيدى » وقابلتنى سيدة تسألنى امرا . وتمكنت أن أفهم ماذا تعنى فأجبتها نعم يا « سيدى » بدلا من سيدتى وكان خجل مازلت أذكره

وكنا فى المدرسة نلقب الناظر والأساتذة بالبكوية . وكان يتصادف أن أخاطب باشا فى أمر فأذا

بى أنطق « متشكر يابك ! »

وزجعت متعبا من دورتى العادية بين المحاكم . وسألت وكيل مكتبي عن شخص فأجاب أنه يتردد على محكمة بولاق ، قلت رأيته اليوم فى محكمة «عابدين» وكنت أريد أن أقول «مصر» ولكنى كنت أفكر متمنياً لو اجتمعت مصر وجزئياتها فى مكان واحد كما اجتمعت بولاق الى «عابدين» وهكذا حلت « عابدين » محل « مصر » مشهرة هذا التمنى ...

وروى فرويد أن سيدة سألت أخرى « ماذا قال الطبيب لزوجك » أجابت قال أنه شفى وأن له الآن أن يأكل كل ما «أريد» بدلا من « يريد » ولعلها كانت تذكر ان الطبيب أساء الى نفوذها بسماحه للزوج بأن يأكل مايريد ...

وروى أن رئيس مجلس نوابه وقف مرة يعلن « افتتاح » الدورة البرلمانية بقوله . ايها السادة يسرنى أن أعلن « اختتام » دورة هذا العام ، فلما سئل عن سبب الفلتة قال كنت أفكر أنه لاينتظر من هذه الدورة فائدة . . .

وأراد أستاذ أن يحيى سلفه فقال . أرانى « راغبا » عن ان أعدد مناقب سلفى . بدلا من « عاجزا »

وقال أستاذ لطلبته فى شرح نظرية ، أن الذين يفهمونها فى البلد يعدون على « أصابع »

وذكر شكسبير فى روايته « تاجر البندقية » فى الحوار الشائق بين بورشيا وبسانيو . أن بورشيا تقول له « ان سيف لحظك قد شطرنى نصفين . أحدهما لك ، والآخر «لك» . أعنى «لى» ولكنه مادام لى ، فهو لك ، فكلى فى الواقع لك ...

ومن هذا نتبين أن الخطأ نتيجة عملية ذهنية تامة مستقلة بنفسها عن العملية التى نقصد التعبير عنها ، وأن الأولى تتزاحم مع الأخيرة . بحيث تحصل من المشادة بينهما فلتة اللسان ، وهى كما قدمنا احدى انواع الخطأ

ويرى السادة القراء من هذه الأمثلة أن العملية مسببة الخطأ قد تكون هى الاخرى فى العقل الواعى بحيث يعيها المخطىء ويدركها وحده ، وهذا أبسط أنواع الخطأ . ولكن القائل قدلايدركها فما أن يتنبه لها حتى يدهش لكشفها وعندئذ تكون العملية قد قامت فى العقل تحت الواعى

مباشرة وهذا هو النوع الثانى ، ولـكن المخطىء قد لايدرك السبب لنفسه ، ولا بعد تنبيهك له عنه وهذا هو النوع الثالث

فهل نطبق فى تفسيره نفس النظرية التى طبقناها ، وسلم بها المخطىء فى الحالتين الأولين . قد يصح ذلك ولكن المخطىء هنا لن يساعدك على التحليل النفسى . فاذا أمكنك كشف السبب طبقا للنظرية السابقة . ثار عليك المخطىء . مستسخفا رأيك معارضه بشدة

رأى مرة عضو جمعية أن يهاجم أعضاء مجلس الادارة المنتخبين فقال أن هؤلاء المقرضين (Lenders) بدلا من (Members) أساءوا الى ناخبيهم .... أفتراه يسر بأن تـكشف له مالايريد هو أن يـكشفه لنفسه . من أنه فى ضنك . وأن من هؤلاء الذين يهاجمهم من يمكنه لوشاء أن يسد حاجته

ورفع أحدهم كأسه فى حفلة تـكريم لرئيسه قائلا « أيها السادة اسمحو الى أن — أتقيأ (Anfzustossen) — هذه الـكأس فى صحة الرئيس » . بدلا من أشربها Anzustosseu فتراه يعف عن اتهامك بالنفاق ومحاولة الوقيعة بينه وبين رئيسه ، أذا فسرت له الخطأ بأنه يكره هذا الرئيس أو يشمئز من صفاته

لاشك أنه هنا يحلو القول بأن الفلتة تافهة سخيفة لا دلالة لها . أللهم الاعلى بعض التوعك . أو صداع خفيف

وقد يوافقه بعض السادة القراء ولذلك فسأضطر الى ذكر أمثلة أخرى عن أخطـــاء أخرى مشابهة ..

***

كان رجل يبطن رغبة التزوج من فتاة . ولـكنها تزوجت زميلا صديقاله . وهومنذذلك التاريخ يسأل موظفيه . كلما عن له أن يـكتب خطابا فى عمل ما . عن اسم ذلك الصديق ، الذى عاد فجأة وألى الأبد ينسى اسمه مهما حاول عدم النسيان

وروت سيدة لفرويد أنها ذهبت تشترى أشياء مـع أختها . وفجأة قالت لشقيقتها أنظرى هذا السيد . . على الرصيف المقابل . وقالت ومن عجب أننى نسيت فى تلك اللحظة أن هذا السيد زوجى.

وأن شهر العسل لم يتقادم بعد

وقال فرويد : واحسست بقشعريرة تسرى فى أعطافى . وسكت دون تعليق . وبعد قليل صح ما توقعت . . الطلاق

وهناك من تفتقد خاتم الخطبة مثنى وثلاث . ومن تنسى أن تذهب لقياس ثوب العرس حتى يأزف الوقت . وعندئذ لا يخيب أثر ذلك النذير . أعنى سوء التفاهم المستحكم . والفراق

وهناك عالم معروف فكر فى الزواج . فلما أزف موعده ذهبوا يبحثون عنه حتى وجدوه بعد الميعاد غارقا فى أبحاثه وتجاربه فى معمله ، وكان فسخ . وكان أن تكررت المحاولة مع سيدات أخريات، حتى عدل نهائيا عن أن يتمم دينه من هذا الطريق

وقد أفكر بأن من اللياقة أن أرسل خطابا خاصا ، وبعد أيام من التأجيل والمماطلة تتم كتابته ثم أنساه على المكتب أياما ثم آخذه فى جيبى أياما حتى ألقيه أخيرا فى صندوق البريد . ولكنه يرد ثانية لأنى نسيت ان أكتب عليه اسم وعنوان المرسل أليه

ومن هذا القبيل ان رجلا قبل عضوية مجلس أدارة جماعة فنية ، آملا فى دخيلة نفسه أن تقرر تمثيل قطعة ألفها . . وكان حملا ثقيلا عليه ان واظب على حضور الجلسات كل يوم جمعة . حتى عرف أنه تقرر أخراج روايته . ومن ذلك التاريخ أخذت الأعذار والمواعيد والنسيان تتزاحم لتمنعه عن حضور الجلسة . فلما وجه نظره لذلك خجل فأنكر ثم صمم على عدم التغيب مرة أخرى . واستمر يعد الأيام والساعات ـ خوف النسيان ـ وفى الميعاد بالضبط ذهب فكم تضايق أن وجد الباب مغلقا . لأن اليوم السبت . فقد رفعت الجلسة منذ أربعة وعشرين ساعة كاملة . . .

وكلفتنى المرحومة زوجى أن ألقى فى صندوق البريد خطابا منها لأحد أخوتها . وكانت بينها علاقة وثيقة لا أظهر بها اهتماما ، ولا أحاول كشفها أو التدخل فيها . ولذلك كنت شديد الحرص ألا أنسى ألقاءه حالا فى اول صندوق بريد فى طريقى . وكنت أذكر ذلك بشدة حتى قرابة كل صندوق . ولكن فجأة تضيع الفكرة وأرانى مارا بسيارتى بسرعة وقد خلفت ورائى الصندوق مفكرا فى شىء آخر أو غير مفكر فى شىء بالمرة . وهكذا ما أكاد أذكر حتى أنسى ، حتى مرت أيام طويلة غضبت بعدها بحجة أننى لو كنت أعزها . لما نسيت ارسال رسالتها . وأخذتها منى رغم احتجاجى .

ورغم ايمانى المغلظة بألا أعود أنسى — واعطته لشقيقى الذى أرسله حالا دون أن ينسى وكان يؤلمنى حقا أن تنسب الى اهمال أمرها . ولكن سوء التفاهم الشديد الذى حدث بعد بينى وبين شقيقها . اعلمنى أن النسيان ما كان الا نتيجة أعزازى الشديد لها . والأثرة الملازمة الخفية التى تتوجس شرا فى كل تدخل أجنبى . والتى لا تطيق الا ان استأثر دون أى شريك — بكل اهتمامها

وسبب النسيان هنا واضح . هو مجرد كبت اشفاقى من تلك العلاقة . واصرارى أدبا ولياقة . على دفن هذا الاشفاق فى أعماق العقل . وعدم سماحى لنفسى باظهاره بأى شكل

فالكبت سبب لازم لحصول كل نوع من أنواع الخطأ . وبمقدار شدة الكبت يخفى سبب الخطأ . وتشتد المعارضة فى أى تحليل نفسى لكشفه .

لان فى كشفه فضحا لناحية من « الأنا » الاولية النفعية الغيروندية . وايلاما « للأنا العليا » نتهرب منه . وحطا للكرامة نترفع عنه . وجرحا للضمير الحى واهدارا للاعتبار الشخصى كما نفهمه ونريده

وأخيرا وربما أولا . ضياعا لنفع حال نرجو تحقيقه بكل ثمن . !

فاذا ما زال الكبت . وسرى عن الفكرة أو العاطفة التى ندفنها فى مختلف أعماق العقل . امحى فى الحال احتمال حصول الخطأ بسببها . أو زال خطره ومظهره

قال زوج صريح : كنت جالسا الى مكتبى افكر فى جدوى الزواج . ودخلت زوجى وبيدها كتاب جديد قالت انها أعجبت به فأرادت اهداءه الى . وتناولته شاكرا ووضعته فى مكان أمين لاطالع فيه كل وقت فراغ . ولكنى نسيت موضع الكتاب . وطالما بحثت عنه وقلبت عالى المكتب وأسفله . فلم تجد كثرة البحث وشقته فتيلا . وحدث ان مرضت والدتى وقد سبق أن تفاهمنا ان تعيش بعيدا . فسافرت زوجى لتعنى بها فى وحدتها . وانتهزت أجازة وذهبت لاطمئن عليها . ولحظت بين السرور والشكر كم تعنى بها زوجى . ورجعت الى بلدى ومنزلى ودخلت الى المكتب وبحركة شبه آلية فتحت درجا خفيا فاذا بالكتاب بين يدى . أطالعه بشغف وشوق لهذه الزوج الوفية المخلصة . !

وانى لاذكر الآن الاسطورة القديمة « لأمر ما جدع قصير أنفه » فلا أرى فارقا فى العلة والدافع بين أمر الجدع العمد وأمر المنجد الماهر الذى يفقد مقصه كل لحظة . وسيدة البيت الحريصة التى

تفتقد المفاتيح باستمرار وتضيع ثلاثة ارباع النهار بحثا عنها . والخادم المؤدب ألذى لاتفتأ الاوانى تتصادم معه وتفلت من بين يديه ، والخادمة الرشيقة التى تعثر فتمزق ملابسها ، والطاهى الماهر يسهى فيحرق الطعام أو يضع الملح مرتين ، والابن القنوع تضيع ساعته القديمة قبيل العيد ، والطفلة الساذجة العزيزة لا تكاد تلمحنى حتى تجرى نحوى راوية كيف وقعت منها سيارتها فتكسرت . وفرقع بالونها وحده وشلت يد دميتها عن السلام وسكت لسانها فما عادت تناجى بابا وماما ، فلا بد من دفع ، وبالتالى شراء : بدل تالف

اما خطأ النظر فقد عرفت فيه صديقا يقول هيه لقد سقطت مدريد ، فآخذ الجريدة منه فلاأجد فيها ما يفيد سقوط مدريد . فيجيب عجبا ولـكن أما آن ان تنتهى هذا المجازر البشرية

وكان الله فى عون المحب يرى حبيبه فى كل ترام فيجرى للحاقه ثم يرجع كاسفا ، ويستمع صوته فيلتفت للقياه معاتبا أو مرحبا ، ثم لا يثنيه اكتشاف الخطأ من الوقوع فيه ثانية وثالثة

وكان الله فى عون سارى الصحراء يرى الماء فى السراب فلا يفتأ يتغنى « وسقاكم ربكم شرابا طهورا »

وكم من صديق اقسم ان يقـاطع صديقه أبدا ، ويمشى واذا بأرجله تسوقه بغير مناسبة ظاهرة . لمنزل ذلك الصديق . أو الصديقة

وكم من مسافر مضطر ينزل ليغير القطار فى محطة انتقال . وبعد السؤال وقراءة اليافطات يركب خطأ قطارا راجعا لبلدته ، أو موصله ألى جهة أخرى له فيها قارب ونشيد .

أما أن تسمع الأذن غير مايقال . فما أطرف أن تتكلم بين قوم مختلفى المشارب . فيسمع كل منهم غيره على هواه مصداقا للمثل كل يغني على ليلاه .

وحبذا لوفطن السادة القضاة لنظرية الخطأ فى تقدير مشاهدة شهود الرؤية والسماع ، أذن لصرنا ألى العدالة أقرب ـ :

أما خطأ الكتابة . أو الخطـأ المطبعى فأنه قليل نسبيا . لأن كثيرين يخشونه فيعيـدون قراءة ما يكتبون فيتداركونه

روى فرويد عن عالم مشهور كطبيب بكتيرى باحث ماهر يتعامل بهذه الصفة مع المعامل والكليات

والمصالح الطبية . ارسل يوما لأحدى المصالح يشكو مما تبينه من ضعف الميكروبات فى أثناء تجاربه على الفئران والرجال ـ« بالالمانية (manschen) ثم حاول أزالتها وكتب محلها mneerchweichen وهو حيوان يجرى عليه الاطباء التجارب . ولاأعرف اسمه بالعربيه ، ولكن الأطباء المرسل أليهم لاحظوا الكشط وامكنهم أن يعرفوا الكلمة المكشوطة فضحكوا لها كفكاهة طبية ..

وبعد أشهر قليلة وقع ادعى فى قبضة العدالة . واعترف بأنه كان يستعمل تلك الجراثيم فى قتل الرجال والسيدات

فلو فطن المرسل اليهم لنظرية الخطأ بمجرد ان اطلعوا على الخطاب . ما يدرينا العلهم كان ينقذون بعض ضحاياه التى لم يكن ثقيلا على الحياة حملها ..

رمسيس جبراوى

فى الزراعة الكيمائية

أذاع رئيس قسم علم النبات فى جامعة كولومبيا تقريرا عن الزراعة الكيميائية للدخان التركى اوضح فيه كيف أمكن فى المعمل زراعة حبة صغيرة فتصير شجرة يانعة طولها أكثر من ست أقدام ، ومما جاء فى هذا التقرير أن أهم خطوة فى هـذا العمل كانت تحليل التربة الزراعية فى الشرق الادنى حيث يزرع هذا النبات ومن ذلك أمكن معرفة النسب التى توجد عليها الأملاح فى هذه التربة والتى يلزم توافرها حتى ينمو هذا النبات .

وطريقة الزراعة تتلخص فى وضع الحبة فى أصيص مملوء بالرمل النقى السيليكى وتغذى بعد ذلك بالمحاليل الكيميائية التى تنسكب فى الأصيص قطرة فقطرة من انبوب خاص .

والدخان نبات يحتاج غير الاملاح الى عناصر معينة بنسب ضئيلة ووجود هـذه العناصر فى غذائه لازم لزوم الفيتامينات فى غذاء الحيوان .

وقد امكن بمثل هـذه الطريقة زراعة كثير من النباتات مثل الفول والقمح والطماطم وغيرها ، كما أمكن زراعة أكثر من ١٦ نوعا من نباتات الازهار .

وامثال هذه التجارب والبحوث يوضح لنا حال زراعة التربة فى المستقبل القريب .

الاصنام المركبة

شاعت فى الامم القديمة الاصنام أو التماثيل المركبة أى ان التمثال لا يمثل انسانا أو حيوانا فقط وانما يمثل الاثنين . وأقدم الامثلة على ذلك هو «أبو الهول» الذى يحمل رأس انسان على



جسم أسد رابض . والمظنون أن هذا التمثال يمثل رع أى الشمس المؤلهة . وفى الكرنك صفان من هذه التماثيل المركبة كل منها له جسم أسد ورأس كبش . لان الكبش كان يرمز به الى الرب آمون أقدم الارباب المصرية .

وقد نقلت الامم القديمة فكرة التمثال المركب عن مصر . فظهرت فى بابل والهند والصين واليونان ولكن تماثيل اليونان تمتاز بانها تمثل جسم أسد ورأس امرأة بدلا من رأس رجل كما هى الحال فى مصر . وتزيد على ذلك جناحين كما يرى القارىء هنا

ويظن كثير من المؤرخين ان هذه التماثيل الاغريقية القديمة فى الاصل هى الفكرة التى ذاعت فى القرون الوسطى بشأن رسم الملائكة اى الصورة الآدمية التى يتركب عليها جناحان . ويجب الا ننسى ان المسيحية نشأت فى القرون الاولى فى حضن الثقافة الاغريقيه واتخذت الوانها الفلسفية والفنية . ومن المرجح لهذا السبب ان تكون فكرة هذه التماثيل قد انسلت اليها وصار الفنانون المسيحيون يرسمون الملائكة او ينحتون تماثيلها على غرارها

العلم والعالمية

يعد العلم من أقوى العوامل التى تساعد على تقرب الشعوب وتعاونها وتفاهمها وربطها بأواصر الاخاء . وبالجملة ، فهو يعمل صامتاً على تحقيق الوحدة العالمية التى يتخيلها المفكرون ومحبو الانسانية والبشرية فى تطورها وفى سيرها الى الامام انما تتبع ارتقاء العلوم وما تأتى به من مكتشفات ومخترعات تساعد على تقدم الصناعة والزراعة والطب والمواصلات وجميع وسائل العمران . ولحسن الحظ أن العلم فى تقدم دائم وفى نمو مستمر شبيه بنمو الجنين تتغير صوره ولكنه يشب ويكبر . والمشاهد فى تاريخ العلوم أنه تاريخ متصل الحلقات ليس فيه ما يدل على التوقف ولا على الرجوع الى الوراء ..

وقد صارت العلوم اليوم سهلة المنال تستطيع العامة أن تنهل منها كما تنهل الخاصة والعلماء وانتشرت المبادىء العلمية فى كل الارض وكانت من قبل وقفا على المشتغلين بالبحث العلمى وحدهم وهى تزداد كل يوم انتشارا ويزداد النفع المادى من وراء هذا الانتشار ..

خطب مرة عالم اسمه الكونت دى فرانكفيل فقال : « لاوطن للعلم وهو وطن البشر كلهم وكل اكتشاف علمى وكل اعتقاد انما هو خطوة فى سبيل التقدم تثبت فى كل بلاد مثل أشعة الشمس التى تنير أرجاء العالم مهما اختلفت محل العلماء ومواطنهم »

وفى مقدمة ما تؤديه العلوم من خدمات للانسانية كلها انها تعين على تحرير الفكر وانطلاقة من قيود التعصب والرجعية والتشبث الذميم بمبادىء وتقاليد محدودة دون بحث ولا تمحيص

١) فالعلم يساعد على تخفيف التعصب الجنسى الذى يدفع بالكثير من الشعوب الى الاعتقاد بافضليتها على سائر أجناس البشر . فدراسة علم الاجناس ترينا أن جميع الناس على اختلاف ألوانهم وأشكالهم ذوو قرابة ونسب وان الانسانية دوحته ذات فروع متشعبة لكنها تجتمع جميعاً فى جذع واحد ومنبت واحد وان الاختلاط بين مختلف الاجناس حدث فى مختلف العصور وما زال يحدث

حتى ليصعب اليوم أن نجد جنسا بشريا منفردا بخواصه الاولى

ثم ان دراسة نظرية التطور التى غيرت الرأى فى النظر الى أصل الانسان بل غيرت علم البيولوجيا وكل فروع العلوم ، هذه النظرية التى هى تاريخ الانسان منذ فجر الخليقة تفسر لنا كيف نشأت حياتنا بالارتقاء التدريجى وكيف صعد بنا التطور من مرتبة الحيوانات الى ما نحن عليه وستسمو بنا يوماً الى درجات أرقى . وعلى ضوء مذهب النشوء والارتقاء الذى يضفى عليه العلماء كل يوم نورا جديدا يمكننا أن نعرف من نحن وان نرى أن التعصب للجنس وكراهية بعض الاجناس واحتقار البعض الآخر كلها أدواء قديمة بالية سيستأصل العلم يوما شأفتها ..

٢) والعلم فى علاقته بالعالمية يخفف النعرة القومية التى تدفع كل أمة الى التشبث بقطعة معينة .. هذا الكوكب الصغير تحوطها بسياج من الحصون والجيوش والحواجز الجمركية ، وفى سبيل هذا التعصب الوطنى الشديد تثور الحروب وتخلق المشاكل الدولية والاضطرابات السياسية .

فالعلم ليس وقفا على أمة دون سائر الامم ، ونتاج العلوم ميراث شائع بين الامم ، ورجل العالم لا غنى له عن الاعتماد على آراء من سبقه من العلماء سواء اكانوا من مواطنيه أم من مختلف الاوطان حتى ولو كانوا بين أعداء وطنه . ولا غنى للعالم عن قراءة شتى البحوث العلمية بلغته وباللغات الاجنبية . وبذلك تزول أمام علماء الارض تلك الحواجز التافهة التى تفصل بين مختلف الامم . وبذلك يصبح علماء الشعوب أسرة واحدة يتزعمها العلم ، ذلك القادر وحده على تخطى الحواجز والصعاب ، المقرب بين القلوب الذى لا يعترف بأوطان ولا بلغات ..

أما مؤاخاة رجال العلم فقائمة منذ قديم الازمان ، فذكاء حكماء اليونان وعلمائها يتطلعون بعلماء مصر وقد كانت مكتبة الاسكندرية كعبة يقصدها علماء الامم . وفى عصر النهضة الاوربية كانت اللغة اللاتينية لغة العلماء على اختلاف أوطانهم فسهلت اتصالهم بعضهم ببعض وكان العلماء ينتقلون من أوطانهم للتزود من علوم الامم المختلفة . وبالرغم من سهولة المواصلات فى هذا العصر مما جعل تبادل الآراء ونشر الانباء العلمية وأخبار المكتشفات ميسورا سريعاً فانه لا غنى للعلماء مع ذلك عن الاجتماع فى مؤتمرات عامة تجمع علماء الشعوب للمباحثة فى المسائل العلمية . وكذلك لا غنى اليوم لطالب العلم المصرى أو الهندى أو الصينى مثلا عن السفر الى جامعات أوربا وأمريكا حيث تتضاءل

النعرة القومية فى هياكل العلم ..

وفى كل أمة متمدينة عدد من المجامع العلمية ولكنهم يرون اليوم ضرورة انشاء مجمع دولى يضم نواب المجامع العلمية كلها يكون بمثابة عصبة أمم علمية تعمل معا على ما فيه خير الانسانية كلها ويقترحون أيضا انشاء جريدة علمية يومية باحدى اللغات الدولية الواسعة الانتشار كالانجليزية أو الفرنسية لذكر ما يقوم به علماء الامم من مباحث وما يصلون اليه كل يوم من نتائج حتى لا يفوت عالم ما اكتشفه غيره

أما فى ميدان السياسة فان العلم يمثل من وراء الستار دورا خطيرا ، فانه يخترع كل يوم آلات جديدة للتدمير ووسائل رهيبة للحرب ولكنه فى تحسينه وترقيته لتلك الآلات الجهنمية يزيد من خوف الناس ونفورهم من الحرب والداعين اليها وبذلك يعمل الى السلم . ثم ان العلم الذى يكشف عن الوسائل والآلات التى يسخرها الساسة فى الحروب يكشف فى الوقت نفسه عن معدات أخرى تقاومها وتبطل عملها .. وفوق ذلك فان المعدات الحربية وسائل يساء استعمالها اذ ليس من الضرورى استخدامها فى درك الناس ، فالديناميت مثلا يمكن الانتفاع به فى حفر النفق وقطع الاحجار ونسف الجبال ولم تخلق الطيارات لالقاء القنابل على المدن الآن بل لتكون من أعظم وسائل المواصلات وربط الامم ، وهكذا شأن باقى معدات الحرب . فالعلم رسول السلام ولكن قد يساء استعماله مثل كل شىء نافع إذا استغلته محبة البشر

(٣) والعلم عدو التعصب الدينى الذى يباعد بين القلوب ويوغر صدور الناس حتى بين بنى الوطن الواحد لا سيما فى الامم المتأخره كما نرى بين طوائف الهند ، اذ أن الجهل هو المرتع الخصيب لهذا التعصب والعقليات الامية تتميز دائما بالتعصب الأعمى . بينما العقلية العلمية تعمل على تحرير الفكر وتعلم الحكم والتمييز والتسامح . وترينا ان الدين صوفية ذاتية تربط الانسان بربه لا وسيلة للكراهية والتطاحن حتى بين بنى الوطن الواحد .

فالأمم التى يعم فيها التعليم وتنتشر بها المبادىء العلمية هى أكثر الامم تسامحا فى العقائد والأديان كما أنها أكثر الامم تقديسا للحرية الفكرية كما نرى اليوم فى فرنسا وانجلترا وغيرها . ثم أن الامم المتمدينة تعمل الآن على التوفيق بين العلم والدين وبها نرى كثيرا من المؤلفات فى هذا الشأن

والعلم دين المستقبل ، والحقائق العلمية الخاضعة والبراهين المقنعة لا يختلف الناس فى تأويلها وتفسيرها وهى بذلك لا تشتت شمل الناس

(٤) وناحية أخرى تعين العلم على تحقيق مبادىء العالمية تلك هى انسانية العلم

فالعلم يساعد على نشر المخترعات والمكتشفات التى يؤمن بها كل الناس على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم فكل الامم تستغل اليوم منافع الكهرباء والراديو والطيران وغيرها وتعلم أن ثمار العلم ميراث البشرية كلها

والعقل العلمى غير علاقة الانسان بالطبيعة فازدادت مقدرة الانسان على استعمال القوى الطبيعية. وكان من سيادة الانسان على الطبيعة أن وفر كثيرا من مجهوده وقوته ووقته وزادت بذلك رفاهيته واتسع فراغه وارتقت معارفه .

ثم ان تطبيق العلم على الصناعة لاسيما بعد استخدام الكهرباء غير علاقة الانسان بما حوله بل غير نظام المجتمع الانسانى ودفع الاوساط الصناعية الى التنافس فى ابتكار صناعات جديدة تزيد من ترف الناس ومن جمال الحياة اليومية

وكان مما تقدم علم التشريح وعلم السيكولوجيا وعلم الامراض ماساعد على تقدم الجراحة وكان لاكتشاف العلم لاشعة رونتجن وللمخدرات الطبية والراديوم واكتشاف المكروبات وآثارها وتقدم العلوم الكيماوية وغير ذلك أن خف عن كاهل الانسانية عبء الامراض وويلات العاهات والاوبئة وأخذت الامم تعمل على مكافحة الامراض ونشر الصحة العامة

يقول السير دافيد بروس « لاشبهة فى ان العلم لا يعرف حدودا لا فى الشعوب ولا فى اللغات ولا فى الاديان بل هو عام شامل كلنا أبناء أب واحد . ومعرفة أسباب الامراض وطرق منعها لا تنحصر فائدتها فى بلاد واحدة بل تشمل كل البلدان ، تشمل الافريقى الذى تتركه قبيلته لكى يموت فى غابة بمرض النوم ، والحمال الهندى والصعلوك الصينى اللذين يتجرعان الموت بمرض البريبرى ، كما تشمل سكان مدننا »

وكان التقدم فى علم الجيولوجيا أن عظمت ثروة البشرية ونشط التعدين واستغلت المناجم كما أن علم البيولوجيا عرفنا حقيقة الاحياء وهكذا الامر فى بقية العلوم

واذا تركنا جانبا الفوائد المادية التى يجنى الناس على مختلف أجناسهم ثمارها وهى الفوائد العديدة التى عادة على الانسانية كلها من تقدم العلوم فان هناك جانبا لا يستخف به هو زيادة ثروة البشر العقلية وفى علة اللذة المعنوية التى يثيرها الاشتغال بالعلوم

(٥) والعلم الذى عمل على تقريب الأبعاد وتقصير المسافات بما كشفه وما برح يكشف عنه من وسائل سريعة للمواصلات كاللاسلكى والطيران والبواخر السريعة والقطر الانسابية وغيرها ، وهذه الوسائل تزداد كل يوم تقدما وسرعة واتقانا مما جعل كرتنا الارضية قرية كبرى تطوف حولها الطيارة فى أسبوع واحد ، وبها أصبحت الحدود الجغرافية التى كانت تفصل بين الامم خطوطا وهمية وبذلك فاز العلم فى امكان تحقيق ذلك الحلم القديم ، حلم الوحدة العالميه وما زال فى طريق الانتصار والمستقبل للعلم وحده

نقولا يوسف

تقدم العلوم

فى اقطار العالم المتمدن نحو ثلاث وعشرين الف مجلة تعالج العلوم والفنون . ومن هذه المجلات ماهو خاص يدق عن افهام الجمهور ولا يتناوله غير الاختصاصيين من العلماء . ومنها ما يكتب للشعب مع الصور الكثيرة الموضحة والشرح السهل الذى يستطيع القارىء العادى فهمه . والنوع الأول قليل الانتشار جداً . فقد نجد مجلة تبحث الحيوانات المنقرضة ولا يطبع منها سوى نحو خمسمائة نسخة . والذى ينشرها هو جمعية تعينها الحكومة أو احدى الهيئات الاخرى . أما النوع الثانى فينتشر كثيراً ويعود بالربح العظيم وخاصة بين الامم التى تنزع نحو الصناعة مثل الولايات المتحدة الامريكية . فان المجلات العلمية هناك لاتحصى . ومحرروها لايتعمقون ولا يعالجون النظريات العويصة ولذلك نجد فى الصفحة الواحدة نحو موضوعين أو ثلاثة كل منها موضح بصورة أو صورتين والعالم الاوربى أو الامريكى يقرأ المجلات العلمية فى نحو عشر لغات مختلفة . وليس ذلك لانه يعرف هذه اللغات بل لان الالفاظ العلمية واحدة فيها جميعها .

الصحة والمرض

وتطور العقل البشرى فى نظرته اليهما

بقلم الدكتور محمد محمد رجب

كل انسان يطلب الصحة ويسعى الى استكمالها . ولا يستطيع أن يشعر بالسعادة بدونها . فالغنى وكثرة الابناء والجاه العريض والثروة الطائلة والمال الكثير كل هذه لا تكفى وحدها لأن تشعر الانسان بالسعادة إذا اعتلت صحته

لذلك فقد حاول الانسان منذ نشأة الخليقة أن يعرف الأسباب التى تنشأ منها الأمراض ليستطيع مقاومتها وعلاجها والقضاء عليها ويستكمل أسباب السعادة التى ينشدها .

ونتيجة تطور العقل البشرى وزيادة العلم واتساع أفق البحث تغير فهم الانسان لمسببات الأمراض وكلما ازداد علمه وازدادت تجاربه اقترب من الحقيقة التى تنطبق على الوقائع المادية التى يلمسها ويفهم مدلولها . فمنذ العصور الأولى يحاول الانسان أن يوجد الصلة بين حدوث الامراض وبين البيئة التى تنشأ منها وتنتشر فيها فتارة يضل الطريق وطورا يعينه التوفيق واستمر الحال كذلك حتى القرن التاسع عشر حين كان لاستعمال المجهر (الميكرسكوب) فى الطب أكبر الأثر فى فهم أسباب الامراض وارجاعها الى كائنات حية فى غاية من الدقة وصغر الحجم بحيث لم يكن الانسان ليستطيع أن يراها أو يصل الى كنهها بدونه . فنشأت عن ذلك النظرية الحديثة فى الطب وهى النظرية التى نسير عليها حتى يومنا هذا وهى ان الامراض ناشئة عن « ميكروبات حية » حيوانية كانت أو نباتية تدخل جسم الانسان وتغرز سمومها وتسبب الامراض .

وفيما يلى الآراء والنظريات المختلفة التى حاول بها العقل البشرى فى تطوره التدريجى خلال

العصور المختلفة أن يعلل أسباب الأمراض وطريقة مقاومتها والقضاء عليها .

١ — أن الامراض نتيجة لغضب الآلهة وعقاب منها

ولقد كان قدماء المصريين واليونانيين يعتقدون أن هناك عدة آلهة . فاليونان مثلا كانوا يعتقدون أن للقوة إلها وللحرب إلها وللجمال إلها وللحب إلها الخ . وان الامراض مثلا نتيجة لغضب الآلهة على الفرد وأن الطريق الى منعها والشفاء منها هى ارضاء تلك الآلهة وكسب محبتها فكانوا يقدمون لها القرابين وينحرون لها الذبائح ويقيمون لها الصلوات خضوعا لها وكسبا لرضائها حتى تمنحهم من الصحة قسطاً وفيراً

٢ — ثم تطور العقل الانسانى فرأى أن هذا الاله أو هذه الآلهة لا يصح أن تكون مطبوعة على الشر وأنه اذا كان الاله الذى يعبده الانسان ويقدسه يتصل به الشر فمن ذا الذى يحب له الخير والصحة اذن ؟

عند ذلك اتجه نظره الى الشياطين لأنها مطبوعة على الشر وانها إذا ما حلت بالانسان حل به المرض . وظنوا بادىء ذى بدء أن لكل مكان شيطانا ولكل شخص شيطانا خاصا يلازمه فاذا ما غضب ذلك الشيطان أصيب ذلك الشخص بالمرض . وانه لكى يحصل الانسان على الصحة لا بد له من استرضاء هذه الشياطين فى حفلات يقيمها وطقوس خاصة يؤديها لاسترضاء هذه الشياطين أو لطردها من الجسم

٣ — ثم استمر العقل البشرى فى تطوره حتى جاء ابقراط الطبيب اليونانى المعروف فحاول أن يعلل حدوث الامراض فقرر أن فى جسم الانسان أربع سوائل (أخلاط) هى الدم والبلغم والمرارة الصفراء والمرارة السوداء .وانه باختلاط هذه السوائل بعضها بالبعض الآخر بمقادير متعادلة يشعر الشخص انه فى صحة جيدة فاذا اختل تعادلها أصيب بالمرض . واذا ما تغلب احدها على الأخير عند أى شخص كان مزاجه مماثلا نوع السائل المتغلب وعلى ذلك فان هناك أربع أمزجة : المزاج الدموى والمزاج البلغمى والمزاج السوداوى والمزاج الصفراوى .

وقد وضع ابقراط هذا أساسا للطب والعلاج فاستعمل بعض العقاقير فى علاج مرضاه وكذلك أوضح فائدة الراحة والغذاء والرياضة كجزء من العلاج

وقد جاء بعد ابقراط كثيرون من الاطباء أمثال هيروفيلوس واراسيستراتوس وجالينوس وغيرهم كثيرون فبعضهم أقر ما رآه ابقراط مثل هيروفيلوس وبعضهم خالفه مثل اراسيستراتوس وجالينوس . فان اراسيستراتوس مثلا لم يوافق على وجود هذه الأربعة الأمزجة بل أنه لم يعتقد بوجود السوداء بتاتا وقد كان يعتقد أن الامراض نتيجة لزيادة الدم فقط ومع ذلك لم يكن يوافق على استخراج الدم بالفصد لأنه يقلل من مقاومة الانسان . فمن ذلك انه كان يعتقد أن زيادة الدم فى الكبد يسبب تجمع الماء بالبطن (الاستسقاء) وهذه الملاحظة لها قيمتها الطبية فهى باقية معروفة فى الطب إلى الآن

وقد نقل العرب عن اليونان كل ما فى كتبهم من الطب والحكمة فدرسوه وأخذوا به وكان مما أخذوه عنهم نظرية الامزجة الأربعة هذه . وفى ذلك يقول صاحب كتاب « النزهة المبهجة فى تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة» عند كلامه عن «حمى العفن» : « ومن ثم كانت البلغمية تنوب كل يوم لكثرة البلغم وسهولة اجتماعه . والسوداء كل ثلاث بعكس ذلك . والصفراء يوما ويوما لتوسطها بينهما . ولا نائبة للدم لانه ان فسد خارج العروق فليس إلا فى الأورام الحارة »

وقد نسبوا اختلاف هذه الأمزجة وتغيرها وحدوث الامراض لتغيرات فلكية . وفى ذلك يقولون عن علاقة النجوم بجسم الانسان « وأما القمر فله من الجسد مكانان وهما الجلدوالرأس أعنى العظم . ولعطارد العروق والعصب . وللمريخ الدم والصفراء . ولزحل الشعر والاظفار . وللمشترى اعتدال الجسد وسلامته . وللزهرة النفس والصورة »

وقد أوجدوا ما أسموه الطبائع وهى أربع : ترابى . مائى . هوائى . نارى . فأعطو لكل جزء من جسم الانسان طبعا خاصا ثم وزعواهذه الاجزاء والطبائع على البروج الفلكية الاثنى عشر كما يأتى

الاعضاء	البروج	الطبائع
شعر الرأس	حمل	نارى
الجبهة	ثور	ترابى
العينان	جوزاء	هوائى
المنخران	سرطان	مائى
الفم واللسان	أسد	نارى

الاعضاء	البروج	الطبائع
اللحية	سنبلة	ترابى
المنكبان	ميزان	هوائى
الصدر	عقرب	مائى
فقار الظهر	قوس	نارى
البطن	جدى	ترابى
الخصيتان والذكر	دلو	هوائى
الساقان والرجلان	حوت	مائى

٤ ـ واستمر الأمر كذلك فظهرت فئة من الناس استطاعت أن تستغل حاجة المرضى وآلامهم فادعوا أنهم يستطيعون شفاء الامراض المختلفة بأعمال السحر والشعوذة وانهم يستطيعون تسخير الجن لخدمة أغراضهم وشفاء مرضاهم وما زالوا بمرضاهم يغررون بهم حتى أفهموهم أن فى كل شىء سراً خفيا غير الشىء الظاهر الذى نراه نحن . وان هـذا السر الخفى هو المسيطر الحقيقى على الاشياء المرئية . وان هذا السر الخفى لا يطلع عليه أحد ولا ينكشف إلا لقليل من الناس . واستمروا فى دعواهم هذه حتى قالوا أن لبعض حروف الهجاء « الأبجدية » أسراراً خاصة فى شفاء الامراض . وان هناك تعاويذ خاصة اذا قرأوها فى أمراض خاصة شفى مرضاهم . فصدقهم الناس لجهلهم واتبعوهم طلباً للصحة التى يتشوقون اليها . ومن أمثال هذا النوع من العلاج ما يعثر عليه المطالع لبعض كتب الطب القديمة . واليك بعض ما يقولو فى ذلك :

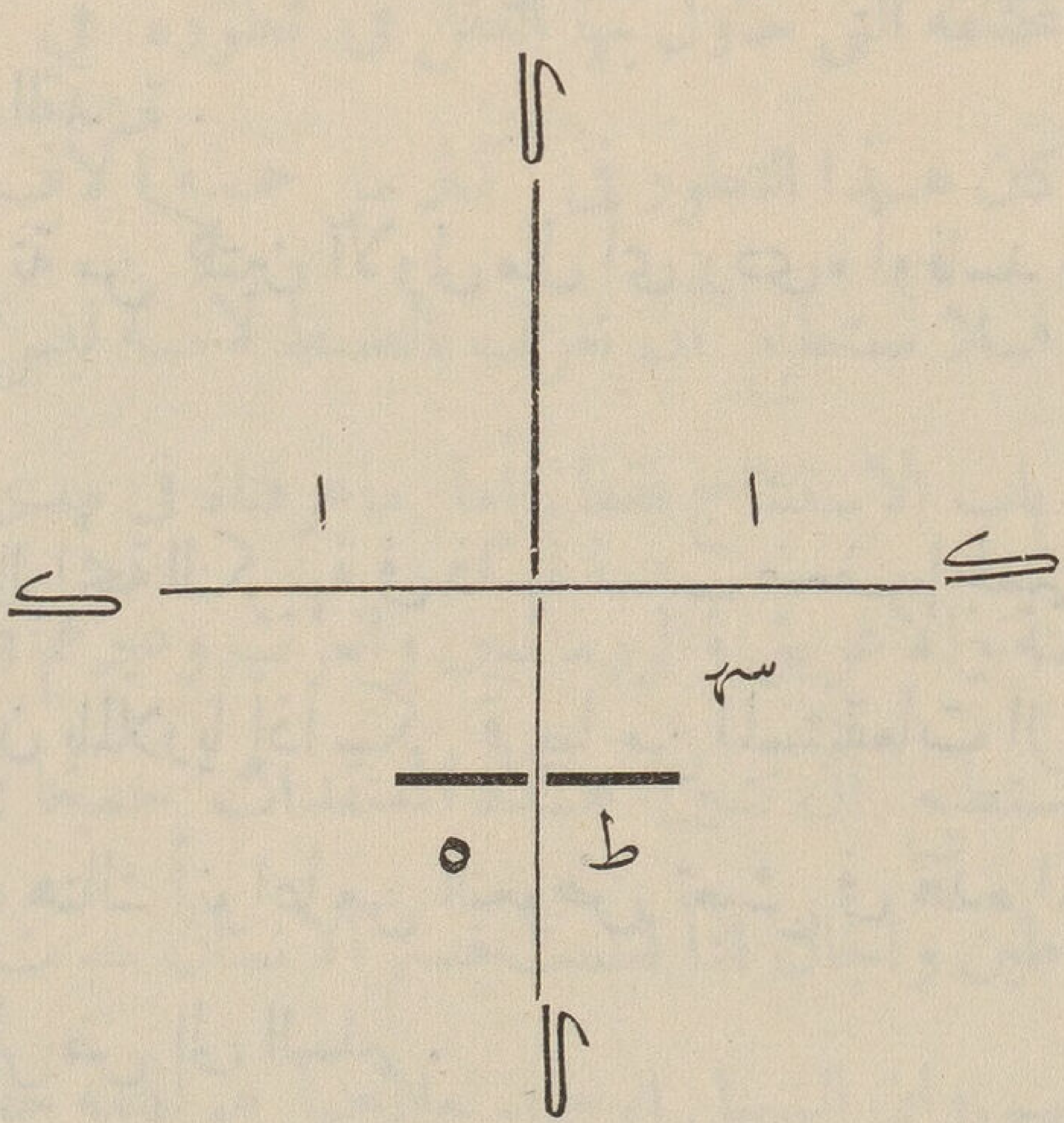
« ولكل عضو حروف معلومة فتلك الحروف التى للبروج هى نسبة حروف العضو وبه قيامها وتدبيرها باذن الله تعالى فمن فهم ذلك فهم أسرار التركيبات والتأثيرات الحرفيات » أى ان للحروف تأثيراً خاصاً .

ثم انظر الى العلاج الذى يصفونه لمرضى الجدرى والحصبة : « يكتب هـذا الوفق ويعلق على من به الجدرى فانه يمنعه من الزيادة وان عاق على باب دار لم يطلع لأهل ذلك المنزل وان كتب على جدار من داخل فعل ذلك وهو هذا »

٨	١١	١٤	١
١٣	٢	٧	١٢
٣	١٦	٩	٦
١٠	٥	٤	١٥

٧	١١	١٤	١
١٢	٣	٧	١٣
٣	١٦	٩	٦
١٣	٥	٤	١٤

ثم انظر أيها القارىء الى العلاج الذى يصفه هؤلاء السحرة والمشعوذون لمرضى الطحال «يكتب هذا الشكل فى ورقة ثم تأخذ ملعقة وتضع عليها يسير رماد ومن فوقه جمرة نار ثم تضع الورقة فوق الطحال والملعقة فوقها من فوق القميص وتكون قد كتبت الشكل أيضا على ورقة ثانية وتبرمه وتجعل رأسها على الجمرة حتى تحترق جميعها فانه يزول» واليك الشكل الذى يريده



هذه أمثلة مما كان يتبعه أولئك السحرة والدجالون فى أيهام المرضى بانهم يسخرون الجان لخدمتهم فقل لى بربك ماذا يفيد المريض بالجدرى من ربط مئة ورقة مرسوم بها مئة مربع من هذا النوع وماذا يفيد أهل المنزل حين ينتشر وباء الجدرى فيحصدهم جميعا حيث لا يفيدهم لا أوراق ولا تمائم ولا أوفاق ولا غيرها . بل وماذا يفيد المريض بالطحال من الملعقة والجمرة والورقة والرماد وفى أى مرض من أمراض الطحال يفيده ذلك .

ثم ما زال العقل البشرى فى تطوره التدريجى يحاول أن يصل بين حدوث الامراض وبين التغييرات التى تحدث فى البيئة فظن ان سبب الامراض هوحدوث التغييرات الجوية فدخول الشتاء وازدياد البرد واشتداد الهواء تسبب الامراض وكذلك ازدياد الحرارة أيام الصيف . وقد بنى ذلك على المشاهدات التى رآها والتى لا تزال نراها وهى انه عند دخول الشتاء واشتداد البرد يصاب كثير من الناس بالامراض كالزكام والانفلونزا وغيرها .والحال كذلك أيضا عند تغير الفصول فهناك أمراض لا تظهر إلا فى الشتاء وهكذا .

وهذه النظرية وان كانت تكفى لشرح أسباب الامراض عندالسذج والبسطاء الا أنها لا تكفى وحدها لشرح أسباب الامراض كما سنرى فيما بعد

ثم رأى أن هناك بعض الامراض تكثر حيث يضطر الانسان لاستنشاق الروائح الكريهة بحكم البيئة التى يعيش فيها . فالملاريا مثلا وهى نوع من الحمى ناشئة عن الروائح الكريهة المنبعثة من البرك الراكدة والمستنقعات القذرة .

وكلمة ملاريا نفسها مكونة من كلمتين الاولى مال أى ردىء أوفاسد والثانية أريا أى هواء — أى الهواء الفاسد

ونحن نعرف الآن أن الرائحة الكريهة فى ذاتها تسبب ضعف الجسم الانسانى وتقلل من مقاومته للامراض وان إصابة الانسان بالملاريا إذا سكن قريبا من المستنقعات الراكدة ليس ناشئا من الرائحة نفسها ولكنه ناشىء من أن هناك أنواعا من البعوض تعيش فى هذه المستنقعات وأن هذا البعوض ينقل ميكروب الملاريا من المريض الى السليم .

٦ — ثم مازال العقل البشرى يجد فى البحث عن سبب للامراض التى تحدث بعيدة عن البرك والمستنقعات وبعيدة عن الروائح الكريهة فظن أن الامراض ناشئة من وجود القاذورات عامة وعدم التخلص منها . وانه لمقاومة الأمراض لابد من أن يكون المأكل والمشرب والمسكن وكل البيئة التى تحيط بنا على غاية ما تكون من النظافة ومن هنا جاء العمل الذى تقوم به الحكومات المختلفة إذا أرادت أن تحافظ على صحة رعاياها وذلك بالعناية بنظافة المدن والتفنن فى أحسن الطرق للتخلص من القمامات ومياه المجارى بالطريقة التى تمنع انتشار الامراض . وكذلك العمل على تجهيز

المياه للشرب والمساكن الصالحة للسكن وغير ذلك . وتعتبر هذه النظرية وسابقتها أول خطوة حقيقية فى الوقاية من الامراض المختلفة .

٧ ـ وقد استمرت هذه النظرية معمولا بها حتى القرن التاسع عشر عندما جاء كوخ وباستير وغيرهما وأوجدوا لنا النظرية الميكروبية . وهى أن جميع الامراض ناتجة من وجود كائنات حية لاترى بالعين المجردة ولكن يمكن رؤيتها بالمجهر (الميكروسكوب) بعد تكبيرها مئات المرات وهذه الكائنات الحية على أنواع مختلفة فبعضها حيوانى كالاميباوميكروب الملاريا وبعضها نباتى كالبكتيريا وان لكل مرض ميكروبا خاصا به وأنه لمقاومة أى مرض يجب القضاء على الميكروب المسبب له ومن هنا نشأ استعمال المواد المطهرة فى القضاء على هذه الميكروبات واستعمال الفاكسينات والامصال المضادة لها .

وهذه النظرية هى النظريه السائدة إلى يومناهذا .

هذا مجمل النظريات المختلفة التى حاول بها العقل فى تطوره فى مختلف العصور تعليل سبب حدوث الامراض . وقد كان هذا التطور فى أكثر من خمسة آلاف عام . اما ما قبل ذلك التاريخ وماذا كان يعتقد الانسان فلا نستطيع أن نعرف بالضبط لانه ليس لدينا دليل مادى عليه وكل ما نستطيع أن نقره هو من باب الاستنتاج فقط. أما ماعرفناه فى مدى هذه الخمسة الآلاف عام فقد جاء من دراسة آثار الفراعنة والأغريق والرومانيين والعرب وغيرهم فى مختلف العصور .

ومن الغريب انك تستطيع أن تتبين هذه المعتقدات جميعا فى مجتمعنا المصرى . فهناك قوم لايزالوان يؤمنون بان الشياطين والجان اذا لبست جسم الانسان سببت له مختلف الامراض متى يعجز الأطباء عن علاجها فى ظنهم. وان السبيل الوحيد لعلاجها هو اقامه حفلة مصالحة بين الجان والمريض وهذه الحفلة هى «الزار» فتذبح الذبائح ويطلق البخور وتدق الطبول ثم لا يلبث أن ينادى مناديهم على الجان الازرق وشمهورش والجان الاحمر وخلافهم فيسترضيهم هذا المنادى ومن ثم يخبر المريض بأنه قد تم شفاؤه . وهم يأخذون على ذلك أجرا باهظا ويكلفون المريض مالا يصدقه العقل . وأنا أعرف أن احدى السيدات مرضت بأنفها وكانت عزيزة عند ذويها فأوقعها هؤلاء الدجالون فى حبائلهم حتى اقنعوها ان مرضها ناشىء من أن جناً ملازما لها وأن شفاءها لن يكون إلا « بالزار » وكان أن أجرت هذا «الزار» ثلاث مرات تكلفت فيها ما لا يقل عن ستين جنيها فلما يئست نزحت

الى القاهرة حيث أجريت لها عملية جراحية لم تستغرق أكثر من أسبوع شفيت بعده تماما .

هذا ولاتزال طائفة من المصريين تؤمن بالسحر وتأثيره فى شفاء الامراض وانك مهما حاولت أن تقنعهم بأن علاج الامراض لايكون إلا على يد الاطباء سخروا منك ولم يأبهوا لك وحاولوا جاهدين أن يقنعوك انت بان الطبيب مهما أوتى من العلم لايستطيع أن يكشف الغيب ويعرف الباطن كما يعرفه السحرة فهم يستطيعون استحضار الجان والاستفهام منهم عن مرض هذا أو علة ذاك ثم يصفون له ما يريدون من الدواء وهم فى ذلك معذورون لأن ما يتبعه هؤلاء السحرة والمشعوذون والدجالون كاف للتغرير بعقول أولئك السذج البسطاء لذلك ترى هؤلاء المشعوذين يهرعون الى القرى حيث يجدون العيش رغيدا والمقام طيبا .

ولايزال الكثير من المصريين مقتنعا بأن معظم الامراض التى يصابون بها راجع إلى البرد والرطوبة والهواء فالزكام والقحة ومرض اللوزتين والدوسنطاريا ووجع القلب والكليتين وامراض المفاصل والسيلان وكل شىء يعرفونه ويسمعون عنه هو نتيجة البرد والرطوبة والهواء دون غيرها من الاسباب لأن البرد والرطوبة أشياء محسوسة يمكنهم فهمها بسهولة . أما أن تحاول القول ان هناك ميكروبات هى سبب هذه الأمراض وأن البرد ليس ألا عاملا مساعدا فقط وأنه ليس السبب الحقيقى فهذا فى نظرهم وهم لايقره الواقع الذى يحسونه .

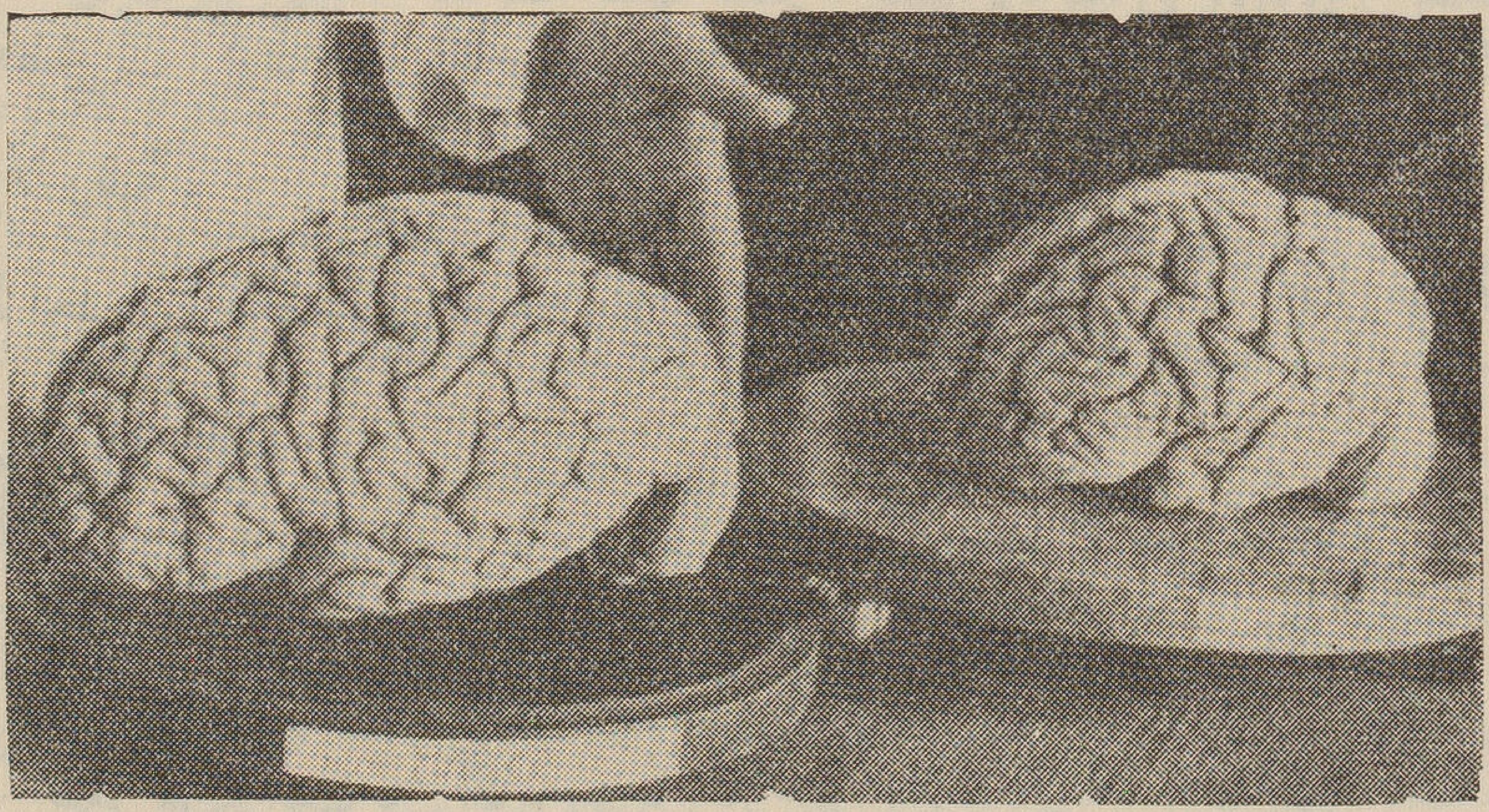
على أن هناك فئة أخرى نالت قسطاً من التعليم وعرفت شيئا عن الميكروبات والبكتيريا وعلاقتها بالأمراض وهذه الفئة قد أصبحت تؤمن بالنظريات الحديثة فى الطب والعلاج .

ويرجع السبب الحقيقى لوجود هذا التفاوت فى التفكير وفى الاعتقاد الى التفاوت فى العلم والمعرفة بين فئة وأخرى فهناك بعض المصريين لايزالون يعيشون كما كان يعيش أجدادهم منذ ثلاثة أو أربعة آلاف عام وآخرون يعيشون كما يعيش أرقى الشعوب المتمدينة فى أوربا وأمريكا وبين هاتين النهايتين توجد فئات أخرى تتفاوت فى درجة ثقافتها وعلمها واتساع مداركها وفهمها للاشياء .

* * *

ومن هنا يتضح لنا بجلاء أن تطور العقل البشرى فى نظرته الى الصحة والمرض انما كان نتيجة لزيادة المعرفة واتساع المدارك الانسانية وتنوع طرق البحث وسهولتها

والآن وقد أدركنا أن السبب الحقيقى لمعظم الامراض هو الميكروبات التى تفرز سمومها فى الجسم وجب علينا ألا نغفل الاسباب المساعدة على استكمال الصحة أو على احداث المرض .فالغذاء الكامل والمشرب النقى والمسكن النظيف الصحى والاخلاق القويمة واتباع أصول الدين والرياضة المنتظمة والعمل المنتج والحياة الهادئة البعيدة عن المفاجآت كل هذه من أسباب الصحة بينما الغذاء الناقص والمشرب الملوث والمسكن القذر والاخلاق الفاسدة والابتعاد عن أصول الدين والحياة الخاملة أو الحياة المملوءة بالكوارث كل هذه من العوامل المساعدة على الأمراض وان كانت الميكروبات هى الأسباب المباشرة لها .



باليسار دماغ الشاعر الروسى مايا كونسكى . وباليمين دماغ كلارا تسيتكين وهى عضو مجلس النواب السابق فى المانيا . وكلا الدماغين معروض الان فى متحف الادمغة فى موسكو

كلمات من جبران

١ — قال ذئب مهذب لشاة غير مهذبة «تفضلي وشرفي منزلنا» فأجابت «لو لم يكن منزلكم في بطنكم لتشرفنا»

٢ — بين المعصرة وشارب الخمر سبيلان : سبيل لملائكه الوحي وسبيل لشياطين العربدة ..

٣ — من كان أدبه نتيجة المطالعة والتنقيب كان أعجب الناس به رهن الشك والتخمين ..

٤ — انظر الى وجه المرأة مرة والى يديها مرتين ففي يديها معنى أدل على ذاتها الخفية من معاني وجهها .

٥ — يفاخر بعضهم بعبوديته فاذا ماحدثته عن الحرية ظن أنك تحط من قدره ..

٦ — أفضل أن أكون أحقر الناس ولى أحلام أرغب فى تحقيقها من أن أكون أعظمهم ولكن بدون أحلام ولا رغبة .

٧ — لم أجد فى الحياة سوى قضيتين أوليتين هما الجمال والحق .. أما الجمال ففي قلوب المحبين وأما الحق ففي سواعد العمال ..

٨ — الاقتصاد فى أن تكون كريما وجواداً مع الناس جميعا الا مع المقتصدين ..

٩ — أحق الناس بالشفقة أناس يشتاقون الى السحب وهم غارقون فى الاوحال ..

١٠ — أصغر من رأيت بين الناس رجل يترجم أحلامه الى لغة الفضة والذهب ..

١١ — قيل لثرثار بليد .. حديثك يشفى الغليل فصمت وادعى علم الطب .. لولم يتماد الضعيف فى ادعاء القوة لما عرفت ضعفه

١٢ — يعيش الذكى على حساب الموهوب . والموهوب على حساب النابغة والنابغة من عيال الله

١٣ — تأتى احكام الحياة مخالفة لما يقررونه رياضيا ولكن رغم ذلك يظلون متمسكين بالرياضيات

جمعها : عثمان محمد العيسوى

التاجر المتنقل

قصة انجليزية لتشارلس دكنز

ترجمة الاستاذ أحمد سيف

فى مساء ليلة من ليالى الشتاء فى نحو الساعة الخامسة عند ما بدأ الظلام يخيم على الكون قد يرى فى الطريق المؤديه الى منخفضات مارلبورو رجل فى مركبة يحث فرسه المتعبة فى اتجاه برستول . وأقول قد يرى وأنا واثق أنه سوف يرى اذا صادف ان مر بهذا الطريق انسان مبصر. ولكن كان الجو رديئا والليل باردا رطبا حتى انه لم يكن بالطريق الا المطر المتساقط . وهكذا كان السائح يضرب فى عرض الطريق وحيدا مكتئبا .

اذا وقع نظر اى تاجر من تجار ذلك العهد المتنقلين على المركبة الضئيلة المجازفة ذات الصندوق الرمادى والعجل الاحمر وعلى الفرس الشقراء المشاكسة السريعة الخطى لعرف فى الحال ان هذا السائح لايمكن ان يكون غير توم سمارت التابع لمحل بلسون وسلم الكبير بشارع كاتيتون بمدينة ستى . ولكن على اى حال لما لم يكن هناك احد من التجار فلم يعرف اى انسان شيئا من ذلك . وسار توم سمارت وعربته الرمادية ذات العجل الاحمر والفرس المشاكسة السريعة الخطى وأمرهم جميعا سر بينهم .

وهبت الريح — ليس فى اتجاه الطريق او عكس اتجاهه — ولو ان ذلك مؤلم فى حد ذاته — بل من أحد جانبية الى الآخر قاذفة بالمطر فى خطوط متوازية شبيهه بتلك التى يرسمونها فى كراسات الخط لتلاميذ المدارس كى تستقيم عليها خطوطهم . وقد تمضى بعيدا وتهدأ قليلا حتى ليبدأ السائح فى اقناع نفسه بانها وقد انهكها غضبها السابق قد ركنت الى الراحة فى مكان ما . . ولكن اين . . انه لايلبث ان يسمعها تئز وتصفر بعيدا ثم تقترب مندفعة فوق التل مكتسحة الوادى مستجمعة قوتها وزئيرها كلما اقتربت حتى تهوى فى عنف على الرجل والفرس دافعة بقطرات المطر الحادة فى آذانهما وبهوائها البارد الرطب فى عظامهما . ثم تجلو عنهما وتمضى بعيداء . بعيدا فى زئير يصم الآذان كأنما تسخر من ضعفهما وتزهى بقوتها وعتوها .

ومضت الفرس الشقراء وسط الوحل والمياهوقد تدلت آذانهاوكانت تضرب برأسها بين الحين والآخر كأنما تعبر عن سخطها على عناصر الطبيعة التى عاملتها بمثل هـذه القسوة ولكنها رغم ذلك كانت تسير بخطا لابأس بها حتى هبت ريح عاتية اقسى من كل ما مر بهم جعلتها تقف فجأة غارسة أرجلها ألاربع فى الارض لتمنع الريح من القذف بها بعيدا . وكان من حسن الحظ أن فعلت ذلكفلو أن الريح قذفت بها لظلت الفرس المشاكسة وهى خفيفة جدا والمركبة وهى ضئيلة أيضا وتوم سمارت وهو لايذكر الى جانبهما يتدحرجون جميعـا حتى يصلوا الى بطن الوادى او الى ان تسكن الريح وفى كلتا الحالتين يصير من المحتمل جدا الا تعود الفرس المشاكسة ولا العربه الرماديه ذات العجل الاحمر ولا توم سمارت صالحين للخدمه بعد ذلك .

وصاح توم سمارت «اللعنة . لعنة الله على ذلك المكان » كان توم معتادا السباب فى بعض الاحيان «لعنة الله فلتقذف بى الرياح اذا لم يكن ذلك جميلا »

ومن المحتمل جدا ان تسألنى ـ وقد هبت الريح فعلا بتوم سمارت ـ لم يبدى رغبته فى ان يقع تحت نيرها ثانية ؟ لاأدرى وكل ماأعرف أن توم قال ذلك او على الأقل كان يخبر عمى دائما أنـه قال ذلك وهما سيان .

وصاح توم ثانية « هى » وصهلت الفرس كأنما تشاركه نفس الرأى . » هيا انتعشى ايتها البنت العجوز « قال توم لامسا بطرف سوطه عنق الفرس الشقراء » غير مجد السير فى ليلة كهذه . سنعرج على أول نزل يصادفنا فكلما أسرعت فى السير اقتربنا من النهاية . هيا أيتها البنت العجوز . . . رويدا . . رويدا . »

هل كانت الفرس المشاكسة على معرفة بصوت توم حتى أنها فهمت معناه أو انها وجدت البرد أقسى فى أثناء الوقوف منه أثناء السير ؟ لا أدرى بالطبع . ولكنى أقول انه ما كاد توم ينتهى من حديثه حتى رفعت اذنيها واندفعت الى الأمام فى سرعة جعلت المركبـة تقرقع حتى ليخيل اليـك ان كل واحدة من عجلاتها الحمراء ستطير فى ناحية وتهوى الى منخفضـات مارلبورو ولم يتمكن توم بالرغم مهارته ان يوقفها أو يحد من سرعتها حتى اقتربت من تلقاء نفسها من فندق على الجانب الايمن للطريق على بعد نحو ربع ميل من نهاية المنخفضات ووقفت .

والقى توم نظرة سريعة الى الجزء الاعلى من المنزل بينما كان يقذف بعنان الفرس الى السائق

ويغرس سوطه فى موضعه من المركبة . كان مكانا غريبا قديما مبنيا من الخشب ذا نوافذ تطل على الطريق وكان بابه منخفضا ذا مدخل مظلم تنحدر منه درجتان الى داخل المنزل ولم يكن على الطراز ذى الست الدرجات التى ترقى الى المنازل الحديثة . ومع ذلك بدا مكانا مريحا فقد كان فى نافذة « البار » ضوء قوى بهيج يفيض بأشعته على عرض الطريق ويكاد يضىء الجانب الآخر منه . وكان فى الشباك المقابل ضوء أحمر راقص بدا ضعيفا لحظة قصيرة ثم اشتد وهجه خلال الستائر المسبلة مشعرا بأن فى الداخل تشتعل نار قوية . وهبط توم — وقد رأى بعين السائح الخبير تلك العلامات القليلة — بقدر ما تسمح له ساقاه المتجمدتان من شدة البرد من خفية ودخل المنزل .

وفى أقل من خمس دقائق كانت الغرفة المقابلة « للبار » قد احتوت توم — نفس الحجرة التى تخيل بها النار — وكان يجلس الآن أمام موقدة تشتعل بها نار حقيقية تضطرم وتفرقع فى صوت يكفى وحده لبعث الدفء فى جسم المقرور . وكان ذلك جميلا . ولكن لم يكن كل شىء . كان هناك أيضا صبية مليحة أنيقة ذات عيون ساحرة تضع أمامه على المائدة مفرشا نظيفا أبيض . وعندما جلس توم وقد مد قدميه نحو النار وأعطى ظهره للباب المفتوح رأى منظرا بهيجا « للبار » ينعكس فى المرآه الموضوعة فوق الموقدة وقد اصطفت على رفوفه الزجاجات الخضراء والصفراء ذات الاوراق المذهبة وأوانى المربى وأطباق « المخلل » والجبن والى جانبها الفخذ المسلوق وقطع اللحم المستديرة كل ذلك منسقا فى شكل مغر شهى . حسنا كان هذا جميلا أيضا . ولكن حتى هذا لم يكن كل شىء . فقد كان يجلس الى آنق مائدة « بالبار » بالقرب من أبهج نارية أرملة طروب ذات وجه صبيح كان من الظاهر أنها سيدة المكان والآمرة الوحيدة على كل هذه المحتويات الشهية ، ولكن كان هناك شىء واحد يفسد جمال الصور . . كان ذلك عملاقا طويلا ... طويلا جدا . . يرتدى معطفا رماديا لامعا وكان جالسا يتناول الشاى مع الارملة وقد بدا جليا أنه قطع شوطا كبيرا فى سبيل قناعها بالا تبقى أرملة بعد . وان تمنحه الحق فى ان يكون سيد هذا المكان طوال عمره وبقيه حياته .

ولم يكن توم سمارت حقودا أو حسودا باى حال ولكن الرجل الطويل ذا المعطف الرمادى والازرة اللامعة أثار حنقه الشديد بشكل ما . وخاصة عندما كان يشاهد وهو بمقعده امام المرآه بين آن وآخر

ما يمر بينه وبين الارملة من غزل يدل على أن علو شأنه عندها لا يقل عن علو هامته .

وكان توم مغرما بالكنياك الساخن . وأستطيع أن أقول انه كان مغرما جدا بالكنياك الساخن . فبعد أن اطمأن الى أن الفرس المشاكسة قد قدم اليها عليقها وانها آوت الى حظيرتها وبعد ان أتى على كل قطعة من الطعام الشهى الساخن الذى قدمته اليه الارملة بيديها طلب كأسا منها على سبيل الاختيار . والآن اذا كان هناك فن واحد من فنون الفندق تتقنه الارملة أكثر من غيره لكان فن تقديم الشراب . وقد تذوق توم فعلا الكأس الاولى فى لذة خاصة جعلته لا يتوانى فى طلب كاس أخرى باقل ما يمكن من التأخير . الكنياك الساخن شيء لذيذ أيها السادة . لذيذ جدا فى أى ظرف ولكن فى أى ظرف . ولكن فى هذه الغرفة الصغيرة الانيقة وامام النار المضطرمة والريح تهب فى الخارج حتى تهز كل خشبة بالمنزل احس توم بأنه ممتع حقا . وطلب كأسا أخرى ثم أخرى ولست متأكدا اذا لم يكن قد طلب بعد ذلك أيضا . ولكنه كان كلما أكثر من شرب الكنياك ازداد تفكيراً فى الرجل الطويل .

وقال توم فى نفسه « لعنة الله على قحته – أى عمل له فى هذا البار ذلك الوغد . لاشك أنه اذا كان عند الارملة شيء من الذوق لاختارت شخصا آخر أفضل من هذا . » وهنا أخذ توم ينقل نظره من مرآة الموقدة الى المرآة الموضوعة على المائدة وعندما شعر أنه آخذ فى الانتشاء تدريجا أفرغ كأسه الرابعة وطلب خامسة .

وكان توم سمارت أيها السادة دائما رجل مجتمعات وكانت امنيته منذ أمد طويل أن يقف فى « بار » يكون ملكا له مرتديا المعطف الابيض والقبعة العالية . وكان يأمل كثيرا ان يتصدر المكان فى حفلات الاعياد . وكثيرا ما فكر انه لو تحقق ذلك سيحسن الحديث فى قاعة الجلوس ويضرب لزبائنه أحسن مثل فى قاعة الشراب كل هذه الافكار مرت الآن برأس توم سمارت بينما كان جالسا يحتسى الكنياك امام النار وشعر بانه مخنق وله الحق فى أن يحنق من رؤية الرجل الطويل فى سبيل الحصول على مثل هذا المنزل الفخم بينما هو توم سمارت كان أبعد ما يكون عن ذلك . وهكذا بعد أن ظل يفكر فى أثناء الكاسين الاخيرتين فيما اذا لم يكن من حقه أن يثير عراكا مع الرجل الطويل لانه يسعى جهده لاغراء الارملة الطروب والاستحواذ على رضائها وصل توم أخيرا الى نتيجة مرضية

وهى أنه رجل مهضوم الحق جدا وانسان مضطهد وان الاولى به أن يأوى الى فراشه .

وقادت الصبية المليحة توم سمارت الى سلم واسع قديم وكانت تظل الشمعة بيدها لتحفظها من تيارات الهواء التى تجد فى مثل هذه الابنية القديمة الفسيحة متسعاً لعبثها . ولكن الريح أطفأتها بالرغم من ذلك مهيئة فرصة لاعداء توم — هم الرجل الطويل — ليظنوا أنه هو توم وليست الريح الذى اطفأ الشمعة . وأنه بينما كان يتظاهر باشعالها ثانية كان يقبل الصبية فى الواقع . ليكن ذلك وليظنوا ما شاءوا . على كل أشعلت الشمعة ثانية واقتيد توم خلال صفين من الحجرات وكثير من الممرات الى الحجرة التى اعدت لمبيته حيث حيته الصبية وتركته وحيداً

وكانت حجرة متسعة الارجاء جدا بها سرير هائل يكفى وحده لمدرسة داخلية بغض النظر عن دولابين كبيرين من خشب البلوط يتسعان لحاجيات جيش صغير باكملها . ولكن كرسى عجيب استرعى نظر توم اكثر من غيره كان عالى الظهر مخروطا بطريقة غريبة عليه وسادة من حرير مشجر قد لفت قوائمه بعناية فى قماش أحمر كأنما أصاب داء النقرس قدميه . لوان هذا أى كرسى آخر على شىء من الغرابة لظن توم أنه كرسى غريب ولانتهى الامر عند ذلك . ولكن كان هناك شيئا فى هذا الكرسى بعينه لم يستطع توم تعليله . شىء شاذ لم يصادفه فى أى قطعة من الاثاث وقع عليها نظره طول حياته . وجلس امام النار وأخذ يحملق فى الكرسى القديم . بقى جالساً ولم يرفع نظره عنه مدى نصف ساعة . ليأخذه الشيطان . لقد كان شىء قديما غريبا لايستطيع ان يحول نظره عنه

وقال توم وقد اخذ يخلع ملابسه فى تؤدة ويتفرس فى الكرسى القديم الذى ربض بجانب الفراش فى غموض عجيب — «حسنا .. لم ارشيئا اغرب من هذا فى حياتى .» وكان الكنياك قد لعب برأسه فقال وقد تكلف هيئة الجد والرزانة — «غريب جدا» ثم هز راسة فى منتهى الحكمة وقال وقد نظر الى الكرسى ثانية — «غريب جدا» ولما لم يستطع ان يستخلص شيئا بالرغم من هذه الحكمة مضى الى فراشه ولف نفسه جيدا فى الغطاء وأسلم نفسه للنوم .

وبعد نصف ساعة هب توم مذعورا من نومه على أثر حلم مهوش كله رجال طوال وكؤوس من الكنياك الساخن وكان أول ما اصطدمت به مخيلته المستيقظة ذلك الكرسى العجيب

وقال توم فى نفسه — سوف لا أنظر اليه ثانيــة . ثم أغمض عينيه وحاول أن يقنع نفسه بانه

سينام ثانية . لا فائدة . لاشىء الا كراسى غريبة كانت ترقص امام عينيه وترفع أرجلها فى الهواء وتقفز بعضها على ظهور البعض وتلعب أغرب الالعاب .

وقال توم وقد أخرج رأسه من تحت الغطاء — خير لى ان أرى كرسيا واحدا حقيقيا من أن أرى كل هذه الكراسى الشيطانية . وقد كان هذا قائما فعلا يبدو فى ضوء الموقدة مثيرا للغيظ بهيأته العجيبة .

ورنا توم الى الكرسى وفجأة بينما كان يطيل النظر اليه أخذ يطرأ عليه تغيير عجيب . أخذت النقوش التى على ظهره تتحول الى هياة وجه آدمى عجوز مغضن وصارت الوسادة الحريرية المشجرة صدريا غريبا وبدت قاعدتا الرجلين كقدمين تلبسان حذاء أحمر . وبدأ الكرسى جميعه شيخا قبيحا جدا من رجال القرن الماضى يضم ذراعيه الى صدره . وجلس توم فى الفراش وأخذ يفرك عينيه ليطرد الرؤيا . لا . كان الكرسى شيخاً كبيرا قبيحـاً . والادهى من ذلك أنه كان يغمز لتوم سمارت بعينيه .

وكان توم سمارت بطبيعته متهوراً لايبالى وكان قد جرع خمس كؤوس من الكنياك ولذا فانه — ولو أنه بهت قليلا فى بادىء الامر — قد ثار سخطه عند ما رأى العجوز يغمز ويطرف له بعينه فى مثل هذه القحة . وأخيرا عزم ألا يتحمل اكثر من ذلك . ولما كان الوجه العجوز لايزال يغمز له فان توم سمارت صاح فى غضب شديد

_لعنة الله عليك . لم تغمز لى بعينيك هكذا

_ لاننى أود ذلك، يا توم سمارت . أجاب الكرسى أو الشيخ الكبير كيفما شئت أن تسميه . وقد كف عن الغمز عندما تكلم توم وبدأ يكشر عن أنيابه كقرد عجوز .

وسأل توم وقد تلعثم قليلا بالرغم من أنه حاول أن يبدو مالكا لشجاعته

_ كيف عرفت اسمى أيها الشيخ النحس

وأجاب العجوز _ لا . لا ياتوم ليست هذه طريقة لمخاطبة الموجنا المتين ! وعندما قال الشيخ ذلك بدا فى هيئة مفزعة حتى أن توم بدأ يتملكه الرعب

وقال توم فى لهجة أكثر تواضعا ، _لم اقصد بان أعاملك بعدم احترام ياسيدى .!

فقال الشيخ الكبير « حسنا .. حسنا ياتوم .. ربما لا .. ربما لا ياتوم . »

ـ سيدى ؟

ـ انني أعرف كل شيء عنك ياتوم .. كل شيء .. انك فقير جدا ياتوم !

وأجاب توم « من المؤكد انني كذلك .. ولكن كيف عرفت ذلك ياسيدى »

ـ دع عنك ذلك .. انك مغرم جداً بالكنياك ياتوم !

وكان توم على وشك الاحتجاج بانه لم يتذوق نقطة منه منذ عيد ميلاده السابق ولكن عند ما التقت عيناه بعيني الشيخ العارفتين أدرك أنه يعلم كل شيء فاحمر وجهه خجلا وسكت .

ـ توم . الأرملة امرأة بديعة .. امرأة فى منتهى الأبداع . أه ياتوم ، وهنا أغمض الشيخ احدى عينيه ورفع احدى رجليه وبدا فى أشنع صورة وهو يتصنع المغازلة حتى ثار اشمئزاز توم من سلوك الرجل وهو فى مثل هذه السن .

وقال الشيخ « أنا الوصى عليها ياتوم »

وسأل توم «هل أنت ؟»

وأجاب الشيخ « لقد عرفت أمها ياتوم . وجدتها ـــ لقد كانت تحبنى كثيرا وقد صنعت لى هذه الصدرة ياتوم »

ـهل هى التى صنعتها ؟

ـ وهذه الاحذية ـ قال الشيخ وقد رفع احدى قطعتى القماش الحمراء ثم استمر : ولكن دعنا من ذلك ياتوم . انني لا أود أن يعرف عنها انها كانت متعلقة بى إلى هذا الحد . ربما أحدث ذلك أثرا سيئا فى العلاقة ، وعند ما تفوه الوغد بهذه الكلمات بدا على هيئة من القحة حتى أن توم سمارت ـ كما صرح بعد ذلك ـ كان على استعداد لان يحطمه فى غير شفقة .

وقال الشيخ الفاجر العربيد«لقد كنت حبيبا جدا الى النساء . فى زمانى ياتوم .. مئات من النساء الجميلات جلسن هنا فى حجرى ساعات باكملها .. ما رأيك فى ذلك أيها الخنزير .. اه ! »

وكان سيتبع ذلك بسرد بعض مغامرات شبابه عند ما تملكته نوبة شديدة من السعال لم تمكنه من متابعة حديثه .

وقال توم سمارت فى نفسه ـ تستحق أيها النحس ـ ولكنه لم يفق بشيء

وقال الشيخ بعد برهة ـ آه اننى أعانى كثيرا من ذلك ـ اننى ازداد كبرا ياتوم وقد فقدت كل قوتى تقريبا . وقد أجريت لى عملية أيضا .. أضيفت قطعة صغيرة الى ظهرى .. وأننى أجد ذلك مؤلما ياتوم . ـ

وأجاب توم ـ هو كذلك ياسيدى ـ

ـ على كل ليست هذه هى المسألة ياتوم . اننى أريد أن تتزوج الأرملة ياتوم . ـ

ـ أنا ياسيدى ؟ ! ـ

ـ انت ـ

ـ بارك الله فيك أيها الشيخ المحترم ـ بارك الله فيك .. ولكنها سوف لا ترضى بى ـ وأفلتت من توم آهة عميقة عند ما تذكر ـ البار ـ

وقال الشيخ فى عنف ـ سوف لا ترضى ؟ ـ

وأجاب توم ـ لا . لا . أن هناك شخصا آخر فى الطريق ... رجل طويل .. طويل ممقوت !

ـ توم .. لن تتزوج منه ـ

ـ لن تتزوج منه ؟ اذا ذهبت الى البار أيها الشيخ فانك ستقول شيئا آخر ـ

ـ صه صه . اننى أعرف كل شىء عن ذلك ـ

ـ عماذا ـ

القبل التى خلف الأبواب وما الى ذلك ياتوم ؛ وهنا أيضا بدأ الشيخ فى هيئة وقحة مرة ثانية جعلت توم ينتفض غضبا لانه ـ كما تعرفون جميعا أيها السادة ـ لا شىء أقبح من أن تسمع شيخا كبيرا يتحدث فى مثل هذه الأمور . لا شىء فى الواقع اثقل من ذلك

ـ اعرف كل شىء عن ذلك ياتوم .. قد رأيت شيئا كثيرا منه يقع فى زمانى ياتوم بين أناس أكثر مما أود أن اصارحك به . ولكنه لم ينته الى شىء ـ

وسأل توم فى فضول ـ لابد أنك رأيت أشياء غريبة كثيرة ـ

ـ هو كذلك ـ أجاب الشيخ وقد غمز بعينه غمزة معقدة ؛ اننى آخر فرد فى أسرتى ياتوم ـ وهنا تنهد فى حزن .

ـ هل كانت أسرة كبيرة ؟

ـ كان هناك اثنا عشر منا ياتوم كلهم ذووا طراف وظهور مستقيمة تسر الناظرين . لا تجد بهم ضعف هذا الزمان . كلهم مصقول الى حد ما ـ ولو أنى لا أرى حاجة لذلك ـ وذوو ذراعين قويتين تشتهى العين أن تراهم ـ

ـ وماذا انتهى اليه أمر الآخرين ياسيدى ـ

وأجاب الشيخ وقد اعتمد خده بذراعه ـ ذهبوا ياتوم .. ذهبوا .. كانت خدمتنا مضنية ياتوم ولم يكونوا جميعا على درجة احتمالى . أصابهم الروماتزم فى أذرعهم وأرجلهم فنقلوا الى المطابخ والى مستشفيات أخرى . وقد فقد أحدهم بعد خدمة طويلة مضنية جميع حواسه وقد ضعف جدا لدرجة أنه اضطر أن يحرق . مدهش ذلك . أليس كذلك ياتوم ! ـ

وأجاب توم ـ مخيف ـ و

وصمت الشيخ بضع لحظات كان من الواضح أنه يغالب شعوره فيها ثم قال ـ على كل ياتوم اننى أذهب بعيدا عن الموضوع . هذا الرجل الطويل ياتوم أنه وغد شرير . ان أول شىء يفعله لو تزوج الارملة أن يبيع جميع الأثاث ويلوذ بالهرب . وماذا تكون النتيجة ! انها ستنبذ من الجميع وتهوى الى الدمار .. وأنا ! اننى سوف أموت بردا فى احدى حوانيت المرتهنين ـ

ـ نعم .. ولكن ـ

ـ لا تقاطعنى . . أما بالنسبة لك يا توم فان عندى فكرة مخالفة لذلك جدا . لأننى أعرف جيدا أنك اذا ما تركزت فى محل عمومى كهذا فانك سوف لا تتركه أبدا ما دام يوجد بين جدرانه شىء يشرب .

ـ اننى شاكر لك جدا يا سيدى حسن ظنك بى .

وهنا قال الشيخ فى صوت الأمر — « وعلى ذلك ستتزوجها أنت . . أما هو فلا . »

وسأل توم سمارت فى فضول شديد « وماذا يمنعه . »

ـ ذلك واضح جدا . انه متزوج فعلا .

وقال توم سمارت وقد انتصب فى فراشه « كيف يمكننى أن أثبت ذلك ؟ »

ورفع الشيخ ذراعه من جانبه وبعد أن أشار الى أحد الدولابين أعادها فى الحال الى موضعها القديم وقال « انه لا يذكر انه قد ترك بالجيب الأيمن من سروال موضوع فى هذا الدولاب خطابا يرجوه أن يعود الى امرأته الحزينة واطفاله الستة . . انتبه الى يا توم ستة أطفال وكلهم صغار »

وبينما كان الشيخ يلفظ هذه الكلمات فى رزانة بدأت ملامحه تقل وضوحا شيئا فشيئا ويتلاشى شبحه تدريجا . . وأخذت تمر أمام عيني توم سلسلة من الصور . . أخذ الشيخ يتقمص فى الكرسى تدريجا والصدرة تتحول الى وسادة والاحذية الحمراء الى قطع من القماش الاحمر . . وذوى الضوء بعيدا واضطجع توم سمارت على وسادته وراح فى النوم .

وأيقظ الصباح توم بعد ان أخذته سنة من النوم على أثر اختفاء الشيخ . واستوى فى فراشه واخذ يحاول عبثا أن يستعيد حوادث الليلة الماضية . لكنها تدافعت إلى ذهنه فجأة . ونظر الى الكرسى كان حقا قطعة غريبة من الاثاث ولكن كان لابد من ذاكرة نادرة قوية تستطيع أن تعثر على أى شبه بينه وبين شيخ كبير

ـ كيف حالك ايها العجوز ـ قال توم . وكان أكثر جرأة فى وضح النهار ـ معظم الرجال كذلك ـ وبقى الكرسى بلا حراك . ولم يفه بكلمة .

وقال توم ثانية « بئس يومك » لا . لم يستطيع أن يجره الحديث

ـ «أى الدولابين أشرت اليه ؟ تستطيع أن تدلنى على ذلك »

ولم ينبس الكرسى ببنت شفة .

وقال توم وهو يغادر فراشه فى تراخ كبير « ليس من العسير فتحه على أى حال » وكان المفتاح فى القفل فاداره وفتح باب الدولاب . وكان به السروال حقا . ووضع يده فى الجيب وأخرج الخطاب الذى ذكره العجوز .

« غريب جدا » قال توم ناظرا أولا الى الكرسى ثم الى الدولاب ثم الى الخطاب ثم الى الكرسى ثانية ولما لم يكن عند أيها ما يقلل من غرابة الامر فكر فى ان يرتدى ملابسه ويذهب ليسوى مسألة الرجل الطويل فى الحال .

وأخذ توم ينظر الى الحجرات التي يمر بها فى طريقه الى السلم بعين المالك الفاحصة مفكرا فى انه ليس من المستحيل ان تغدوهى ومحتوياتها بعد قليل ملكا له . وعند ما هبط السلم كان الرجل الطويل واقفا فى « البار » الصغير الانيق ويداه وراء ظهره كأنما هو فى بيته تماما . وابان عن ناجذيه عند ما رأى توم وضحك توم فى وجهه ونادى سيدة البار .

وقال توم وقد أغلق باب الحجرة عند ما دخلت الارملة « صباح الخير يا سيدتى »

« صباح الخير ياسيدى ماذا تطلب للافطار يا سيدى ؟ »

وكان توم يفكر فى كيف يبدأ الموضوع ولذا فانه لم يحر جوابا

ـ عندنا فخذ ضان جيد جدا ودجاج بارد لذيذ ـ هل ارسل الافطار هنا ياسيدى ! ـ

وجعلت هذه الكلمات توم يفيق من تأملاته وقد ازداد اعجابا بالارملة وهى تتحدث

ثم سألها « من هذا السيد الذى بالباب ياسيدتى ! »

فأجابت الارملة وقد علاها شىء من الخجل « اسمه جنكنز يا سيدى »

فقال توم ـ انه رجل طويل ـ

ـ انه رجل ظريف جدا ياسيدى وسيد رقيق ـ

ـ آه ـ

ـ هل تطلب شيئا آخر يا سيدى ـ سالت الارملة ثانية وقد حيرها مسلك توم

ـ آه نعم هل لك ان تسمحى بالجلوس دقيقة واحدة يا سيدتى العزيزة ـ

وازدادت دهشة الارملة ولكنها جلست وجلس توم أيضا قريبا جدا منها . ولا أدرى كيف حدث ذلك أيها السادة وفى الواقع كان يخبرنى عمى ان توم أيضا لايدرى كيف حدث . ولكن بكيفية ما وقعت راحة توم على ظهر يد الارملة وبقيت كذلك طوال الحديث .

وقال توم — وكان معتادا أيضا ان يبدو ظريفا أحيانا — ياسيدتى العزيزة . . انك جديرة بزوج عظيم انك جديرة حقا .

وقالت الارملة « يا الهى » وحق لها ان تقول ذلك فقد كان بدء توم فى الحديث غير عادى ولا

اقول غريبا . اذا راعينا ان نظره لم يقع عليها قبل الليلة الماضية .

ـ انني أحتقر الملق يا سيدتي العزيزتي . . انك جديرة بزوج عظيم وايا كان هوهذا الرجل فانه سيكون رجلا سعيدا بلا شك ـ وبينما كان توم يقول ذلك جالت عيناه على الرغم منه بين وجه الارملة والذخائر التي حوله .

واشتدت حيرة الأرملة وحاولت أن تقوم . ولـكن ضغط توم فى رفق على يدها كأنما يمنعها فبقيت فى مكانها . الارامل أيها السادة لا يكن خجلاوات فى الغالب .

وقالت الارملة الطروب فى نصف ضحكة ـ فى الحق أنا شاكرة جدا لك يا سيدى حسن ظنك . . واذا قدر لى ان أتزوج ثانية . .

ـ اذا . . : قال توم وقد نظر اليها نظرة طويلة من طرف عينه اليسرى «اذا»

فقالت الارملة وقد ضحكت تماما فى هذه المرة ـ حسنا . . عند ما افعل آمل أن يكون زوجا حسنا ـ كما ذكرت جنكنز بالاسم

وقالت الارملة فى دهشة ـ يا الهى ـ

ـ آه لاتقولى شيئا اننى أعرفه

وردت الارملة محتجة على اللهجة الغامضة التى يحدثها بها توم ـ انى متأكدة أنه لايعرفه شخص ويعرف عنه ما يشينه

ووجدت الأرملة أنه قد حان الوقت لتبكى وعلى ذلك أخرجت منديلها وأخذت تجهش متسائلة هل يود توم اهانتها . . هل يظن أنه من أرجولة فى شىء أن يغتاب رجلا آخر وراء ظهره . . لم اذا كان عنده ما يقوله لم يذهب اليه ويخبره به كرجل بدلا من أن يرهق امرأة ضعيفة مسكينة بهذا الشكل وما الى ذلك .

ـ سأخبره فى الحال لكننى أردت فقط أن تسمعيه أولا

وسألت الارملة ناظرة فى تأمل الى وجه توم ـ وما هو ؟

وأجاب توم واضعا يده فى جيبه ـ سأدهشك

ـ اذا كان أنه تعوزه النقود فلا حاجة بك لان تتعب نفسك . . اننى أعرف ذلك

ـ هراء . . ليس هذا شيئا . . انا تعوزنى النقود كذلك

وسألت الارملة المعذبة ـ آه يا عزيزى .. ماذا يمكن أن يكون اذا ؟

فقال توم سمارت وقد أخرج الخطاب فى بطء وفض غلافه : لاتخافى .. ثم قال محذرا « سوف لاتصرخين » ـ لا . لا دعنى أراه

ـ سوف لايغمى عليك أو شيئا من هذا القبيل

ـ لا . لا .

وسوف لاتجرين الى الخارج وتصفعينه .. لاننى سأفعل كل ذلك عنك .. والاولى بك ألا تجهدى نفسك

ـ حسنا .. حسنا .. دعنى أراه

ـ سأفعل . وبهذه الكلمة وضع الخطاب فى يد الارملة .

أيها السادة لقد سمعت عمى يقول أن توم سمارت قال أن نواح الارملة عندما قرأت الخطاب كان يذيب قلبا من صخر . وكان توم بالطبع رقيق القلب وقد نفذ نواحها الى الصميم من قلبه .

وأخذت الارملة تذرع المكان جيئة وذهابا وتضرب كفيها

ـ آه ياخيانة الرجل وغدره ..

ـ مريع يا سيدتى العزيزة .. ولكن هدئى روعك.

وشهقت الارملة ثانية ـ آه لايمكننى ذلك .. سوف لا أجد رجلا آخر أحبه مثل هذا الحب

وأجاب توم سمارت ـ آه نعم ستجدين يا حياتى . ثم أذرف الدمع مدراراً من اكبر حجم من الدمع أسفا على سوء حظ الارمله . ووضع توم وهو فى نشوة عواطفه ذراعه حول خصر الارملة .

وأمسكت وهى فى لوعة حزنها بيد توم . ورفعت وجهها الى وجهه وابتسمت خلال دموعها . ونظر الى وجهها وابتسم خلال دموعه . ولم يمكننى أن أعلم أبدا أيها السادة اذا كان توم قد قبل أو لم يقبل الارملة فى هذه اللحظة بعينيها .

لقد كان هو يخبر عمى بانه لم يفعل ولكن عندى ما يحمل على الشك فى ذلك ـ بينى وبينكم أيها السادة ـ أغلب ظنى أنه قبلها

على كل طرد توم سمارت الرجل الطويل خارجا بعد نصف ساعة وتزوج الارملة بعد شهرين من ذلك.

الشاى والدخان

كتب احد العلماء الروس الذين اتهموا فى روسيا حديثا واستطاع ان يثبت على اقواله الاولى وينكر ما وجه اليه من الاتهامات مقالا عن الاساليب التى يتبعها المحققون الروس لانتزاع الاعترافات من المتهمين . فقال ان التحقيق يجرى مع المتهم نحو ثلاثة او اربعة ايام بلا انقطاع حتى تهن عزيمته ويبوح بكل ما يكتم للاعياء العظيم الذى يستولى عليه . وقال ايضا ان الشاى يقدم للمتهمين كلما طلبوه . وقد وجد هو بالاختبار فى نفسه مدة التحقيق ان ارادته كانت تضعف عندما يشرب الشاى ويستولى عليه جمود يجعله لايبالى مايقول . وايضا كانت تضعف ذاكرته فينسى ماقال . ولما عرف ذلك كف تماما عن شرب الشاى وصار يطلبه لكى يريقه خفية على الارض . واستطاع بذلك ان يحتفظ برباطته وان يذكر اقواله السابقة ويتنبه للاسئلة الخطرة . ونال البراءة بذلك. والجزء الذى يهمنا من اختبارات هذا العالم ان الشاى يضعف الذاكرة . بحيث تمر بالانسان لحظات يجد فيها ان بعض الاسماء ممسوحة من ذهنه

ويعرف قراء هذه المجلة ان رايمون بيرل العالم الامريكى يعتمد على أستخراج الحقائق الصحية من الاحصاءات . وقد اثبت بالاحصاءات سابقا ان الاعتدال فى شرب الخمور يطيل العمر . وان المعتدلين تزيد اعمارهم قليلا على الممتنعين . ولكن المدمنين تنقص اعمارهم — نقصا عظيما — عن المعتدلين والممتنعين معا

وهو يستخرج هذه الاحصاءات من شركات التامين التى تحفظ سجلات تمتد الى اكثر من خمسين سنة عن الوف بل ملايين الاشخاص . وقد استطاع ايضا ان يستخرج هذه الحقيقة عن التدخين وهى ان التدخين ينقص العمر بلا ادنى شك

فقد حقق ثلاثة افرقاء من المؤمنين وكانوا جميعهم احياء فى سن الثلاثين . وكل فريق ١٠٠٠٠٠ فوجد ان بعد ثلاثين سنة عاش من الممتنعين ٦٦٥٦٤ ومن المعتدلين ٦١٩١١ ومن المدمنين ٤٦٢٢٦ فقط

ماذا فعل مصطفى كمال لتركيا

من مقال لعزيز خانكي بك

١ — ابطل مصطفى كمال نظام السلطنة ، كما أبطل نظام الخلافة

٢ — حذف من الدستور المادة التى تنص على أن الاسلام هو دين الدولة (قانون ٩ ابريل سنة ١٩٢٨) ليطلق لقطان تركيا جميعا حرية العقائد الدينية وليشعروا بانهم جميعا امام القانون سواء. حذا فى ذلك حذو ممالك أوربا التى فصلت شؤون الكنيسة عن شؤون الدولة . ويخطىء من يظن أن رجال تركيا الجديدة وعلى رأسهم أتاتورك قصدوا من ادخال النظامات الغربية المساس بالعقائد الاسلامية على العموم وبالعبادات منها على الخصوص . كل ما رمى اليه رجال تركيا انما فصل شؤون الدين عن شؤون الدولة وعدم تغليب الاولى على الثانية فى كل ماله مساس بسياسة الدولة فى الداخل وفى الخارج عملا بمبدأ « الدين لله والوطن للجميع » فنجد المساجد مفتوحة تقام فيها الشعائر الدينية فى كل يوم بل وفى كل ساعة وجميع رجال الدولة يؤمونها

٣ — أمر بكتابة القرآن الكريم باللغة التركية الجديدة ، كما أمر بترجمته الى اللغة التركية . كما احل اللغة التركية محل اللغة العربية فى الصلوات وفى الدعوات

٤ — طهر اللغة التركية من الكلمات الدخيلة ، كردية كانت أو فارسية أو عربية أو يونانية والف لجنة لوضع معجم لها ودعا رجال الصحافة ورجال العلم لمعاونة اللجنة فى مهمتها

٥ — ابطل استعمال اللغة اليونانية فى بلاد الاناضول وفى جميع المدن الواقعة على شواطىء بحر ايجه

٦ — غير الاعلام العربية باعلام تركية

٧ — جعل لكل عائلة لقبا تركيا لسهولة تمييز الاشخاص ولسهولة معرفة العائلة التى ينتسبون

اليها ، ولقب العائلة مهمل فى مصر تجـد مثلا محمـد على بن مصطفى عمر ، وعبد القادر مصطفى بن اسماعيل حمزة وهـكذا ، فصار لـكل عائلة تركية اسم خاص بها تعرف به ، فمصطفى كمال حذف من اسمه اسم « مصطفى » وسمى نفسه كمال أتاتورك (أى أبا الترك) وعصمت باشا سمى نفسه عصمت ابن أونو (باسم الموقع الذى انتصر فيه على اليونانيين) محمد على شوقى وزير تركيا فى مصر اختار لقب «الهان»

٨ ـ انشأ مجمعا علميا تركيا كما انشأ دارا للـكتب

٩ـ أبطل المحاكم الشرعية (فى ٢٨ ابريل سنة ١٩٢٤) واحل محلها محاكم نظامية

١٠ ـ ابطل ماكان للبطريركيات وللمجالس الملية من ولاية قضائيه وجعل غير المسلمين مثل المسلمين خاضعين لقانون مدنى واحد

١١ ـ سن قوانين وضعية ، فاخذ القانون المدنى من سويسرا ، والقانون الجنائى من ايطاليا ، والقانون التجارى من المانيا وايطاليا ، وقانون المرافعات من سويسرا والمانيا . وادخـل فيها كلها وفق الاحـكام الواردة فى القوانين الفرنسوية . ومحمود اسعد باى كرد وزير العدلية سابقا هو الذى تولى وضع القوانين التركية

١٢ ـ الغى وزارة الاوقاف والامور الدينية

١٣ استبدل بالتقويم الهجرى التقويم الميلادى (مرسوم ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢٦)

١٤ ـ ابطل استعمال الارقام العربية واستبدالها بالارقام الافرنجية (مرسوم ٢٤ مايو سنة ١٩٢٨) . كما ابطل الحروف العربية واستبدالها بحروف افرنجية (قانون أول نوفمبر سنة ١٩٢٨)

١٥ ـ ابطل لبس الطربوش بالنسبة الى الموظفين من ٢ سبتمبر سنة ١٩٢٥ وبالنسبة الى الترك كافة من ٢٥ نوفمبر سنه ١٩٢٥

١٦ ـ ابطل الامتيازات الاجنبية . والغى المحاكم الاجنبية . وأبطل ماكان للدول الأجنبية من حماية دينية وحق المراقبة وحق التدخل فى شؤون الدولة

١٧ ـ رفض الاعتراف بالتعهدات الجائرة التى كانت الدول استصدرتها من سلاطين آل عثمان.

١٨ ـ ابطل جميع التكايا التى كان يأوى اليها بعض الـكسالى الذين اتخذوا الاذكار مهنة لهم وليس

لهم عمل نافع تستفيد منه الامة

١٩ ـ حول سرايات السلاطين الى مدارس .

٢٠ ـ استبدل اسم « القسطنطينيه » باسم « استامبول » . ولاكراه أوربا وغير أوربا على الخضوع والعدل بهذه التسمية أمر مصلحة البريد بان ترفض أية مراسلة تعنون باسم «القسطنطينية»

٢١ ـ نقل مليون تركى من بلاد اليونان الى تركيا . ورد الى بلاد اليونان من تركيا مليون يونانى . أراد بذلك أن يطهر الامة التركية من العناصر غير التركية

٢٢ ـ مال الى الادب والتاريخ والموسيقا فاسسها على قواعد تركية وعلى روح تركية وعلى مبادىء تركية . رأى الكتاب الذين يكتبون تاريخ الترك يشوهون التاريخ فالف لجنة تحت رياسته كلفها كتابة تاريخ صادق للامه التركية سماها «ترك تاريخى تدقيق جمعيتى» . قل من يعرف ان الترك من سلالة الحيثيين . والاقل من يعرف أن الحيثيين كانت لهم مدنية عظيمة تضارع أعظم مدنيات العالم القديم مثل مدنية قدماء المصريين وقدماء اليونان وقدماء الرومان

٢٣ ـ اسس جامعات تركية

٢٤ ـ جعل التعليم الابتدائى الزاميا فى جميع مدن تركيا وقراها

٢٥ ـ وضع المدارس الحرة تحت هيمنة الحكومة وارغمها على جعل التعليم فيها مدنيا عصريا روحه تركى محض وبهذا قل عدد مدارس الرهبات لان رقابة الحكومة ضيقت عليها فتضاءل شأنها وقل الاقبال عليها

٢٦ ـ جعل الرياضة وقوانين الصحة فرضا فى المدارس كافة

٢٧ ـ اسس بنوكا تركية .

ـ منها بنك رئيس لاصدار أوراق البنك نوت

ـ وبنك يشرف ويهيمن ويساعد الصناعات الوطنية المملوكة للافراد ويساعد تجارة أبناء الامة

ـ وبنوك تساعد صناعات الحكومة من مناجم فحم ونحاس وغير ذلك

رؤوس أموال هذه البنوك تركية . مديروها وموظفوها ومستخدموها ترك المصالح تركية . كانت النتيجة انه بعد أن كانت البنوك الاجنبية ـ وعلى الخصوص البنك العثمانى ـ تسيطر على شئون

الدولة المالية والاقتصادية والتجارية حلت محلها البنوك التركية . فتلاشت أو كادت السيطرة الاجنبية القديمة

٢٨ ـ رأى أن تأليف البرلمان من مجلسين يعطل تصريف الشئون العامة بالسرعة التى تقتضيها المصلحة العامة . فالغى مجلس الشيوخ واكتفى بمجلس نواب سماه « الجمعية الوطنية الكبرى » ملكها السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية . وملكها حق العفو وجعل الوكلاء (الوزراء) مسؤولين امامها

٢٩ ـ رأى أنه كلما كثر عدد النواب كثر الكلام وقل العمل فحدد عدد النواب بادنى حد ممكن وجعل مدة عضوية النائب أربع سنوات فقط

٣٠ ـ رأى أن تعدد الاحزاب السياسية فى البلد يسبب الفوضى فى الاخلاق ويعطل الشئون العامة فابطلها ولم يبق منها الا حزبا واحدا هو الحزب الجمهورى

٣١ ـ ساوى المرأة بالرجل فى كل شىء فى الحقوق السياسية وفى الحقوق المدنية وفى الواجبات الوطنية . فى الانتخابات . فى التجنيد . وفى المواريث . فاصبح الناخبون من الرجال والنساء سواسية . وانتخبت ١٧ سيدة اعضاء فى الجمعية الوطنية الكبرى . ودخلت سيدة فى هيئة الوزارة « السيدة خالدا ديب »

٣٢ ـ أطلق الحرية فى كل شىء وفى الوقت نفسه وضعها تحت مراقبة شديدة حتى لا تخرج عن حد محدود اذا جاوزته اضرت اعتقادا منه ان الحرية كالنار اذا لوحظت وروقبت افادت واذا تركت على هواها أحرقت ودمرت

٣٣ ـ ابطل الرتب والنياشين « استثنى الرتب العسكرية » كما حظر حمل نيشانات اجنبية

٣٤ ـ عقد معاهدة ود وصداقة مع البلاد المجاورة ايران والعراق وافغانستان . ثم نشر الثقافة التركية فى طهران وبغداد وكابل وارسل علماء من الترك ينشرون الثقافة التركية فى بلاد افغانستان كما تقبل الطلبة الافغان لتلقى العلم فى تركيا

٣٥ ـ جعل صداقة روسيا محور سياسة تركيا الخارجية لان روسيا تجاور تركيا من جهة ولانها هى التى امدت تركيا بالذخائر الحربية وبالاسلحة وبالمدافع التى قهرت بها اليونانيين واجلتهم عن ازمير وبلاد الاناضول

٣٦ـ عقد اتفاق البلقان بين تركيا ويوغوسلافيا واليونان

٣٧ـ ستعان بالالمان لتنفيذ المشروعات التركية العامة وبالمهندسين الروس لتأسيس الصناعات التركية كما استعان برؤوس الأموال الانجليزية والفرنسوية

٣٨ـ ابطل الاضراب بالمرة وجعل الحكومة حكما فى كل خلاف ينشأ

٣٩ـ رفع نير الراسمالية عن عاتق الامة

٤٠ـ بسط هيمنة الحكومة على جميع المشروعات الحيوية . رأى استبداد شركات الاحتكار بالاهالى فاشترى شركة النور والكهرباء . واشترى سكة حديد الاناضول . وابطل امتياز شركات الاحتكار الاخرى ليجعل جميع المرافق الحيوية فى البلد تحت سيطرة الامة

٤١ـ انشأ جمعيات وشركات لكشف واستغلال مناجم الفحم والذهب والنحاس والرصاص والقصدير والزئبق وغيرها . وجدوا ان منجم الفحم الحجرى الموجود فى زنجلدوق يكفى وحده لتموين جميع البلاد الواقعة على البحر الأبيض المتوسط . كما وجدوا فى بلاد الاناضول ٢٠ منطقة فيها البترول و ٤٠ منطقة فيها المانجنيز و ١٠ مناطق فيها الرصاص

٤٢ـ كان فى تركيا شركات برؤوس اموال فرنسية والمانية وبلجكية فألف شركات تركية محضة لتحل محل الشركات الأجنبية

٤٣ـ مد السكك الحديدية فى انحاء تركيا فربط المناطق البحرية بالمناطق القبلية ووصل الولايات الشرقية بالولايات الغربية فاتصلت مناجم فحم زنجلدوق ومزارع دخان سمسون وموانى القطن فى مرسين ومناجم نحاس ارجانا بسيواس والفرات وبغداد والبحر الاسود والبحر الابيض فكانت اشبه بشىء بشرايين فى جسم تركيا . نقل اليها الحياة والرخاء فى خمس عشرة سنة بعد ان لبثت اراضى موات وشقاء ٦٠٠ سنة ، وبعد قليل من الزمن تتصل سكك حديد تركيا بايران وروسيا فتتضاعف حركة الصادرات والوردات وتدر الخير على بلاد الاناضول

٤٤ـ بسط عنايته على الشئون الزراعية فشملت تربية المواشى والاغنام والماعز ليستعمل صوفها فى عمل السجاجيد والاحرمة كما شملت تربية الخيل والجمال والحمير وحتى الخنازير فزاد عددها زيادة كبيرة واطردت الزيادة سنة عن سنة

٤٥ ـ ابطال زارعة الافيون

٤٦ ـ ولتوسيع الزارعة وتشجيع الزارع :

ـ انشأ مدرسة زراعة فى انقره

ـ انشأ بنك التسايف الزراعى

ـ انشأ جمعيات تعاونية كثيرة

ـ حفر الترع فى مناطق كثيرة واصلح اراضى لم تر وجه الاصلاح من قديم الزمان

ـ منع الفيضانات بانشاء اعمال هندسية عظيمة تقى غوائلها

ـ عنى بالغابات فأمر بغرس اشجار صغيرة بدل الاشجار التى اقتلعت . ولو استمر الحال على ما كان عليه من قبل اقتلاع الاشجار الموجودة دون غرس اشجار جديدة لتلاشت الغابات من بلاد الاناضول الغنية بغاباتها

ـ وزع اراضى واسعة على الفلاحين

ـ نزع ملكية الاطيان البور المملوكة للاهالى واهملوا زرعها واستغلالها واعطاها لمن يتعهدها بالاصلاح والاستغلال لتكثر المحصولات الزراعية فتزداد ثروة البلد

ـ فكر فى نزع ملكية التفاتيش الواسعة لتوزيعها على صغار الزراع والفلاحين مع مدهم بالمواشى والآلات

ـ عنى بتوسيع زراعة الارز والعنب والتين والزيتون (زيوت) والشمام والبطيخ والبرقوق والتوت والمشمش والبندق والفستق (وتصدر منه تركيا ٥،٠٠٠،٠٠٠ كيلوجرام سنويا الى امريكا وفرنسا واليونان ومصر)

ـ وجه عناية خاصة لزراعة القطن ففى ولاية اطنه ٣،٨٠٠،٠٠٠ فدان صالحة لزراعة القطن يمكن ان يجنى منها ١،٥٠٠،٠٠٠ بالة سنويا والزيادة مطردة فى مساحة الارض التى تزرع قطنا ففى سنة ١٩١٧ كان محصول القطن ١٠،٠٠٠ بالة فوصل فى سنة ١٩٢٦ الى ١٥٠٠،٠٠٠ ترسلها تركيا الى انجلترا وايطاليا . ويقول الخبيرون انه سيأتى يوم تكون فيه تركيا من أكبر البلاد المنتجة للقطن

ـ عنى بتوسيع زراعة الشعير فزاد محصوله الى الضعف

ـ عنى بتوسيع زراعة القمح فزاد محصوله زيادة هائلة . كانت تركيا تستورد من القمح سنويا

٠٠٠ر٠٠٠ر٨ كيلو جرام ومن الدقيق ٠٠٠ر٠٠٠ر١٧٠ كيلو جرام وما هى الا فترة من الزمان (حتى سنة ١٩٣٥) حتى استغنت تركيا عن استيراد القمح والدقيق من الخارج وصدرت من فايض محصولها ٠٠٠ر٠٠٠ر١١ كيلو جرام

ـ عنى بزراعة الدخان فى ولاية سمسون وازمير وطرابزون وبورصة ، محصول ولاية بورصة وحدها بلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٥ كيلو جرام صدرته تركيا الى أمريكا وايطاليا والمانيا

ـ ولامكان تصريف المحصولات الزراعية انشأ معامل ومصانع ومحالج (للاسمنت والسكر والفخار والورق والقطن) فى جميع أنحاء بلاد الدولة لا تستعمل الا المحصولات والمنتجات التركية وأمر السكك الحديدية والمصانع والمعامل والمحالج بان لا تستعمل الا الفحم التركى ، احدى نتائج هذه السياسة ان الترك أصبحوا يشترون ما يحتاجون اليه بأثمان معتدلة (هبطت الأسعار الى النصف فى بعض الاصناف مثل الورق) بعد ان كانوا من قبل يبيعون محصولاتهم بثمن بخس ثم يعودون فيشترونها من أوربا بأغلى الاسعار ، وبهذه السياسة راجت صناعة القطن ، والصوف ، والورق ، والحرير ، والحرير الصناعى ، والمنسوجات ، والكبريت والسكر ، والزجاج ، والصينى ، والاسمنت ، والعقاقير الطبية. وقد بلغت تكاليف انشاء المعامل ٠٠٠ر٠٠٠ر٥٥ فرنك كلها رؤوس أموال تركية محضة بدون استدانة مليم واحد من أوربا ، وللوصول لتحقيق كل هذه المشروعات الوطنية البحتة اضطر الى زيادة الضرائب زيادة فاحشة وحبب الى جميع الموظفين والمستخدمين التنازل عن ثلث ماهياتهم ومرتباتهم ، ومن نتائج انشاء المعامل الكثيرة والمصانع الكثيرة والمحالج الكثيرة والمبانى الكثيرة واصلاح الاراضى الكثيرة فى تركيا كان تشغيل الايدى الكثيرة التى كانت عاطلة ، على حد قول جوته الفيلسوف الالمانى الكبير « عندما يشيد الامراء قصوراً يتوافر العمل للحوذية » وقول مفكر آخر : « الجريئون الشجعان الذين يخاطرون ويغامرون ويجمعون الشجاعة المنشئة الى الفكر المبدع هؤلاء هم عمال الرقى الاجتماعى »

ـ ولتحسين حالة الفلاحين المعيشية وتسهيل هجرة الترك المقيمين فى الخارج الى تركيا بنى منازل ريفية تعد بالالاف فشيد فى سنة ١٩٣٤ ، ٢٦٣٦ منزلا وفى سنة ١٩٣٥ ، ٧٨٩٢ منزلا ، وفى سنة ١٩٣٦ ، ٨٣٩٨ منزلا وفى سنة ١٩٣٧ ، ٩٤٩٤ منزلا

٤٧ ـ ولزيادة النسل التركى عين جوائز من ٥ جنيهات الى ٨ جنيهات لكل امرأة تلد أكثر من ستة أولاد ودل الاحصاء على ان عدد المستحقات لهذه الجوائز بلغ الآن ٣٦٠٠٠ ، وضربت الحكومة مداليات ذهبية لمن يزيد عدد أولادها على ستة .

٤٨ ـ انشأ مستشفيات ومصحات للاولاد والبنات والامهات ، جعل التطعيم مجانا والتفتيش الصحى مجانا . ووزع الادوية مجانا . كانت النتيجة انه بعد عشر سنوات هبطت الوفيات وزادت المواليد زيادة كبيرة . حسب تعداد سنة ١٩٢٧ وكان عدد سكان تركيا ١٣٥٠٠٠٠٠ نفس . وفى سنة ١٩٣٤ بلغ عدد السكان ١٧ مليونا ثم زاد الى ١٨ مليونا ؛

٤٩ ـ اسس ما يسمونه ـ بيوت الشعب ، وبيوت الشعب فى تركيا تلعب دوراً كبيراً فى الحياة الاجتماعية والثقافية ، وقد افتتح فى سنة ١٩٣٢ ، ٣٤ بيتا تضم ٢٤ الف عضو ، وزاد عددها سنة عن سنة فاصبح عددها اليوم ٢٠٩ تضم مائة الف عضو عامل . وبيوت الشعب لها نشاط كبير فى مختلف المرافق الاجتماعية والفنية والادبية واللغوية والتاريخية والرياضية . قال وزير الداخلية فى خطاب له عن عدد الفلاحين الترك المنتشرين فى داخل تركيا ١٢ مليونا من الـ ١٨ مليون نسمة التى تتألف منها الامة التركية ومن الظلم ان لا تعمل الحكومة على رفع مستوى حياتهم الاجتماعية

٥٠ ـ وجه همته الى انشاء الجيش فجعل الخدمة العسكرية اجبارية على الرجال والنساء ومدان التكليف العسكرى من سن الثالثة عشرة الى سن الخامسة والستين . فاصبح لتركيا جيش يبلغ عدد جنوده فى زمن السلم ـ ١٨ ألفا وفى زمن الحرب ١٧٠٠٠٠٠ ، كما وجه همته الى انشاء اسطول بحرى واسطول جوى . وفى نيته تأليف الاسطول الجو التركى من الف طائرة من الطراز الحديث وقد استعان بالالمان لتنظيم الجيش التركى على احسن النظم الحربية . كما استعان بالانجليز لاصلاح البحرية التركية وصنع غواصات ومدمرات من أحدث طراز . وبالالمان لتنظيم الترسانة . وبالامريكان لانشاء طائرات حربية ومطارات حربية

٥١ ـ احل التركى محل الاجنبى فى ادارة البنوك والشركات الصناعية والتجارية وتسيير القطارات ، وعودة بيع محصولاته فى أسواق أوربا بنفسه ، وتولى بناء المبانى العمومية والقناطر والكبارى وشغل جميع المناصب والاشغال التى كان الاجانب يتولونها من قبل .

التاريخ القديم

للشاعر التركى توفيق فكرت

ترجمة الدكتور اسماعيل احمد أدهم

إن الذين يترنمون بالأساطير

التى خرج بها الانسان من ماضيه انسلالا

ويعملون على أن يصرفوا نظرنا عن أنفسنا إلى آبائنا وأجدادنا

ويريدون أن يذهبوا بنا فى جوف الماضى المظلم فى طريقه الوعر الحالك

الذى هو ليل الانسانية البهيم

زاعمين أنه تراث الانسانية

جاهدين أنفسهم حتى يثبتوا نبراس الانسانية وطريقها المستقيم

فى الماضى ، حاكمين أن ما سيأتى لا يفترق عما مضى .

وكأن التجاعيد التى اجتمعت على مضى ستة آلاف عام فى جبين البشرية

مختلطة مع الشبهات والشكوك

لم تذهب معانيها سرا فى الماضى ، أعنى فى عالم الاحلام ،

أنما مجراها فى المستقبل امتداد الحاضر .

وهذا المنظر ، منظر الماضى الذى يعلو من بين صفحات الزمن

كنت أوقفها قسرا فى مخيلتى

واستوحيها ذكرياتها وحوادثها الماضية

فتجيبنى طورا فى سماحة الفيلسوف وطورا فى غلظة الشيطان

متفقدة ليل نسيانها
وبصوت مختنق وبعبارات مكتومة
تأخذ فى التحدث
وتعمل على اظهار الحوادث أمام ناظرى منى بينما صفحات الزمن
مبرزة ما فيها من الآلام ، مظهرة ما يتخللها من مصائب
فما تمضى أمامك كتيبة نصر
حتى انك ترى أنها أخذت طريقها لذلك فى الأشلاء والدماء .
فكما أنك تجد للسحابة ظلا يتابعها
فكذلك ترى الاعلام ملوثة بالدماء
ويستظل ورائها أمراء تقطر تيجانهم دماً
ثم لتنظر آلات الحرب تتابع بعضها فى مسيرها وسط الاشلاء
سيوف تلمع
وترى الجند يتقدمهم أمراؤهم السفاكون
ليتبعهم جموع الاسراء
وهكذا كان لكل كتيبة نصر عشرة مغلوبين
وسنة الحياة تجرى على أن الظالم ذو حق ، المظلوم منكور الحق
والهتافات تشق عنان السماء للمستبد
والناس دائما يمجدونهم ويمجدون فيهم صفات غرورهم
أما الشرف والمثاليات فهى توأم للمذلة دائما
إن الحق ليس فى الانسان انما على طرف اللسان
والخير ضائع تحت الأقدام والشر مرفوع الى الرقاب
والحقيقة المطلقة: الاستبداد
والبلاغة الحقة : بلاغة شمشون

الحق للقوى أعنى للشرير

وأجلى حكمة : «من لم يظلم الناس يظلم»

لا تعمل الخير ! ولا تنزل عند حكم الشرف !

فكل سعادة سراب ، وكل شىء مبدأه ومنتهاه العدم

ان الدين يطلب الشهداء وينثر حوله دماء القرابين

وفى كل آن دم وفى كل حين دم .

ان الماضى ليبكى ويتأوه من أثقال ما يحمل .

ولا يجد كيف يعبر عن سنى الانسانية المنكوبة

وانى لأرى الزبد يعلو من بحار الدماء ويتعالى اسود بين صفحات التاريخ

وتتولانى الرعشة وتخرج من قلبى الأنات !

لا شك فى أنى تلوثت فى بحر الماضى البغيض

ليلق الزمن ستائره على صفحة الماضى ويحجب عنى منظر الفاجعات

فقد سئمت وسئمنا رؤية المنازعات

أما أنت أيتها الأساطير الناخرة فى عظام الانسانية

فيكفيك ما خططته من خطوط سوداء

لقد ضقنا بسوادك ، نريد صبحا بعد هذا الظلام .

وليسعد النائمون فى ليلهم ان شاءوا النوم

أما أنت ياظل الفساد ، يا من كنت أثرا من آثار الخراب

يا من تسرع بخطاك للظلام

ما أقساك فى لعبك بالارواح

أنت يا من أبت سبب خراب أبناء عنصرى فى الانسانية

عملت على أن تقيمى روحه على تقديس البطولة

وأساسها سفك الدماء وخراب البلاد ومحو البشر

وتهديم للعمار وكأن نيران الهلاك التى تعلو من أنقاضها مظهر مفارقة الروح للبدن
أنت يامن أنت لا تعرفين معنى الشفقة ـ ـ ـ ـ آه منك
ان المكان الذى تمرين منه تتركين أحياءه موتى وعماره خراب
لا زرع ولا أخضر تتركينه حتى البابس
تطفئين شعلة الحياة وتتركين ورائك البؤس
ولا تبقين محلا يرتفع منه معنى الرغد والأمان
تحولين كل مدينة آهلة الى أنقاض تبقى كشواهد القبور
وتجردين المنازل من سقوفها وبين أنقاضها تتركين اليتامى والأيامى يئنون
فما أقسى وجدانك ! الا تعرفين معنى العار وتشعرين به
ليتخسف بك الأرض ياعنوان الظلام والظلم
ان كل نصر تأتين به عنوان خراب وعلامة دم مسفوك
أيها الفاتح ! الا يتطرق الى قلبك معانى الرحمة والانسانية
أما أنتم ياكهنة معبد الاستقلال .
ان البشرية تئن وتتوجع من استبدادكم
فليتمزق اكليل ظفركم
ما دامت الانسانية محطمة بكم .
أرأيتم آثاركم
التى جعلت اللآلىء تذرفها العيون
ولكن سرعان ما أصبحت خضراء الدمن
من كثرة ما جلته الدموع .
فبأى حق تريدون أن نخدع أنفسنا باسم الماضى
الذى ينعق عليه غراب البين
الذى هو كائن فى كل ظلام وليل بهيم .

ألا تريحونا من النظر فى ليالى الماضى بتنسم صباح المستقبل

ألم يكفكم حجركم على الافكار

وتحريمكم على الناس حياة بلا استبداد وتنكيل

ان التاريخ الذى يؤزركم ويشد من أمركم اذهبوا فى طيانه

لأن حياتكم منها ومن ليل الانسانية ونحن فى فجرها

وبنورها لنا ان نتباهى

وفى ثورتنا على الماضى لنا الحياة

حياة تنبثق منها آمالنا فى المستقبل

حيث يعلو مشعل الحرية الحقة

وحيث الطمأنينة فلا حرب ولا استعمار

ولا تسلط على البشر ولا استعباد ولا شقاء

لاشكوى لانتقاء الظلم وأصحاب السلطان

أنا أنا وأنت أنت لاسيد ولا عبد

وفى هذا المستقبل أيتها الخنساء السوداء

تبقى ماتعدينه الآن وتعدينه فى طى الذكريات

وما آلات الحرب وطاقات الظفر

تبقى الاحدى اعاجيب الزمن .

وسيذهب فى هذا الوقت أمر هؤلاء الطغاة

المتسلطين على الأفكار

ولكن متى نأمل هذا ؟

ومن ذا الذى سيحدث هذا الانقلاب ؟

واى قوة ستعمل على تعهده ؟

الذهب فى مصر

من محاضرة للدكتور حسن صادق بك

كان الذهب من أول المعادن التى لفتت نظر الانسان فى عصوره البدائية الأولى وذلك بجمال لونه ودوام بريقه ولانه من المعادن القليلة التى توجد فى الطبيعة خالصة غير متحدة بعناصر أخرى فاستعماله لا يحتاج لعمليات تحضير خاصة كما هو الحال فى أغلب المعادن الاخرى .

وقد وجد فيه الانسان خير مادة لصياغة الحلى للتجمل والزخرفة وللطقوس الدينية ثم وجد من خواصه انه خير مادة تصلح لصناعة النقود للتعامل

ومع أن الذهب شائع الوجود فى كثير من الصخور وحتى فى ماء البحر وفى النباتات فانه يكون عادة فى كميات ضئيلة لا تسمح بالاستغلال الا فى بعض نقط محصورة ومن ثم كان ارتفاع قيمته . وقد بلغ اهتمام الانسان بالحصول على الذهب فى العصور الوسطى ان انحصرت جهود الكيمائيين فى تلك العصور نحو تحويل المعادن الخسيسة كالرصاص والنحاس الى الذهب . واذا هم لم ينجحوا فى تحقيق الغرض الذى كانوا يسعون إليه فقد أسفرت العمليات الكيمائية التى قاموا بها عن وضع الاسس الاولى لعلم الكيمياء

وكان القطر المصرى اكبر بلد منتج للذهب فى العصور التاريخية القديمة على أن المناجم المصرية اهملت بانتهاء الاسر الفرعونية وانصرفت عناية البلاد المتمدينة بعد ذلك الى الحصول على حاجتها من الذهب صوب مناطق أخرى باوربا وآسيا

ولم يبلغ انتاج الذهب فى العالم حدا كبيرا الا بعد أن كشفت القارة الامريكية عام ١٤٩٢ وقد قدر ما أنتجه العالم من الذهب منذ ذلك الوقت حتى نهاية عام ١٩٣٧ بما يبلغ ٦٢٦٠ مايون أوقية من الذهب الخالص قيمتها حسب الاسعار الحالية ٨٨٠٠ مليون جنيه . منها ٤٠ فى المائة من القارة الامريكية و ٣٠ فى المائة من أفريقيا و ١٥ فى المائة من استراليا و ١٥ فى المائة من قارتى أوربا وآسيا

وقد زاد الانتاج زيادة كبيرة منذ عام ١٩٣٧ وحدها نحو ٢٥ مليون أوقية . ومع ان مواطن الذهب فى كليفورنيا وكنـدا اشتهرت فى أواخر القرن الماضى فان أهم بلاد انتاجه فى الوقت الحالى هى بلا شك افريقيا الجنونية

ويوجد الذهب فى الطبيعة على حالتين

الاولى — متخللا بعض العروق المعدنية التى تخترق بعض الصخور

والثانية — فى الرمال والحصا فى بطون الوديان وعلى شواطىء البحار

أما استغلاله فى الحالة الاولى فيقتضى حفر المناجم تتبعا لهذه العروق فى تعمقها فى جوف الارض لاقتلاع مادة هذه العروق ورفعها للسطح لتكسيرها وطحنها وخلطها بالماء ثم مرور هذا الخليط على سطوح مناضد مغطاة بالواح من النحاس تعلوها طبقة من الزئبق الذى يمتاز بقابليته لالتقاط لذهب واذابته فى مادته وتكوين ملغم يمكن معالجته بعد ذلك فى انابيق لتبخير الزئبق وفصل الذهب عنه . وهناك حالات يقتضى الامر علاوة على ذلك معالجة الرمال بمحاليل سيانور البوتـاس او الصوديوم لاستخلاص الذهب منها .

اما فى رمال الوديان الانهار وعلى شواطىء البحار فيوجـد تبر الذهب اما منتشرا بينها او فى كريات مستديرة قد تبلغ بعضها حجما كبيرا كتلك الكتلة الذهبية التى عثر عليها فى استراليـا عام ١٨٦٩ فى اثر مرور عجلات عربة نقل ثقيلة وكانت تزن ٢٥٢٠ اوقيـة من الذهب الخالص قيمتها ١٧ الف جنيه

واستخلاص التبر من الرمل هو عادة بغسلها من الماء اذ ينفصل التبر عـن باقى المواد بحكم ثقله الكبير وقد يستعمل الزئبق ايضا تسهيلا للاستنباط

اما فى القطر المصرى فان ما وجد من الحلى الذهبية فى مختلف العصور التاريخية يدل على عظيم اهتمام قدمـاء المصريين باستعمال هذا المعدن فى مختلف الاغراض كما ان ما سطروه على جـدران معابدهم وفى بعض اوراق البردى يـدل على ان الذهب الذى استعملوه كانوا يحصلون عليه من المناجم المصرية نفسها وقد كانت الممالك المعاصرة لهم تنظر الى مصر للحصول منـه على حاجتهم من هذا المعدن الثمين .

كذلك اشتغلت مناجم الذهب المصرية ابان حكم العرب كما حدثنا عن ذلك المقريزى وغيره من مؤرخيهم . على ان ستارا كثيفا من النسيان اسدل بعد ذلك على هذه المناجم الى ان ازاحه مجدد عز مصر محمد على باشا الكبير مؤسس الاسرة العلوية الكريمة بفضل البعوث العلمية التى اوفدها الى الصحارى فاماطت اللثام عما بها من معادن ومناجم على ان استغلال مناجم الذهب المصرية لم يبدأ فى العصور الحديثة الا فى اواخر القرن الماضى واستمر استغلال بعضها حتى عام ١٩٢٧ فبلغ مجموع انتاجها فى تلك الفترة حوالى ٨٦ الف اوقية . وصعوبة النقل كل ذلك جعل الغلة أقل من التكلفة فاهملت المناجم

حتى اذا جاء عام ١٩٣٣ واضطرب النظام المالى فى أغلب الامم وخرجت معظمها ومعها انكلترا عن عيار الذهب فانخفضت العملات وارتفع سعر الذهب فاصبح سعر الأوقية من الذهب الخالص سبعة جنيهات بعد أن كان فى أوقيته العادية لا يزيد على أربعة جنيهات ونصف . واذ كانت تكاليف الانتاج لم تزد الا قليلا مع تحسين محسوس فى وسائل النقل بما طرأ على صناعة سيارات النقل من تحسين كبير فقد رؤى أن الاحوال قد تغيرت تغييرا محسوسا يشجع على التفكير فى اعادة فتح بعض هذه المناجم واستغلالها . فقامت الحكومة المصرية بالبحث بواسطة شبان من المصريين تخصصوا فى هذه العلوم ورؤى أن من الخير استغلال منجم الذهب بجبل السكرى على شاطىء البحر الاحمر على مسافة ١٥٠ كيلو مترا جنوبى بلدة القصير . وقد اجريت مباحث عن استعمال الماء المالح فى عمليات الاستنباط لاول مرة فى هذا المنجم فاسفرت عن نجاح قلل لحد كبير الاثر السىء الذى لندرة وجود الماء العذب فى تلك الجهات . وقد جهز المنجم بوحدة استغلال صغيرة وبدأ الانتاج منه فى يوليو سنة ١٩٣٧ وبلغ مجموع انتاجه فى الشهور التسعة الماضية حوالى ١٧٥٠ أوقية قيمتها ١٢٠٠٠ جنيه تقريبا

وباستمرار أعمال الفحص بالتعمق فى جوف الارض اتضح وجود كميات من المعدن تسمح بتوسيع عمليات استغلال آخر لمضاعفة الانتاج والمنتظر أن يتم ذلك فى غصون الشهر القادم فتتضاعف كميات الذهب الناتج مع اضافة قليلة للتكاليف

وقد شجعنا النجاح الذى صادفناه فى السكرى على امتداد البحث فى مناجم أخرى فاختبر لذلك

منجم آخر بجبل أم الروس القريب من السكرى والامل معقود على أن تـكلل هذه البحوث أيضا بالنجاح فتبدأ فيه أيضا عمليات الاستغلال ولقد تحقق ما كانت تصبو اليه الحكومة من هذه البحوث فاتجهت انظار بعض الافراد والهيئات من المصريين والاجانب الى بحث بعض مناجم الذهب الاخرى وبدأت الحياة تدب مرة أخرى فى مناجم الذهب المصرية

الكتب الجديدة

مجلة مجمع اللغة العربية

اصدرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة صفحاتها ٣٧٣ من القطع الاكبر
طبعت بمطبعة بولاق الحكومة. بمصر

هذا هو العدد السنوى الذى يصدره مجمع اللغة العربية عن ابحاثه والالفاظ التى يستقر رأى اعضائه عليها . ويعرف القراء اننا نرى ان مجهود هذا المجمع عبث فى عبث بل نستطيع ان نقول ان هذا المجمع فى نزعته الحاضرة هو هيئة تضر بالاجتماع السلمى . فانه يدعو الى حركة انفصالية من العالم المتمدن . لأنه اذا كان هذا العالم المتمدن يتفق على الفاظ عامة مشتركة فى العلوم التى تبلغ الآن نحو ١٢٠ علما فان هذا المجمع يحاول الانفصال باختراع كلمات عربية تؤدى معانى هذه العلوم . ونتيجة هذا المجهود اذا نجح فيه هذا المجمع اننا ننفصل عن العالم فى الفاظه . ثم فى حين يمكن الفرنسى او الالمانى او الروسى ان يقرأ اى كتاب، علمى فى لغة اخرى باقل مجهود ـ لاشتراك الالفاظ العلمية فى لغته واللغات الاخرى ـ يعجز المصرى عن درس هذه العلوم فى اى لغة اخرى . وقد بلغت هذه النزعة بالمرحوم الاستاذ السكندرى ان حاول ان يترجم الالفاظ الكيميائية مثل اوكسجين وايدروجين

وقد بلغ ما كلفنا هذا المجمع منذ انشائه نحو خمسين الف جنيه وهذا مبلغ كبير جدا كان يمكننا ان ننفقه فى معالجة امراضنا او فى ايجاد نوافذ او مراحيض فى منازل الفلاحين . وعندنا ان احسن ما يمكن ان نفعله مع هذا المجمع هو الغاؤه . فاذا لم نستطع ذلك فان خير ما يمكن ان يكلفه من الاعمال هو تحرير لسان العرب وطبعه سليما من الاغلاط . فاذا انتهوا من هذا العمل وكل اليهم عمل اخر من نوعه

واذا كان القارىء يظن اننا نتحامل فلينظر فى هذا الذى ننقله جزافا من صفحة ٢٨٣ وليسأل نفسه هل من العدل ان يؤخذ من خزانة الدولة اكثر من خمسين الف جنيه لكى تقرأ هذا الكلام؟

قالت المجلة « ويقولون صدر الرجل : اذا أصيب صدره . فهو مصدور . ورئى من الرئة . وفؤد من الفؤاد . فهو مفئود . ومعت عليه امعاؤه . وفخذ الرجل كسرت فخذه . فهو مفخوذ . ورأيته ضربت رئته . وبطنه ضربت بطنه . واعلمته جعلته اعلم . أى مشقوق الشفة العليا . وسرنى أصاب سرتى . وذقنته ضربت ذقنه . ويقولون : اسفرت الحرب عن مئات من الصرعى . هذا مدموغ وهذا مكتوف . وهذا مصدور . وذاك مجنوب . وذاك مفخوذ . أى مصاب بدماغه أو كتفه أو صدره أو جنبه أو فخذه . وجافه الطعن والدواء وصل الى جوفه . وجبهت الرجل ضربت جبهته وكشحته ضربته فى كشحه . وانفت الرجل ضربت أنفه . وأنف هو وجعه أنفه . وأذنته اذا ضربت أذنه » الخ الخ . فهل ننفق خمسين أو ستين الف جنيه لكى نسمع هذه الرطانة العربية .

فى الفكر اليهودى

تأليف الدكتور هرتز وترجمة الدكتور الفريد يلوز صفحاته ٤٤٦ من القطع المتوسط
طبع بمطبعة مجلتى بمصر

هذا الكتاب هو مختارات من المؤلفات اليهودية منذ أقدم العصور الى الآن . وهو مجموعة فاخرة من ألوان التفكير اليهودى فى الشئون اليهودية أو فيما يتصل بالأخلاق من ناحية النظر اليهودى ولكن ليست كل المختارات من الكتاب اليهود . فان كثيرا غيرهم قد اختيرت منهم مقطوعات لانها تتصل باليهود ماضيهم أو حاضرهم لغتهم أو عاداتهم أو ديانتهم . وأحسن ما يدل على هذا الكتاب الثمين أن ننقل للقارىء بعضاً من مقتبساته . فاليك ما يقوله لوسيان وولف (سنة ١٩١٠) عن الصهيونية .

« الصهيونية هى التى خلفت مباشرة شعور الارتباط بصهيون . ذاك الشعور الذى قاد سبايا بابل الى بيت المقدس فاعادوا تشييده فى عهد زرو بابل . ذاك الشعور الذى اشتعل فى نفوس الميكابيين فكافحوا كفاح الابطال امام قوات انطوخوس ابيفانوس . فالفكرة القائلة بأن الصهيونية تعود بتاريخ اليهود الى الوراء هى من قبيل الجدال الوهمى . اذ أن الاغلبية الساحقة من الشعب اليهودى ظلت خلال العصور والاجيال متعلقة بامالها فى اعادة تشييد حياتها القومية بارض يهوذا . فالحركة الصهيونية هى أعظم بل أشهر حركة يعرفها التاريخ اليهودى من أقدم الازمنة »

وهاك ما يقوله هرتس عن أورشليم (سنة ١٩١٧) «اورشليم مركز الدين الطاهر وموطن النبوة والمنهل المقدس الذى خرجت منه كلمة الله - هى الرمز الحقيقى لخلود الروح التى لا تموت - لقد عاصرت اليهود وعاصروها خلال تاريخها البالغ من العمر أربعة آلاف عام - وهى فريدة المدن - كما أن اسرائيل وحيد الشعوب - فتلك العاصمة الروحية مدينة اسرائيل المقدسة - التى ظلت مدى الاجيال قبلة أنظار الشعوب ومحط رحال الجماعات - وموضع تبجيل النوع الانسانى - خالدة مثل اليهودى المنتمى اليها لقد صوبت اليها النار والحديد - وجميع آلات التدمير والتخريب - فعادت خائبة - لقد اعتبرها عشرون فاتحا اكليل غار يتوجون به هاماتهم - فحولت اثنتى عشرة مرة الى اطلال - ولم يبق فيها حجر على حجر - لقد أحرقها البابليون واجلوا عنها أهليها - لقد ذبح الرومان مليونا من سكانها . وجعلوها من أنقاضها أرضا مساوية . ومروا عليها باسنة المحراث . والقوا فى خطوطها ملحا . لقد منع هادريان الناس من التلفظ باسمها . فجعله «اتيليا كابيتولينا» وحظر على اليهود اجتياز حدودها . والا كان نصيبهم الاعدام . لقد استولى عليها الفرس والبرابرة والاتراك والصليبيون مرة تلو المرة ونهبوا واضرموا النار فيها . ولكن يا للمعجزة ! نفضت عنها النار وخرجت من الرماد . لكى تعود الى الحياة عظيمة منتصرة . والآن . فى نفس اليوم الذى سجل انتصار يهوذا مكابى منذ ألفين وثمانين عاما عندما أنقذها من يد الوطنيين نرى المدينة المقدسة تنتقل الى الايدى البريطانية - حقا أنه لفضل عظيم من الله أن نعيش فنشهد هذا الحدث التاريخى العالمى»

ومثل هذا الكتاب يجب أن يقرأ فى الظروف الحاضرة وفى ظل الصراع القائم بين العرب واليهود فى فلسطين .

نوابغ الشباب

تأليف الاستاذ احمد قسم جودة صفحاته ١٥٢
من القطع الكبير • مطبعة دار الهلال • مصر

يتناول هذا الكتاب تراجم عشرة من عظماء الشباب فى التاريخ من طرفة بن العبد الى مصطفى كامل ومن وليم بيت بيت الى اندريه شينييه . والمؤلف من شبابنا الناهض قد تخرج من

الجامعة منذ سنوات وانغمس فى معترك الصحافة السياسية : وهذه التراجم مع بعدها عن الصحافة أو السياسة تمت الى العصر الحاضر من حيث نهضة الشباب ونزعاته . وقد افتتح هذه التراجم بترجمة الاسكندر . وقال فيها : « ما زال اسم الاسكندر المقدونى يقترب فى أذهان عدد كبير من المسلمين لعله الاغابية الساحقة — باسم « ذى القرنين » الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم . فيأبى كثيرون الا ان يحاولوا اثبات ان الاسكندر المقدونى هو ذو القرنين نفسه . ولهذا يحوطونه بشىء من التقديس »

والقارىء لهذه العبارات يفهم ان المؤلف لا يعتقد ان المقدونى هو ذو القرنين . مع انه لو تأمل صورة الاسكندر المرسومة على النقود التى سكت فى عصره لوجد القرن . وهو قرن أمون الذى انتسب اليه الاسكندر . والقرون عند القدماء رمز القوة والبأس . وقد سبق ان نشرنا صورة الاسكندر فى هذه المجلة وقرن أمون واضح على رأسه

وأسلوب المؤلف رصين سلس . وهو قصاص أكثر منه مورخا .

آدوار موسيقية جديدة

أهدى الينا المعهد الملكى للموسيقا العربية بعض مطبوعاته وبها هذه الكلمة :

لما كانت الحاجة ماسة الى متطوعات موسيقية عربية يعتمد عليها الطلبة والهواة فى دراساتهم فقد وفق المعهد الملكى للموسيقى العربية الى تدوين طائفة مختارة من البشارف والسماعيات المتداولة المشهورة بالعلامات الموسيقية من أدق وأوثق المصادر واعداد ما للآلات الوترية فقط لتدريسها بالقسم المدرسى للمعهد . وقد روعى فيها منتهى الضبط والدقة والامانة فى النقل والمحافظة جهد الامكان على ووح المؤلف وأسلوب أدائه (طاوره) باشراف لجنة من كبار أعضائه الفنيين

ورغبة من المعهد فى نشرها وتعميم تداولها على وضعها الصحيح تحقيقا للغرض الذى أنشىء له المعهد من خدمة الموسيقى العربية فقد عنى بطبعها وقد انجز منها الآن المقطوعات الآتية :

بشرف راست طاطيوس . سماعى راست طاطيوس . بشرف عشاق عثمان بك . سماعى بياتى عزيز دده . بشرف نهاوند عثمان بك . سماعى نهاوند يوسف باشا . مربع البياتى . سماعى بياتى دازج

كتب أخرى

جاءتنا هذه الكتب التالية متأخرة . وربما تناولناها بالعرض والنقد فى أعداد قادمة :

« التفسير الكبير للامام الفخر الرازى » الجزء الاول من هذا التفسير الكبير ٢٩٣ صفحة من القطع الاكبر . طبع بالمطبعة المصرية بمصر . وقد ولد فخر الدين الرازى سنة ٥٤٣ ومات سنة ٦٠٦ هـ . وهو يعتمد فى التفسير على العقل وقلما يستند إلى النقل . ولغته لا تختلف عن لغة جرائدنا ولذلك يمكن الشاب المصرى ان يقرأه ويفهمه . والورق حسن والطبع نظيف

« مفرق الطرق » تأليف الاستاذ بشر فارس . درامة فلسفية صوفية قصيرة فى ٣٧ صفحة من القطع الكبير — مطبعة المقتطف بمصر

« حياة الناصرى » تأليف رزق عبد السيد . ترجمة السيد المسيح فى ٣١ صفحة

«معالم باريس» مع وصف شامل لرحلة فى اليونان وسويسرا . تأليف شفيق رزق الله ، صفحاته ١١٢ من القطع المتوسط — مطبعة الأمة بدمنهور

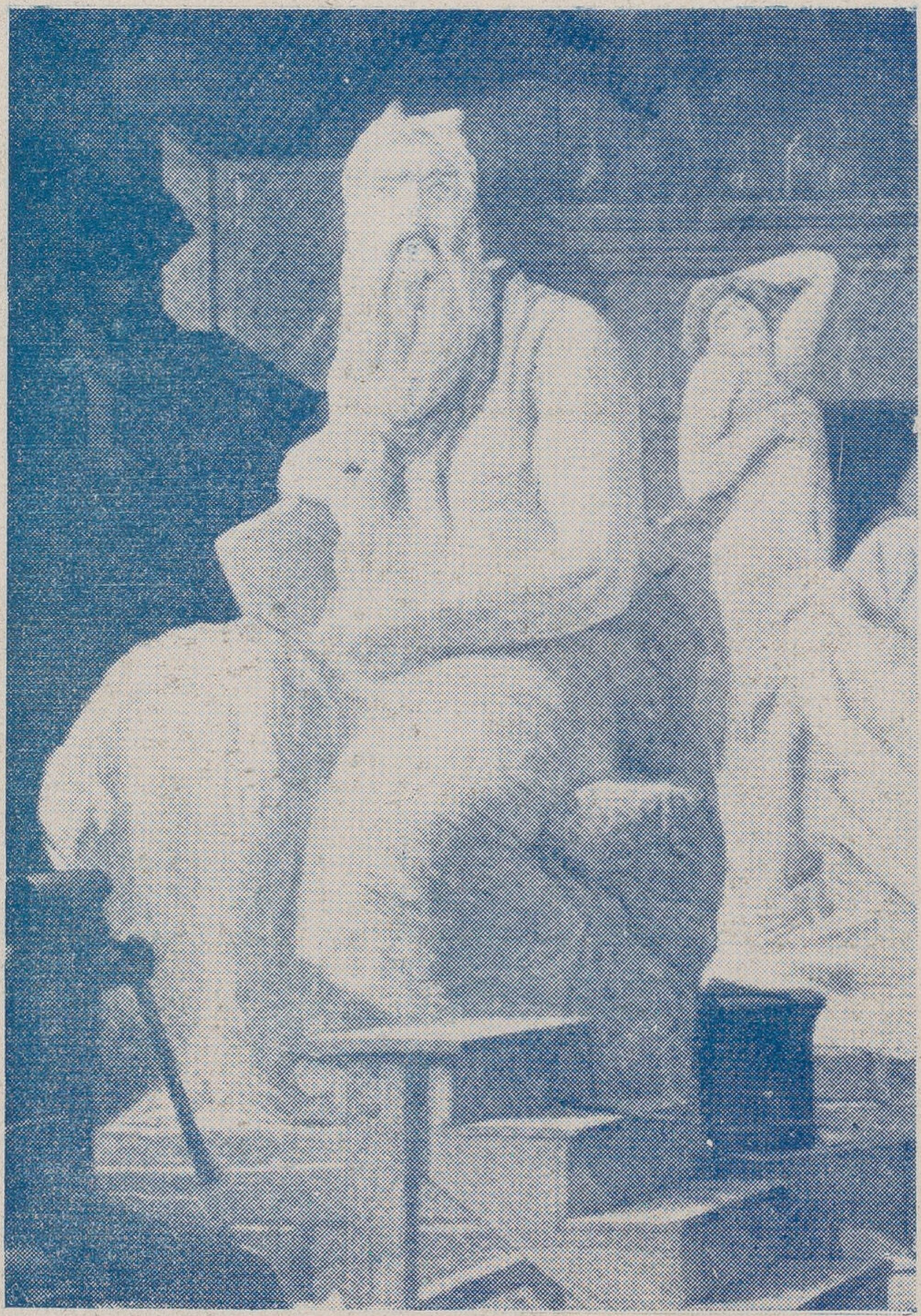
«الجمرة الاولى» مجموعة قصص عراقية تحليلية ، تأليف يعقوب بلبول، صفحاته ١٥٢ من القطع المتوسط ـ مكتبة المعارف ببغداد

(الضحايا) مجموعة من القصص تأليف ذو النون أيوب ، صفحاته ١٠٦ من القطع الصغير ـ مطبعة النهضة ببغداد

عقدت فى الشهر
الماضى خطبة صاحبة
السمو الملكى الاميرة
فوزية شقيقة صاحب
الجلالة الملك الى
صاحب السمو
الامبراطورى الامير
شاه بور محمد رضا
ولى عهد ايران .
فنقدم لسموهما
ولاعضاء البيتين
العظيمين اسمى التهانى

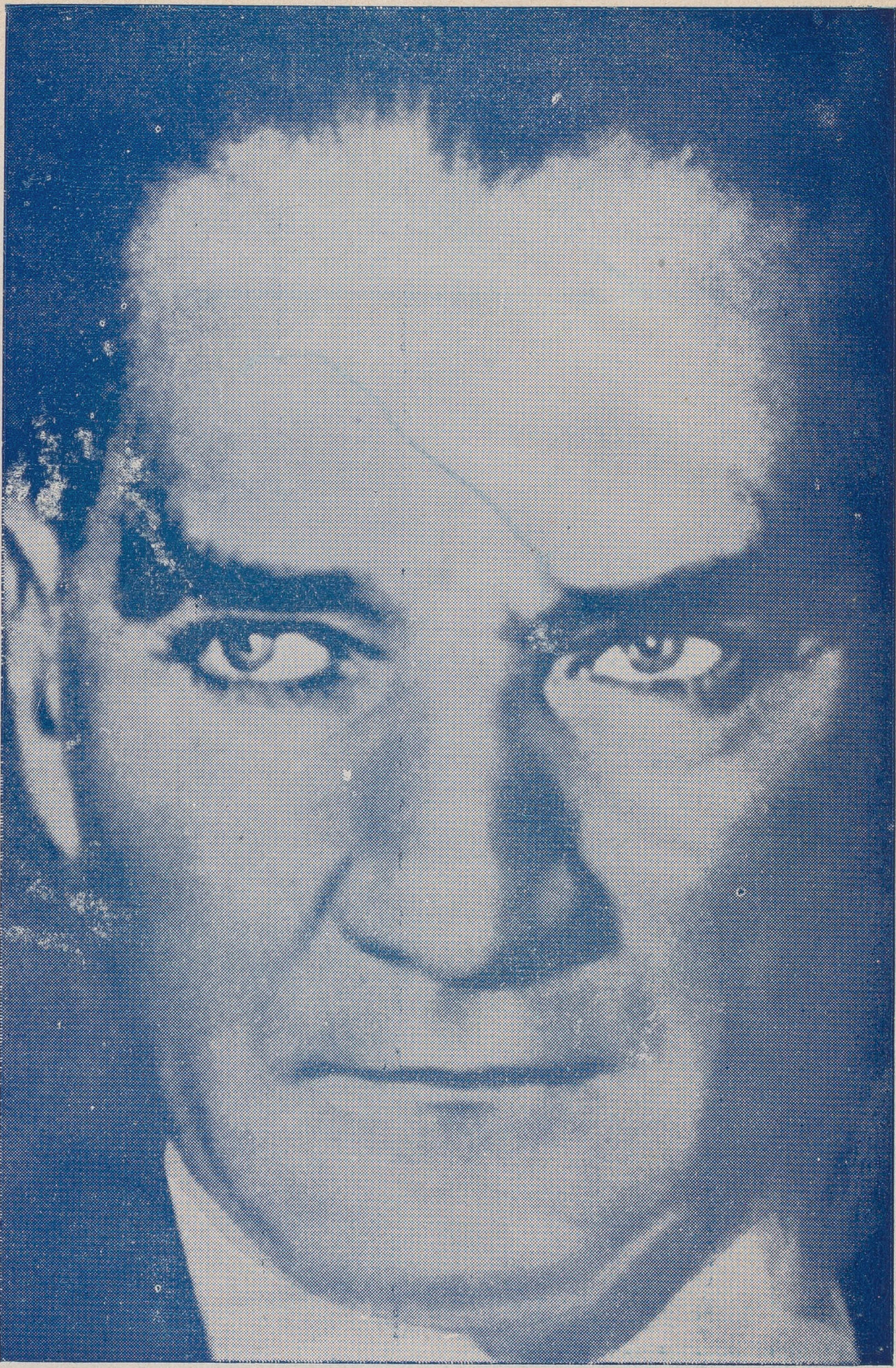






تمثال موسى

لمكائيل أنجلو (١٤٧٥ : ١٥٦٤)



اتاتورك كمال

مجدد تركيا الحديثة

مرض الببغاء

كثير من الامراض التى تصيب الحيوان ينتقل الينا . فان التدرن ينتقل من البقر الى الانسان والسعار ينتقل من الكلاب الى الانسان . والجمرة الخبيثة تنتقل من الخراف الينا . وكذلك الجرب ينتقل من القطط الى من يلاعبها . وكذلك الشأن فى الكلاب .



بل هناك من يعتقد أن التدرن ينتقل من الكلاب الى الانسان . وقبل أعوام تفشت فى العالم وافدة دعيت مرض الببغاء وهى حمى تنتقل من الببغاء الى الانسان . وهى فى عوارضها تشبه الحمى التيفوئيدية فان الحرارة ترتفع ويعلو اللسان وبر جاف ويرعف الانف ويقيء الانسان. وقد تكون الاصابة حايمة فيشفى المريض ولكنها قد تتطور الى نزلة رئوية . وثلث المرضى عادة يموتون . فاذا كنت ممن يربون الببغاء فاحذره إذا رأيته قد كمش كأنه يشكو البرد وإذا امتنع عن الطعام . ولا تفعل ما تراه فى هذه الصورة بل اعزل الببغاء حتى يشفى أو يموت

منافرة الديكة

يرى القارىء هنا صورة غريبة هى مخالب الساقين لديك قد ارصد للقتال . وخلف كل ساق قد ركبت شفرة حادة لها ذباب قاطع . فاذا تقابل ديكان وحرش بينهما للمنافرة شرعا فى القتال فيعمل كل منهما مخالبه فى الآخر .



مخالب الديك المقاتل

فاذا لم تكف هذه المخالب ففى المخلب الخلفى اى الشفرة الحادة المركبة ما يكفى لتمزيق الخصم ويرى القارىء ايضا كيسين مبطنين بالقطن والقش يراد بهما تمرين الديكة على القتال حتى لايجرح احدهما الآخر وقت التمرين

ومع ان جميع القوانين تحرم قتال الديكة فان هناك مباريات سرية تجرى فى الخفاء بعيدة عن اعين البوليس ويخاطر على الديكة كما يخاطر على خيول السباق . والحكومات تطارد هذه المقامرة لما فيها من قسوة بالديكة التى تنتهى كل مباراة فيها بقتل واحد أو أكثر منها

فهرست

صاحبها ومحررها
سلامة موسى
المجلد السابع

المجلة الجديدة

العدد السادس
من
السنة السابعة

حارة جاد شارع الفجالة — مصر

يونية ١٩٣٨

لماذا لا نصلح وطننا

نشرنا فى الشهر الماضى مقالا للاستاذ عزيز خانكى عن التقدم الرائع الذى احرزته تركيا منذ ان تولى حكمها العظيم اتاتورك . وليس فى المقال عبارة واحدة مزوقة يراد بها التأثير فى القارىء وخدعه عن الحقائق . وانما هو قائمة صريحة بالاصلاحات التى تمت على يديه او اشرف عليها او أوحى بها وحبذا اللغة العربية يتبع فيها هذا الاسلوب الذى ينأى بنا عن البرقشه والبهرجة حتى يصبح الكاتب صديقا صريحا للقارىء لا يحتال عليه بافانين البلاغة والفصاحة . وهى افانين يبدو من جميع الذين مارسوها انها لم تستعمل الا للتعمية والابهام وليس للايضاح والتفكير

ويمكن القارىء ان يرجع الى هذا المقال لكى يرى المجهود الوطنى العظيم الذى بذله اتاتورك فى نقل وطنه من الحضيض ورفعه الى الحرية والمسئوليه . فقد ذكر الاستاذ عزيز خانكى ٥١ اصلاحا تختلف من انشاء البنوك التركية الى توزيع الارض على الفلاحين. ومن الغاء مجلس الشيوخ الى توزيع الادوية بالمجان على المحتاجين . وقد اصبحت تركيا بفضل هذا المجهود امة حديثة لا يختلف الجو الذهنى والاجتماعى والسياسى فيها عما هو فى انجلترا او فرنسا او المانيا . وانتقلت عقلية اتاتورك الى افراد الامة فصاروا كلهم مصلحين ينشدون الحرية والمسئولية . تتصفح جرائدهم او مجلاتهم فلا نجد غير الموضوعات الهامة التى تخدم الرقى العام سواء اكان هذا بتقوية الجيش ام بانشاء المدارس ام

بتحسين اللغة حتى تصير اداة للتعبير الدقيق الذى يطلبه العقلاء المثقفون ام ببناء المسا كن النظيفة أم بزيادة الثروة ام غير ذلك

وكان يمكن مصر تسبق تركيا فى هذا الرقى لان الواقع اننا كنا قبل سنة ١٩٢٠ اسبق منها ولكن لم يتح لنا الحظ ان يتولى زعامة الامة عندنا رجل مثل اتاتورك يدرك ببصيرته ان العالم الحديث غير العالم القديم ويندفع بنا فى تيار الحضارة الحديثة

واسوأ ما نعانيه اننا فى الحضيض من حيث التفكير او النشاط الاجتماعى والسياسي والاقتصادى ولا ندرى اننا فى الحضيض . وضمير الشباب فى الامة مريض حتى صاروا ينشدون فى الدمار مجدا ويتحمسون لالوان من الضعف واهمين انها الوان من القوة . والعارفون فى الامة يختنق صوتهم فى وسط الضجيج القائم حولهم . فيصمتون وييأسون. بل ان هؤلاء العارفين انفسهم ليست بينهم رابطة ايديولوجية تربطهم وتوجههم نحو غاية او غايات اصلاحية متقاربة تجعل حتى تترابطهم ونضامنهم فائدة ترجى للوطن

الا يكون من السداد ان نبعث الى تركيا ببعثة تبحث عن الرقى بين الاتراك . لماذا يتحقق بهذه السرعة وهذه الهمة ونحاول بعد ذلك ان نصلح وطننا ؟

أتقوية الجيش أم تمدين البلاد؟

يكاد الأجماع ينعقد بين ذوى الرأى فى مصر على أن أول ما تحتاجه البلاد وما يجب عليها ان تعنى به — بعد ان حققت استقلالها — هو تقوية الجيش! ولقد عبر عن ذلك خطاب العرش الأخير فى عبارة بليغة أذجاء فى صدره:

« ان أول الغايات جيش كبير العدد قوى العدة لا تبتغيه البلاد زينة وانما تحسه ضرورة لا بد منها ولا مندوحه عنها، يقضى بها ما نشاهده حيثما وجهنا النظر من جيوش وأساطيل فى البحر والهواء ومن استزادة مضطردة فى العدد والسلاح، وتحتمها ما يغشى العالم من جو مضطرب تدوى فى ارجائه المصادمات ولا تؤمن فيه المفاجأت »

وفى اعتقادى ان هذا الأتجاه خاطىء ضار بمستقبل البلاد أو على الأقل مؤخر لما نرجوه لها من تقدم سريع، وان ما يدفعنا الى هذا الأتجاه هو الحماسة الوطنية ليس الا. ولكن اذا مافكرنا فى الموضوع ملياً ووازنا الأمور بميزان العقل لا العاطفة تبينا ان هناك ما هو أهم من الجيش وأحق بعنايتنا منه. وفيما يلى دليل ما أقول:

لاشك ان مصر متأخرة فى كافة نواحى المدنية، وأنها فى أشد الحاجة الى ضروب شتى من الأصلاح. ونظرا لأن بلادنا فقيرة محدودة الموارد، وانشاء جيش يعتد به فى أقرب فرصة يكلف مبالغ جسيمة، فأن الاندفاع فى الصرف على الجيش معناه تأخير الأصلاح فى النواحى الأخرى. فهل يوازى تقدم الجيش تأخير فى ضروب الأصلاح الأخرى؟ وهل تستلزم الحاجة حقا الأسراع فى انشاء جيش كبير العدد قوى العدة وتكليف أنفسنا فى سبيل ذلك ما لا طاقة لنا به؟ وهل فى امكاننا حقا ان ننشىء فى وقت قريب جيشا يقف على قدم المساواة مع بقية الجيوش المعدوده؟ هذه هى الأسئلة التى يجب ان نفكر فيها مليا، وعلى ضوء ما نصل اليه من إجابات يمليها العقل لا العاطفة،

علينا ان نقرر الخطة التي يجب أن تسير عليها السياسة الأصلاحية

ان اعتبارنا لأنفسنا كأمة متمدنـة لايخلو من المغالطة فمستوى التعليم والثقافة عندنا منخفض جدا ومستوى المعيشة للأغلبية العظمى من السكان فى أشد حالات الانحطاط أوكما عبر عن ذلك خطاب العرش « دون المستوى الذى اصطلحت الانسانية على تحقيقه للفرد وللجماعه التى يعيش فيها» والصناعه وهى قوام المدنية العصرية مازالت عندنا فى طور النشوء. ولقد اثبتت الحوادث ان الدول المتأخرة إذا ما انهزم جيشها فقدت كيانها كدولة : وأقرب الأمثلة على ذلك مصر بعد انهزام جيش عرابى باشا أمام الانجليز والحبشة بعد انهزامها أمام الأيطاليين . اما الدولة المتمدنة فلا يمكن ان تزول او تستعمر اذا ما انهزم جيشها. وأمامنا البلجيك قد اكتسحهم الألمان فى الحرب العظمى ولكن الحرب ما كادت تنتهى حتى عادت بلجيكا الى ماكانت عليه ، بل المانيا نفسها قد هزمت فى الحرب ولكنها لم تفقد كيانها ولم تستعمر وها هى تعود بعد بضع سنوات الى قوتها القديمة

أنا لاأقول بأهمال الجيش كلية ، وحاشا ان يقول مصرى بذلك . ولكنى أدعو الى التدرع بالتأنى فى مشروع يستغرق الاندفاع فيه جل الميزانية ويحجب باقى المشروعات الكبيرة . أدعو الى ان تكون خطتنا فى الأصلاح تقديم الأهم على المهم ؛ وتقـوية الجيش ونحن على ما نحن فيه من تأخر لايمكن اعتبارها أهم الاصلاحات . ولنضع نصب أعيننا ان جيشنا قويا ليس وراءه أمة قوية بأخلاقها وعلومها وفنونها وصناعاتها لاقيمة له . ومن حسن الحظ ان الظروف السياسية لاتدعونا الى العجلة فى تقوية الجيش أذ تضمن لنا دفاع بريطانيا العظمى وحلفائها ضد اى اعتداء على اراضينا وليس فى ذلك ضرر ولا عار مادام ليس منه بد ومادمنا قد ارتضينا محالفة الانجليز

ومن خطل الرأى ان نعتقد ان فى الأمكان انشاء جيش يقف على قدم المساواه مع بقية الجيوش المعدودة فى بضع سنين ، مهما بذلنا فى سبيل ذلك من مال وجهد ! ان الحرب الآن لم يعد قوامها كثرة العدد أو شجاعة الجند ، ولكنها صارت حرب آلات وعدد قبل كل شيء ، حربا علمية ميكانيكية فهل فى إمكان أمة زراعية مازالت الصناعه فيها تحبو ان تعد جيشا قويا يمكنه ان يستقل بالدفاع عن سلامتها ضد أعداء أقوياء ؟ أفى طاقتنا حقا انشـاء جيش قوى يمكـن ان يقف منفردا أمام الجيش الأيطالى مثلا ، وليس فى البلد الى الآن معمل واحد لصناعة السيارات او الطائرات ؟ ! أمن المعقول

ان يكـون هناك جيش قوى العدة حقا ، بينما هو يعتمد كل الاعتماد فى هذه العدة على فضلات غيره من الجيوش ؟ ! ان علينا ان ننشىء كـثيرا من الصناعات الحديثة فى بلادنا اولا ، وعندئذ يكـون لنا ان نطمع فى انشاء جيش قوى عظيم فى أقصر وقت وبأقل تكاليف

أما الآن فواجبنا اولا وقبل كل شىء ان نصرف جل جهودنا فى تمدين البلاد . علينا ان نسلح القطر بتنمية موارد الثروة وانشاء الصناعات المختلفة ، علينا ان نزود جيوش الأهالى بالعلوم والفنون والمال والصحة والخلق ، علينا ان نعود فرق الشباب استقلال الرأى وحرية الفكر وتقديس الوطن . لنعمل على ان يكون عندنا المصانع والجامعات والمعاهدات ذوات الشهرة العالمية، لنعمل على ان يكون منا المخترعين والعلماء والفنانين والساسة المعروفين لدى العالم أجمع . وسوف يكون من الطبيعى بعدئذ الصرف على الجيش حتى يصير قويا مرهوب الجانب ،

وأذا فرض وهزم هذا الجيش لاقدر الله فسوف تكون وراءه أمة متمدنة قوية غير قابلة للذل او الاستعباد؟

صلاح الدين كامل

الجغرافيا الاجتماعية

الحالة الاجتماعية هى مسألة علاقـة كل فرد بالآخر وعلاقته بالمجتمع - - وعلاقة هذا كله بعضه ببعض ـــ وأساس النظم الاجتماعية هى مسألة تنظيم المعيشة والبحث عن الحياة والغذاء والحصول عليه.

فأساس النظم الاجتماعية البحث عن المعيشة ـ وقوام الحياة أمر مرتبط بالأقليم الطبيعى فاذا اختلفت البيئة اختلفت نظم المعيشة وتبع ذلك اختلاف فى المجتمع

فالجغرافيا الاجتماعية تبحث فى علاقة البيئة والمجتمع ـ ورب قائل يقول إن البيئة ليست كل شىء فى الجغرافيا الاجتماعية بدليل ان بيئة امريكا الشمالية لم تتغير فى حين أن سكانها مختلفون اجتماعيا عن حالتهم قـديما ـ ولكن الواقع أن السكان الذين جاءوا غير السكان الأصليين وهؤلاء تأثروا بمؤثرات أخرى غير المؤثرات التى تأثر بها الأوائل

والواقع أن للبيئة أثرا عظيما فى حياة الانسان فهى تؤثر فى الناحية الفيزيقية «الجسمانية» وفى الناحية النفسية والاقتصادية والاجتماعية

الاطفال بعد الثلاثين

ينتقل الانسان من الطفولة الى الصبا ثم الى الشباب ثم الى الرجولة فالكهولة فالشيخوخة فالهرم فالموت . وهو فى هذه الاطوار يجب ان يسلك سلوكا خاصا يتفق والطور الذى يعيش فيه. ولكن السنين قد تسارق الانسان ثم لا تزال عاداته القديمة تلابسه فى طوره الجديد فيبدو سخيفا . كالشيخ الوقور يسلك مع الفتيات سلوك الشبان. او الشاب يتدلل دلال الصبيان او حتى الصبي يتكلم بلغة الاطفال . فان كل هؤلاء يسخفون فى سلوكهم لانهم يتلبسون بطور سابق كان يجب بحكم النمو والنضوج ان يكون قد لاتزال،ولكن العادات القديمة لا يسهل نسيانها ولذلك قل منا يخلو من بعض عادات الطفولة حتى حين يبلغ الثلاثين بل نستطيع ان نقول اننا نعرف ناسا به من الجنسين ـ فى سن الستين لا تزال عادات الطفولة وعواطفها عالقة بهم حتى فيما يحبون من طعام وما يكرهون

واليك بعض العواطف التى تزال تتعلق ببعض الناس وتدل على انهم لا يزالون اطفالا فى العواطف والاراء والنظر والاخلاق حتى ولو جازوا الثلاثين او الاربعين . وقد رتبتها احدى المجلات السيكلوجيه فى هذه الاسئلة العشرين التاليه.فاذا اجبت عنها بالايجاب فانت طفل

١ ــ هل تمتعض لان احد الناس لا يحبك ؟

٢ ـ هل تتقلقل فى مكانك لانك تريد ان تتكلم ؟

٣ ـ هل يخامرك الشك احيانا بان الاشياء ليست حقيقية؟

٤ ـ هل انت نهم فى الطعام ؟

٥ ـ هل تقف مترددا لا تدرى ما تفعل ؟

٦ ـ هل تصرخ اذا اصابك مكروه ؟

٧ ـ هل تضحك من اشياء لا تستحق الضحك ؟

٨ ـ هل يبعثك الحزن او الاسف على ان تبكى قبل النوم ؟

٩ ـ هل تتمنى احياناً لو انك لم تولد ؟

١٠ ـ هل الاشياء التى تتناولها وتقتنيها تتمزق فى يديك وتتلف ؟

١١ ـ هل تشعر احياناً بانك شرير ترغب فى الاذى ؟

٢٢ ـ هل تخشى الظلام ؟

١٣ ـ هل ترفض الاشتراك فى عمل ما حين [تعرف انك لست الرئيس او فى مكان الزعامة للجماعة التى تشاركها ؟

١٤ ـ هل تخشى البرق والرعد ؟

١٥ ـ هل تغتاظ وتحنق عندما تجد ان الامور لا تسير كما تهوى ؟

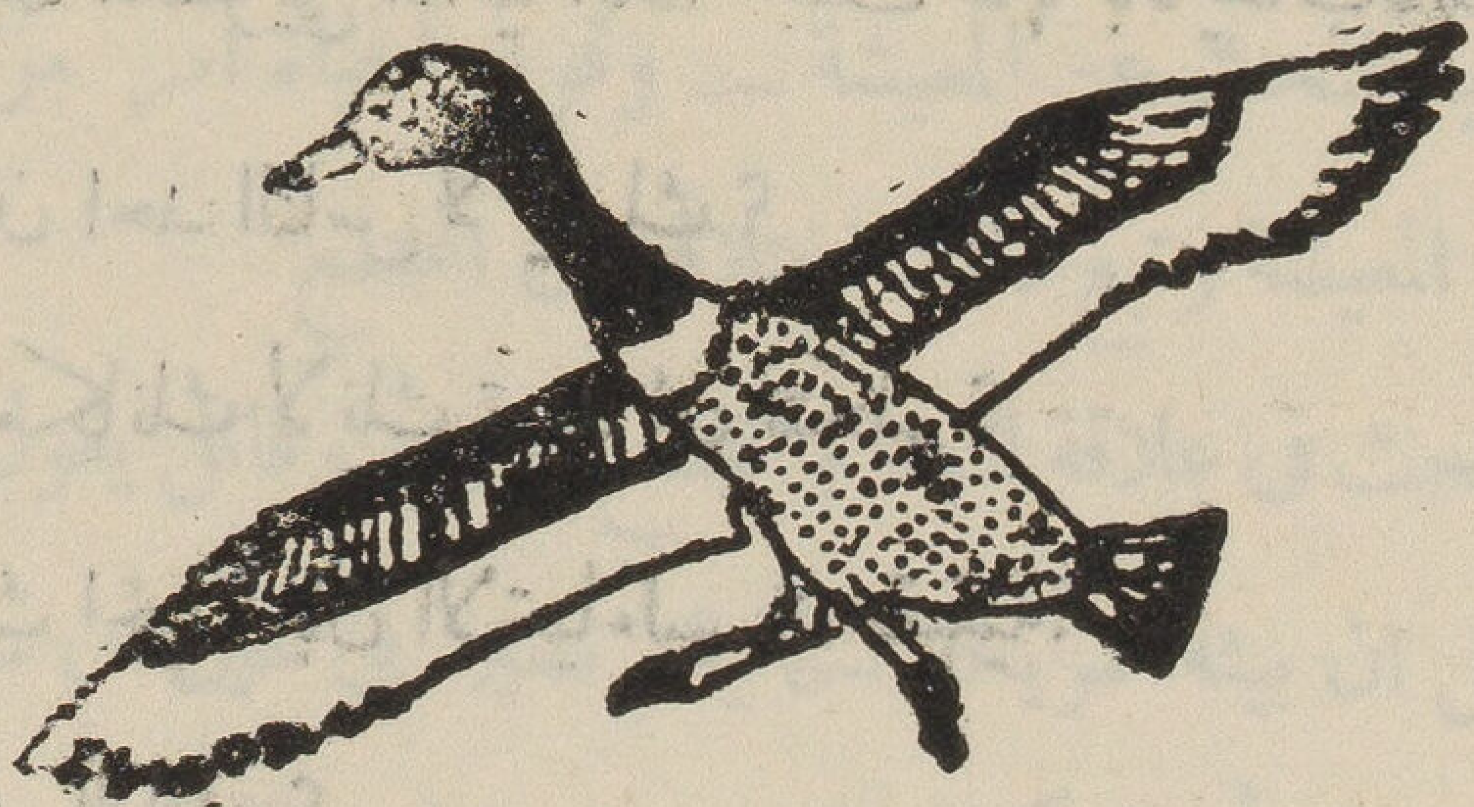
١٦ ـ هل تتغير عواطفك بسرعه ؟

١٧ ـ هل تشعر فى الاجتماعات انك متهيج ؟

١٨ ـ هل تنحدر الدموع من عينيك بسهولة ؟

١٩ ـ هل يؤدى بك الغضب الى الانزواء والسكون ؟

٢٠ ـ هل تأكل نفسك غيظا عندما لا تحقق ما تهوى



غاندى يمنع الخمور

لم تكن تجارة الخمور حرة فى الهند . لأن الحكومة الهندية هى التى تتولى بيع الخمر والأفيون وهى تسلم هاتين المادتين للتجار لكى يبيعوهما للجمهور على نحو ما تسلم حكومتنا طوابع البريد للتجار لكى يبيعوها للجمهور . أى أن الاتجار بالخمور والأفيون من محتكرات الحكومة أو الحكومات الهندية

ولما أعلن الدستور الجديد فى الهند كان من برنامج بعض الحكومات التى أصبح لها مجالس نيابية الغاء الخمور والأفيون . وكان داعية هذا الالغاء غاندى . فانه بنزعاته الطهرية المعروفة وبحبه للفلاحين ورغبته فى توفير الأغذية لهم رأى أن الغاء الخمور ضرورة يجب الاسراع فيه . وأفكار غاندى أو فلسفته تعم الهند . فان تقشفه قد انتقل الى الوزراء أنفسهم حتى أنهم نزلوا عن مقدار كبير من مرتباتهم للدولة وصاروا عندما ينتقلون من بلدة إلى أخرى ينزلون فى عربات الدرجة الثالثة فى القطارات . وليس لواحد منهم أتومبيل خاص يملكه أو عام تملكه الدولة ولذلك لبى وزراء الولايات التى حصلت على الحكم النيابى رغبات غاندى والغيت الخمور من بعضها . ويجب الاينسى القراء اما الولايات التى حصلت على الحكم البرلمانى النيابى هى تلك الولايات التى كان يتولى الحكم فيها الانجليز . ان الولايات الاخرى التى لا يزال يتولى الحكم فيها أمراء الهنود أنفسهم مثل المهارجة والراجوات والنظامات فلا تزال بلا برلمان ولا يزال الحكم فيها استبداديا . وخزانة الدولة هى خزانة الأمير نفسه . ولذلك فانه يفضل بناء القصور وشراء الألماس والحلى على انشاء المستشفيات أو المدارس . ولذلك فان الهنود يعتبرون فى الوقت الحاضر ان من رحمة الاقدار لهم أن تولى الحكم عليهم فى بعض الولايات انجليز بدلا من هنود . فقد انتهى أو كاد نضالهم مع الانجليز أما نضالهم مع أمرائهم الذين يفاخرون بالجواهر فلا يزال طويلا بل لا تعرف نتائجه . وقد حاول هؤلاء الأمراء منع الحكومة البريطانية من منح الدستور للولايات الهندية البريطانية خشية أن تنقل عدوى

الدستور والبرلمان والروح النيابية الى ولاياتهم الاميرية . ولـكن الحكومة البريطانية لم تأبه لهم

وهذه الولايات الهندية التى حصلت على دساتير تبلغ مساحتها ثلثى الهند . وليس الاصلاح فيها مقصورا على ما قد يتوهمه القارىء أنه مظاهرات مسرحية مثل ركوب الوزراء فى عربات الدرجة الثالثة فى القطارات ولـكنه يتناول التعليم والصحة والزراعة والصناعة . وجميع الحكومات الجديدة متأثرة بالتعاليم الغاندية التى يمكن أن تلخص فى « مكافحة الفقر »

وعلى أساس مكافحة الفقر الغت بعض هذه الحكومات الجديدة الخمور صناعة وتجارة . وفى هذا الالغاء تضحية كبيرة لأن هذه الخمور كانت موردا عظيما لهذه الحكومات . ولذلك سيتحمل السكان ضرائب جديدة تعوض هذه الحكومات من الخسارة التى تتحملها من حرمانها من الرسوم التى كانت مفروضة على بيع الخمور

* * *

وقد قرأنا مقالا للاستاذ هولدين العالم البيولوجى الانجليزى عن موضوع الغاء الخمور والهند يستحق النظر . فان هذا الاستاذ يرى أن الخمور مفيدة ويذكر للبرهنة على ذلك ما حدث فى جزيرة ناورو . فان هذه الجزيرة تتولى الحكم فيها حكومة استراليا بالانتداب من عصبة الامم . وهذه الجزيرة يعيش سكانها باستخراج الفوسفات من تربتهم وتصديره للاقطار الزراعية التى تنتفع به سمادا . وقد رأى الماليون الذين يديرون هذه التجارة ان العمال فى هذه الجزيرة يدمنون الشراب فيتأثر انتاجهم . لان الصاحى يعمل أكثر مما يعمل السكران . ولذلك حضوا الحكومة على منع الخمور صناعة وتجارة

وكانت النتيجة سريعة الوضوح . فان انتاج العمال زاد وزادت بذلك أرباح هؤلاء الماليين الذين ينتفعون ببيع الفوسفات للاقطار الزراعية . ولـكن حدثت نتيجه أخرى كانت سريعة أيضا وهى أنه قبل أن تمضى ستة أشهر من الالغاء زادت وفيات الاطفال الرضع الى خمسين فى المئه .

واتضح ان السبب لهذه الزيادة المريعة أن أمهات هؤلاء الاطفال كن يشربن هذه الخمر . وكانت هذه الخمور تغذوهن بفيتامين (ب . ١) فكان لبنهن مغذيا للاطفال . فلما الغيت الخمر نقص هذا الفيتامين فتأثر لبنهن ومات الاطفال لهذا السبب . ولذلك سارعت الحكومه الى اعادة الترخيص

بصنع هذه الخمر ولم تمض ستة أشهر أخرى حتى نزلت وفيات الأطفال الى ٧ فى المئة

هذا هو ما يقوله الأستاذ هولدين وهو يوجه الكلام الى غاندى . وهو يستند الى تقارير حكومة استراليا التى لا يمكن أن يشك فى نزاهتها هنا . وخلاصة ما يمكن أن يقال ان الفقراء تنقصهم بعض الاغذية لأن الأطعمة ليست متوافرة متنوعة عندهم . وهم لفقرهم يلتزمون لونا أو لونين من الطعام مدة طويلة . ولكن الخمور المخمرة التى تصنعها جميع الشعوب البدائية بالتخمير البسيط مثل البوظة تعوضهم هذا النقص من الطعام . وهنا يجب أن نذكر أن خميرة العجين سواء أكانت من الشعير أم القمح تستعمل الآن علاجا لمرض البلاجرا وهو احد امراض الفقر فى بلادنا . فان كثيرين من الفلاحين الذين ينتجون لنا الطعام لا يجدون كفايتهم من هذا الطعام وهم لذلك يمرضون بالبلاجرا وقليل من الخميرة – مع الفقر – تعيد اليهم الصحة . وبديهى أن الخميرة خمر . ونظن انه لو صنعت البوظة من السودان لتفشى البلاجرا هناك بين الطبقات الفقيرة كما يتفشى فى مصر

ولم يمض وقت كاف لكى نعرف أثر المنع فى الهند

الفلسفة فى المدارس الفرنسية

قال شارل جاميه المفتش فى وزارة التعليم فى فرنسا :

« تحتل العلوم الميتافيزيقية اليوم مقاماً أرفع مما كان لها قبل ثلاثين سنة ... فان دراسة الفلسفة تتوج نظام التعليم الثانوى الفرنسى كله . وهذا راسخ فى تقاليدنا ، تزداد به فرنسا اعتزازاً أكثر من قبل

« ونعتقد أن هذا التعليم الفلسفى يدرب الاحداث على التفكير فى كل ما يتلقونه . ويهىء لهم فرصة للبحث فى الأفكار المتناثرة المبعثرة التى يستجمعونها لادراك قيمتها ومراميها ، ثم جمعها كلها متناسقة فى صعيد واحد ... وغرض التعليم من حيث كل مشاكل الفكر والعمل أن يهىء للطالب قوة على رؤية نفسه وفهم ذاته كعضو فى الهيئة التى ينتمى اليها ، وكحلقة فى سلالة الخلائق الحساسة المفكرة التى هى الجنس البشرى »

اقوال مأثورة عن التلمود

تحمل السبة واللعنة ولا تكن من اللاعنين . خير لك أن تضطهد من ان تضطهد غيرك . إنظر إلى ما جاء فى الكتاب المقدس : لايوجد طير واحد فى السماء ، ذاق صنوف الاضطهاد كاليمامة . ومع ذلك ، فقد أختارها الله لتتقدم قربانا على هيكله . الثور يصيده الأسد ، والحمل يفترسه الذئب ، والعنزة يأكلها النمر . لكن الله يقول : قدموا إلى قربانا من الحيوانات المعذبة ، لا من الوحوش الكاسرة .

ومن أوامر التوراة أن العبد الذى يتمسك باسترقاقه يقربه سيده إلى الباب أو القائمة ، ويثقب إذنه بالمثقب (خروج ٢١) لماذا ! لأن تلك الأذن هى التى سمعت صوت الله يتردد صداه فى طور سيناء قائلا . « أنهم عبيدى ، فلا يجوز أن يباعوا فى أسواق الرقيق » إنهم عبيدى ، لا عبيد عبيدى . وهذا الرجل يلقى ، برضاه واختياره ، هذا الكنز الثمين ، كنز الحرية ، على قارعة الطريق . إذن « فاثقبوا له أذنه »

***

ان أبواب السماء تفتح للدموع ، ولو كانت مغلقة للصلاة . فالصلاة هى سلاح اسرائيل الوحيد سلاحه الموروث من آبائه ، سلاح جرب فى ألف موقعة .

اذا مات الرجل الصالح ، فالعالم هو الذى فقده . ذلك لأن الجوهرة المفقودة ستظل دائما جوهرة . أما صاحبها فهو الخاسر . ويحق له أن يبكى وينتحب .

أنكر أحدهم البعث والنشور ، فقال له جايبها بن باسيسا : « اذا كان مالم يسبق وجوده قد وجد ، فلم لا يعود الى الوجود ماسبق وجوده ! »

يقول الكتاب إن الحياة ظل عابر : فهل هى ظل قلعة أو شجرة . هل هى ظل يدوم زمنا .

كلا ، الحياة ظل طير طائر . فأذا اختفى الطير ، لم يبق طير ولا ظل .

اندم يوماً قبل موتك. يحكى أن ملكا دعا جميع خدمه الى وليمة فاخرة دون أن يحدد ساعة أقامتها . فأسرع بعضهم فى الذهاب الى منازلهم ، وارتدوا أفخر ثيابهم ثم عادوا ووقفوا عند باب القصر . لكن الآخرين قالوا « مازال لدينا متسع من الوقت ، وسيخطرنا الملك بالموعد مقدماً » غير أن الملك ،عاهم فجأة . فاستقبل الذين حضروا بملابسهم الفاخرة ، أما المجانين الذين جاءوا بملابسهم المهملة ، فقد طردوا وغضب الملك عليهم .

الحديد يفل الحجر ، والنار تذيب الحديد ، والماء يطفىء النار ، والغيوم تبخر الماء ، والزوابع تطرد الغيوم ، والأنسان يقاوم الزوابع ، والخوف يفزع الأنسان والخمر تزيل الخوف ، والنوم يمحو أثر الخمر ، والموت يكتسح كل شيء من طريقه ، حتى النوم . لكن سليمان الحكيم يقول . « الصدقة تنقذ من الموت »

أربعة لن يدخلوا الجنة . الساخر ، والكذاب ، والمرائى والنمام

كان الديك والبومة ينتظران بزوغ النهار . فقال الديك . « إنى أترقب النور لأنه يجلب إلى السرور ، اما أنت فماذا تنتظرين منه !

لصديقك صديق ، ولصديق صديقك صديق . فكن حريصاً .

الخجول لا يرتكب الذنوب بسهولة . ارتكب ذنباً مرتين ، فلن تلبث حتى تظنه أمرا مباحا ، وهناك فرق عظيم بين الذى يخجل من نفسه . والذى يخجل من غيره

ستغرب الشمس من تلقاء نفسها ، دون حاجة إلى معاونتك . لاعبرة بما تقول عن نفسك ، فالعبرة كل العبرة بما يقوله الناس عنك . من تواضع سيعلو ، ومن ارتفع سيذل . من جرى وراء العظمة هربت منه ، ومن تجنب العظمة اقتفت أثره .

إن قال لك الشاب ابن ، وقال لك الشيوخ أهدم ، فاعمل بمشورة الكبار ، إذ كثيرا مايكون هدم الكبار تشييداً وتشييد الصغار هدما .

قال يوحانان بن زكاى . « عليك أن تخاف الله بقدر مخافتك الانسان » فسأله تلاميذه مندهشين . « لا أكثر ! » أجاب الحكيم . « بل يكفى أن تخافوه بهذا القدر »

الصالحون مسيطرون على شهواتهم . بعكس الأشرار فانهم عبيد أهوائهم . ليس الصالحون فى حاجة الى آثار مشيدة . فأعمالهم آثار تدل عليهم . الصالحون يعدون قليلا ويعملون كثيرا ، والاشرار يعدون كثيرا ولا يعملون أدنى شيء . إذا قلت « نعم » فلتكن نعم . وان قلت «لا» فلا كان البادىء فى التصالح بعد النزاع يعد فى فلسطين شهما كريما ، بل كان عمله يعتبر دليلا على الحسب وكرم الدوحة . فأعظم الابطال هو الذى يستطيع أن يحول عدوا الى صديق

ليس الاحسان أمرا أساسيا ، فأهم شيء هو مراعاة شعور من أحسنت اليه . لا يقول الكتاب « طوبى لمن أحسن إلى الفقير » بل يقول . « طوبى لمن يرعى الفقير بحكمة » فمن جلب السرور للحزين سيكون له نصيب فى حياة الآخرة .

من كبح جماح غضبه . غفرت له ذنوبه . من لا يضطهد مضطهديه ، ومن يتحمل الاهانة صامتاً ومن يفعل الخير حبا فى الخير ، ومن يستسلم لآلامه فرحا ، أولئك هم أصدقاء الله الذين قال عنهم الكتاب : « فالذين يحبونه سيصبحون كالشمس ، عند شروقها رائعة عظيمة »

عبقرية الشريف الرضى

قالت جريدة العقاب :

« جمع الدكتور زكى مبارك ضيف العراق الكريم محاضراته الممتعة التى ألقاها عن الشريف الرضى فى قاعة كلية الحقوق على جمهور المتأدبين من أبناء بغداد فى كتاب اسماه « عبقرية الشريف الرضى » وقد خرج هذا الكتاب للناس فى جزأين كبيرين ، وفى الحق أن عبقرية الدكتور زكى مبارك قد ظهرت جلية واضحة فى عبقرية الشريف الرضى ، فالكتاب الذى بين أيدينا فيه من دقة البحث والتصوير والتعمق فى التحليل والنقد ما يدهش القارىء حقا ، وأهم ما لاحظناه فى هذا الكتاب هو نكران الذات والقضاء على الأنانية الممقوتة التى نلاحظها كثيراً على بعض الباحثين » .

كتاب جـــــــديد
لسندباد عصرى

للاستاذ عزمي الدويرى

ليس أدب الدكتور حسين فوزى جديداً على. فقد كنت فى أثناء السنوات القليلة الماضية أتتبع فى اهتمام شديد تلك المقالات القصيرة والصور المنوعة التى كانت تنشرها له بعض المجلات الاسبوعية والشهرية. فكنت أقول لنفسى: ها هو ذا فنان مطبوع يوشك أن يتألق نجمه فى سماء الأدب المصرى. ولكن كان يخيل الى أنه لا يخطو الى الامام إلا فى حذر واستحياء. فكان هذا البطء يقلقنى. بل كان أحيانا يغيظنى. لأنى كنت أترقب على مضض أن يخرج لنا حسين فوزى كتاباً لنرى كيف يكون الفنان المطبوع

وأخيراً دفع الى صديقى الاستاذ المفكر سلامه موسى بكتاب جديد وهو يقول: خذ هذا. اقرأه وأكتب عنه. تناولت الكتاب وقرأت على الغلاف حسين فوزى. سندباد عصرى. جولات فى المحيط الهندى. فتنفست الصعداء! وأخذتنى نشوة من الفرح. ورحت أقلب صفحات الكتاب فى عجلة بادية فبادرنى الاستاذ سلامه قائلا: اقرأ التصدير فقرأت: — « درجت على حب الغرب، والاعجاب بحضارة الغرب، وقضيت أهم أدوار التكوين من عمرى فى أوربا، فتمكنت أواصر حبي، وتقوت دعائم اعجابى فلما ذهبت الى الشرق، عدت الى بلادى وقد استحال الحب والاعجاب ايماناً بكل ما هو غربى » فقلت على الفور: هذه كلمة رائعة. فقال الاستاذ. انى معجب بهذه الكلمة أشد الاعجاب. لأنها تعبر أدق تعبير عن دعوتى الى وجوب الانسلاخ عن الشرق والاندماج فى الغرب:

ومضيت فى قراءة فصول الكتاب . فاذا أدب حقاً ، واذا عقل ناضج مفكر ، بعيد الغوص ، شديد الملاحظة ، واذا نفس انسانية الى أبعد حد ممكن ، واذا فنان مرهف الحس ، صادق النظر ، نافذ البصيرة قد لا يدانيه فنان مصرى آخر اللهم الا اذا استثنينا توفيق الحكيم . وفى الحق أنى معجب بهذا الكاتب الفذ اعجابا لا حد له .



الدكتور حسين فوزى

معجب بأسلوبه . معجب بدقة تعبيره ، معجب باخلاصه وصراحته البادية فى كل فصل من فصول كتابه . معجب بهذه البساطة التى يتناول بها موضوعاته . فهو يكتب كما يقول : دون ادعاء أو حذلقة فنية . « وكتابى بسيط العبارة يسرد الحوادث ويصف بعض المناظر لا لقيمة خاصة بها ، بل تبعاً لما اثارته فى نفسى من احساس وفى ذهنى من تفكير » وقبل ان امضى فى الكلام عن مادة الكتاب يحسن ان اقول كلمة موجزة عن اسلوب الكاتب . فهو يكتب بلغة لاهى لغة فصحى خالصة . ولاهى لغة عامية خالصة ولكنها مزيج منهما كلتيهما . واستطيع فى غير تحرج ان اسميها لغة مصرية صميمة . وهى بلا ريب لا ترضى أنصار القديم الذين قد يمتنعون عن قراءة الكتاب كما امتنع العقاد عن قراءة قصة عودة الروح لتوفيق الحكيم لانها مكتوبة باللغة العامية !

ولكن ماقول أنصار القديم اذا ما قلت لهم انهم مهما بالغوا فى تحرى الفصاحة والبلاغة وزخرفة اللفظ . ومهما أتقنوا تقليد الجاحظ من القدماء فانهم لن يبلغوا ما بلغه حسين فوزى من دقة التعبير وقوة الأداء باسلوبه المصرى الصميم الذى يعد ركيكا فى نظرهم ! ! كتب المؤلف فى المقدمة بعد ان ذكر بعض موضوعات كتابه مشيراً الى الحادثات التى اثرت فى نفسه يقول . « كل هذا دون وحدة فنية مرسومة مقدماً ، ودون تعمل او افتعال . فلا توجد فى تلك الفترة من حياتى وحدة فنية . ولقد

ارسلت القلم لاحدث اصدقائى بما رآه بصرى . أو ادركته بصيرتى ولعلهم فاهمون بعد هذا سر الجاذبية التى وجهت حياتى فى طريق لايزال يستخرج منهم على ممر السنين بعض الدهشة » يريد الكاتب ان يقول ان اصدقاءه تأخذهم الدهشة ويملأ نفوسهم العجب كلما ذكروا انه بعد ان تخرج فى كلية الطب ومارس مهنته فى مستشفيات الحكومة

تركها فجأة وسافر فى بعثة لدراسة الاحياء المائيه . فلعل هؤلاء الاصدقاء يدركون بعد قراءة هذا الكتاب سر الجاذبية التى وجهت حياته تلك الوجهة ..وفى الحق انه نجح تماماً فى محو كل اثر للدهشة فى نفوس أصدقائه الذين قرأوا كتابه الفذ . ثم يمضى قائلا: — « لذا ارجو القارىء أن لايحاول تحميل هذه الصحائف أكثر مما تتحمل وأن يتقبلها على علاتها صورة من نفس صاحبها يقدمها الى اصدقائه ومعارفه . فاذا استطعت ان اصطحبه واصطحبهم فى رحلتى الفكرية . واخفف عنهم ملل الساعات الطويلة كما استطعت ان أسكن آلام رفقائه بالسفينة ، فقد نجحت فى أطيب المهمات الى نفسى : أن ارتاد مع أصدقائى عالماً يشعرون فيه بشعورى » فلتطمئن يا دكتور ولتهدأ نفسك وتقر عينك فانك لم تنجح فقط ولكنك بلغت ذروة النجاح .

والآن هيا الى بعض ما حواه الكتاب أو « الرحله الفكرية » كما يسميه صاحبه . فالمؤلف مدير ادارة الاحياء المائية بالاسكندرية وكان نصيبه أن يركب الباخرة « مباحث » طوال رحلتها الهندية وان يشترك فى مباحثها العلمية ويشرف على صحة ركابها . وقد كتب فى موضع آخر القصة الرسمية للرحلة واما كتابه هذا فلا علاقة له بالقصة الرسمية وانما هو صفحات ضمنها صوراً وخطرات أوحت بها اليه جولاته فى انحاء المحيط الهندى وحياته على ظهر السفينة: وهو أربعة اقسام : عبث وصور وجد ومشاعر .

والمؤلف يحدثنا فى القسم الاول عن الريكشو والقردة الخطافة والريس أحمد والهر المتقشف وملك الزمان وحكاية الخروف الذى أفلت من خرم ابرة ! الى غير ذلك مما يسميه عبثاً وهو فى حقيقة أمره جد مر :

« الفيتون عربة صغيرة تسير على عجلتين يجرها حصان ، والريكشو فيتون صغير يجره انسان . ولا أدرى ان كانت شفقتى على انسان الريكشو ناشئة عن أدمية انحطت الى مقام الدابة ، أم هى

لأنه وقد دخل فى عداد الأنعام نال من نفسى ذلك الحنان البالغ الذى اخص به العجماوات. وحكايتى اليوم تجعلنى أميل الى الرأى الأخير ..... ولكن صاحب الريكشو هو فى نفس الوقت حماره وسائقه وبصفته الاخيرة يشترك مع الشوفيرات والعربجية فى استكراد الغرباء .... ورأى حمارى الأدمى غضبي فقال فى نفسه (داما بيهزرش) وانطلق يعدو وقد فكر أخيرا أن ينهب الأرض بدلا من أن ينهب جيبي. ولكنه رجل قارب الكهولة. وأصحاب الريكشو كهولتهم شيخوخة وشبابهم كهولة. وهو نحيف التكوين ضعيف البنية، مصاب بالربو أو ما اليه. فيا لمصيبتى فيه ! » أرأيت أيها القارىء كيف تكون دقة التعبير وروعة الأسلوب. أرأيت الى صفاء الذهن ورهافة الحس. ألم أقل لك فى أول هذا الفصل أن المؤلف انسانى الى أبعد حد ؟ ويطول بى المقام جدا اذا مضيت فى الاقتباس من صلب الكتاب وبودى لو أنقله لقراء المجلة الجديدة حرفياً ! ! ولكنى استأذن القارىء فى نقل هذه الفقرة مما يسميه المؤلف عبثا - واسميه أنا عمقا فى التفكر » : عبد الغنى نجار « ملكى » وليس عسكريا وهو أحد رجال السفينة. ابن بلد. صاحب صنعة وابن كيف. اقتنى بدلة وقميصا افرنكيا ليلبسهما بدل (الساكو) والجلابية « ولكنه لسبب لا أفهمه - وهو مصدر عجبي الدائم كلما رأيت حدوثه فى مثل هذه الحالة -- أهمل أن يشترى الياقة والبمباغ. ان أمر اهمال الياقة والبمباغ عند عبد الغنى وأمثاله، ربما كان قائما على نفس الاسس السيكولوجية التى تجعلنا نصر على لبس الطربوش. فهذا عبد الغنى مضطر بحكم الوسط الذى أحاط به على ظهر السفينة الى لبس الملابس الافرنكية. ولكن فى نفسه بقية احتجاج على هذا، وبقية تمسك بعاداته (وقوميته) المحلية. ومجرد اهماله الياقة والكرافتة تجعل المثلث الظاهر من القميص خارج الصديرى، وازرار القميص البادية، واكمامه الخارجة من اكمام الجاكتة لا تضمها أزرار قميص، رمزا على القومية المحلية وعلى أن عبد الغنى -- برغم كل شيء - رجل ابن بلد وابن كار وليس (أفندى). كذلك نحن والطربوش نلبس الملابس الأوربية. ولكننا - لا تنس من فضلك - مصريون فوق كل شيء كأن القومية رهينة بأصص الزرع المقلوبة فوق الرؤوس » -- وانظر كيف كان المؤلف صريحا فى هذه الفقرة: « أما الفرصة الثانية التى جاءت فيها الهرة مشمشة تجوس خلال قمراتنا فكانت عندنا أوفت على البلوغ. ودارت تملأ أرجاء السفينة مواء وهى مدفوعة بغريزة تتنبه فيها لاول مرة. وقد وجدت

فى سلوكها هذا موضوعا لحديث على المائدة من تلك الاحاديث التى يتبرم بها اخواننا الانجليز . -

— هذه الهرة أيها السادة تفضل عندى بنى الانسان . وهى تذكرنى بأوضاعنا الاجتماعية التى تضطرنا الى كبت واحدة من أهم غرائزنا . وأسوأ من كبتها الامعان فى تحقير مظاهرها . حتى لننظر الى المرأة التى تعمل لها مخلصة نظرتنا الى المجرمين . هذه القطه التى تتأففون من موائها ليل نهار أشجع من بنى آدم . فهى حينما طلبت الاليف أعلنت ذلك على رؤوس الاشهاد بلاهوادة وفى غير خجل ولا وجل »

اما الصور التى رسمها قلم المؤلف فقد بلغت من الدقه والروعة حداً بعيد المدى . اذا ارتفع منها الكاتب الى القمة . ويكفى القارىء ان يقرأ «فينوس من الابنوس» ليرى انى لا ابالغ اقل مبالغة فى تقديرى للكاتب واعجابى بفنه :

«مسلمة هذه البربرية كما تقول . ولكن يغلب على ظنى ان اسلامها قشرة تشققت فى كل موضع ، لا لأنها تشرب الخمر فى رمضان — فالله غفور رحيم — ولا لأنها تحترف الدعارة — فهو الوعد — ولا لأنها وقفت عارية امام جماعتنا — فقد اعتدنا ذلك من المسلمات فى غير موضع من ارض الله الواسعة —

«بل لأن فى حركة خلعها لردائها سهولة مقاقة . خلعته تبعاً لسليقتها ورجوعاً الى طبيعتها وحياتها فى الحرج الافريقى . والمرأة المتحضرة اذ تتعرى تعود هى أيضاً الى فطرتها . ولكنها فى حركة التجرد تتخطى اجيالا وآباداً من المدنية لتتصل بامها الاولى طريدة الفردوس . أما هذه البربرية فلا تفصلها عن حرجها فى الزمان والمكان سوى فترات وخطوات معدودة . جلبابها وضع من الأوضاع لم تفهم ضرورته بعد وربما كان شعورها فيه قلقاً كشعور المتحضرة حين تتجرد ولا عبرة بالمتحضرة اذا اعتادت العرى فى تأدية حرفة معينة . فالتجرد هنا نتيجة الاعتياد وليس عودة الى الفطرة . ولن انسى اللحظة التى رأيت فيها واحدة من هؤلاء ألقت بها المقادير فى اول دركة من دركات الشقاوة النسائية . وطلبت منها ان تخلع كل ما عليها من ثياب خضوعاً لاجراءات رسمية مخصوصة . وقد اطرقت برأسها الى لأرض وتراخت مفاصلها واحتفظت بقميصها معلقا بين يديها تحاول ان تستر به جسدها ما استطاعت ان تستره . أما هذه البربرية فما ان رغبنا اليها أن ترقص حتى نزعت رداءها كأنه قشرة

الموز .وظهر انه كان كل ما احتوى جسمها من غطاء وان كل ما قد نتسامح فنسميه غطاء للعورة هو عقد من الخرز الأبيض حزم وسطها ثم انحدر على تيجان نخذيها . واستحالت تلك المرأة السوقية التى كانت تتعثر فى فستان من الحرير اليابانى الى حسام اسود يلمع فى ضوء سراج من البترول . الى جسد نابض بالحياة يتحرك طليقاً ، وقد أحال الحجرة الحقيرة الى حرج افريقى لا تكا د الشمس تنفذ من بين اغصانه الملتوية المتعانقة ، وأوراقه العريضة تتصبب ندى ورطوبة لزجة . جسم لا عيب فيه سوى دقة اطرافه . اما استقامة الجيد واستدارة الأكتاف . ورحابة الظهر وانتظام الصدر ، وتقبب البطن . واستدقاق الخصر ينفرج اقواساً تنحدر فى ميل خفيف الى حيث الركبتين فقد كانت نموذجاً لأكمل ما يكون عليه جسم الانثى

«ورقصت البربرية على توقيع غناء صاحبة لها . وهو غناء كله حنين الى فطرة بهيمية . . .

«كلا ، لا يمكن ان تكون تلك البربرية مسلمة . فرقصها وغناء صاحبتها صلاة وحشية الى صنم الحرج فى صحبة العشيرة تدور حول قربان آدمى على وقع طبول مفزعة وتحت الأنظار المغناطيسية ساحر القبيلة جلاب الغيث»

وانظر كيف يرى المؤلف الرقص الشرقى والموسيقى الشرقية وروحانية الشرق ! «ثم انتصبت جليلة قائمة وجعلت ترقص رقصاً توقيعياً لا فن فيه . وقد أحاطت ساقيها بخلخالين من الجلاجل . . جليلة هى هذا الشرق الطويل العريض الفارغ . هى تلك الشعوب التى ما زالت تفكر وتحس باحساس القرون الوسطى ، وتصر على حسبان يواقى حضاراتها البائدة لا ملكا للتاريخ والمتاحف بل اداة للحياة حتى فى القرن العشرين .

«لم تثر فى جليله» فتاة البنجاب ولا موسيقى السند أكثر من احساس بتدهور الشرق وخيبته الثقيلة . وقد ذكرت وأنا أشاهد هذه البنجابية وتخنها وجمهورها . ليلة فى بارس . حملتنى منها قدماى لا الى كونسيرات الموسيقى السيمفونية ولا الى حفلات ايزا دورا وبافلوفا واجنتينا ، ولا الى أوبرات فاجنر ومسورجسكى وريشارد ستراوس . بل الى مقهى عربى جوار جامع باريس المشهور . فاجلت بصرى فيما حولى فوجدت الشرق كله ممثلا فى الجمهور وقد تمدد أفراده على مقاعد منخفضة ، يدخنون

نارجيلاتهم أو سجائرهم فى افمـام من القهرمان وينصتون الى تخت يغنى « يا منعنشة يابتاعة اللوز » والى منلوجست يلقى « شم الـكوكايين خلانى مسكين » وكمنجاتى مشهور يوقع « تقاسيم » .

«ادرت بصرى مرات كثيرة فلم تك عيناى تلتقى الا بوجوه منعمة حيوانية

«فى تلك الليلة مات على صديقى وزميلى فى جولاتى الفنية فى باريس وقلت له: «روحانية الشرق »

« فاجابنى : يغور الشرق ياسيدى اذا كان كده »

«وفى الهند رأيته كده وألعن من كده »

والمؤلف شديد التسامح بالغ العطف على الضعف الانسانى

« كل شىء نسبى لا ريب ! بعض الناس اذا قال هـــذه الجملة حاول أن يفهمنا انه تتلمذ على اينشتين ، وانه واحد من عشرة على الـكرة الأرضية فهموا نظريته . نصيحتى لاخوانه أن يشجعوه على اعتقاده ، فهذا ضرب من الاحسان لا يـكلفنا كثيراً . انا فى هذا نوع من روكفلر » ويحمل المؤلف حملة موفقة على أهل التقاليد عندنا وقد رغب رغبة صادقة فى أن يكون انصار تقاليدنا معه فى جزيرة « الحلانية » احدى جزائر خوريا موريا بالمحيط الهندى فهى فرصة له لا يجود الزمان بمثلها اذا استطاع أن يحشد جموعهم فى تلك الجزيرة القاحلة ليقيموا فيها بلا رجعة كما فعل الاتراك بحيوانات معروفة ضاقت بها شوارع استانبول فحملوها الى جزيرة غير مسكونة !

وفى الـكتاب صفحات رائعة ، لا يستطيع أن ينساها من يقرأها يحدثنا فيها المؤلف عن آلهة الهند وهيا كلها وأصنامها ومعابدها ونسائها وعن تلك الانسانية الملهوفة المرزوءة المقشرة الدامية ، ذات البثور والدمامل والجروح . تلك الانسانية المعـذبة التى تسعى منحدرة فوق درجات الميضئة الهائلة داخل المعبد الهندى المفزع لتغتسل بالماء وتبلط فيه وتبقبق وتمخط !

ويحدثنا عن الاله ذى رأس الفيل وهو يخشى أن ينزل بقدر ما يخاف قذارة الزيت الذى نضح به الآله الفيل وعفونة الماء الذى يغتسل فيه الهندوكى تقرباً من الآلهة !

ثم يحدثنا عن ابن بطوطة الرحالة المغربى وكيف أفسد عليه نساء « ذيبة المهل » اذ أمرهن بالتستر والحجاب بعـد أن كن يمشين فى الطرقات عاريات أعالى الجسد الاسمر المشرب بحمرة ، بارزات النهود ، مستديرات الاكتاف مبسوطات الصدر والظهر .

ويحدثنا عن أديان الهند و نظام الطبقات وخاصة طبقة المنبوذين الذى يدنس ظلهم ـ مثل كلاب ابن حنبل — رجال الطبقات العليا !

ويحدثنا عن الوفاء الزوجى ومعنى العفاف فى مصر. فليس العفاف فى مصر أن تترك المرأة حرة تخالط الرجال فتحافظ على عهدها ، وانما العفاف أن تعزلها عزلا تاماً عن الرجال غير زوجها .. وان تدفع عنها السوء حتى ولو بالفاسوخ . وأن ترسل زغراتك الى الرجال فى الطريق أو فى مدخل السينما حينما يختلسون النظر ليشاهدوا جمال زوجتك ورشاقتها وأناقتها . ويصف المؤلف الارملة الهندية التى يفرض عليها إلا تلبس سوى غلالة بيضاء بسيطه . وإلا تتحلى بغير حبل فى عنقها يدل على ترملها . وأن تحلق شعرها حلقاً تاماً فى كل شهر مرة . ولا ينسى المؤلف ذلك المخلوق الأقرع الذى رآه يهيم على شاطىء قناة بكهام فى غلالة بيضاء قذرة لايقرب الناس ولايقربونه . فسأله صاحبه : أهو مجذوم ؟ فأجابه : بل هى أرملة ! !

ويحدثك عن منفى الزعيم فى سيشل فترتد يه الذكرى الى أول مرة أنصت فيها الى صوت الزعيم عن قرب حينما دخل البيت العتيد (بيت الامة) وأنصت مع الجمهور الى صوت لم يسمعه من قبل ولكنه لم يشك بانه الصوت الذى حدثه عنه صاحب له سمعه قبله : — تنصت الى خطبه كأنك تسمع سمفونية من سمفونيات بيتهوفن .

أما فصل « النسائيات » الذى صور فيه المؤلف غادة ممباسا فهو فى رأيى أروع فصول الكتاب وقد بلغ فيه الكاتب درجة لم أكن أحسب أنه بالغها مهما جهد . ولا أحب أن أشوه من جمال هذا الفصل بالاقتباس .

حقاً انى مدين للدكتور حسين فوزى بهذه الساعات الطيبة التى قضيتها فى قراءة كتابه الممتع فقد استطاع بفنه الرفيع أن يتيح لى لذة ذهنية لا تعد لها إلا تلك اللذة التى وجدتها فى قصص دستيوفسكى واضرابه من الادباء الروسيين الذين امتاز أدبهم بالبساطة والعمق و الانسانية .

وبين جميع كتب « الرحلات الفكرية » التى أتيح لى أن أطلع عليها لم أجد كتاباً يعدل « السندباد العصرى » سوى قصة « سان ميشيل » للدكتور أكسل مونتيه

وأخيراً أحب أن أعلن فى غير تحفظ ولا تحرج أن كتاب الدكتور فوزى هو فتح جديد فى

الادب المصرى . تقرأه فتحس أن الكاتب مصرى صميم . يكتب بروح مصرية خالصة . ويخاطبك بلغة المصريين . لا بلغة البدو أو العباسيين . فتطمئن نفسك اليه . وتحس أنك تعيش معه فى عالم تشعر فيه بشعوره .

هذا هو رأيى فى الكتاب . وكم أحب أعرف رأى الاديبين الكبيرين الدكتور طه حسين والاستاذ توفيق الحكيم

دفتر حسابات

كان على نابولى فى ايطاليا ملك . وكان فى بلاطه مغفل يضحك الملك وحاشيته . وكان من شأن هذا المغفل أن يقيد فى دفتر خاص حسابات خاصة هى جميع السخافات التى يرتكبها رجال البلاط وحدث أن الملك كلف أحد المراكشيين أن يقصد الى جزيرة العرب لكى يشترى بضعة عشر من الجياد الاصلية وسلمه لذلك مبلغا ضخما من المال . فلم يكن من المغفل إلا أن عمد الى دفتره وقيد هذه الحادثة كأنها سخافة ارتكبها الملك

واتفق أن وقع هذا الدفتر فى يد الملك فوجد اسمه بين السخفاء . فسأل المغفل لماذا فعل ذلك ؟ فقال المغفل : لأن من يسلم مثل هذا المبلغ الضخم لهذا المراكشى يعد مغفلا إذ هو لن يعود . فقال الملك : ولكن ماذا تفعل اذا هو عاد ؟فقال المغفل : اضرب على اسم جلالتكم واضع اسمه فى مكانكم



المانيا وتشكوسلوفاكيا

منذ أن ضمت النمسا الى المانيا والصحف لا تنقطع عن ذكر تشكوسلوفاكيا . وذلك لأن هذا القطر الذى يتألف من ١٦ مليونا يحتوى أقلية المانية تبلغ ثلاثة ملايين ونصف مليون وهى الاقلية التى تسمى « المان السوديت » والسوديت جبال يقيم فيها وحولها هؤلاء الالمان . والمتأمل للخارطة يجد أن المانيا تحيط بتشكوسلوفاكيا من جهات ثلاث، هى الغرب والشمال والجنوب . ولو شاءت المانيا أن تغير عليها لما كلفتها هذه الاغارة سوى بضع ساعات يلتقى فيها جيشاها من الشمال والجنوب ويفصلان تشكوسلوفاكيا نصفين

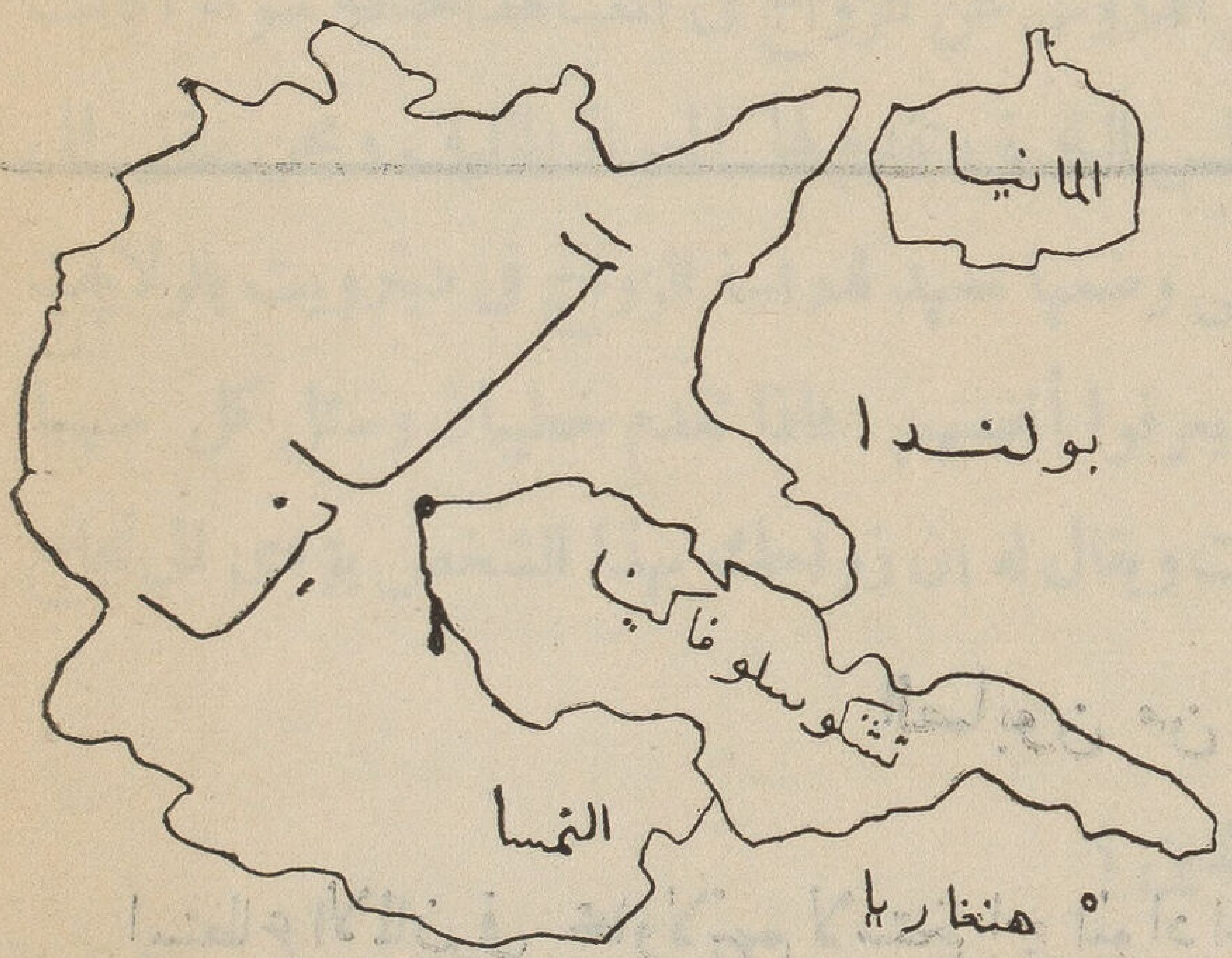


هنلين زعيم الالمان فى تشكوسلوفاكيا

وتشكوسلوفاكيا من الاقطار الجديدة التى خلقتها معاهدة فرساى وهى مجموعة امم قد أدمجت معا حتى تصير أمة كثرتها من التشكيين (٨ ملايين) ثم السلوفاك (٣ ملايين) ثم الالمان (٣ر٥ مليون) ثم الهنغاريين والبولنويين (مليون ونصف مليون) وكانت هذه الشعوب تؤلف بعض الامبراطورية القديمة التى كانت تسمى « النمسا والمجر » وكانت حكومة هذه الامبراطورية المانية اللغة وجرمانية الثقافة والحضارة . فلم يكن لألمان السوديت ما يدعو الى تذمرهم إذ كانوا فى مقام السيادة . وكان التشكيون والسلوفاك من الرعايا المحكومين . فلما حلت هذه الامبراطورية والفت جمهورية تشكوسلوفاكيا أصبح الالمان رعية محكومين يحكمهم التشكيون والسلوفاك . وقد صبروا على مضض الى أن تزعم المانيا هتلر ودعا الى لاشتراكية الوطنية (النازية) وعندئذ تفشى بينهم الروح الوطنى الالمانى وازداد قوة بضم النمسا

الى المانيا . ولما كانت خطة تشكوسلوفاكيا تقوم على محالفة الجمهورية السوفيتية وهى العدوة الطبيعية لالمانيا فان المان السوديت انتهوا الى اتخاذ حركة عدائية لدولة تشكوسلوفاكيا . وهم الآن بقيادة هنلاين يطلبون نقض المعاهدة لتى تربط الجمهوريتين أى روسيا وتشكوسلوفاكيا ثم ايجاد نظام اتحادى بحيث تصبح السوديت أقليما مستقلا يتمتع بسن قوانينه الداخلية على نحو النظام القائم فى سويسرا أو الولايات المتحدة الامريكية

والمتأمل لهذين الطلبين يجد أنهما يعنيان التهيؤ للانضمام لالمانيا . وقد يقال هنا أن المان السوديت لم يتحدوا قط بالمانيا . وهذا صحيح . ولكنه صحيح لأن هؤلاء الالمان كانوا جزءا من أمبراطورية النمسا المجر . وهذه الامبراطورية كانت المانية .وهؤلاء الالمان هم أرقى الشعوب فى تشكوسلوفاكيا إذ بينا تجد عدداً كبيرا من الاميين بين السلوفاك فانك تجد أقليم السوديت حافلا بالمصانع والمدارس . وليس من السهل على شعب متعلم أن يخضع راضياً لشعب جاهل . ولا ينكر أن مزاريك رئيس جمهورية تشكوسلوفاكيا السابق كان من الحكمة والتبصر بحيث كان يسترضى هؤلاء الالمان ويبحث شكاواهم وكان يحرص على الدوام أن يكون منهم اثنان فى الوزارة . ولكن طبيعة الاشياء وتطور الحوادث لا يمكنهما أن يخضعا حتى لحكمة الفلاسفة وتبصر الساسة . فان هؤلاء الالمان أقلية مثقفة وغنية معا . وهم لا يطيقون السكون ازاء النهضة الهتلرية وخاصة بعد أن رأوا أن النمسا ضمت بسهولة الى المانيا التى أصبح عددها ٧٦ مليونا . وليس هناك شك فى أن للهتلرية سحراً يستهوى النفوس . إذ هى تناشد الالمانى كرامته التاريخية وقوة دولته وشرف السلالة الآرية التى ينتمى اليها وقداسة التربه التى يزرعها. والمان السوديت مثل المان برلين تستهويهم هذه الدعوة ويستجيبون لها فى حماسة حتى ولو لم تكن لهم شكوى ازاء الحكومة فى تشكوسلوفاكيا . وإذا كان لدعاة « تقرير المصير » حق فى



تشكوسلوفاكيا والمانيا

هذه الدعوى فان حق هؤلاء الالمان فى الانضمام الى المانيا لا يحتاج الى ايضاح

أما إذا لم ينل هؤلاء الالمان استقلالهم فان أغلب الظن أن المانيا ستغير على تشكوسلوفاكيا وتضمهم اليها . وهى عند ما تفعل ذلك لا تتجاوز اقرار حق تقرير المصير . أما فرنسا وروسيا اللتان ترتبطان بمعاهدة الدفاع عن تشكوسلوفاكيا فمن البعيد أن تغامر كلتاهما أو احداهما بالحرب من أجل انضمام ثلاثة أو أربعة ملايين المانى سوديتى الى المانيا

الصابون من الفحم

استطاع الالمان فى محاولاتهم لاستخراج المواد الخامة من المانيا بدلا من استيرادها من الخارج أن يصنعوا الصابون من الفحم . وذلك بعد استخراج نوع من الدهن منه . وهذا الصابون يباع الآن فى المانيا وثمنه أغلى قليلا من الصابون العادى المصنوع من دهن الحيوان وزيت النبات . ولكن الالمان يؤملون انخفاض ثمنه عندما يستخرج الدهن من الفحم بمقادير كبيرة

ويستخرج الالمان الكاوتشوك والبترول والعطور من الفحم . واستطاعوا أخيرا استخراج زبدة من الخشب

عوامل التوفيق في الزواج

اصبح الامريكيون كثيرى العناية ببحث الاسباب التى تؤدى الى التوفيق فى الزواج والى فشله وهم يعنون هذه العناية لان الطلاق قد كثر . وكل طلاق هو افلاس لاعظم موسسة من مؤسسات الامم المتمدنة تعنى البيت او الاسرة . وتعطى الدروس عن الزواج فى المعاهد المختلفه سواء اكانت مدارس أم كليات ام منابر حرة تؤسسها المجالس البلدية وتقدم لها المعونة المالية . ونحن ننقل الى القارىء هنا هذه الاسئلة التالية وهى (٢٢) التى وضعها معهد لدراسة الزواج فى ديترويت بالولايات المتحدة. وهى توضع للمرشحين للزواج لكى يعرفوا أنفسهم . فاذا تقدم خطيبان وسئل كل منهما هذه الاسئله وضعت له درجة ثم تجمع الدرجات ويقال له ان زواجك بهذا الشخص يؤدى الى نجاح او فشل . وهذه هى الاسئلة

١ ـ هل تتفقان فى المذهب الدينى او فى الدين ؟

قد يكون الاختلاف فى المذهب سبيلا الى الفشل بين الزوجين لان بعض المذاهب يحتم عادات تستنكرها المذاهب الاخرى . فاذا كان الاختلاف فى الدين فان الفشل يرجح كثيرا

٢ ـ هل تسهل عليكما مصادقة الناس ؟

اذا كان الانسان يميل بطبيعته الى مصادقة الناس فانه يسهل عليه ان يعامل زوجته لان الزواج يحتاج الى خلال المصادقة

٣ ـ هل التوافق الجنسى قائم ؟ وهذا لا يحتاج الى شرح

٤ ـ هل انتما فى صحة حسنة ؟

ليس شك ان المرض فى احد الزوجين من اسباب الفشل والرغبة فى الفرقة

٥ ـ هل ترغبان فى الابناء؟

يثبت من احصاءات الطلاق ان الذين لا يتناسلون يرغبون فى الطلاق اكثر ممن لهم ابناء

٦ ـ هل ترغبان فى ضبط التناسل!

كثرة الابناء تؤدى الى تعب الزوجة وزوال جمالها كما ان الزوج يشقى كثيرا لكى يعول ابناءه اذا كثروا . وكل هذا يعمل للفشل فى الزواج

٧ ـ هل تتفقان فى الاخلاق ؟ وهذا لا يحتاج الى شرح

٨ ـ هل تشتركان فى عمل ما ؟

هذا الاشتراك يزيد الزواج قوة برباط اخر غير الرابطة الزوجية

٩ـ هل تتعارفان قبل الزواج ؟

لقد ثبت ان الزواج الثابت يحتاج الى تعارف طويل قبل الزواج حتى تنشأ صداقة قائمة على الميزات الحقيقية لكل من الخطيبين

١٠ ـ هل أباؤكما سعداء ؟

الاغلب ان الفتاة ستعيش كما عاشت امها لانها عاشرتها كثيرا وأخذت عنها اسلوبا خاصا فى السلوك والاخلاق . فاذا كانت اما قد عاشت مع والدها على وفاق . فان الاغلب انها هى سوف تعيش هى ايضا على وفاق مع زوجها القادم . وكذا الشأن فى الزوج

١١ ـ هل عندكما دخل كاف ؟ وهذا لا يحتاج الى شرح

١٢ ـ هل يشرب احدكما الخمر ؟

فى الشراب الامتناع خير من الاعتدال . لان الاعتدال قد يستحيل فى النهاية بقوة العادة الى ادمان . وهنا خراب الاسرة

١٣ ـ هل احد منكما يقامر ؟ وهذا لا يحتاج الى شرح

١٤ ـ هل تحب خطيبتك اكثر من امك ؟

هذا السؤال الحميم من اهم الاسئلة . لان هناك شبانا يتعلقون بامهاتهم . وهذا ما لا تطيقه زوجة على وجه الارض

١٥ ـ هل تسويان الخلاف بينكما بسرعة ؟

كان سريعا الى معالجتها بالحسنى والوفاق فان هذا السلوك يدل على انه سيكون زوجا صالحا .
اما اذا كان حين يغضب ينزوى ويسكن ويحب الانفراد فان هذا يعنى انه لا يبالى الطلاق والفرقة

١٦ — هل تنويان ان تعيشا مع ابوى احدكما ؟

اذا فعلتما ذلك فان الطلاق هنا ليس ممكنا بل مرجحا

١٧ — هل تعودتما النظام فى العمل ؟

نظام البيت للزوجة ونظام المكتب للزوج يكفلان السعادة

١٨ — هل احد منكما سريع الى الانفعال والتهيج ؟ لا حاجة الى الشرح هنا

١٩ — هل انتما تداومان على الذهاب الى الكنيسة ؟

للدين قوة عظمى فى تنظيم الاخلاق وتهدئة الخلافات

٢٠ — هل احدكما مدين ؟

الديون تربك النظام الاقتصادى للبيت وتجعل الهموم كثيرة

٢١ — هل بحثتما المسائل المالية قبل الزواج ؟

زواج على غش فى المسائل المالية يجعل الزواج لا يعيش كثيرا

٢٢ — هل تعامل خطيبك أو خطيبتك بالاحترام ؟

ليس الاحترام واجبا بين الخطيبين بل هو واجب بين الزوجين ومقدار قليل من الكلفة تخالط الفة الزواج تضمن للزوجين حياة سعيدة

الامراض المتوطنة وصحة الامة

من محاضرة للدكتور محمد خليل عبد الخالق

ليس عجبا ان يتفاءل المعاصرون بمستقبل الجيش المصرى ، فان ماضيه القريب وحروبه التى ابلى فيها أحسن البلاء أيام محمد على وسعيد واسماعيل وتوفيق تبسط الرجاء فيه كاداة للدفاع عن الحمى ووسيلة من وسائل توطيد السلام العالمى

ولكن هذا الحلم المعسول يتبدد امام الحقائق التى أصبحت معروفة للاوساط العسكرية خصوصاً القائمين على حركة التجنيد

ذلك بان ٨٠٠٠٠ من ٩٠٠٠٠ مقترع يرفضون لقصر قامتهم أو تشوه أجسامهم بالعاهات . يعنى أن نحوا من ٩٠ فى المائة من المقترعين تبدو عدم لياقتهم للخدمة العسكرية ظاهرة للعيان بدون فحص طبى

أما العشرة فى المائة الذين يمرون من كشف الهيئة فان ٩١ فى المائه منهم يتضح بالفحص الطبى انهم مصابون بالامراض الطفيلية اصابات بسيطة

ويقول الدكتور اسينس كبير أطباء الجيش المصرى سابقا ان ١٤ فى المائة من مرضى المستشفيات العسكرية مصابون بامراض طفيلية . وان ٢٩ فى المائة من الذين يرفتون من الجيش يرجع السبب فى رفتهم الى البلهارسيا المعوية المنتشرة فى شمال الدلتا

يتضح مما تقدم أن ٤ فى المائة من المقترعين بين سن الـ ١٩ و ٢١ هم الافراد الصالحون للخدمة العسكرية من بين شبابنا فى هذه السن التى يجب أن تتوفر فيها الكفاءة الجسمانية والكفاءة البدنية .

وبمقارنة حالة المجندين فى بريطانيا العظمى بحالة المجندين فى مصر يتضح أن الصالحين منهم هناك يبلغون ٥٧ فى المائة بينما هم فى مصر ٤ فى المائة

كانت الاراضى الزراعية الى القرن الحالى، تروى بالحياض ، حيث تكون الارض جافة معرضة لاشعة الشمس معظم شهور السنة كما هو الحال فى مديريات جرجا وقنا واسوان اليوم ، مما يجعلها غير ملائمة لنمو الطفيليات . فلما تحول الرى فى الدلتا ومصر الوسطى من حوضى الى صيفى خصوصاً اذالم يكن الصرف متوافرا وجدت هذه الطفيليات بيئة صالحة لنموها فتكاثرت . ويسرنى أن أذكر فى هذا المقام ان الاتجاه الجديد فى مصلحة الرى ينصرف الان الى تحسين الصرف وخفض مستوى المياه الجوفية حتى لقب حسين سرى باشا نفسه بانه وزير صرف لا وزير رى.

لا شك فى أن الطفيليات تفرز سمومها فى الجسم فتعوقه عن النمو ولسنا نقول ذلك تمشيا مع النظريات الفسيولوجية ، ولكن نسوق البرهان عليه من الاحصاءات التى حصلنا عليها من مصلحة القرعة العسكرية ، ومنها يتضح أن المرفوضين من المقترعين لقصر قامتهم يبلغون ٢١ر٠٨ فى المائة بالوجه البحرى و١٨ر٧ فى المائة بمصر الوسطى و ٩ر٤١ فى المائة بمصر العليا وهذه النسبة تتفق تماما مع درجة انتشار الطفيليات فى هذه المناطق

وعلى الرغم من أن الفلاح المصرى صبور يشتغل بالنهار والليل ساعات طويلة فان انتاجه العضلى ضعيف . وقد قارن المستر براون مدير قسم البساتين بوزارة الزراعة نفقات حفر قناة فى مصر وفى انجلترا فوجد انها تتكلف اقل فى انجلترا رغما عن تفاهة أجر الفلاح المصرى وذلك لان انتاج الانجليزى يفوق انتاج المصرى فى المناطق الموبوءة اضعافا مضاعفة وقد فرغ الباحثون من اثبات ما للامراض الطفيلية من تأثير مدمر على قوى الانتاج العضلى .

وليس تأثير الطفيليات على القوى العقلية باقل منه على القوى الجسمانية . ويتجلى ذلك عن مخاطبة الفلاحين ومشاهدة تصرفاتهم كما يتجلى فى المدارس الالزامية فى الريف

وتلك نقطة هامة لان الحرب الحديثة تتطلب استعمال أدوات حربية غاية فى دقة الصناعة والتعقيد الميكانيكى وهذه الحرب لا تنهض على اكتاف جنود خارت قواهم ونضب معين ذكائهم فاذا أردنا أن نمد الجيش المصرى الحديث بحاجته من الجنود الاصحاء فى الجسم والعقل يجب علينا المبادرة بتحقيق ما يأتى

اولا — توفير المياه الخالية من الجراثيم للشرب فى القرى سواء أكانت من بار عميقة أم مياه مرشحة ومعقمة

ثانيا — اقامة مراحيض فى كل منزل من منازل الريف حتى لا يلجأ السكان الى التبرز فى فناء الدار أو حولها أو على شواطىء مجارى المياه حول القريه وغير ذلك . ولا ينتظر أى اصلاح ما ، ما دامت المواد البرازيه منتشرة فى افنية الدور وفى الطرقات وعلى شواطىء الترع والمجارى ويتعرض للعدوى منها الاطفال منذ نعومة أظفارهم . ولا توجد مراحيض فى قرى الريف المصرى الا فى ٢٫٥ فى المائة من المنازل

ثالثا — نظافة القرى على وجه العموم بازالة القمامة والقاذورات يوميا بالكنس والرش والتخلص منها بالحريق أو دفنها فى الارض أو نحو ذلك

بدون هذه الثلاثة الوسائل (مجتمعة) لا أمل لنا مطلقا فى الحصول على جنود اكفاء فى المستقبل والى أن يحين الوقت لتنفيذ ذلك بانشاء المجالس القروية والمحلية التى يجب أن توكل اليها هذه الاعمال ، علينا أن نبادر بفحص وعلاج تلاميذ المدارس الالزامية التى سيدخلها جميع الاطفال المصريين فى المستقبل القريب . وربما كان من الافيد لمصر علاجهم قبل تعليمهم : فكثير منهم نظرا لشدة عدواهم لا يمكنهم الاستفادة من التعليم بهذه المدارس . زد على ذلك ان الفقر المدقع ، يدفع باهل هؤلاء التلاميذ الى ارسالهم فى الصباح بحيث لا تستر اجسامهم ملابس تحميهم من برد الشتاء وحر الصيف ، وتستنزف الطفيليات دماهم مما يجعل هذه المدارس دون علاج الاطفال وتغذيتهم دور تعذيب لا دور تعليم

ويسرنى أن أذكر أن وزارة المعارف منتبهة الى هذه الحالة السيئة وتقوم الآن بوضع نظام كامل للعناية بصحة هؤلاء الاطفال فى سائر المدارس كشق هام من واجباتها التعليمية اذ اتضح أن اعتلال صحة هؤلاء الاطفال عقبة ليس من السهل التغلب عليها لنجاح التعليم

وسيكون لذلك النظام بعد تنفيذه أثره الحسن فى رفع مستوى التعليم والصحة والذكاء وسيكون من نتائجه البعيدة أن يكون هؤلاء الصبية عند بلوغهم سن التجنيد اصلح من الجيل الحاضر للجندية الحديثة .

وفى الوقت الحالى يجب أن يكون فحص المجندين عاما وشاملا ، ويجب أن يعالجوا جميعا حتى الشفاء من هذه الامراض قبل البدء فى تدريبهم . ولا يكون الفحص والعلاج قاصرا على من تبدو على سيماهم علامات المرض أو شحوب اللون

نابليون فى مصر

للاستاذ حبيب غزالة بك

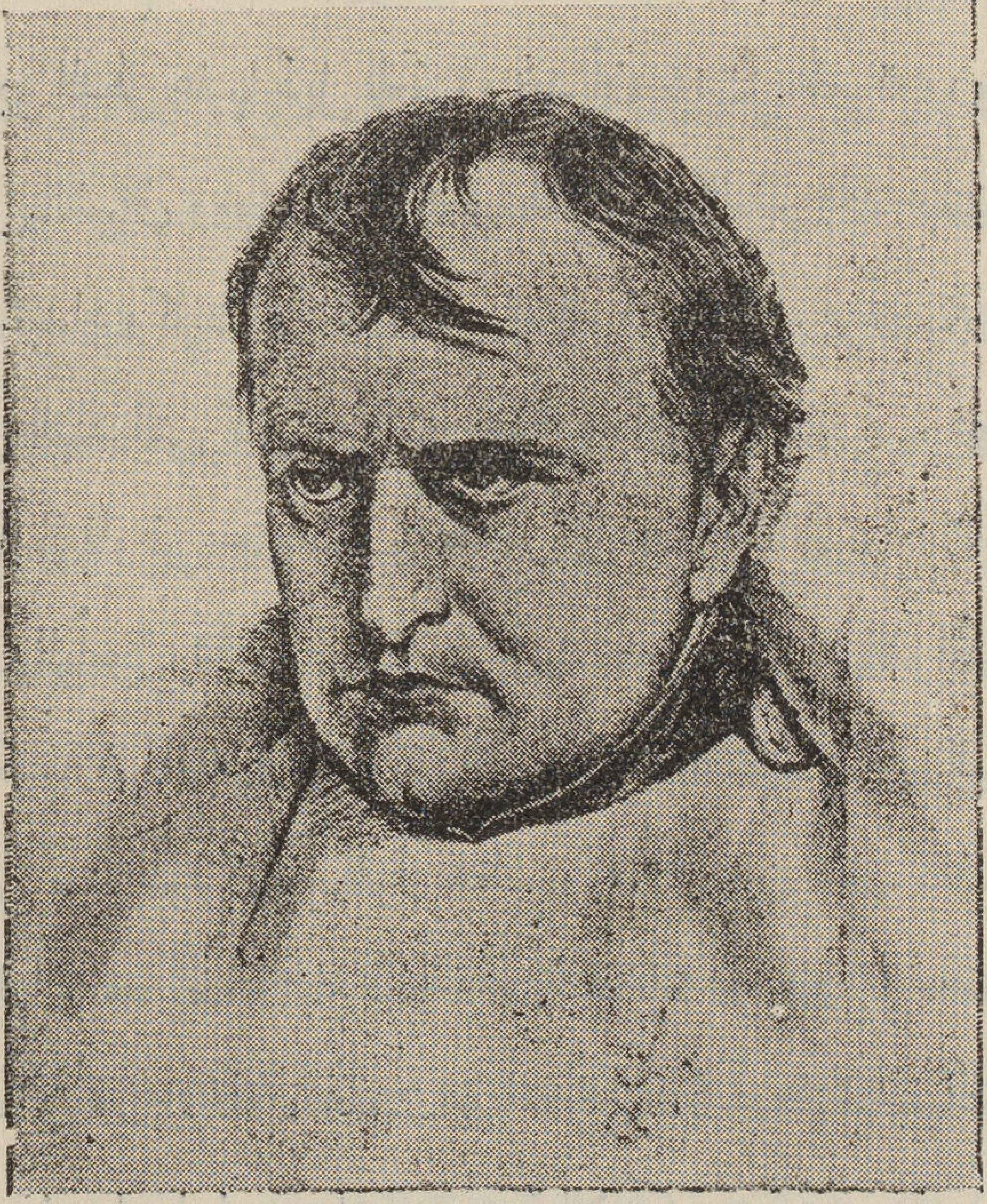
لما ارتفع مقام نابليون فى أفاق الغرب ولى وجهه شطر الشرق وجاس بفكره خلال الربوع التى جر الدهر عليها ذيل العفاء بعد أن كانت عامرة ورياض العلم فيها زاهية زاهرة وبينها مصر عروس الشرق ومهد الحضارة ومطلع انوار العلم وقد عبثت بها يد الدهر ففشت فيها عوامل الجور والاستبداد وكانت وقتئذ فى يد امراء المماليك . فرأى نابليون انه متى أصبحت فى حوزته تمهدت له طريق الهند التى كانت مطمح انظاره واتيح له ان يقيم دولة عظيمة فى الشرق تكون قاعدتها مصر

ولما فاوض حكومة الادارة فى هذا الشأن ترددت فى الامر خوفا مما كانت عليه انجلترة من القوة والبأس . فما فتىء نابليون يؤيد حجته ويسرد الفوائد التى تعود من ذلك على فرنسا حتى استمال الحكومة فوافقته على أن يبقى الأمر سراً مكتوما . وفى اليوم التاسع عشر من شهر مايو سنة ١٧٩٨ قام من مينا طولون بأسطول عظيم ونحو اربعين الف مقاتل . وبعد ٢٠ يوما وصل الى جزيرة مالطة واحتلها وبعد بضعة أيام سار قاصدا جزيرة اقريطش (كريد) وقد أراد بذلك تضليل الاسطول البريطانى فان انكلتره علمت بقيامه وأرسلت أسطولها بقيادة الاميرال نلسون ليقتفى أثاره . أما نابليون فانه وقف باسطوله بعيدا عن مدينة الاسكندرية ثم سار الى حصن (طابية) العجمى وهو على بعد بضعة أميال غربا ونزل به ليلا مع كتيبة من جنوده وقبيل الفجر انقض على المدينة ودخلها عنوة . وقبل وصوله ببضعة أيام نشر أمرا وهو فى عرض البحر حذر فيه جنوده من السلب وانتهاك حرمة الآداب وأنذرهم فيه بأن من يأتى منهم أمرا منكرا يقتل

وقد ظن نلسون فى بدء الأمر أن الاسطول الفرنسى قصد سواحل سورية . ولما علم أنه قام الى الاسكندرية أسرع فى العود اليها وقصد مرفأ أبو قير وكانت السفن الفرنسية راسية هناك فأطلق عليها القنابل ودمرها وكان ذلك فى شهر أغسطس سنة ١٧٩٨ م . وبعد ذلك أخذت الدولة العثمانية

فى تعبئة الجيوش فقام نابليون وحاربها ثم عاد الى مصر وهزم الجيش الذى نزل على حدودها . وفى سنة ١٧٩٩ سافر الى فرنسا بعد أن ولى على مصر الجنرال كليبر الذى قتله غيلة سليمان الحلبى سنة ١٨٠٠م باغراء بعض أغوات اليكيجرية (الانكشارية) فأخلفه الجنرال مينو . وفى عهده جلا الفرنسيون عن مصر .

ولولا تدمير البوارج الفرنسية فى ابو قير لاستطاع نابليون أن يحقق آماله بانشاء دولة عظيمة فى الشرق. أما القلاقل والثورات التى كانت لاتنقطع فى ذلك العهد فأسبابها ما كان يدبره المماليك من المكايد لخروج الحكم من يدهم فكانوا يوغرون صدر المصريين ويتربصون بالفرنسين الدوائر .


نابليون

ولما استتب له الامر أخذ فى تنظيم الادارة والقضاء فأنشأ ديوانا من صفوة العلماء وهو أول مجلس وطنى نيابى انشىء فى مصر وكان أعضاؤه عشرة وهم الشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ خليل البكرى والشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى والشيخ محمد المهدى والشيخ موسى السرسى والشيخ مصطفى الدمنهورى والشيخ احمد العريشى والشيخ يوسف الشبراخيتى ومحمد الدواخلى . وكان هذا الديوان مختصاً بالنظر فى جميع الشؤون ويسمى الديوان العمومى . وأنشأ ديواناً آخر وهو الديوان الخصوصى وأعضاؤه اثنا عشر ، ستة من المسلمين وستة من النصارى ، وكان مختصاً بالفصل فى دعاوى التجار وغيرهم والنظر فى المواريث ثم جعل له ستون عضواً منهم أربعة عشر يحضرون جميع جلساته والباقون يحضرون عند الاقتضاء . ولما تولى الجنرال مينو بعد مقتل كليبر عين لهذا الديوان تسعة من المشايخ فقط . وكان حكام الأقاليم من كبار الجنرالية . فتقلد الجنرال ديزيه اقليم الصعيد ، والجنرال مورات اقليم القليوبية ، والجنرال لنس اقليم المنوفية غربا ،

وعين الجنرال دوجا فى المنصورة ، والجنرال فيال فى دمياط . أما القاهرة فعين لها الجنرال ديبوى.

وقد نهج نابليون فى أعماله منهج العدل فكان يسند المناصب الى من يأنس فيهم الامانة والاستقامة . وقد انشئت فى عهده القناطر والترع التى عم بها النفع . وهدم الكثير من الأبنية لتوسيع الطرق وتنظيمها . وكانت توقد القناديل ليلا على أبواب الدور والحوانيت ثم استبدلت بمجامع فى كل مجمع أربعة قناديل وبين كل منها ثلاثون ذراعا ، وكان يقوم بنفقتها الاغنياء . وانشئت مستشفيات فى القاهرة والاسكندرية ورشيد ودمياط . ومحاجر صحية (كورنتينات) فى الثغور . وكان فى بولاق محجر يحجز فيه القادمون من الانحاء القبلية والبحرية أياما معدودة لاتقاء غائلة الاوبئة وغيرها من لأمراض المعدية. وقد قام الأطباء فى ذلك العهد بدرس الأمراض المتوطنة كالرمد والجذام والتيتانوس وداء الفيل والطاعون . وبنيت طواحين هوائية فوق المقطم ، وأنشئت معامل للنسيج والغزل والصباغة وصنع البارود .

ولما عاد نابليون إلى فرنسا التى خطاباً فى المجمع العلمى شرح فيه ما أتاه فى مصر من الأعمال ومما قاله أنه كانت فيها فى غابر الزمن قناة لمرور السفن بين بحرى الروم والأحمر وقد وضع رسومها وقدر ما يستدعى حفرها من النفقات

ولما قام إلى مصر أتى مع الحملة الحربية بنخبة من أكابر العلماء عددهم ١٤٦ عالماً وأعد لهم مكتبة حافلة بأنفس المؤلفات ، قال عنها الجبرتى : « انهم كانوا يرحبون بمن يأتى اليها من المسلمين ويتلقونهم بالبشر ويطلعونهم على الكتب المطبوع بها صور أعاظم الرجال ورسم البلاد والأقاليم والحيوانات والطيور والنباتات وتواريخ القدماء وأخبار الأمم وقصص الأنبياء ، وأن كثيراً من الكتب الاسلامية مترجم بلغتهم . ورأيت عندهم كتباً مفردة لأنواع اللغات وتصاريفها واشتقاقها . وشاهدت فى المكان المعد للأعمال الفلكية الآلات المصنوعة من الصفر المموه »

ووصف الجبرتى كثيراً من أعمالهم الفنية والعلمية كالتراكيب الكيميائية ونحوها . وذكر الأماكن التى كانت معدة للنجارة والحدادة وصنع طواحين الهواء والعربات وعمل الآلات الدقيقة مثل البركارات وأدوات الساعات والالات الهندسية وغيرها .

وكانت دار ابراهيم السنارى وكيل مراد بك مخصصة للرسامين والمصورين وهم الذين رسموا

المناظر والآثار وأشهر رجال مصر وأنواع الصناعات وكل ذلك باليد لان التصوير الشمسي (الفوتوغرافية) لم يكن معروفاً فى ذلك العصر . ودار السنارى باقية إلى الآن وهى بجوار المدرسة السنية بحى الناصرية .

وقد قام أولئك العلماء باستطلاع أحوال البلاد فجاسوا خلالها وما جاورها وتاخمها ، وبعد البحث الدقيق كل فيما اختص به من العلوم والفنون وضعوا المؤلف الكبير ، بل الاثر الجليل الذى أودعوه خلاصة أعمالهم ومباحثهم وسموه « وصف مصر » وطبع فى باريس فى ٩ أجزاء كبيرة و ١١ مجموعة ضخمة (أطالس) وظهر الجزء الاول منه فى سنة ١٨٠٨ وأعيد طبعه بعد ذلك بحجم صغير وقد حوى هذا المؤلف الثمين تاريخ مصر ووصف الاثار والصناعات والفنون والنباتات والحيوانات والطيور وأسماك النيل والبحر الاحمر وبحر الروم والاصداف والاعشاب المائية غير ما حواه من خرائط البلاد المصرية والبقاع المجاورة لها ورسم المعاهد والآثار . واجمال القول أنه لم يدع شاردة ولا واردة عن مصر الا أحصاها .

ومن أجل نفحات الحملة الفرنسية حل رموز الخط الهيروغليفى فقد عثر أحد رجالها واسمه « بوشار » فى أثناء الحفر لبناء حصون حربية بالقرب من رشيد على حجر من (البازلت) وهو الحجر الشبيثى عليه كتابة بالقلم الهيروغليفى وتحتها كتابة بالقلم الديموطيقى وفى أسفله كتابة باليونانية (وهو الان بدار التحف فى انجلترة)

وكان القلم الهيروغليفى من الرموز التى عجز الباحثون عن حلها . ولما وجد هذا الحجر اتجهت اليه الانظار . وكان العالم بلزونى قد أرسل إلى علماء أوربا صورة الكتابة المنقوشة على احدى المسلات المصرية فلما أطلع عليها فرانسوا شامبوليون من كبار علماء الاثار ارتأى أن ما عليها من الكتابة اليونانية هو ترجمة الكتابة الهيروغليفية ووجد عليها اسم بطلميوس ثم وجد هذا الاسم فى القسم اليونانى من حجر رشيد فاخذ فى المقابلة بين الاعلام المحفورة بالحروف اليونانية على هذا الحجر وبين الرسوم المحاطة بدوائر إهليلجية فى القسم الهيروغليفى منه فتوصل بهذه المقابلة الى معرفة نطق بعض الحروف الهيروغليفية فبعث برسالة عن هذا البحث الجليل الى مجمع الكتابات والرقم الأثرية بباريس فى سنة ١٨٢٢ ثم تمكن بالفحص والدرس من قراءة الخط الهيروغليفى .

وممن عني بالبحث فيه من علماء ذلك العصر توماس ينج الانكليزى ، فقد قاسم شامبوليون فى حل رموزه . وكانت اللغة القبطية هى الوسيلة لمعرفة معانى الالفاظ لانها بقية اللغة المصرية مكتوبة بالحروف اليونانية .

والكتابة الهيروغليفية مركبة من أشكال متنوعة بعضها رمزية ، وبعضها يمثل الشىء بصورته وشكله ، ومنها صوتية ، ومنها رسوم متممة للدلالة والايضاح . وكانت اللغة المصرية تكتب بثلاثة خطوط وهى الخط الهيروغليفى ، والخط الهيراطيقى وهو رموز مختصرة من الهيروغليفى ، والخط الديموطيقى ، وهو خط العامة .

ومن أجل مآثر نابليون أنه أنشأ فى مصر مجمعاً علميا على مثال المجمع العلمى بفرنسا ، أمر بانشائه فى ٢٢ أغسطس من سنة ١٧٩٨ وكان على أربعة أقسام وهى (١) الرياضيات (٢) الطبيعيات (٣) العلوم الاقتصادية والاجتماعية (٤) الفنون والآداب . وعين لكل قسم اثنى عشر عضواً . وانتخب العلامة مونج رئيسا له ، ونابليون نائبا للرئيس وفوريه سكرتيرا وخصصت لهذا المجمع دار حسن كاشف جركس أحد أمراء المماليك وكانت بالناصرية مكان المدرسة السنية الآن . وكان نابليون يدعو وجهاء المصريين وعلماءهم لحضور جلساته .

ومن المطالب التى دار عليها البحث فى هذا المعهد جلب الماء الى القلعة وسائر أنحاء القاهرة ، وطرق ترشيحه ، وحفر الآبار فى الصحراء ، وتوفير مواد الوقود ، والبحث عن الأماكن التى تصلح لزرع الكروم واصلاح موات الأرض ، وعمل البارود ، ودرس مقاييس النيل ، وإنشاء مرصد فلكى ، ولا يزال هذا المجمع قائما فى مصر ومكانه الآن فى الجانب الشمالى الغربى من حديقة وزارة الأشغال .

وقد وضع مهندسو الحملة بأمر نابليون رسوماً مفصلة عن الأماكن التى تليق لعمل «خزانات» تحجز فيها مياه النيل .

ومن نفحات الحملة الفرنسية واجل مفاخرها انها أول من أدخل آلة الطبع فى مصر وأول من أنشأ فيها الصحافة فكان فيها ثلاث صحف وهى « ليكوريه دليجبت » (رائد مصر) ظهر العدد الأول منها فى ٢٩ أغسطس سنة ١٧٩٨ . وهى سياسية وتصدر كل خمسة أيام مرة ، وكانت تنشر

فيها الحوادث الحربية وأخبار سوريا وفلسطين . و «لا ديكاد اجبسيان» (العشرية المصرية) وهى أدبية اقتصادية . كانت تصدر كل عشرة أيام مرة ، وتطبع فيها محاضر جلسات المجمع العلمى المصرى ظهر العدد الأول منها فى أول أكتوبر سنة ١٧٩٨ . وكلتاهما باللغة الفرنسية . و «التنبيه» وهى عربية تبحث فى الأدب والسياسة أمر بانشائها الجنرال مينو فى ٦ ديسمبر سنة ١٨٠٠ وكان يحررها السيد اسماعيل الخشاب كاتب سلسلة التواريخ فى ديوان الحكومة وهو من كبار العلماء ونوابغ الكتاب فى ذلك العصر .

وقد طبع وقتئذ فى مصر كثير من الرسائل والجداول الأحصائية وتقويم كبير فيه مقابلة التواريخ والمقاييس والموازين والنقود وغير ذلك .

ومما لا يحتاج الى دليل ان ماتم فى وادى النيل من ضروب الأصلاح والتنظيم انما هو نفحة من نفحات الحملة الفرنسية وحسنة من حسناتها . وبيان ذلك أنه لما ولى محمد على باشا رأس الدولة المالكة عرش مصر راقته تلك الأعمال العظيمة فاخذ فى النسج على منوالها واعتمد فيما قام به من ضروب الأصلاح على من استقدمهم من فرنسا من العلماء مثل لينان دى بلفون (لينان باشا) وموجيل بك وسيريزى وهم من كبار المهندسين . وبيسون الذى قام بانشاء «الدونتمة» المصرية . والدكتور كلوت بك صاحب الفضل فى الأصلاحات الطبية والكولونيل سيف (سليمان باشا الفرنساوى) الذى نظم الجيش وكونتى صاحب المنشئات الكثيرة وأهمها معامل البارود والالات الحربية كالمدافع والسيوف . هذا غير من أوفد من الطلبة الى فرنسا لاجتناء ثمار العلوم منهم العالم الكبير الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى أحد أركان النهضة العلمية فى مصر ومؤسس مدرسة الالسن . ومن الأطباء ابراهيم النبراوى ومحمد الشباسى ومصطفى السبكى وأحمد الرشيدى ومحمد الشافعى ومحمد السكرى وحسين الهيهاوى وغيرهم والسيد حسن غانم الرشيدى للتخصص فى الاقرباذين وعيسوى النحراوى للتخصص فى التشريح وعبد الله السيد لتلقى علم الحقوق وأحمد العطار لتعلم الميكانيكا وغيرهم .

وقد جلت الجنود الفرنسية عن مصر فى شهر سبتمبر سنة ١٨٠١ م (١٢١٦ هـ) بعد أن مكثوا فيها ثلاثة أعوام ونيفا . وأهم الأسباب التى قضت بجلائهم مناوأة انكلترة خوفاً على الهند من أن تنزعها يد نابوليون وما كان عليه الجنرال مينو ، الذى تولى الحكم بعد مقتل كليبر ، من

ضعف الهمة وسوء السياسة .

ولما كان لعظماء الرجال مناقب وحسنات ومساوىء وشيات . يجمل بى فى ختام هذه النبذة أن أشير إلى ما عزاه المؤرخون الى نابليون من السيئات ، فقد ذهب بعضهم إلى أن الباعث له على خوض غمار تلك الحروب التى استعرت نيرانها سنوات كثيرة وباد فيها ما لا يحصى من الخلق انما هى مطامعه وما كانت تطمح اليه نفسه من حب الغلبة ورفع رايته على جميع الاقطار ورأى فريق انه كان مدفوعا اليها لصد غارات الدول التى تحالفت فى ذلك العهد على مناهضة فرنسا

نظرة عامة في أسباب الامراض

للدكتور محمد محمد رجب

تكلمنا فى مقالنا السابق عن الصحة والمرض وتطور العقل البشرى فى نظرته اليهما فرأينا كيف كانت تختلف نظرة الانسان الى الامراض كلما ازداد علمه واتسعت مداركه . وعرفنا كيف حاول أن يعلل أسباب حدوث الأمراض التى كان يصاب بها من قديم الزمان الى يومنا هذا فاتجه فى تفكيره أولا الى الآلهة فظن أن الأمراض نتيجة لغضبها ولكنه عاود تفكيره واستبعد أن تكون الآلهة التى يعبدها ويقدسها يتصل بها الشر . فاتجه فى تفكيره الى الشياطين لانها مطبوعة على الشر . ولكن ذلك لم يكن ليقنعه وقتاً طويلا فحاول أن يعلل حدوث الأمراض بالتغييرات التى تحدث فى الجسم نفسه وليست لها علاقة بالالهة أو بالشياطين فأوجد ابقراط الطبيب اليونانى نظرية الامزجة الأربعة التى استمرت قرنين من الزمان كافية لتعليل حدوث الأمراض وهى أن فى جسم الانسان أربعة سوائل إذا امتزجت ببعضها بنسب متعادلة شعر بالصحة فاذا اختل تعادلها أصيب بالمرض

ثم حاول الانسان بعد ذلك أن يكون تعليله لأسباب الامراض منطبقا على الاشياء المادية التى يلمسها ويحس بها بايجاد الصلة بين حدوث الأمراض وبين البيئة التى تنشأ منها أو تنتشر فيها .

فظن أن الامراض ناشئة من الروائح الكريهة التى تنبعث من المستنقعات القذرة والمياه الراكدة ثم ما زال يتوسع فى ذلك حتى قال انها ناشئة من وجود القاذورات عامة وعدم التخلص منها وليس فقط من وجود الروائح الكريهة المنبعثة من المستنقعات

ثم استمر الانسان مقتنعا بذلك مكتفياً به فى شرح أسباب الأمراض ومرتباً عليه وسائل للوقاية من الأمراض المختلفة حتى القرن التاسع عشر حيث أوجد كوخ وباستير النظرية الميكروبية وهى أن الأمراض ناشئة من وجود كائنات حية أو ميكروبات تدخل جسم الانسان وتفرز سمومها وتسبب

الأمراض . وهذه النظرية مازالت مقبولة حتى يومنا هذا

نظرة الانسان فى العصر الحاضر لاسباب الامراض

لم تعد تلك النظرية الميكروبية وحدها تكفى لشرح أسباب الامراض المختلفة بعد أن تغير كثير من الآراء والنظريات التى كانت معروفه فى الطب تغيراً كبيرا فى السنوات الاخيرة عما كانت قبل خمسين أو مائة سنة تبعا لزيادة البحث وسهولته وتنوعه

فهناك أمراض كثيرة لم تكن أسبابها معروفة وعلاجها ناقص وكان الطبيب يقف أمامها حائرا لايدرى مايفعل أصبحت الآن من البديهيات التى لايختلف عليها . ونحن وان كنا قد قطعنا شوطاً بعيداً فى معرفة أسباب كثير من الأمراض إلا أنه مازال أمامنا شوط آخر قد لا يكون أقل من سابقيه لمعرفة أسباب الأمراض التى لا تزال حتى الآن سراً غامضاً كالسرطان وغيره من الاورام الخبيثة والبسيطة

وتختلف اسباب الأمراض اختلافا بينا فبعضها ناتج من الميكروبات وبعضها من الطفيليات بينما البعض الآخر يرجع لقلة الغذاء أو كثرة الأنهاك وغير ذلك من الاسباب وسنتكلم باختصار عن بعض هذه الأسباب :

الأمراض الناشئة من الميكروبات

ومعظم الأمراض التى نعرفها ناتج من الميكروبات وهذه الميكروبات على نوعين:

ا — ميكروبات حيوانية كميكروب الملاريا الذى يعيش فى دم المريض ويسبب مرض الملاريا وينتقل من دم المريض الى دم السليم بواسطة نوع خاص من البعوض وميكروب الدوسنطاريا (الأميبية) الذى يعيش فى جدر أمعاء المرضى بالدوسنطاريا وقد يسير فى الدم الى الكبد ويسبب حدوث خراج بالكبد وينتقل هذا الميكروب من المريض الى السليم عن طريقة الغذاء الملوث من براز أحد المرضى

ب — والنوع الآخر من الميكروبات هو البكتريا . وهى نوع من النبات فى غاية الدقة وصغر الحجم بحيث لا ترى بالعين المجردة ولكن يمكن رؤيتها بالمجهر (الميكرسكوب) وهذه البكتريا على انواع مختلفة .

فبعضها كروى الشكل وهذه من حيث الحجم أصغرهـا جميعاً فلا يزيد قطر الواحدة منها على واحد من الف (١ — ١٠٠٠) من المليمتر .ومن هذا النوع البكـتريا التى تسبب أمراض السيلان والالتهاب الرئوى والحمى الشوكية وكـذلك التى تسبب حدوث الخراجات (و الدمامل)وتسوس العظام وكـذلك التى تسبب الروماتيزم والحمى القرمزية والحمرة وحمى النفاس وتسمم الدم والتهاب اللوزتين وغيرها.

وبعضها عصوية الشكل : وهذه تختلف فى طولها من راحد من الف (١ — ١٠٠٠) من المليمتر الى (٨ — ١٠٠٠) ثمانية من الف من المليمتر . ومن الامراض التى تنشأ من هذا النوع من البكتريا مرض التدرن (السل) بجميع انواعه كالـتدرن الرئوى وتدرن العظام وغيرها : وكـذلك مرض الجذام (البرص) والدوسنطاريا (البكـتريا) وتحدث كـثيراً فى الاطفال فى مصر والدفتيريا وخطره معروف للجميع . والتيفود الباراتيفود وتحدث العدوى بهما عن طريق الغذاء . وكـذلك الطاعون بأنواعه الدملى والرئوى والتسممى . والحمى المتموجة (المالطية) التى تكثر فى جزيرة مالطة . والحمرة الخبيثة بانواعها . والتيتانوس . والغنغرينـا الغازية وتحدث فى بعض الجروح القذرة وتسبب الوفاة السريعة

أما ميكروب الكوليرا فله شكل خاص به فهو عصوى الشكل ولكـنه ليس مستقيما بل مقوسا كالهلال.

وبعض الأنواع تشبه اللولب او الحلزون فى شكلها وتختلف فى طولهـا وأهمها اللولبيات التى تسبب أمراض السفلس والحمى الراجعة وغيرها .

جـ — وهناك نوع ثالث من هذه الميكروبات تسمى الريكتز يمكن إعتبارها نوع من البكتريا تعيش فى الجهاز الهضمى لبعض الحشرات كالقمل والقراض وتمتص هذه الحشرات دم الانسان فتنقل اليه هذا النوع من الميكروبات وتسبب له العدوى بأمراض مختلفة يعتبر التيفوس أهمها وأخطرها.

د — وهناك نوع رابع من الميكروبات لا يمكن رؤيته بالعين ولا يرى بالميكروسكوب ولكن يمكن تمييزه والتحقق من وجوده بواسطه التأثيرات التى يحدثها والأمراض التى يسببها . وقد أمكن اختراع أجهزة خاصة أمكن بواسطتها رؤية بعض أنواع هذه الميكروبات الدقيقة بينما البعض الآخر

لم يمكن رؤيته بكل الاجهزة التى أمكن اختراعها حتى يومنا هذا

والامراض التى تنتقل بهذا النوع من الميكروبات هى أمراض الجدرى والجديرى ومرض الكلب . والحمى والصفراء والحصبة والالتهاب النكفى الوبائى والانفلونزا والزكام والدنج وغيرها

الامراض الناشئة من الطفيليات

وهذه الطفليات على نوعين حيوانية أو نباتية

ا ـ الطفيليات النباتية كقراع الرأس الذى يصيب الاطفال غالبا

ب ـ الطفيليات الحيوانية وهذه تشمل الديدان المختلفة كالبلهارسيا والانكلستوما والاسكارس كما تشمل الطفيليات الحشرية كحيوان الجرب الذى يثقب جلد الانسان ويعيش فيه ويهيج أطراف الاعصاب الحسية عند تحركه فى المساء فيضطر المريض بالجرب الى الهرش

أما الديدان الطفيلية فلها أهمية خاصة فى مصر نظراً لانتشارها ،فديدان البلهارسيا مثلا تسبح فى دماء مالا يقل عن عشرة ملايين من المصريين وتسبب لهم البول الدموى وتضخم الطحال وتليف الكبد والتهاب المثانة والتهاب الكلى وتمددها وتكون الحصاوة فى الحالب والمثانة قد تنتهى بهم الى احداث السرطان بالمثانة

وانه لينذر أن تجد أحد ساكنى الريف خاليا من البلهارسيا أما فى المدن فتقل نسبة الاصابة بالبلهارسيا لوجود المياه النظيفة الصالحة للشرب ولعدم ملامسة المياه النيلية المحملة بديدان البلهارسيا لاجسامهم .

أما ديدان الانكلستوما والاسكارس فانها هى الاخرى تسكن فى امعاء مالا يقل عن هذا العدد أيضا من المصريين . فتمتص دماءهم وتضعف أجسامهم وتقلل من نموهم ومن قدرتهم على العمل .

وقد يظن المرء لاول وهلة أن ضرر هذه الديدان الطفيلية قليل بالنسبة للامراض الميكروبية التى تنتشر بسرعة وتقتل كثيرا ممن تصيبهم كالتيفوس والتيفود والجدرى والكوليرا وغيرها والحقيقة غير ذلك فأن الامراض الوبائية التى تحل بالبلد وتقتل عددا معينا قد يصل الى الف أو الفين أو حتى عشرين الفا ثم تذهب كأنها لم تكن يغلب أن تقتل ضعاف الاجسام والاطفال والمسنين

الذين ليس لهم من قوة الجسم ومن المقاومة ما يمكنهم من مقاومة المرض والتغلب عليه . أما هذه الامراض الطفيلية كالبلهارسيا والانكلستوما فانها لاتقتل المصاب بها بسرعة ولكنها تضعف من قوته ومن قدرته على العمل . فاذا فرضنا أن قدرة الشخص المصاب بها قد نقصت الى ثلثى قدرة شخص السليم على اداء العمل

وعلمنا أن هذه الديدان تسكن فى أجسام عشرة ملايين شخص وتهد من قوتهم فان قدرة هؤلاء العشرة الملايين توازى مالا يزيد على سبعة ملايين من الاصحاء أى أن الوطن فى الحقيقة قد خسر مجهود ثلاثة ملايين من ابنائه وهذه الخسارة مستمرة وهى تشمل الرجال الذين فى سن الشباب كما تشمل الاطفال والمسنين على السواء فأى الخسارتين أكثر جسامة من وجهة النظر الوطنية البعيدة عن العواطف . هل خسارة ألف أو ألفين او حتى عشرين الفا معظمهم من ضعاف الأجسام والاطفال والمسنين أم خسارة ثلاثة ملايين من الاشخاص . ومن هنا ترى الصعوبة التى تواجهها حكومتنا فى الحصول على الاشخاص الاقوياء فانه يصعب ان تجد شخصا من أهل الريف يليق للخدمة العسكرية وليس فى حاجة لبعض العلاج للتخلص من تلك الديدان على أنواعها حتى يستعيد صحته وقوته

الأمراض الناشئة من نقص الاغذية

ونقص الغذاء على نوعين . فاما أن يكون كمية الغذاء التى يتناولها الشخص صغيرة ومع ذلك فهى تحتوى على جميع العناصر اللازمة للجسم من المواد . والامساك المستمر من الامراض التى تنشأ من قلة كمية الغذاء لأن الامعاء فى حاجة دائمة إلى كمية كثيرة من الفضلات الغذائية حتى تستمر فى عملها بانتظام دون الحاجة إلى العقاقير والملينات .

أما الأمراض الناشئة من نقص بعض المواد الضرورية للجسم فهى كثيرة وتختلف باختلاف دة الناقصة ففقر الدم ينشأ من نقص كمية الحديد فى الغذاء والأمراض الناشئة من نقص الفيتامينات كثيرة منوعة وهى تشمل البلاجرا والبريبرى والاسكربوط والكساح ولين العظام وقلة النمو الجسمى وتقرح القرنية وجفاف العين — وضعف مقاومة العدوى بالأمراض المختلفة .

***

الأمراض الناشئة من كثرة الغذاء

كما أن هناك أمراضاً تنشأ من قلة الغذاء فكذلك هناك أمراض يصاب بها الشخص اذا تناول من الاغذية مايزيد على حاجة جسمه ، ومن هذه الأمراض السمن

وهناك امراض يساعد على حدوثها زيادة بعض أصناف الغذاء فمن ذلك مثلا الرواسب التى تحصل فى البول وتساعد على تكون الحصا بالكلية أو بالمثانة . وتنشأ هذه الرواسب من الاكثار من بعض اللحوم كالكبد والكلى والقلب والمخ والحلويات واللحم الاحمر وكذلك الاكثار من بعض الخضروات كالسبانخ وبعض الفواكه كالفراولا (الشليك) وغيرها تساعد عند بعض الناس على تكون الرواسب البولية التى منها يتكون الرمل الذى قد ينزل مع البول أحيانا وقد يتجمع وبسبب الحصاة أحيانا أخرى

الأمراض الناشئة من اختلال الغدد

ذوات الافراز الداخلى

وقد زاد الاهتمام بدراسة تلك الغدد ذوات الافراز الداخلى التى ينصب ما تفرزه فى الدم مباشرة واكتسبت أهمية خاصة فى السنوات الأخيرة وأصبحنا نعرف من خواص تلك الغدد وتأثيرات افرازتها ماأدهشنا وقد أمكننا بواسطة افرازت تلك الغدد (الهرمونات) تفسير كثير من الظواهر الجسمية التى كنا لانعرف لها سببا فيما مضى .

ومن الأمراض الناشئة من اختلال تلك الغدد ما يأتى :

ا ـ مرض البول السكرى ـ ويسميه البعض مرض السكر وهذا المرض ناشىء من اختلال الافراز الداخلى لغدة البنكرياس . والبنكرياس هذا عبارة عن غدة مكونة من جزءين جزء خاص بافراز العصارة اللازمة لهضم الاغذية المختلفة فى الامعاء وجزء خاص بافراز ذلك الافراز الداخلى الذى مباشرة فى الدم ويسمى الانسولين. فاذا نقص افراز هذا الانسولين عما يكفى للجسم ظهر السكر فى البول والعكس بالعكس .

ب ـ إفراز الخصيتين والمبيضين : والافراز الداخلى الخصيتين عند الرجال والمبيضين عند الاناث ـ هو السبب فى ظهور علامات الرجولة عند الرجال والانوثة عند الاناث وهذا الافراز الداخلى

الذى ينصب فى الدم مباشرة ويسبب ظهور العلامات هو خلاف وظيفتها الأخرى الخاصة بتكوين الحيوانات المنوية عند الرجال والبويضات عند الاناث . فاذا نقص الافراز الداخلى للخصيتين عند الرجال أصيبوا بالضعف الجنسى وظهرت عليهم أعراض أخرى . أما اذا كان هذا الافراز غير موجود منذ البداية كما يحدث عند اخصاء الاطفال (كما فى الاغوات) فان أعراض الرجولة ومميزاتها لا تظهر عليهم فيصير صوتهم رفيع النبرات كالاناث ولا ينمو شعر لحيتهم ويكونون طوال الاجسام . والحال كذلك عند النساء فان قلة الافراز الداخلى للمبيض كما يحدث فى بعض السيدات عند انقطاع الطمث فى سن ٤٥ أو ٥٠ أو كما يحدث عند بعض السيدات اللاتى يتعرضن لعمليات جراحية يكون من جرائها استئصال المبيضين فانهن يصبن باضطرابات عصبية ويكن سريعات التأثر والانفعال وقد يؤدى ذلك الى الجنون فى بعض الاحوال . وهناك غدد أخرى خلاف ما ذكرت ولها من الاهمية ما لا يقل عما ذكرت فالغدة الدرقية مثلا (وهى موجودة بالرقبة) اذا نقص افرازها عند الاطفال نشأوا قصار الاجسام ضعاف العقول واذا حدث ذلك فى البالغين أصيبوا بالسمن والترهل ولا يمكنهم تحمل الجو البارد بسهولة . بينما اذا ازداد افراز تلك الغدد فانه يسبب اضطرابات عصبية ويؤثر على القلب فتختل ضرباته وتسبب جحوظ العين وغير ذلك من الاعراض

الامراض الناشئة من كثرة الاجهاد

وهناك بعض الامراض ناشئة من كثرة الاجهاد الجسمى . وعلى الاخص الاجهاد الفكرى دون الحصول على وقت كاف للراحة وأهم هذه الامراض هو ازدياد الضغط الدموى وما يصاحبه من الاعراض كالصداع أو ينتج عنه من المضاعفات كحدوث النزف فى المخ أو فساد القلب وضعفه بطول الوقت وكثرة المجهود الملقى عليه لادائه نتيجة لزيادة الضغط الدموى

وهناك أمراض بالوراثة وأخرى تأتى بالاستعداد : وهذا الاستعداد وراثى أيضا الى حد كبير فيصاب بها من عندهم ذلك الاستعداد اذا وجدت الظروف الملائمة لذلك

أمراض ناشئة من كبر السن وتحلل الجسم

يستمر الطفل فى النمو منذ الساعة الاولى لولادته حتى سن البلوغ فيزداد وزنه ويكبر جسمه،

حتى يصل الى درجة البلوغ فيكون جسمه قد اكتمل ثم يستمر كذلك حتى يبدأ فى الهرم فيبدأ جسمه فى الانحلال تدريجيا حتى ينتهى الى القبر . فتضمر بعض الاعضاء ويقل نشاط الاعضاء الاخرى فمن ذلك مثلا حدوث بعض التغيرات فى جذر الاوعية الدموية كالشرايين فتتحجر بعض اجزائها وبذلك يصير من السهل تجمد الدم عليها وانسدادها . واذا حدث ذلك مثلا فى شرايين القلب تعرضت حياة الشخص للخطر وقد يكون ذلك نهاية أجله واذا حدث ذلك فى المخ أصيب بالشلل وهكذا .

ومن المشاهد أنه كلما ازداد سن الاشخاص الطاعنين فى السن ضعفت قوة تفكيرهم وقلت قدرتهم على تمييز الاشياء نظرا لضعف جهازهم العصبى

امراض لم نعرف أسبابها بعد

على اننا وان كنا نعرف كل هذه الاسباب المتباينة المنوعة لاحداث لامراض الا أن علمنا لم يصل بعد الى درجة الكمال فهناك أمراض لا نزال نجهل أسبابها كالاورام اليسيطة والخبيثه التى تظهر فى أجزاء مختلفة من الجسم دون سبب ظاهر ولا تزال الابحاث تجرى فى كل مكان وفى كل قطر وينفق عليها الاف الجنيهات لمعرفة أسبابها كالسرطان وغيره من الامراض لاننا اذا عرفنا أسبابها أمكننا الى حد ما تجنب حدوثها ثم علاجها عند حدوثها

وقد كان من نتائج الابحاث الكثيرة التى اجريت على السرطان أن أمكننا معرفة أن هناك عاملين مهمين لاحداثه

١ ـ ان للوراثة لها تأثيرا كبيرا عليه اى ان هناك استعدادا وراثيا لحدوثه فى اجسام بعض الناس ومن التجارب التى اجريت صناعيا احداث السرطان فى بعض الحيوانات ثم تجربة احداثه فى نسلها فوجد أن نسلها أكثر استعدادا لحدوث السرطان من الحيوانات الاخرى

٢ ـ أنه ينشأ بالتهييج المستمر لمدد طويلة فمثلا كان بعض العمال الاوربيون يصابون بسرطان الشفة باستعمالهم غليونا (بيبه) مصنوعة من مادة خاصة مدة طويلة لا تقل عن عشرة أو خمسة عشر سنة . والعمال المشتغلون ببعض الصناعات الكيماوية كالاصباغ (الانيلين) يكثر اصابتهم بسرطان

المثانة البولية لافراز تلك المادة فى بولهم فتهيج المثانة . كذلك الحال فى مصر حيث يكثر تهيج المثانة من البلهارسيا التى تصيبها سنوات كثيرة فينتج من ذلك اصابتها بالسرطان أيضا . وهنا بعض سكان الهند اعتادوا وضع مدفأة (دفاية) خاصة تحت ملابسهم لوقايتهم من البرودة وهؤلاء يصابون بمرض السرطان فى جلد بطونهم وهكذا

ونحن وأن كنا نعلم شيئا عن أسباب السرطان وايجاد بعض العلاج المؤثر فى شفائه الا أننا لم نصل بعد إلى ما نبتغيه فى هذا السبيل ولا يزال الآلاف فى كل بلد يموتون فى كل عام لجهلنا بأسباب تلك الأمراض الخبيثة ثم لقصور وسائل العلاج التى فى ايدينا حتى الآن عن بلوغ الكمال

• • •

هذا مجمل لأسباب الأمراض المختلفة ونظر الانسان اليها منذ القدم حتى اليوم وهو وان لم يشمل ذكر أسباب جميع الأمراض المعروفة الآن إلا انه يعطى القارىء فكرة قريبة من الصواب عن أسباب حدوث الأمراض

ومنه يتضح أن الانسان كلما ازداد علما وبحثا ازداد معرفة فيعيد النظر فيما لديه من الحقائق فيجد أن بعضها قد أصبح لا يقبله العقل أو لا ينطبق على الواقع فيغيره ويبدله بما نظن أنه أقرب فى نظره الى الصواب ولا تلبث الحقائق التى كان لا يتسرب اليها الشك فى الماضى والتى كانت تكفى لتعليل الاشياء أن تصير مقطوعا بخطئها فيما بعد نتيجة لزيادة البحث وتنوعه .

فعندما اكتشف كوخ ميكروبات السل والكوليرا مستعينا فى ذلك بالمجهر (الميكرسكوب) ظن الناس أن الأمر قد أصبح هينا ثم تبع ذلك اكتشاف عدة ميكروبات لمختلف الأمراض فاستراح الناس بعض الشىء ووجدوا فى المجهر ضالتهم المنشودة فما عليهم الا أن يحكموا ذلك المجهر فيما لديهم حتى تظهر الحقيقة فيما فيه يختلفون . ولكن ظهر أن هناك امراضا لم يسعفهم المجهر فى معرفة أسبابها إذ لم يستطيعوا ان يجدوا لها ميكروبات تفسر حدوثها فراحوا يعيدون النظر فى كل ما لديهم ورسوا جميع الامراض ناشىء حقا من الميكروبات وبعضها من الطفيليات وبعضها من نفس الغذاء وهكذا .

ولا يزالون يجدون فى فهم ما غاب عنهم وبحث ما اختلط عليهم وانا لبحثهم متبعون .



بطرس غالى باشا

اقرأ مقال صاحب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا عنه في هذا العدد



مدام لوبران

بريشة الرسامة لوبران (١٧٥٥–١٨٤٢)



العذراء والطفل   للرسام رفائيل (١٤٨٣ — ١٥٢٠)

بعد العودة من المنجم

صناعة الفحم هى كبرى الصناعات فى انجلترا إذ يعمل فى المناجم أكبر عدد من العمال . وهى من الصناعات الشاقة لأن العامل بعد أن ينزل فى المنجم على عمق بضع مئات من الامتار يجب أن يسير بل يزحف فى طرق ومسارب مظلمة حرجة قد لا يزيد ارتفاعها على ثلث أو نصف متر . وهو يقضى فى هذا الزحف نصف ساعة أو ساعة حتى يبلغ المكان الذى يجب عليه أن يقطع فيه من الفحم . وأجور العمال عالية ولكن العطل كثير بينهم لأن الفحم لم يعد مطلوبا فى أسواق العالم لمزاحمة البترول له . ويرى القارىء هنا صورة عامل قد وصل الى منزله وجسمه أسود وقد شرعت زوجته تغسله



المجدد العظيم . قاسم أمين

في ليلة الثالث والعشرين من شهر ابريل سنة ١٩٠٨ امتدت يد المنون إلى بطل من أبطال الاصلاح الاجتماعي في مصر وقائد من قواد النهضة الحديثة في وادي النيل ذلك هو قاسم أمين . فمضى الآن على وفاته ثلاثون عاما .

نشأ قاسم في عصر كان العالم فيه يسير بخطوات سريعة نحو التقدم بينما كانت البلاد الشرقية وبخاصة مصر جامدة في مكانها لاتتحرك إلا ببطء . إلا أن الشعور القومي بدأ ينمو نموا محسوسا وذلك بعد الحوادث العرابية واحتلال بريطانيا لمصر حتى ظهر بشكل واضح في حركات الحزب الوطني . قال قاسم أمين « من ذا الذي ينكر على المصريين تقدمهم في الاحساس الوطني ؟ عاش آباؤنا وتعلموا واشتغلوا بالصناعة والتجارة وخدموا أمتهم وفتحوا البلاد وحاربوا الأمم ولم نسمع عنهم أنهم كانوا يحبون وطنهم ويتهمون خصومهم بالخيانة . اما الآن فاينما قرأت وفي أي مكان وجدت لا أسمع إلا حب الوطن والغيرة الوطنيةوالمدرسة الوطنية وحزب الوطن ... صار حب الوطن دينا جديدا من اعتنقه ربح ومن بعد عنه خسر » .وقال : ١١ فبراير سنة ١٩٠٨ يوم الاحتفال بجنازة مصطفى كامل هي المرة الثانية التي رأيت فيها قلب مصر يخفق . المرة الأولى كانت يوم تنفيذ حكم دنشواي

« رأيت عند كل شخص تقابلت معه قلبا مجروحا وزورا مخنوقا ودهشة عصبية بادية في الايدي وفي الاصوات . كان الحزن على جميع الوجوه . حزن ساكن مستسلم للقوة مختلط بشيء من الدهشة والذهول . ترى الناس يتكلمون بصوت خافت وبعبارات متقطعة وهيئة بائسة .منظرهم يشبه منظر قوم مجتمعين في دار ميت كأنما كانت أرواح المشنوقين تطوف في كل مكان من المدينة .

« ولكن هذا الاتحاد في الشعور بقي مكتوما في النفوس لم يجد سبيلا يخرج منه فلم يبرز بروزا

واضحا حتى يراه كل انسان . أما فى يوم الاحتفال بجنازة صاحب «اللواء» فقد ظهر ذلك الشعور ساطعا فى قوة جماله وانفجر بفرقعة هائلة سمع دويها فى العاصمة ووصل صدى دويها إلى جميع انحاء القطر.

« هذا الاحساس الجديد . هذا المولود الحديث الذى خرج من احشاء الأمة من دمها واعصابها هو الأمل الذى يبتسم فى وجوهنا البائسة . هو الشعاع الذى يرسل حرارته إلى قلوبنا الجامدة الباردة . هو المستقبل »



قاسم أمين

إلا أن حسن الظن بالمستقبل لا يكفى مالم تجد الأمة وتسعى سعيا متواصلا فى سبيل التقدم والرقى . وهذا لا يكون إلا اذا قام فريق من دعاة الاصلاح يبنون للأمة الضرر العظيم الذى يصيبها اذا هى وقفت عند تقاليدها الباليه وعاداتها الفاسدة . وأظهروا لها أن الانسان كائن حى يجب أن يتطور وأن يجارى العصر الذى يعيش فيه . وأن الأمم التى تتمسك بتقاليد العصور الوسطى لاتلبث أن تزول الوجود

ومن يحب أمته كقاسم ! ومن يحب الخير لمصر والمصريين كقاسم ؟ لذلك قام يدعو الناس إلى تحرير المرأة من رق الحجاب وإلى تعليمها وتثقيفها . فالمرأة وحدها هى أساس رقى الأمم والسبب الجوهرى فى انحطاطها . ولم تكن الدعوة إلى مثل هذا بالشىء اليسير فى ذلك الوقت الذى كان الجهل فيه مخيما على عقول الناس أجمعين إلا أقلية ضئيلة تعد على الاصابع قامت تنتصر لهذا المذهب

الجديد وتدافع عنه وتشد أزر صاحبه أمام الحملات العنيفة التى شنها كثير من الحمقى والمغفلين الذين من شأنهم محاربة كل جديد نافع والانتصار لكل قديم عتيق ولو كان ضارا

اشتدت الحرب بين قاسم وخصومه . ولقى فى سبيل الدعوة إلى مذهبه اضطهاداً وتعنيفا وتقريعا حتى بلغ الأمر بالقوم أن حرموا عليه دخول قصر عابدين . ولكن قاسما لم يرجع عن عزمه ولم يرهبه شىء من الشتائم . وبقى يسعى بجد واجتهاد حتى اعتنق الكثيرون مذهبه وآمنوا بصحته وإذا كنا الآن نرى المرأة المصريه قد بلغت درجة كبيرة من التقدم والرقى فيجب أن نذكر دائما باحترام وتبجيل مجهودات قاسم أمين التى بذلها فى وضع أساس تلك النهضة المباركة

ولم تكن الدعوة إلى تحرير المرأة من رق الجهل ورق الحجاب هى كل ما يتطلع إليه من الاصلاح الاجتماعى بل كان يطمح إلى أكثر من ذلك. كان يطمح إلى تأسيس جامعة لأخراج فئة تجرى وراء الحقيقة شوقا وحرصا عليها . وهذه الحقيقة لا يصل اليها اولئك المشغولون بأسباب الرزق انما تصل اليها بيئة علمية يتصل الطالب فيها بالاستاذ اتصال دراسة واتصال بحث واتصال تضامن فى زيادة ثروة الانسان العلمية . وقد بين فكرته عنها فى خطاب ألقاه بمنزل حسن باشا زايد فى المنوفية لمناسبة وقفه خمسين فدانا للجامعة المصرية قال فيه: «إن الوطنية الصحيحة لا تتكلم كثيرا ولا تعلن عن نفسها .عاش آباؤنا وعملوا على قدر طاقتهم وخدموا بلادهم وحاربوا الأمم وفتحوا البلاد ولم نسمع أنهم كانوا يفتخرون بحب وطنهم فيحسن بنا أن نقتدى بهم فنهجر القول ونعتمد على العمل

«نحن لا يمكننا أن نكتفى الآن بأن يكون طلب العلم فى مصر وسيلة لمزوالة صناعة او الالتحاق بوظيفة بل نطمع فى أن نرى بين ابناء الوطن طائفة تطلب العلم حبا للحقيقة وشوقا إلى اكتشاف المجهول فئة يكون مبدؤها التعلم للعلم . نود أن نرى من أبناء مصر كما نرى فى البلاد الأخرى عالما يحيط بكل العلم الانسانى واختصاصيا أتقن فرعا مخصوصا من العلم ووقف نفسه على الألمام بجميع ما يتعلق به وفيلسوفا اكتسب شهرة عامة ، وكاتبا ذاع صيته فى العالم وعالما يرجع إليه فى حل المشكلات ويحتج برأيه . أمثال هؤلاء هم قادة الرأى العام عند الأمم الأخرى والمرشدون الى طريق نجاحها والمدبرون لحركة تقدمها . فاذا عدمتهم أمة حل محلهم الناصحون الجاهلون والمرشدون الدجالون

«إن عدم استعداد طلبة العلم لحب العلم ذاته هو عيب عظيم فينا يجب أن نفكر فى إزالته . وهو

نتيجة من نتائج التربية المنزلية التى غفلت عن تربية احساسنا واهملت تربية قلوبنا فأصبحنا ماديين لانهتم إلا بالنتائج فى جميع أمورنا حتى فى الاشياء التى بطبيعتها يجب أن تكون بعيده عن الفوائد كعلاقات الاقارب والاصحاب »

وقد كان للوسط الفرنسى أثره الفعال فى نفسية قاسم . وكان يشعر بألم شديد عند ما يقارن ذلك الوسط الراقى بالوسط المصرى فجرى قلمه بانتقاد كثير من العادات التى كانت ولا تزال حتى اليوم . انظر إليه حين يصف جنازة من تلك التى نشاهدها كل يوم حين .قال

«مارأيت جنازة مسلم إلا اخجلنى منظرها . هذه الجمال التى تحمل الفواكه ويلتف حولها الأطفال والرعاع ويتشاجرون على اختطاف ما يلقى لهم منها على الأرض . وهذه الجاموسة المسكينة التى يزفها الجائعون والشحاذون ويتضاربون على قسمتها قبل أن تموت . وهؤلاء الفقهاء الذين يجر بعضهم بعضا وليس فيهم لا الأعمى الأعرج والاعور ويمشون بسرعة غير منتظمة لابسين ثيابا قذرة صائحين بأصوات مزعجة . كلمات تخرج من حناجر مختلفة بنغمات شنيعة .

«وهذا النعش المحمول الذى يتخبط فيه الميت ويلتفت تارة جهة اليمين وتارة إلى جهة الشمال وأحيانا يطير فى السماء إن كان من الأولياء المقربين»

«وهؤلاء النسوة اللاتى صبغن أيديهم ووجوهن وعفرن بالتراب رؤوسهن يمشين وراء النعش مشيرات بالمناديل إليه باشارات مريعة مصحوبة بألفاظ مرتلة . ما هذا كله ؟ أجمع مجانين ام تقربهم مس من الشياطين ؟ العوبة أطفال ؟ أم معرض كرنفال .»

وقد كان قاسم يزور الاستانة مارا ببلاد الشام فذكر أنه لما كان بالاستانة «توفى فى الليل بغتة رجل كان بيته ملاصقا لبيتنا فلم نسمع عويلا ولم نشعر بحركة غير اعتيادية وفى الضحى خرج النعش ونقل الميت إلى القرافة مشيعا بأقاربه وأصحابه من الرجال فقط ومشيت معهم فلم يرتفع صوت واحد منهم بتلاوة القرآن أو بذكر الله او بالصلاة على النبي بل كانوا يسيرون صامتين خاشعين مطأطئين رؤوسهم فلما انتهوا من دفنه عاد أهل الميت إلى بيتهم واغلقوا الباب كعادتهم »

وكان قاسم يرى أن الزواج عند المسلمين يجرى على طريقة غير محمودة وأن المرأة يقع عليها شىء كبير من الغبن.قال:

«الزواج عندنا حيازة رجل لأمرأة يوما أو شهرا أو سنة أو عدة سنين حيازة تنتهى بمجرد إرادة الرجل ولا فرق بينها وبين الحيازة غير الشرعية اذا ماجاز للرجل أن يدفع زوجته إلى الباب ويقول لها اخرجى»

وكثيرا ماعاب العادات المتبعة فى حفلات الزفاف والتى ما زالت حتى اليوم فى القرى والأرياف. وقد روى عن أحد أصدقائه : قال

«كانت سنى لاتتجاوز تسع سنين ولاتزال صورة الواقعة التى سأقصها الآن محفوظة فى ذاكرتى كما لو كانت حصلت منذ أسبوع . كان المنزل المقابل لمنزلنا يستعد شيئا فشيئا لحفلة كبيرة نصبوا من أجلها سرادقا واسعا ووضعوا فيه الكراسى المذهبة وعلقوا البيارق والنجف . وكل يوم يمر يزيد فى رونق الزينة وترتيبها . فلما جاءت الليلة الكبيرة أضيئت الشموع وصدحت الموسيقى وتقاطرت وفود الرجال والنساء الى البيت يدخلون فيه أفواجا فيجلس الرجال فى الصيوان وتختفى النساء فى بيت الحريم الذى كانت تسطع فيه الانوار وتخرج من نوافذه . ونحن سكان هذا الشارع الصغار عشرين أو ثلاثين طفلا من كل سن كنا أول المتفرجين وأكثرهم تمتعا فرحين بهذه المناظر البراقة والانوار الزاهية والاضواء المنتشرة نجلس ونقوم ونجرى ونضحك ونتشاجر سكارى من ضوضاء الاصوات وضياء الأنوار . فلما زف العروس بعد العشاء على الطريقة المعهودة دخل الى البيت ودخل وراءه بعض الاولاد وكنت من بينهم فرأيت سلم المنزل وفسحة الدور الاول مملوءة بالنساء وهن يتزاحمن للوصول الى الصف الاول ليشاهدن العروس داخلا . وكان احد أقاربه ماشيا أمامه فصار يدفعهن بيديه ليخلى له الطريق حتى وصل الى غرفة عروسه فأدخل فيها واقفل الباب عليه . وحينئذ وقف النسوة أمام الباب كأنهن يترقبن حادثا كبيرا

«وهذا لم يمنعهن من المحادثة والمجادلة والضحك على شكل غير منتظم يستحيل معه التمييز بين من تقول ومن تسمع ومن حين الى حين تنادى احداهن «هس ياستات» وتستمر هى فى الكلام اكثر من غيرها . ما الزمن الذى مضى ونحن على هذه الحال ؟ لا أدرى . ثم سمعت صياحا متكررا أتى من داخل الغرفة فازداد القلق والاضطراب بين جماعة النساء وما زال يتضاعف حتى أدى بهن الى الدق على الباب . وبعد برهة فتح الرجل الباب وظهر عارى الرأس بارق العينين محتقن الوجه وتكلم

مع أمه وأم زوجه كلاما شديدا مصحوبا باشارات الغضب ومن وقت لآخر كان يقول ماذا أصنع لا أقدر

« وبعد مداولة صغيرة رجع الرجل ودخل وراءه المرأتان وتبعه الجيش الذى كان واقفا وراء الباب مدفوعا كالسيل وقد جريت معهم حتى صرت قريبا من السرير فرأيت العجوزين قعدتا على صدر البنت وقبضت احداها على ذراعيها والاخرى على فخذيها فزادصياح البنت وبكاؤها وتقدم الرجل وبيده خرقة بيضاء رأيتها بعدذلك ملوثة بالدم فخرجت هاربا من هذا المنظر الشنيع لاأشك أنهم ذبحوها »

وكثيرا ما تألم قاسم من الفتور العقلى الذى كان يسود الناس فى عصره . قال: « اذا قرأت الجرائد تجدها جميعها متحدة فى موضوعها متشابهة فى تحريرها بحيث لا تكاد تشعر باختلاف بين احداها والاخرى . واذا اجتمعت فى اليوم بعشرين رجلا من معارفك تسمع من التسعة عشر الآخرين ما سمعته من الاول ولا تجد فى الجريدة التى تقرأها أو تسمع من الصاحب الذى تقابله فكرة غريبة أو أسلوبا مبتدعا . لا تجد النابغة الذى يدهشك ويجذبك »

وكان ينعى على الكتاب والشعراء قصورهم وجمودهم ووقوفهم عند أقوال الاقدمين وتعابيرهم لا يخرجون عنها ولا يأتون بشىء جديد قال: « الشعراء والكتاب والعلماء عندنا لا يعبرون عن أفكارهم فيما يكتبون وانما عقولهم هى مخازن تحفظ ما يدخل فيها بالقراءة والسماع ومستودعات لافكار غيرهم يتعاملون بهذه البضاعة ليست لهم ولا يضيفون أو يعلقون عليها شيئا من انفسهم كل عملهم محصور فى تكرار أفكار التى حفظوها كما يحفظ الاطفال القرآن فاذا سمعهم العامة اقرأوا كلامهم صفقوا ومدحوا وصاحوا ! آه فلان ما أحلاه ! علان ليس فى العالم مثله »

وكان قاسم أمين يدعو الى اصلاح اللغة ويرى أنها بحالتها الراهنة لا تتفق والعصر الحاضر . قال: « لم أر بين جميع من عرفتهم شخصا يقرأ كل ما يقع تحت نظره من غير لحن . أليس هذا برهاناً كافياً على وجوب اصلاح اللغة العربية . لى رأى فى الاعراب أذكره هنا بوجه الاجمال وهو أن تبقى أواخر الكلمات ساكنة لا تتحرك بأى عامل من العوامل . بهذه الطريقة وهى طريقة جميع اللغات الافرنكية واللغة التركية أيضاً يمكن حذف قواعد النصب والجزم والحال والاشتغال .. الخ بدون أن يترتب عليه إخلال باللغة اذ تبقى مفرداتها كما هى »

وقال: « يظهر أن باب الاجتهاد أغلق فى اللغة كما أقفل فى التشريع فقد صار من المقرر بيننا أن

اللغة العربية وسعت وتسع كل شيء ! لكى يكون هذا الاعتقاد صحيحاً يجب أن نفرض أن هذه اللغة نتيجة معجزة فظهرت كاملة من يوم وجودها فى العالم . وهذا يناقضه قيام الدليل على أن جميع اللغات خاضعة لقوانين التحول والرقى العام وتابعة فى أطوارها لسير الانسانية فهى اذن مظهر من مظاهر غريزتها الطبيعية التى لا تزال تنتج وتبدع كما فعلت فى الماضى . ولا أدرى لماذا يريد قومنا أن يستبعدوا من اللغة العربية الكلمات الفصيحة وطرق التعبير الجميلة التى نسمعها أحياناً فى لغة العامة بحجة أنها لم ترد على لسان العرب . نحن خلفاء العرب فى لغتهم فكل ما تخترعه ملكاتنا فى اللغة لايعد غريباً بالطبع . »

وكان يدعو الى ترك المحسنات اللفظية واجتناب استعمال المترادفات لأنه كان يرى فى ذلك فقراً فى الفكر والخيال . وإلى احتذاء « طريقة الكتاب الغربيين الذين يعولون فى الوصف على ذكر الوقائع وشرح ظروفها وتحليلها تحليلا دقيقاً أو تشريح الانسان وفتح جوفه وكشف ما خفى من أعصابه وسبر غور أحشائه والتسمع على نفسه لادراك ما يدب فيها من النزعات والخواطر والأميال والحركات ويصف منظر الشيء بهيكله التام ، بأجزائه كلها ليحدث فى نفس القارىء أو السامع صورة كاملة وشعوراً تاماً وأثراً باقياً »

وكثيراً ما انتقدأحوال الأزهريين ووصف ماهم عليه من انحطاط وفسادقال . « أخبرنى موظف فى الأزهر لا يخفى عليه شيء من أسرار الطلبة أنه كلما أراد واحد ممن فسدت أخلاقه منهم أن يسير وراء شهوته ذهب إلى أحد البيوت العمومية وعقد على امرأة بحضور شاهدين على مهر قدره خمسة قروش أو ما يقرب من ذلك فاذا قضى شهوته طلقها وخرج من حيث أتى . » ولا ندرى ماذا كان يقول صاحبنا لو أنه عاش الى يومنا هذا

محمد سيد الكيلانى

الأقمشة الصوفية من اللبن

يصنع الصوف الصناعى (الانيتال) من اللبن وذلك بفصل الزبدة عنه ثم تجفيفه وتحويله الى مادة الكازين وتحويل هذه المادة الى الوبر الذى يصنع خيوطاً تنسج منها الاقمشة المختلفة الانواع والالوان الصالحة لملابس الرجال والسيدات

ومن أهم مميزات الصوف المصنوع من اللبن أنه عند خلطه بالصوف الطبيعى يكسب الجسم حرارة أكثر من الحرارة التى يكسبها اياه الصوف الطبيعى وحده وقد ثبت ذلك من التجارب الفنية التى قام بها فى ايطاليا أحد أساتذة المعهد الفنى الصناعى الأستاذ كيرشى

واختراع صناعة الصوف من اللبن محتكر لشركة فيتوريا بروما ، وقد باعت هذه الشركة حق استغلاله خارج ايطاليا فى البلاد الأجنبية الآتية : بولونيا . فرنسا . بلجيكا . بريطانيا العظمى كندا . ألمانيا . وتفاوض الشركة عدا ذلك شركات سويسرية وشركات أمريكية لبيع حق استثماره فى سويسرا والولايات المتحدة . وحق استثماره ممنوح فى مقابل مبلغ معين من المال أتاوة تفرض على الانتاج خلال المدة التجريبية الأولى

وتنتج الشركة سنوياً حوالى ٣ ملايين كيلو جرام من خيوط الصوف الصناعى وينتظر أن ترتفع هذه الكمية الى ٧ ملايين كيلوجرام .وتتولى بعض شركات النسج نسج أقمشة ملابس الرجال من هذه الخيوط وتنسج منها شركات غيرها ملابس للسيدات وذلك أما بنسجها مخلوطة بخيوط الصوف الطبيعى ، أو ينسجها من الصوف الصناعى وحده . الا أن المشاهد أن نسيج خيوط الصوف الصناعى الخالص لا يزال خشن الملمس وعرضة للتأثر بالرطوبة . ولا يستطاع الان تقدير ما سيكون للصوف الصناعى من الأثر فى صناعة النسج لحداثة عهده فى الأسواق الداخلية اذ أن أول عينية منه ظهرت فى سنة ١٩٣٥ . وتبذل ايطاليا مجهودا كبيرا فى سبيل تشجيع الاقبال على شرائه فهو يباع بأسعار

أرخص كثيرا من أسعار الصوف الطبيعي .

وقد هبطت كمية الصوف الطبيعي الذى تستورده ايطاليا حتى وصلت فى سنة ١٩٣٦ الى نحو الثلث مما كانت عليه فى عام ١٩٣٤ . ومن المرجح أن سبب هذا النقص هو نمو صناعة الانيتال ووفرة منتجاته فى الاسواق الداخلية على أنه لا يمكن تقدير مدى هذه الصناعة فى إيطاليا لأن هذه البلاد فى حاجة كبرى الى الالبان لصنع الجبن الذى يعتبر من أهم صادراتها ولرغبتها فى الاحتفاظ بها فى الاسواق الخارجية

أسماء جديدة

الاسم القديم	الاسم الجديد
فارس	ايران
ارلندا	اير
الحبشة	اتيوبيا
روسيا	الاتحاد السوفيتي للجمهورية الاشتراكية
بطرسبرج	لينجراد
كرستيانيا (عاصمة نروج)	اوسلو
القسطنطينية	استامبول
الحجاز ونجد	المملكة السعودية العربية

هل الشاى سم

لايشك مصرى فى نزاهة رسل باشا حكمدار القاهرة . فان هذا الرجل البار حارب المخدرات وكافح المتنخسين فيها حتى زالت من مصر او كادت بعد ان اوشكت ان تفتك بعقول الشبان . وشهرة رسل باشا فى مكافحة المخدرات قد سمعت بها اقطار العالم وهو لايفتأ يفضح القائمين بهذه النخاسة فى عصبة الامم وينشر على الملأ تقارير وصورا عن الهيروئين والكوكئين فى جميع انحاء العالم

وحملته على الشاى الاسود بين الفلاحين لا تقل عن حملته على المخدرات . فان الشاى يشرب بكثرة فى البحيرة والفيوم ومعظم مديريات الصعيد ويغلى مرات ويضاف اليه كثير من السكر . فتتسرب سمومه الى الجسم فتضعف الشهوة الجنسية وتنتهى باحداث العقم بين الرجال والنساء . ويذكر المؤرخون ان اعظم ما اعترض به على ادخال الشاى لانجلترا منذ قرنين أضعافه للشهوة الجنسية . ولايمكن الفقير ان يشرب الشاى ويقنع بالقطفة الاولى منه ان هو يجد من الاقتصاد ان يعيد غليه على النار ويشرب نقيعه للمرة الثانية والثالثة ولذلك يتسمم جسمه منه . ويكفى المرء ان يجول فى ريف بعض المديريات التى يكثر فيها تناول الشاى حتى يرى الاثر السىء من ادمان هذا المشروب فى صفرة الوجوه ونحول الاجسام والذهول المخيم على السحنات . ومما يزيد أثر هذا المشروب سوءا ان شاربه بعد ان يكرر غليه يخفف من مرارته بزيادة السكر . وليس السكر غذاء حسنا حتى يمكن به الاستعاضة به عن الخبز . وشارب الشاى ينقص استهلاكه للخبز بمقدار مايستهلك من السكر . ولذلك يشحب ويغدو عرضة للامراض لان العناصر التى فى الخبز تنقصه . فاذا اضفت الى ذلك انه يضعف الذاكرة علمت ان هذا المشروب هو أسوأ المشروبات المنتشرة فى مصر

وقد كثر الكلام فى الاشهر الاخيرة عن ضغط الدم وارتفاعه بين عدد كبير من المرضى . وارتفاع الضغط يؤدى الى النقطة اى انفجار شريان فى الدماغ . وقد يكون هذا سببا للوفاة او

الفالج . كما قد يؤدى الى السكة اذ يعجز القلب عن دفع الدم الى الشرايين . وهناك اسباب كثيرة لارتفاع الضغط يعد شرب الشاى واحدا منها

ويمكن ان تلخص اضرار الشاى الصحية فيما يلى :

١ ـ انه ينقص الميل الجنسى وقد ينتهى هذا باحداث العقم

٢ ـ انه يجعل شاربه يستهلك مقدار كبيرا من السكر فيمنعه هذا من تناول الاطعمة الاخرى المفيدة

٣ ـ انه يزيد ضغط الدم وقد ينتهى هذا بالنقطة او الفالج

حانات لبيع اللبن

لا يوجد فى لندن قهوات وحانات كالتى نراها عندنا فى شوارع العاصمة حيث يجلس فيها الناس ردحا طويلا من الزمن ولا عمل لهم سوى مشاهدة الرائحين والغادين ومجاذبة أطراف الاحاديث التى لاطائل تحتها لان الانكليز قوم عمليون حريصون على كل شىء ولا يقضون اوقات فراغهم الا فى الالعاب الرياضية والتروض فى الهواء الطلق

ثم ان الحانات التى توجد فى شوارع لندن غير مستعدة لقبول عدد كبير من الزائرين معا فترى الواحد منهم يجلس فيها برهة ريثما يتناول مشروبه ثم يغادرها الى شأن من شؤونه

وفى لندن اليوم حانات من نوع جديد لم تألف بعد وجودها فى القاهرة وهذه الحانات بدلا من ان تقدم لزائريها الوسكى أو البيرة وسوى ذلك من أنواع المشروبات الروحية تقدم لهم لبنا حليبا خالصا

واول حانة نشأت فى لندن لبيع اللبن فقط كان ذلك منذ ثلاث سنوات ثم لاقت اقبالا كبيراً من الجمهور وكانت نتيجته ان انتشرت هذه الحانات حتى ان عددها اليوم يربى على ١٢٠٠ حانة وتستهلك هذه الحانات سنويا نحو ثمانية ملايين جالون من اللبن يقدر ثمنها بـ ١٥٠٠٠٠٠ جنيه

بطرس باشا غالى

بقلم محمد حسين هيكل باشا

لعلك إن طلبت مثلا أعلى بين بلاد العالم لشعب وديع هادىء لاترى خيرا من مصر محققة لهذا المثل . ثم لعلك ان طلبت مثلا أعلى لشعب طموح لاتفتأ أحشاؤه تضطرب بأسباب الثورة على الحاضر تطلعاً الى الكمال والى العظمة والمجد ، لاترى خيراً من شعب مصر محققا لهذا المثل . فقل أن عرفت مصر وسائل العنف فى السعى الى أغراضها . ولم يقع أن ذلت مصر واستكانت ويئست من تحقيق هذه الاغراض . ولهذا الظاهر من التناقض فى صورة الحياة المصرية أثر كبير فى قدر رجال مصر الآخذين بها لتحقيق مطامعها . فهى أبداً فى نضال مع أمم غيرها تريد قهرها واذلالها . وهى أبدا لا تذل لقاهر وان كانت ظروفها وكان تاريخها قد ألجأها الى ستر ثورتها الدائمة تحت ظاهر من الهدوء والسكينة . ولذلك كان حتما بحكم هذه الظروف أن ينشأ فيها الرجل المحرك للعواطف يستنهضها وللهمم يحفزها ، ولنشاط الجماهير يدفعه الى الغاية السامية التى تطمع مصر بحق فيها ، وأن ينشأ الى جانب هذا الرجل رجل آخر هو السياسى الذى يعمل لتلافى الاصطدام بين اندفاعات الشعب وبين القوى الغالبة فى مصر اصطداما عجز الكل حتى اليوم عن تقدير نتائجه : أهو ينتهى الى تحطيم قوة الغالبين وقيام مصر الى جانبهم قوية اليد كما أنها قوية النفس ، أم هو ينتهى الى تحطيم أمل النفس المصرية فى بلوغ المكانة التى تطمع فيها ؟ واذا تحطم أمل أمة فترت أجيالا بعد أجيال عن بعثه واستعادته ، حتى يكون ظرف جديد يعين على هذا البعث ويدفع الى نفس الامة الامل حارا قويا ينبض به قلبها ثم يندفق ثورة قوية تخلع النير وتحطم القيود .

وكان هذان الرجلان ، رجل الدعوة الى المثل الاعلى ورجل السياسة والسلم ، خصمين فى اكثر الظروف . وكانت الجماهير بطبيعتها نصيرة أبدا للمثل الاعلى لانه غذاؤها فى الحياة بل هو حياتها

بالذات . أما السياسى الذى يزن القوى ويفاضلها ويعمل للوصول الى خير ما يمكن أن تصل اليه بلاد فالحوادث اللاحقة هى التى تحكم عليه أو له . ولقد كان بطرس باشا غالى سياسيا ، وكان من أكثر المصريين اتصالا بحوادث عصره من ناحيتها السياسية . فلنجعل للحوادث وحدها الحكم عليه ، ولتكن كلمة التاريخ كلمة حق و إنصاف

* * *

ولد بطرس غالى بالقاهرة فى ١٢ مايو سنة ١٨٤٦ وتلقى دراسته الاولى فى مدرسة حارة السقايين التى أنشأها الانبا كيرلس الرابع الملقب عند الاقباط بأبى الاصلاح . وبعد ثمانى سنوات أمضاها فى هذه المدرسة انتقل الى مدرسة مصطفى فاضل باشا ، وكان له من الصلة بها أن والده غالى بك نيروز كان يشتغل فى دائرة مصطفى فاضل . فلما تخرج منها اشتغل مدرساً بمدرسة حارة السقايين وظل مع ذلك يتلقى علوم الترجمة فى مدرسة الترجمة التى أنشأها المرحوم رفاعه باشا

وكان فى أثناء دراسته مثلا للذكاء ولقوة الذاكرة المنقطعة النظير : كان يكفيه أن يقرأ ما يدرس له مرتين أو ثلاث مرات ليستظهره استظهارا تاما . ويسرت قوة ذاكرته العلم باللغات المختلفة . فقد أتقن العربية والفرنسية والتركية والفارسية . وهاتان اللغتان الاخيرتان أتقنهما على أحد تجار خان الخليلى ، اذ كان يتلقى عليه مقابل دفع «شبرقته» له . ثم انه تعلم اللغة القبطية بعد الثلاثين من سنه لمناسبة تدل ، الى جانب قوة الذاكره ، على قوة فى الارادة امتاز بها . ذلك انه سافر الى انكلترا فقابله أحد العلماء العارفين باللغة القبطية . ولما علم انه قبطى كلمه بها فلم يجبه ، ولكنه لم يلبث بعد ان عاد الى مصر أن أكب على دراستها . فلم تمض ستة أشهر حتى كتب لصاحبه العالم الانكليزى خطابا بها.

وأعانه فى الحياة الى جانب ذكائه وقوة ذاكرته ومضاء ارادته صحة متينة كان يدل عليها طول قامته وعضله المفتول . كما كان بريق عينيه بريقاً عجيباً يدل على ذكائه وحيلته . لذلك لم يكد يتخطى أوليات الشباب حتى عرفه أولو الامر يومئذ وعهدوا إليه بأعمال ذات خطر ومسؤولية . فقد دخل فى مسابقة حين كان مدرسا بمدرسة حارة السقايين انتقل بها الى وظيفة كاتب بمجلس تجار الاسكندرية الذى حلت المحكمة المختلطة بعد ذلك محله . وجعل يرتقى من وظيفته هذه حتى صار رئيس كتاب المجلس الذى حكم سنة ١٨٧٣ فى قضية ضد مصلحة أحد المحسوبين على اسماعيل باشا المفتش. واذ كان

مجلس التجار تابعاً لنظارة الداخلية ، فقد أوصل المفتش الامر الى ناظرها شريف باشا وأبلغه أن بطرس غالى كان صاحب اليد فى اصدار ذلك الحكم الجائر . فدعا الناظر بطرس اليه فأعجبته مناقشته كما أعجب بمعرفته للغات ، ولذلك نقله من عمله وعينه رئيسا لكتاب نظارة الحقانيه التى كلف شريف إنشائها استعدادا لتطبيق نظام الاصلاح القضائى الجديد

وكانت سنة ١٨٧٤ سنة نشاط كبير فى الحقانية بسبب التحضير لانشاء المحاكم المختلفة ، وكان المغفور له محمد قدرى باشا مشتغلا بترجمة قوانين هذه المحاكم الى اللغة العربية . فانضم اليه بطرس وعنى واياه بتعريب التشريع الذى ما يزال أكثره ساريا فى مصر الى الوقت الحاضر

وأتاح له الاشتغال فى التحضير للمحاكم المختلفة التعرف الى رئيس النظار نوبار باشا ، فكان اتصاله به ذا أثر كبير فى تكوينه السياسى . وما فتىء هذا الاتصال بينهما وثيقاً مستمراً داعيا الى ثقة نوبار بباشكاتب الحقانية ، حتى كان هو أول من اختاره ليكون ناظرا للخارجية فى وزارته التى ألفها سنة ١٨٩٥ بعد أن اختاره رياض باشا قبل ذلك ومنذ سنة ١٨٩٣ ليكون ناظرا للمالية

ويرجع اختيار رياض باشا اياه لوزارة المالية ، الى سبب خاص : ذلك انه لما انتهت الحكومة المصرية من انشاء المحاكم المختلطة فى سنة ١٨٧٥ كانت على أبواب الضائقة المالية التى جرتها اليها الاستدانة الفادحة منذ أول حكم المغفور له اسماعيل باشا فى سنة ١٨٥٣ ففى سنة ١٨٧٦ صدر القانون بتأليف صندوق الدين وبتعيين المراقبين الماليين . لكن هذا القرن لم يخفف من وطأة الديون شيئاً ولم يرفع من الضغط على دافعى الضرائب وارهاقهم باقسى وسائل الارهاق وأبعدها عن كل معانى الانسانية ثم استيلاء صندوق الدين على كل ما كان يحصل ، حتى اضطرت الحكومة الى عدم دفع مرتبات الموظفين مما جعل أحد الانكليز الموظفين فيها يومئذ يكتب فى مذكراته أنه قضى يومين لم يدخل فمه فيهما طعام لاعوازه الى كل ما يسد به رمقه . واذا كان الدائنون الاجانب مع ذلك مصرين على اقتضاء مصر كل تعهدات ولى نعمتها ، فقد انتهوا الى الاتفاق على تشكيل لجنة للفحص ثم لتصفية ديون مصر . وعين رياض باشا نائباً عن الحكومة المصرية فى اللجنة المذكورة وعين بطرس بك غالى السكرتير العام لنظارة الحقانية مساعداً له . ثم عين رياض رئيساً للجنة ، وعهد الى بطرس بالنيابة عن الحكومة . وفى ذلك الظرف الدقيق اضطر الى أن يدرس من مباحث اللجنة ومن الشؤون المالية

ما مكنه من أن يضع تقرير عن نظام الضرائب فى مصر كان بعد ذلك مرجعاً ينقل عنه وحجة يعتمد عليها .

ولما انتهت الحوادث التى تلت تقرير لجنة المالية الى اقصاء المغفور له اسماعيل باشا عن العرش تخلفه توفيق فيه كانت الحكومة قد بدأت تفكر فى الغاء المجالس القضائية القديمة وفى أنشاء نظام قضائى جديد هو النظام القائم الآن . واذ كان بطرس ممن عملوا فى التشريع للقضاء المختلط فكان طبيعياً أن يكون على رأس الذين يعملون للتشريع للقضاء الاهلى . لذلك عين فى سنة ١٨٨١ وكيلا للحقانية وألقى عليه عبء تنفيذ النظام القضائى الجديد

والى يومئذ كانت مناصب الحكم فى أعمال الدولة لا يليها الا المسلمون . فأما الاقباط فكانوا يلون وظائف انجاز أعمال الحكومة . فكانت المناصب الكتابية وما اليها مفتوحة وحدها أمامهم فأما القضاء وادارة الاعمال العامة فكانت وقفا على أبناء الاغلبية الدينية فى البلاد . وييسر تفسير هذا التقسيم فى ذلك الظرف الذى كان الحكم فيه للاتراك والذى كان الحاكم فيه تابعا لدوله الخلافة الاسلامية. على أن بطرس غالى رأى فى ذلك منافاة لروح الزمن ، وبخاصة فى عصر بدأت مصر تنقل فيه النظم الاوربية بانشاء المحاكم المختلطة وبخضوع المصريين لقضاء جماعة لا يختلفون عنهم فى الدين فقط ، بل فى الجنسية وفى اللغة أيضا . لهذا عين حين وجوده فى الحقانية عددا من الاقباط فى وظائف القضاء . ولعل هذا التصرف وما اليه من مثله هو ما دعا جماعة من الذين خاصموه فى أثناء حياته لاتهامه بالتحيز لاهل طائفته

وبقى فى وكالة الحقانية حتى عين ناظراً للمالية فى سنة ١٨٩٣ . على أن أحوال مصر السياسية تغيرت فى هذه الفترة تغييرا كبيرا كان لبطرس بك غالى رأى فيه معروف . ذلك انه لما حدثت الثورة العرابية وانتهت الى تدخل الانكليز وهزيمة العرابيين فى التل الكبير وتشاورهم فى الامر كان من رأى بطرس أن يلتمسوا عفو الخديو وأن يركنوا اليه . وقد أوفده القوم يومئذ بعريضة الى الخديو توفق فيها هذا المعنى . ومع أنه لم يظهر له عمل مباشر فى الثورة ، مما يدل على أنه لم يكن من المطمئنين اليها ، فان التجاء العرابيين اليه يدل على انه كان موضع عناية الخديو توفيق وعطفه كما يدل من جهة أخرى على أن ذكاءه وفطنته السياسية كانا موضع تقدير الذى التجأوا اليه ورأوا

فيه خير واسطة للتفاهم بينهم وبين الحاكم الذى ثاروا عليه

وحياة بطرس باشا كانت كلها بعد ذلك حياة وساطة سياسية لم تكن الحاجة اليها ماسة أيام حكم توفيق لما كان بينه وبين الانكليز من تمام التفاهم ، ولكنها كانت ضرورية وكانت منتجة أيام حكم الخديو عباس الذى كان يثق به ويطمئن اليه فى حل الخلاف الكثير الحدوث بينه وبين لورد كرومر قنصل انجلترا فى مصر

ولعل الحوادث التى مرت بمصر وشهدها بطرس باشا غالى قبل أن يصل الى منصب الوزارة كانت ذات أثر كبير فى توجيه سياسته وزيرا . فقدحضر نائبا عن الحكومة المصرية فى لجنةالتصفية ووقف على ميول الاجانب وعلى أطماعهم ؛ ثم رأى جهود اسماعيل للوقوف فى وجه تدخلهم باسم مصلحة الدائنين تنتهى الى اقصائه عن العرش . ثم أنه حضر وشهد تطورات الثورة العرابيةوماآلت اليهمن تشتيت الثوار والحكم على زعمائهم بالاعدام واستبدال ذلك الحكم بالنفى . وكان بعد ذلك على اتصال بالمؤتمرات والمحادثات التى حصلت بقصد جلاء الجيوش الانجليزية عن مصر ، وما كان من وعود الانجليز فى ذلك وتدخلهم برغم هذه الوعود فى الشؤون المصرية ووضعهم يدهم على الادارة المصرية . ثم كانت بعد ذلك حادثة فرمان الخديو عباس ووقوف انجلترا فى وجه تركيا باسم الدفاع عن حقوق مصر ، كما كانت حادثة الحدود واعتذار الخديو عباس رغم اعتزازه بملكه الشاب للقائد كتشنر . وبطرس باشا كان على ذكائه وقوة ارادته وسعة حيلته رجل سلم وعمل مطمئن ، مما جعله بعيداً عن الحركة العرابية الى أن جاء دور السلم والوساطة ، كما كان من طائفة الاقلية الدينية فى وقت كانت النعرة الدينية فيه متغلبة على كل نعرة اخرى اضف الى هذا كله اتصاله بنوبار وتكوين عقله تكويناسياسيالاتكوين زعامة شعبيةمقصورغرضهاعلى الدعوة للمثل الاعلى .هذه الظروف كلها تفسرلك سياسته من بعد ارتقائه الى منصب وزارة الماليةفى سنة ١٨٩٣ وانتقاله الى وزارة الخارجية بعد ذلك وبقاءه فيها حتى مع تقلده رياسة الوزارة فى سنة ١٩٠٨ برغم ماجرت به سنة الوزارات المصريةمن تقلد رئيس الوزراء لوزارة الداخلية

وتشهد ظروف تقلده الوزارة بأنه كان ، برغم ما قد قدمنا من ميله للسلم وللحيلة ، موضع ثقة الخديو الشاب عباس . فلقد كانت أول وزارة اختير بطرس لها وزارة فخرى باشا التى أحلهاعباس

محل وزارة مصطفى فهمى فى سنة ١٨٩٣ رغم لورد كرومر والتى لم تبق لذلك فى مناصب الحكم غير يوم واحد . ثم انه حل بعد ذلك محل ثقته أذ رأى فيه خير وسيط يحل المشكلات التى كانت كثيرة الحدوث بينه وبين لورد كرومر . على أن عمله فى وزارة المالية وفى وزارة الخارجية ظل عمل موظف أمين كفء حريص على بقاء المساواة فى المعاملة بين المصريين جميعاً من غير تمييز بينهم بسبب الجنس أوالدين ومن غير أن يبرز ليكون محلا لحكم التاريخ حتى كانت سنة ١٨٩٩ اذ وقع مع انكلترا فى ١٩ يناير اتفاقية السودان التى كانت بعض ماحاربه خصومه فى حياته وبعض ماتخذه قاتله ابراهيم ناصف الوردانى حجة له فى أقدامه على ارتكاب جريمة القتل السياسى ، والتى ماتزال موضع حنق المصريين عليها نظر وكثيرين منهم لها على أنها عمل من أعمال خيانة الوطن

وقد نعجب اذ نرى بطرس غالى ولم يكن فى سنة ١٨٩٩ الا ناظر للخارجية متضامنا مع سائر زملائه النظار فى سياسة الدولة العامة يحمل وحده وزر هذه الاتفاقية . فاخلاء السودان فى سنة ١٨٨٤ بأمر انكلترا واستعادة فتحه لم يكن من عمل نظارة الخارجية وحدها ، بل كان من عمل مجلس النظاره كله . وقد كان بطرس وزير المالية فى سنة ١٨٩٣ مع فخرى ثم مع رياض باشا الذى ألف الوزارة حلا للاشكال بين الخديوى ولورد كرومر ، ثم انتقل وزيراً للخارجية لما شكل نوبار باشا الوزارة فى سنة ١٨٩٤ وظل فى منصبه بعد استقالة نوبار وحين شكل مصطفى فهمى باشا الوزارة من جديد . وفى هذه الاثناء كانت الاعمال لاستعادة السودان جارية حتى سقطت الخرطوم وام درمان وتمت استعادة السودان فى سنة ١٨٩٨ ، فهل يسأل وزير الخارجية وحده اذا هو وقع بعد ذلك اتفاقا باسم حكومته !

كان خصومه يقولون : ولكنه المسئول المباشر ، فهو الذى وقع باسمه وبيده . ثم انه فضلا عن ذلك كان أكثر من كل الوزراء الذين معه مسئولية لانه كان أقواهم وأذكاهم وأقدرهم . بل لعله هو الذى أقنعهم بالقبول . وماذا تريد من مصطفى فهمى والذين كانوا معه وهم كانوا مثل الاستكانة والضعف . لقد كان بطرس هو العنصر القوى الوحيد فيهم ، فهو لذلك مسئول دونهم . ثم لنقل الحق أيضا . ان بطرس قبطى وكان للاقباط زعيما ، والاقباط كانوا يومئذ وفى نظر دعاة الحركة الوطنية المصرية متهمين بممالأة الانكليز على بلادهم . فبطرس اذن قد وقع اتفاقية السودان ممالأة للانكليز وتفريطاً فى حقوق بلاده

من حدة هذه الحركة إن كان ذلك مستطاعا ، ويقف فى وجه طغيانها على النظام وعلى الأمن اذا خشى منها عليهما ، ويعطى لاتفاقية السودان معنى غير معناها الاول يخول انكلترا فيه سلطانا لم يقصد الاتفاق تخويلها اياه

وكانت الحركة الوطنية فى ذلك الحين متجهة الى الاستفادة من خلاف الدول ، معتمدة على ما يمكن أن يكون لتدخل فرنسا من قيمة فى تحرير مصر . وبرغم فشل مرشان عند فاشودة وانسحابه وتضعضع سلطان فرنسا لهذا السبب ، فقد ظلت أنظار مصطفى كامل ورجال الحزب الوطنى متجهة صوب باريس حتى سنة ١٩٠٤ حين عقد الاتفاق الودى الذى التزمت به فرنسا ألا تعترض انكلترا فى مصر . فلما تم هذا الاتفاق شعر المصريون جميعا بازدياد مركز انكلترا فى مصر قوة . وكان النظار المصريون المتصلون بالسلطة الانكليزية فى مصر بسبب مراكزهم أكثر من غيرهم شعورا بهذه القوة بل ايمانا بها واستعدادا لتقديم القرابين لتهدئة ثوائر غضبها .

وفى هذه الظروف بلغ سلطان انكلترا فى مصر أوج قوته . فلم يكن أمر ما ، بالغة ما بلغت تفاهته ، يبرم أو ينقض من غير اقرارهم عن طريق موظفيهم الذين احتلو كل مناصب الدولة الرئيسة والذين كانت لهم الكلمة النافذة على الموظفين المصريين مهما يكن منصب الموظف الانكليزى صغيرا ومنصب الموظف المصرى كبيرا . كان تلغراف جرانفل ، الذى يقرر أن مشورة انكلترا واجبة الاتباع فى مصر ، لا يقف عندما تبديه الدولة المحتلة عن طريق عميدها من رأى ، بل يمتد الى المستشار الانكليزى والى مفتش الداخلية والى ملاحظ الطرق والى كل انكليزى أيا كانت مكانته .

وبازاء هذا السلطان الانكليزى النافذ فى مصر كانت الحركة الوطنية المصرية تنمو وتقوى ، وكانت الثورة النفسية لشعب مصر الوادع الذى لا يقبل مذلة ولا خضوعا قد ملأت النفوس حتى كادت تفيض عنها . وكمظهر لهذا التنافر بين السلطة الحاكمة من ناحية والشعب المصرى من ناحية أخرى ، وقعت حادثة دنشواى باصطدام جماعة من الضباط الانكليز الذين كانو يصيدون الحمام فى أثناء ذهابهم من القاهرة الى الاسكندرية مع أهل قرية دنشواى فى يونيو سنة ١٩٠٦ اصطداما انتهى الى موت الكابتن بول الانكليزى ، والى تأليف المحكمة المخصوصة برياسة بطرس باشا غالى الذى كان وزير الحقانية بالنيابة لغياب وزير الحقانية بالأجازة ، والى صدور وتنفيذ ذلك الحكم الجائر الذى يعتبر

كذلك كان يقول خصوم بطرس. وكذلك ما يزال البعض يحسب ، ولو فى دخيلة نفسه حرصاً على وحدة الامة المقدسة فى الايام الحاضرة . لكن للتاريخ حكماً آخر تجب المجاهرة به احقاقا للحق. فمصر يوم اتفاقية السودان كانت تابعة لتركيا وكانت لا تستطيع أن تمضى اتفاقا تنقص به من سلطتها أو سيادتها على أى جزء من الاجزاء التابعة لها ، أو التى كانت تابعة لها وعادت اليها . وقد أبلغت الحكومة المصرية حكومة الباب العالى أن انكلترا تريد أن تتفق مع مصر اتفاقا مقصوراً على ادارة السودان ، لتتمكن بذلك من الغاء الامتيازات الاجنبية فيه ولتستطيع بما تبيحه لها الشركة فى الادارة أن تسهر على أملاكها الافريقية من غير أن يضر ذلك حقوق مصر فى السودان باعتباره ولاية منها تابعة لحكم الخديوى . وبالرغم من تكرار الكتابة فى هذا الامر الى الحكومة التركية فانها لم تحرك ساكناً ولم تشر بنصيحة ولم تظهر مجرد استعدادها لتعضيد مصر اذا هى وقفت بازاء انكلترا موقفاً خاصاً . وعلى ذلك ألفت مصر نفسها وحيدة بازاء انكلترا مضطرة أن تحل معها هذه العقدة بعد أن كانت فرنسا قد ضربت قبيل ذلك فى حادثة فاشودة بما قطع كل رجاء فى مداخلتها كما انقطع الرجاء فى مداخلة غيرها من الدول . مع هذا لم يخرج اتفاق يناير سنة ١٨٩٩ السودان من ولاية صاحب عرش مصر ولم يجعل انجلترا شريكة فيه . بل هو اتفاق مقصور على ادارة السودان بنصه وبتفسير لورد كرومر وغير لورد كرومر من كتاب الانكليز وساستهم إياه وبتنفيذه فى المدة التى تلت عقده. فقد كان حاكم السودان العام ، برغم أنه حاكم عسكرى فى بلاد خاضعة للحكم العرفى ، لا ينفذ أمرا ولا ينشر قانونا إلا بعد أن يبعث به إلى مجلس النظار فى القاهرة وبعد أن يرد المجلس اليه الأمر أو القانون أو الارادة السنية كما هى أو منقحة بما تراه الوزارة المصرية . فاذا كان قد حدث بعد ذلك أن استفادت السلطة الانكليزية من ضعف الوزارت التى وليت الحكم فى مصر وأن مدت ادعاءاتها الى أكثر مما يبيحه اتفاق سنة ١٨٩٩ ، فليس الذى وقع الاتفاق المذكور فى الظروف التى أشرنا اليها مسئولا عن شىء منها

هذا هو حكم التاريخ ، وهو الحق فى أمر اتفاقية السودان وموقف بطرس باشا غالى منها . على أن ما تلاها من نشاط الحركة الوطنية بزعامة المغفور له مصطفى باشا كامل ومن طعنها على المعاهدة واتخاذها ذريعة للهجوم والمقاومة ، جعل الوزارة المصرية اشد ميلا للتفاهم مع الانكليز تفاهما يخفف

مثلا من أمثلة البربرية والوحشية فى أشد عصور الانسانية ظلاما ، والذى أعدم بموجبه أربعة وجلد ثمانية أمام أنظار أهل دنشواى المفجوعين فى أهلهم وعائليهم عدا الذين زجوا فى غيابات السجون

وكانت رياسة بطرس باشا للمحكمة المخصوصة التى أصدرت الحكم مما أوخذ به وليم عليه ، ولكن دون لومه ومؤاخذته على اتفاقية السودان . ويقول المدافعون عن بطرس باشا فى هذة المسألة : أن حكم دانشواى كان حكما سياسياً أملته السلطة الأنكليزية التى أمرت بارسال المشانق قبل أن يصدر ، إذ أرادت أن تضرب مثل صرامة وحزم — وانه كان صادراً من أغلبية انكليزية لأعضاء المحكمة ، فلم يكن للأقلية الموجودة فيها بحكم القانون ، بدا من أقراره وتوقيعه . وبطرس باشا كان رئيساً للمحكمة المخصوصة بحكم القانون الذى القى بهذه الرئاسة الى ناظر الحقانية ، فكان لا مفر له من الخضوع لرأى أغلبية الهيئة التى يرأسها والتى أصدرت ذلك الحكم الجائر

وهذا الدفاع على ظاهره من الوجاهة لاينهض حجة لتبرير عمل بطرس باشا الا اذا كان هو معتقداً عدالة الحكم الذى أصدره وإنسانية تنفيذه مما لايصدق على رجل كان له من عواطف الخير والانسانيه ما كان لبطرس . ذلك بأن الرجل الذى يجلس رئيساً لهيئة قضائية يعهد اليها بتطبيق العدل يجب ألا يخضع لصوت غير صوت الضمير ولاعتبار غير اعتبار العدل المجرد من كل هوى . فأما ان كانت المحكمة المخصوصة ليست هيئة قضائية وكانت صورة هزلية لعدل لا جود له وانما تملى السياسة أحكامه ، فكان حريا برجل له ما كان لبطرس من دهاء ومقدرة أن يصل من تخفيف الجور الى أقل حدوده والا يرضى هذا التنفيذ الذى بعث الى قلب الانسانية جمعاء رعشة اشمئزاز وتقزز واستفز فى نفسها اشد المقت لعمل لا يمكن أن يكون من الانسانية المهذبة ولا من الأنسانية المتوحشة فى شىء .

وكان حكم دنشواى خاتمة سيئة لحياة سياسى ماهر هو لورد كرومر . فعلى أثر صدوره وتنفيذه بدأت مكانة انكاترا ، كأمة مدنية ونظام ، تتزعزع فى نفوس المصريين على اختلاف طبقاتهم . وبعد أن كانت الوكالة البريطانية معتبرة ملجأ العدالة فى مصر وكانت ألوف العرائض والشكاوى ترفع اليها طلباً للنصفة من ظلم الحكام بل من حيف القضاء ، تراجع المتظلمون مذعورين أذ فتحت أشباح المشانق والمشنوقين والمجالد والمجلودين عيونهم على منظر بشع يتردد الانسان فى التحديق بـه . بل يولى منه

فرارا ويمتلىء منه رعبا . لذلك لم تطق الوزارة الانجليزية أن تؤيد عميدها فى مصر فاضطر الى الاستقالة فى مارس سنة ١٩٠٧ كما اضطرت الحكومة البريطانية الى الموافقة على العفو ، بفضل جهاد مصطفى كامل ، عن مسجونى الدنشوبيين

وخلف السير الدون جورست لورد كرومر كعميد لانكلترا فى مصر ، وأراد أن يسلك فيها سياسة أخرى هى التقرب الى الخديو الذى كان مؤيدا حتى يومئذ لمصطفى كامل وللحركة الوطنية . وربما خيل الى السير غورست يومئذ أن الخديو كان قديرا على توجيه حركة مصطفى كامل وجهة أخرى ما دام هو الذى خلق هذه الحركة وغـذاها ، متناسياً أن الزعيم الشعبى مرتبط دائما بالمبادىء والمثل العليا التى نادى بها ولو اعتقد عدم امكان تنفيذها . أو لعله قصد بسياسة الاتفاق مع الخديو الى ما حدث بعدها من انفصال الحزب الوطنى عن عباس الثانى ووقوفه منـه موقف العداوة الصريحة فى بعض الظروف . على كل حال فقد خلقت سياسة جورست فى مصر جواً جديداً ووجهت الانظار الى نواح لم تكن تتجه اليها طويلا من قبل

ومما اتجهت اليه الانظار يومئذ اتجاهاً خاصاً المطالبة بالدستور وتقرير سيادة الامة . فقد تألف حزب الامة وجعلت الجريدة وعلى رأسها الاستاذ لطفى بك السيد ، يدعون الى الدستور بكل مالديهم من قوة ، أو يدللون على فساد نظام مجلس الشورى فساداً بيناً . واذ كان حزب الامة يعبر عن الرأى المعتدل فى مصر فلم يكن فى مقدور الحكومة ألا تستمع له فى هذا الشأن . لكن وزارة مصطفى فهمى كانت قد سلخت فى دست الاحكام ثلاث عشرة سنة منفذة لسياسة خاصة لاتتفق مع السيادة الجديدة التى جاء بها السير جورست ولاتتفق مع تطور المطامع المصرية . لذلك استقالت فى سنة ١٩٠٨ وعهد الخديو الى بطرس باشا بتشكيل الوزارة الجديدة. فشكلها ، وكانت فاتحة أعماله فيها أن قررت الحكومة علنية جلسات مجالس الشورى وحضور الوزارة المجلس لمناقشة أعماله وللاجابة على ما يوجه اليها من الاسئلة ، وأن عينت البرنس حسين كامل (المغفور له السلطان حسين) رئيسا للمجلس زيادة لهيبته واحترامه . لكن هذه الخطوة الاولى كانت دون ما تطلب الامة بمراحل ، فلم تخفف لذلك من المطالبة بالدستور بل زادتها قوة واندفاعا . واذ كان بطرس يميل الى تحقيق هذا المطلب فقد سعى سعيه لدى معتمد انكلترا كى يضع نظاما يقرب مصر من الحكم الذاتى

وكان السير جورست لما يصل أمام الرأى العام البريطانى الى شىء من مثل مكانة لورد كرومر. لذلك رأى أن حركة الصحافة حركة عنيفة فى مصر قد تحول بينه وبين موافقة الحكومة البريطانية على طلب الحكومة المصرية ، كما رأى أن حالة الامن ليست كذلك مما يؤيده عند وزارة خارجيته . لذلك طلب أن يبعث قانون الصحافة الذى سن فى سنة ١٨٨٢ مبيحا للادارة حق انذار الصحف وتعطيلها وأن يوضع قانون النفى الادارى لارهاب الجناة . والظاهر أن حرص بطرس باشا على تحقيق خطوة جديدة فى سبيل الحكم الذاتى كان شديدا . وكثيرا ما يلجأ السياسى الشديد الحرص على تحقيق غاية معينة يراها ذات خطر فى حياة أمته ، الى قبول أشياء لا يقبلها غيره ، مادام يعتقدها أشياء موقته قليلا ضررها الى جانب الغاية العظيمة المرجوة . لذلك لجأ بطرس بازاء رفض زميليه سعد زغلول ومحمد سعيد لطلب المعتمد البريطانى بعث قانون الصحافة واصدار قانون النفى الادارى، الى وساطة الخديو عندهما ، فأوفد سموه من رجاله من أقنعوهما . فصدر القانونان فى سنة ١٩٠٩ فأحدث صدورهما فى البلاد دويا هائلا ووقفت الصحافة ووقف الرأى العام يندبان الحرية المضاعة بغير ثمن الا إرضاء المطامع الانكليزية فى حرصها على قهر مصر واذلالها

وامتدت هذه الضجة الى تناول مسألة كانت تتناول الوقت بعد الوقت فى الصحف ، ولكنها تنوولت هذه المرة بحدة لم يسبق لها نظير . ذلك أن الصحافة القبطية فى مصر كانت تدافع دائما عن بطرس باشا وكانت تتهم الصحافة الاسلامية بالتعصب الدينى فى مهاجمتها إياه . وكانت النعرة الدينية قوية فى ذلك الحين كما قدمنا

لذلك كانت العصبية الدينية تدفع الكتاب الى حدود غير معقولة ولكن لها نظائر حتى فى أشد الامم تحضرا . وأقرب هذه النظائر ما يزال يبدو الوقت بعد الوقت فى صحافة الامم المسيحية خاصا باليهود . وكانت بعض الصحف الاسلامية من جانبها لا تنى عن مجاراة الصحف القبطية فى هذا المضمار وسبقها . على أن ما وقفنا عليه من مصادر مختلفة أكثرها اسلامى يقنعنا بان بطرس باشا لم يكن متعصبا لابناء طائفته تعصب عداوة لأغلبية البلاد الدينية . يؤيدذلك أنه لما أنشأ الجمعية الخيرية القبطية فى سنة ١٨٨١ كان من بين الخطباء يوم افتتاحها الاستاذ الشيخ محمد عبده والشيخ محمد النجار وعبد الله نديم وغيرهم ، وأنه كان بعد ذلك عظيم الوفاء لكثير من أصدقائه المسلمين متصل

البر بكثير من العائلات الاسلامية . من ذلك أنه كان أول من ذهب إلى المغفور له الشيخ سليم البشرى على أثر إقالة الخديو إياه من مشيخة الازهر يسأله ما يستطيع أن يقدمه له من خدمة . وكان كثيرا ما يقضى حاجات افراد المسلمين من غير ان يكون له بهم كبير معرفة كما كان يصلهم صلة أبناء طائفته على أن بره بأبناء طائفته أمر طبيعي . وخير ماسمعنا عنه فى هذا أنه كان يتوافى لأفراد من المسلمين ، وأنه هو الذى صنع الطائفة القبطية فرفعها من مستواها الضعيف الذى كانت فيه الى مستوى أسمى منه بكثير فالجمعيات القبطية والمدارس القبطية والمنشآت الخيرية القبطية يرجع الفضل فى أكثر مما يرجع لأى شخص آخر كما يرجع الفضل له فتح أبواب الوظائف العامة للاقباط أسوة بالمسلمين

واستمر يتابع ، بالاتفاق مع المعتمد الانكليزى ، وضع النظام الجديد للهيئة النيابية المصرية . وقبل أن يتمه كى يصدر القانون به طلبت شركه قناة السويس من الحكومه المصرية مد امتيازها أربعين سنة أخرى بعد سنة ١٨٦٩ . وكانت الحكومة المصرية يومئذ مستعدة لقبول الطلب . لكن حركة الرأى العام المصرى فى هذا الشأن كانت قوية اضطر أول الامر معها أن يعرضوا المشروع على الجمعية العمومية المصرية وأن يعدوا بأن يكون رأيها فيه قطعياً . وفى أثناء نظر هذا المشروع بالجمعية وفى فرصة هياج الرأى العام وتوتر أعصابه ، فكر ابراهيم ناصف الوردانى فى قتل بطرس معتبرا إياه خائنا لوطنه بسبب توقيعه اتفاقية السودان ورياسته محكمة دنشواى . روت « الجريدة » الصادرة فى ٢١ فبراير سنة ١٩١٠ وصفاً للحادث ما نصه « بقى — الباشا — كذلك حتى كان يوم أمس نزل كعادته فى جماعة من الموظفين ، وعند باب نظارة الحقانية صافحهم وانصرف ومعه النائب العمومى ، فما كاد يضع رجله على سلم عربته حتى أصابه الرصاص المتعاقب من غدارة شاب لعب الشباب برأسه وتصور ما تصور وتجسمت فى نفسه الخيالات فلم تزعه رهبة الوزير ولا وقار الشيخ ولا خوف العقاب . أصابه الرصاص فى العنق والكتف والبطن فخر صريعاً فحمل الى أودة ناظر ناظر الحقانية ثم الى مستشفى الدكتور ملتون . وهناك زاره سمو الخديو وجميع الوزراء والسير جورست والامراء وأعيان الامة وكلهم يرجون له الشفاء العاجل . فلما كانت الساعة السادسة عملت له عملية جراحية لاخراج الرصاصة الباقية ، ولكن كانت ، مع الاسف قد نسفت الامعاء ونفذت فى صدر المعدة »

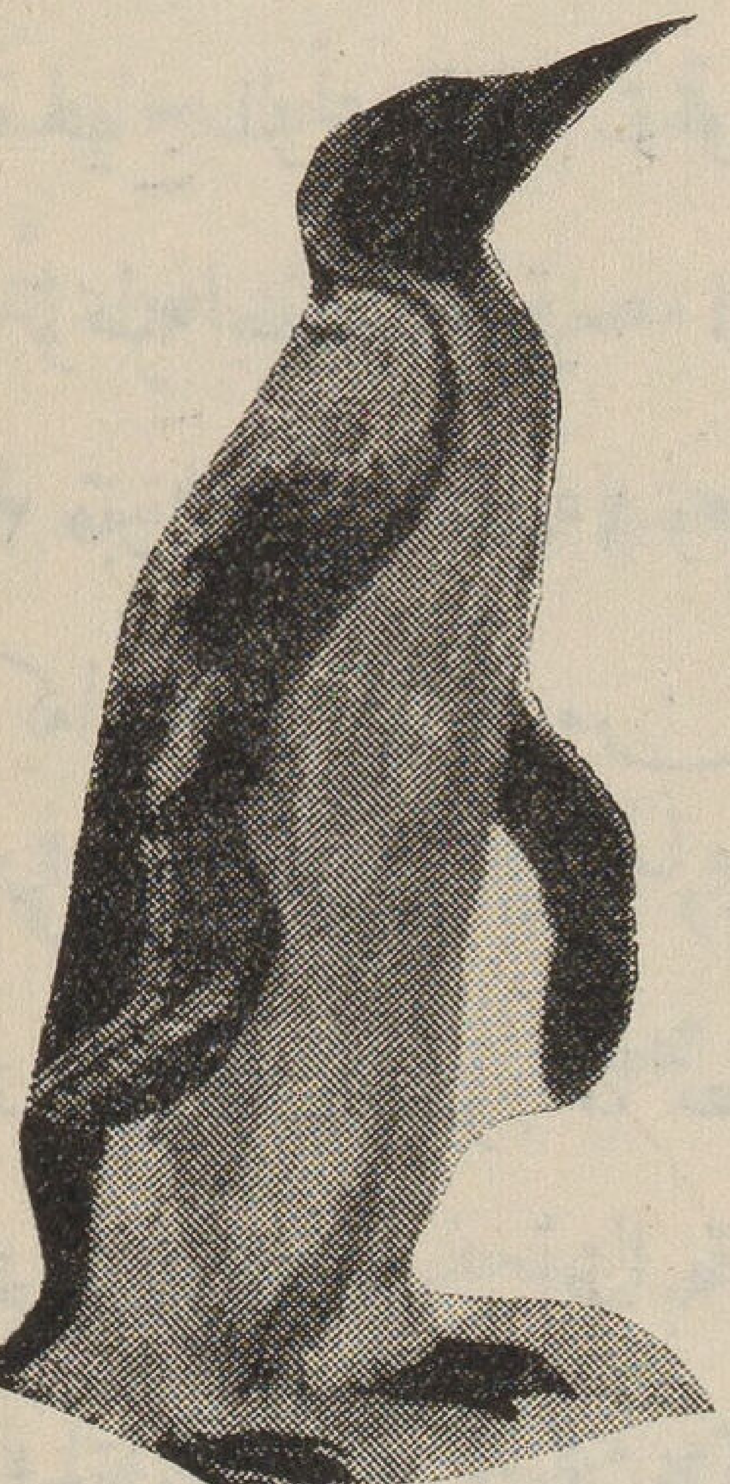
وقضى رحمه الله فى الساعة الثامنة والربع من صبيحة ٢١ فبراير سنة ١٩١٠ ودفن فى اليوم التالى فى مشهد مهيب . واليوم يرقد رفاته فى كنيسته القائمة على جانب شارع الملكة نازلى الذى كان من قبل شارع عباس

* * *

هـذه حياة بطرس غالى . والقارىء يرى كيف كانت حياة سياسى عظيم ومحسن كبير ولئن كان قد أخطأ التقدير فى بعض موافقه فهو لم يقصد يوما الى غير خدمة بلاده . ولذلك كانت آخر كلمة فاه بها حين احضاره « يعلم الله أنى ما أردت غير الخير لبلادى » . وكانت كلمة حق

البنغوين

البنغوين من الطيور العجيبة التى تعيش فى المنطقة الجنوبية من العالم اى بين القطب الجنوبى الى مايقارب الجزرالتى تجاور افريقيا الجنوبية . وهو طائر من حيث الاصل وتشريح الجسم اما من حيث الحركة والسيرة فانه يعيش كأنه من حيوان البحر . اذ قد استحال جناحاه الى زعنفتين للسباحة فهما يدوران كالمجذافين ولـكن بسرعة كبيرة جدا حتى انه يسبق اسرع البواخر . وهو يأكل صغار السمك وبعض القشريات ويقيم معظم العام فى ارض القطب الجنوبى . فاذا كان الشتاء رحل عنه الى الشمال فيقيم فى جزر المحيط الهادى التى تقارب القطب .



وهو ينسلخ من ريشه كل عام . واسراب البنغوين تجتمع عندما يتكامل ريشه ولا يجوز لاحدها ان يلحق بالسرب مالم يكن قد تكامل ريشه وهو اذا تجرأ على اللحاق بالسرب قبل ذلك نحاه السرب وطرده بقسوة

وذكر البنغوين حين يختار انثاه او زوجته يتقدم اليها بهدية كأنها حلقة الخطبة . فانه ينتقى حصاة لامعة ويقدمها لها . فاذا نقرتها وحملتها فهم ان عرضه مقبول اما اذا تنحت عنها فانه يفهم انه مرفوض

ويبلغ البنغوين حجم الدندى . ولـكنه اكثر شحما منه وشحمه سمكى الطعم

كتابان أو أربعة كتب هدية

عن كل مشترك جديد

ترسل ادارة المجلة الجديدة لكل مشترك من مشتركيها الحاضرين كتابين من (النوع الأول) أو أربعة كتب من (النوع الثانى) هدية اذا أرسل لنا اشتراكا لمشترك جديد (٤٠ قرشا لمصر والسودان و ٥٥ قرشا للخارج)

النوع الأول

روح الثورات لجوستاف لوبون وترجمة محمد زعيتر

الاراء والمعتقدات لجوستاف لوبون وترجمة محمد زعيتر

حضارة مصر الحديثة لكبار الكتاب والمفكرين المصريين

الحركة الاشتراكية لرمزى مكدونالد وترجمة محمود العرابى

اليوم والغد لسلامة موسى — نظرية التطور لسلامة موسى — مختارات لسلامة موسى — قبض الريح لابراهيم عبد القادر المازنى — قصة الانتقام العذب ترجمة أسعد داغر — قصة التائه لأيليا أبورزق -- قصة فاتنة المهدى ترجمة محمد على — مسارح الأذهان لخليل بيدس - عشرة أيام فى السودان لمحمد حسين هيكل باشا — نسمات وزوابع لنقولا يوسف

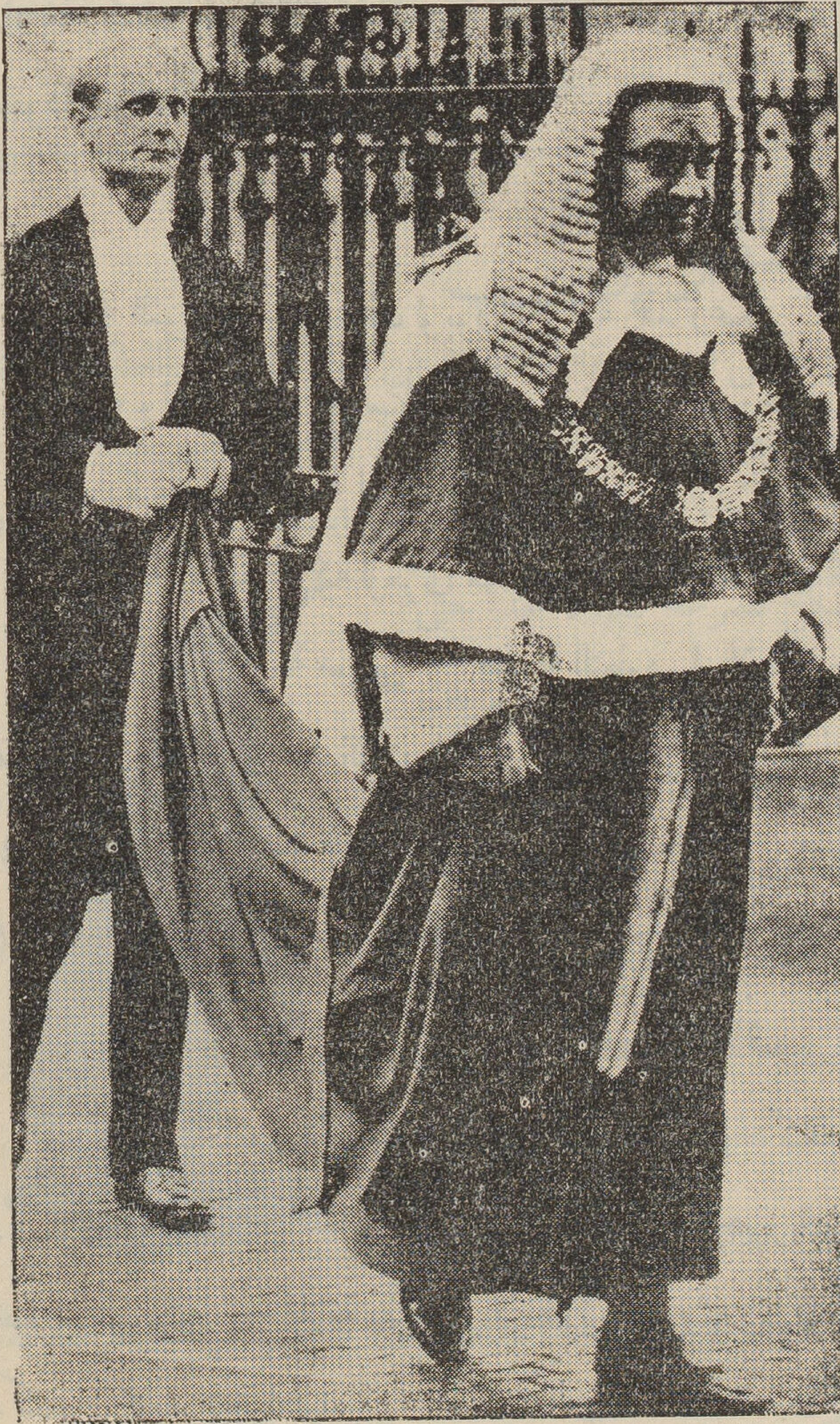
النوع الثانى

تذكرة الكاتب لأسعد داغر — الطب القديم . كتاب خطى قديم — أسرار الراهقة للدكتور شخاشيرى — مركز المرأة وشريعتى حمورابى وموسى — اعترافات تولستوى لانطونيوس بشير — ثلاثة مفكرين لانطونيوس بشير - تربية دودة القز لمحمد بسيم - التعليم والصحة للدكتور محمد عبد الحميد

٢٤ شارع الفجالة . مصر

القضاء فى انجلترا

يمتاز القضاء فى انجلترا بميزتين كبيرتين قد تعد احداهما عيبا . فانه من الجهة الواحدة كثير التكاليف يكلف الحكومة والمتقاضين مبالغ طائلة . ولكنه من ناحية اخرى يكاد يكون معصوما من الهوى وان لم يعصم من الخطأ . أما من ناحية التكاليف فيمكن القارىء ان يقف على ذلك من المرتبات الضخمة التى يتناولها القضاة اذ ان كثيرا منهم يتناول خمسة الاف جنيه فى العام ومرتب وزير الحقانية يبلغ ضعف مرتب رئيس الوزارة نفسه . والقاضى فى المحاكم العليا يختار من المحامين ـ وليس من القضاة ـ الذين قضوا فى المحاماة على الاقل ١٥ سنة بنجاح ومثل هذا المحامى قل ان ينقص دخله السنوى عن ٢٠ الف جنيه ولذلك يعد مضحيا عندما يقبل منصب القضاء . وللقضاء تقاليد فى انجلترا يمتد بعضها الى الف سنة وأحيانا الى الف وخمسمائة سنة أو اكثر : ومن هنا هذه الشكة العجيبة التى يتخذها بعض القضاة بوضع الضفائر على رءوسهم ولبس العباءات الزاهية الضافية التى يحمل ذيلها الخدم . وكل هذا من التقاليد



رئيس القضاة فى انجلترة

وحرمة القضاء تعود الى هذه التقاليد القديمة اكثر مما تعود الى القوانين

وليس فى القضاء الانجليزى «نيابة عامة» ولكن هناك نائبا عموميا يختار المحامين لكى يكونوا وكلاءه . ويذكر القراء كيف سقطت وزارة المستر مكدونالد لان احدى الجرائد اذاعت أنه خاطب النائب العمومى فى شأن قضية كان قد اتهم فيها أحد الصحفيين . فان مجرد ذيوع هذا الخبر قد أثار الوساوس عند الجمهور وجعله يشك فى استقلال القضاء فكان سقوط الوزارة

ومبدأ المحلفين فى القضاء من المبادىء العامة فى اوربا . وهيئة المحلفين تختار من طبقات الشعب المختلفة : فاذا كانت هناك جريمة فان القاضى لا يمكنه أن يحاكم المتهم مالم ينطق المحلفون بالاجماع أنه مجرم . اما اذا قالوا انه برىء فان القاضى يجب ان يفرج عنه للحظته . وليس هؤلاء المحلفون من رجال القانون بل قد لا يتفق ان يفهم واحد منهم القانون الجنائى ولكنهم يمثلون عاطفة الشعب أو مزاجه أو رأيه. فهم الضمان القائم بالا ينفصل القضاء عن روح الشعب . والقاضى يشرح التهمة للمحلفين فى نزاهة تامة ثم يسأل المحلفين : هل المتهم اثيم أم برىء ؟ فاذا كانت البراءة فلا بد من الافراج . واذا كان الاثم فعلى القاضى ان يعين العقوبة

والمحاماة فى انجلترا قسمان . فان هناك المحامى الذى يظهر أمام المحكمة للدفاع . وهو قلما يرى موكليه . لأن هؤلاء الموكلين اصحاب الشأن والدعوى لا يقصدون الى المحامى وانما يقصدون الى «الوكيل» أى «الموثق» الذى يشرحون له قضيتهم ويسلمونه مستنداتهم . وهذا يجب عليه أن يختار المحامى ويلتفت الى الاجراءات فيعنى بها العناية التامة . وقد يتفضل فيأخذ موكليه الى المحامى أو قد لا يتفضل بذلك . والتكاليف لهذا السبب كثيرة جدا . فان القضية التى تكلفنا فى مصر نحو عشرة جنيهات لا تكلف المتقاضى فى انجلترا اقل من خمسين جنيها . وقد كانت قضية الطلاق تكلف طالبها قبل أربعين سنة نحو الف جنيه . وهذه التكاليف الكبيرة تكف الجمهور عن العبث والمكايدة عن طريق المحاكم . كما انها تجعل الناس يخشون القضاء ويتفادونه بالصلح خارج المحاكم

ولكل قضاء نزعته التى يصطبغ بها سلوكه . ونزعة القضاء الانجليزى الحرص أشد الحرص على حرية الفرد وكراهته لاية شبهة يظن فيها ان السلطة الحكومية تمس هذه الحرية بالاعتداء

الحاج شعبان

قصة للاستاذ نقولا يوسف

كان اسمه يطرق اذني فى مناسبات نادرة ، كغيره من ألوف الاسماء نكراتها ومعارفها ، اذ كان أبى يعرفه ويتحدث عنه أحيانا فيما يتحدث عن قديم الذكريات .. لقد كانا كما فهمت صاحبين فى عهد شبابهما ، تجمع بينهما روابط العمل وكثير من الثقة المتبادلة .. ثم باعدت بينهما الايام ودب كلاهما فى طريق الشيخوخة .. ولم يعودا يلتقيان الا مصادفة وذلك حين يهبط الحاج شعبان الى القاهرة لبعض شأنه ..

كان الحاج شعبان عمدة قرية ... له هناك عدد من الافدنة المزروعة . وله منزل ذو طابقين يعلو فوق بيوت القرية المتداعية وخصاص الفلاحين المتواضعة كأنه عملاق متكبر القت به المصادفة بين اقزام ضعاف

وقد تميز بيت العمدة فوق ارتفاع هامته بلونه الاصفر الشاحب . وبشرفة خشبية فسيحة تطل من الجهة البحرية على الغيطان .. وبحديقة بها بعض أشجار التوت والنبق والتمرحنة .. ومع كل ما لهذا القصر الريفى من منزلة واعتبار بين اهل الناحية فانه لا يلفت نظر أى عابر للسبيل اذا ما نقل وحديقته الى البندر . .

وتزوج الحاج شعبان بعد موت زوجه الاولى من «أم السعد» وهى ريفية مليحة طويلة القامة عريضة المنكبين ، يكبرها بنحو عشرين سنة . فولدت له ولدين وثلاث بنات . شبوا جميعا فى عز أبيهم يحبوهم برعايته ويسبغ عليهم حبه وعنايته . وادخل الذكور من أولاده فى كتاب القرية ثم أصر على أن يتابعوا دراستهم فى البندر ، واذ كان يتألم فى أعماق نفسه من أنه شب أميا لا يعرف القراءة

والكتابة .. ثم زوج اثنتين من بناته فى سن مبكرة

كان راضيا عن حياته ، سعيدا قانعا .. فهو سعيد بام السعد يدللها كبنته ، تاركا لها ادارة المنزل .. سعيد باولاده سريع الى تلبية رغباتهم .. يثق بالناس ويصدقهم اعتقادا منه أنه ما دام لا يؤذى احدا فلا يفكر أحد فى ايذائه .. وهو يحب حقله وزرعه وماشيته .. ويحس أنه جزء غير منفصل عن هذه الارض التى شب فوقها وشاب .. مخزنة ملىء أبدا باكياس الذرة والقمح وبجرار السمن والمش .. والفرن تفوح منه رائحة الخبيز .. وأمام الجرن يسرح دجاجه وتصيح ديكته ويهدل الحمام على ابراجه .. وفى المساقى يسبح اوز الحاج شعبان وبطه ويعبث طول النهار فرحا بالماء والشمس ووافر الطعام .. وفى الزريبة تعلف بهائمه وتخور من حين لآخر كأنما تدعو للحاج شعبان بدوام العز ..

ولما بلغ الخمسين من عمره سافر لتأدية مناسك الحج ثم عاد فى مهرجان عظيم خرجت فيه كل القرية للقائه بالطبول والتغاريد واستقبلته استقبال الفاتحين . ثم خلع عليه الجميع من ذلك اليوم لقب «الحاج» شعبان

ومما سمعته أيضا عن الرجل أنه كان بالرغم من اعتزازه بكرامته ورغبته فى الظهور بين قومه بالهيبة والوقار ، رجلا طيباً ذا قلب رحيم ، شديد الخوف على زوجه وأولاده وفلاحيه وخدمه وأهل قريته جميعا . كما كان معروفاً بينهم بالورع والتمسك بشعائر الدين . ويحكون عنه أنه أشفق مرة على يتيم من اهل قريته فحمله الى بيته وعامله كولده حتى اذا ما كبر واشتد عوده فوض اليه خدمة الدار وحمايتها حتى باتت سلطة حمودة (وهو اسم الخادم) أمر معترف به من الجميع ..

ومرت الأيام متشابهة كألحان السواقى صافية كنسمات الحقول .. والمصائب لا تعرف سبيلا إلى منزل الحاج شعبان ..

وفى يوم فوجئت تلك القرية الآمنة المطمئنة بنبأ حرك ساكنها وسار بين سكانها كما تسرى النار فى الهشيم .. ولم يصدق أحد ذلك الخبر لأول وهلة ولكنه ما لبث أن صار حقيقة يتندر بها الكبار والصغار . وكانوا يعجبون .. ويهزأون .. ويأسفون ..

ـ حضرة العمدة طلق امرأته امبارح ! ..

ـ عجايب ! ليه ؟ ..

ـ قال .. علشان كسرت جرة السمن ! .

وبات هذا الحادث، الطريف موضوعا لسمر أهل الناحية عدة أيام . ولم يستطع محبو الاستطلاع ورواة الأخبار فى قهوة القرية ان يزدادوا علما بتفاصيل الحادث فلجأوا إلى خيالهم يستوحونه ما غمض من هذا الموضوع .. واتفق الكثيرون فيما بينهم ان العمدة كبر وخرف وأقسم آخرون أن فى ذلك دليلا على البخل والتقتير الكامنين فى نفسه بالرغم من مظهره الخادع وادعائه الكرم . . أما النساء فقد شاع بينهن أن العمدة يهوى احدى صبايا البندر بعد أن مل أم السعد و كرهها فطلقها متعللا باهمالها و كسرها جرة السمن ..

واستهدف الحاج شعبان لضروب اللوم والتقريع .. وبات اسمه مضغة فى أفواه الأطفال والرجال .. يتلقى فى ظهره مطاعن الاصدقاء والاعداء وهو صامت لا يتحرك كأنه برج شامخ تزأر حول العواصف . اما اهله واولاده فقد اساءوا بعقله الظن وتأهبوا للثورة فى وجهه ..

وبعد أيام رأوا الحاج يسير كالجريح ، مهدماً يائساً .. وكأنما كبر عشرين سنة فوق عمره .. ولم يجرؤ انسان على مفاتحته بهذا الأمر لأنه كان يبدو واجما صامتا ، عابس الوجه كئيب النفس . فاذا جرؤ أحد من المقربين اليه فتحدث اليه عن حادث الطلاق أجاب بأن هذا أمر الله .. ولم يزد ..

ومرت شهور على هذه العاصفة التى فاجأت بيت الحاج شعبان فاكتسحت هدوءه وصفاءه ، وعبثت بسعادته وهيبته ... ثم بدأت العاصفة تستقر وتهدأ ، وأخذ الناس ينسون القصة ولا يذكرونها إلا فيما ندر ..

وكان أن وصلت إلى أبى حكاية الطلاق وجرة السمن ولا أعلم كيف وصلت . فعجب وسكت ولم يعد يتحدث عن الرجل بخير ولا بشر ..

وكان أصيل يوم من أيام الصيف عدت فيه إلى البيت، فاذا بى أرى الحاج شعبان جالسا على أريكة موضوعة بقرب النافذة فى فسحة المنزل . وكان يتحدث مع أبى كعادتهما بذلك الصوت الهادىء الخافت الذى أثرت فى نبراته ومعانيه عبر السنين وتجارب الزمان ..

ورأيت ذلك الرجل الذى كان يبدو لى دائما فى عزيمة الشباب وصلابة العود قد مسخ الى كومة

من الحطام مثل بيت خرب يتداعى على نفسه . . ولم تأخذنى عليه بالرغم من منظره شفقـة . إذ تجسمت جريمته أمامى فى وجهه المجعد المحروق وفى جلسته المستهترة وقد وضع ساقه تحتـه . ووقفت برهة أعجب كيف يخرب إنسان بيته بيـده ويجنى على امرأة مسكينة ضعيفـة شاركته حياته سنوات طوالا وعلى أولاده وبناته من أجل ذنب تافه حقير ..وأخذت أحدث نفسى أن هذا الرجل الجاهل لا بد يخفى فى أعماقه وحشا أو مجنونا ..

بهذا الشعور الذى غمرنى حين وقعت عينى على الحاج شعبان دخلت إلى غرفتى القريبة منهما كارها أن يقع عليه نظرى مرة ثانية ..

ومرت برهة أردت بعدها أن أخرج من غرفتى وكان على أن أمر بالرجـل ثانية فى طريقى ، فترددت لحظة عند الباب ، وأذ بحديث خافت يصل الى مسامعى ويثير فضولى على الرغم مـنى فلبثت واقفا فى مكانى غير شاعر بتوقفى ولا بتطفلى ...

ـ مهما كان الأمر فانا لم أكن أتوقع يا حاج شعبان من رجل طيب كريم مثلك أن يطلقها بعد تلك العشرة الطويلة من اجل جرة سمن .. هذا شيء لا يدخل العقل ! .

ـ امر الله قسمتى .

ـ طيب واولادك ؟ ألم تفكر فيهم فى تلك الساعة ؟

فسكت الحاج شعبان ومرت برهة لم يسمع فيها غير دقات الساعة العتيقة المعلقة على الجدار . واذا بالرجل يتكلم كمن يناجى نفسه :

ـ جرة سمن قال ! فضنا من الحكاية دى اعمل معروف

ـ مهما كان .. فقد كان الواجب عليك ان تكون حليما صبورا

فعاد صوته يعلو متهدجا وقد تغيرت نبراته كمن يذكر حادثا أليما

ـ حليم ! ضع نفسك مكانى .. اسمع ياعم ..عهدتك رجلا تكتم السر..نحن صاحبان منذ خمسين سنة .. فهل تعدنى بالـكتمان ؟

ـ أنت تعرفنى ياحاج شعبان ولـكنى أعدك

ـ كنت أحبها واعاملها كزوجتى وكابنتى .. تزوجت منها صغيرة ساذجة لـكنى لم أحرمها

مرة من كل ماترغب فيه وتشتهى . كانت ذكية ماهرة فتركت لها حرية التصرف بالمنزل وما فيه .. كانت تدير شئونه وتربى الاولاد وتشرف على الطيور والخزين وكل ما أملك .. ثم رأيت العمل يثقل عليها فوضعت فى خدمتها الواد حموده الذى حملته إلى بيتى طفلا يتيما وربيته فشب فى نعمتى وترعرع لايفرق عن أحد أبنائى ..

وسكت الحاج شعبان برهة ليستريح وكأنما ندم على الافضاء بسره فأراد أن يهمل بقية القصة وقال :

ـ دعنا بالله عليك من هذه الحكاية ..

ولكنه ما لبث بعد برهة من الوجوم أن صاح بحنق وغضب قائلا

ـ الله يجازيه الخائن . خرب بيتى . الله يجازيه

ـ من ؟

ـ الواد حموده .. نعم هو .. فى ذلك اليوم المشئوم سرت الى الجرن مصادفة فسمعت همسا وأيقنت أن به لصوصا . فاسترقت الخطى ثم نظرت كالمشدوه .. وخلت أننى أحلم . رأيت تلك المرأة التى وثقت بها وكنت لها الزوج والاب . رأيت الزانية بين أحضان خادمها حموده . وقفت برهة ذاهلا عن نفسى . وكانت نفسى تحدثنى أن انقض عليهما كالذئب واقتلهما معا . كثعلبين قذرين . ولكنى عدت الى نفسى فى الحال وذكرت اننى بثورتى وغضبى بل بظهورى لهما : سأدع الفضيحة تسير فى أرجاء القرية كالنار فى الحطب .. سيلصق العار بمنزلى الى الابد . لن ترحمنى ألسنه الناس .. سيلحق الخزى ببناتى وباولادى بالمدرسة .. سيشير الناس اليهم فى الطريق .. سيجعل القرويون من قصتى موضوعا لسمرهم فى الحقل والقهوة . سيصبح حموده بطلا من أبطال المغامرات فى أعين النساء . أما العمدة فسيكون بعد اليوم مغفل القرية وأضحوكتها

ذكرت كل ذلك فى لحظة . وعدت على اطراف اصابعى . لم يشعر بى أحد . ولما بعدت عن مكان الجريمة اسودت الدنيا فى عينى وهربت الى غرفتى وأقفلت على نفسى الباب وأنا الهث وأنتفض كحيوان جريح

وبقيت فى فراشى عدة أيام قالوا لى بعدها اننى كنت محموما ومشرفا على الموت . نعم كاد الكبت

يقتلني . ولما عوفيت وخرجت من غرفتي رأيت زوجتي تروح وتغدو أمامي مثل طفل بريء ونظرت فاذا بحمودة يسير فى البيت كسيد مطاع .. بعد بضعة أيام طلبوه للجهادية فودعناه جميعا .. آسفين ولبثت أياما اخرى اتربص للفرصة السانحة للتخلص من المرأة التى لم أعد أطيق رؤيتها تروح وتجيء أمامي .. وما هي الا ان كسرت جرة السمن حتى لقيت الفرصة فانفجر مرجل غضبي المكبوت وغيظي المكظوم وطلقتها ثلاثا ..

تحملت وحدى غضب الناس ولعنتهم بل لعنة أبنائي وبناتي ولكني صنت عنهم السنة السوء وحفظت كرامة بيتي ..

« • »

مات الحاج شعبان منذ سنوات ودفن معه سره . أما امرأته فكانت تعيش بعده مع بنيها مكرمة فاذا ماجاء ذكر ذلك الاب الظالم لم يستنزل عليه أحد رحمة الله ..

للاصلاح الاجتماعى

فى سنة ١٩٣٤ سنت الحكومة البريطانية قانونا ينص على ان قيمة الاجور التى توافق عليها اكثرية من المصانع ومن النقابات تصبح اجبارية على جميع المصانع التى تغزل القطن

« • »

بين ١٩٢٠ و ١٩٣٣ بنى فى انجلترا ٥٠٠ر٠٠٠ر٢ منزل أى ان ربع السكان انتقلوا الى مساكن جديدة

« • »

العمال فى الجمعيات الصهيونية فى فلسطين تزاد اجورهم اذا كان لهم أولاد أو اهل يعولونهم

البلاغة .. علم عقيم

ما ظنك بعلم يدلك على موقع الجمال فى بيت المعرى :

رب قبر قد صار قبراً مرارا

ضاحك من تزاحم الاضداد

فيقول : إن سر الجمال فى هذا البيت هو فى الاستعارة المكنية فانه شبه القبر بانسان يضحك وكنى عنه بذكر أحد لوازمه وهو الضحك وهذا كل ما يلفت الانسان فى هذا البيت ! ودعك من عمق النظرة فى تزاحم الاضداد على القبر الواحد الذى لا يتغير ...

ما ظنك بعلم لا يلفت الانسان الى قيمة الاحساس فى الكلام أو الى طاقة الفن فيه ، ولكن الى جناس تام أو ناقص أو مقابلة أو طباق ؟!

وأذكر اننى كنت أقرأ مرة لتاجور فى بعض شعره ما معناه « السحب تلال من البخار ، والتلال سحب من الاحجار، وذلك ترف فى أحلام الزمن »

كنت أقرأ هذا ، وقد غمرتنى منه نشوة الاعجاب وقلت لو امتدت أيدى البلاغيين الى مثل هذا الكلام الرفيع لمسخوه ، ولقالوا أن سر جماله هو فى قوله « السحب تلال والتلال سحب » فان فى هذا ردا للصدر على العجز أو ردا للعجز على الصدر ، وعلى هذا المنوال من المسخ والتشويه يمسخ الكلام العربى السليم وتشوه معالمه

فعلم البلاغة علم يهدد وجوده سلامة الفطرة فى فهم الآداب وتذوق الكلام اذ من السخف البليغ أن يلتفت الى شكل الكلام ، ولا تلتفت نفوسنا وعقولنا إلى موضوعه ، ثم ما هو الضرر الذى يلحق بجاهل علم البلاغة ؟ أيضيره أن يعرف معنى الكلام على أتم وجوهه ، ولا يعرف ما فيه من أسلوب الحكيم أو غير الحكيم أو لف ونشر أو نشر ودوران أو هراء من هذا الهراء ؟

الحق ان علم البلاغة علم ثقيل الظل لا فائدة من وجوده ، فالذى يريح اخواننا وأبناءنا الطلاب منه يريحه الله من كثير

العوضى الوكيل

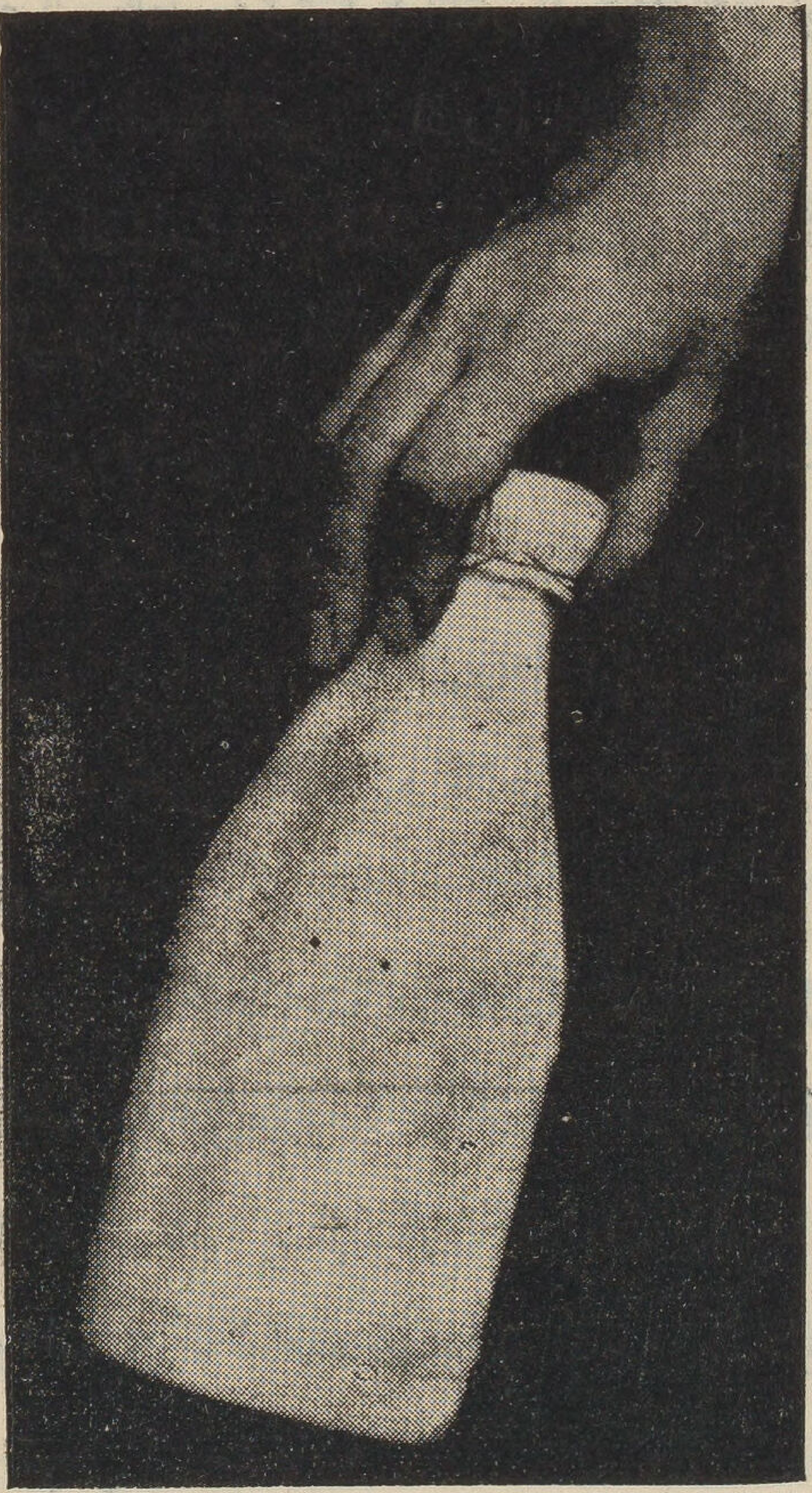
اللبن : الغذاء الكامل

كبرت قيمة اللبن حديثا حين عرف انه يحتوى جميع انواع الفيتامين وانه يمكن الرجل المتمدن ان يصحح النقص فى غذائه يتناول مقدار منه كل يوم . فان العيش فى المدن يحرم الانسان من الاتصال بالطبيعة وثمراتها الطازجة. وقد كثر ايضا انتاج الاطعمة المحفوظة فى العلب وهذه يخشى عليها من ناحية النقص . اذ ربما يحتاج فى عملها الى وضعها فى درجات عالية من الحرارة التى تقتل العناصر الفيتامينية . ولذلك اقبل جمهور المتمدنين على شرب اللبن لكى يعتاضوا منه عن النقص الغذائى فى اطعمتهم المألوفة . وانشئت قهوات تبيع اللبن المثلج . وقد بلغت هذه القهوات اكثر من الف ومائتين فى لندن وحدها . وعنيت الحكومة البريطانية بتشجيع الزارعين على اقتناء البقر واقامت هيئة شبه حكومية لشراء اللبن باثمان عالية . وهذه الهيئة او الهيئات تعقم اللبن ثم تبيعه للجمهور . وما يفيض عن استهلاك الجمهور يحال الى مصانع الحلويات بثمن منخفض . وما يفيض بعد ذلك يعطى للمدارس والملاجىء حيث تشتريه المجالس البلدية فاما توزعه بالمجان واما تبيعه للتلاميذ باثمان منخفضة

ويعرف الذين يشترون الشكولاته الانجليزية ان اثمانها قد انخفضت لهذه المساعدة التى نجدها من الحكومة البريطانية . كما أن صحة الصبيان فى المدارس قد تقدمت فزاد نموهم وذكاؤهم معا . ومع ان الانجليز كانوا يستهلكون مقدارا كبيرا من اللبن للعادة المألوفة بينهم فى مزج الشاى باللبن فانهم زادوا استهلاكا له هذه السنوات الاخيرة للدعاية الصحية التى تفشت عن اللبن وللمعونة الحكومية التى تجعل ثمنه منخفضا

واللبن فى اوربا يحلب من البقر — باستثناء القليل من الجاموس فى الجنوب من ايطاليا واسبانيا — ولما كان البقر عرضة لان يصاب بالتدرن الذى ينتقل الى الانسان فان التعقيم ضرورى جدا . وأما فى مصر فان معظم اللبن يحلب من الجاموس . وقل ما يصاب بالتدرن . ولكننا نخشى غير هذا المرض امراضا اخرى ينقلها اللبن مثل الحمى التيفودية أو غيرها . ولذلك نحن أيضا فى حاجة الى

تعقيم اللبن . والطريقة المتبعة لتعقيمه فى البيوت هى غليه على النار . ولـكن الغلى يفقده بعض الفيتامينات كما انه يجعل الـكلس يرسب ويتجمد . والكلس من افضل عناصر اللبن التى يحتاج اليها الطفل فى نموه . وكثير من الاطفال الذين تظهر عليهم أمارات الـكساح يكون السبب لوقوعهم فى هذا المرض حرمانهم من لبن الام واعتمادهم على اللبن الجاموسى او البقرى المغلى الذى رسب منه الـكلس اى الجير . ويمكن تعقيم اللبن مع صيانة كفاياته الفيتامينية وعناصره المعدنية برفعه عن النار قبل الغليان



وقد اثبتت التجارب فى الفئران كما اثبت اختبار الاطباء فى اقطار مختلفة ان صحة الحيوان والانسان تجود حيث يكثر طعام اللبن ومشتقاته. بل ان العمر يطول بذلك. وقد كان متشنيكوف يعزو طول الاعمار فى مقدونيا الى اللبن المخمر . ولـكن اغلب الظن ان التخمير لا قيمة له وان المقدونيين انما يعمرون لانهم يكثرون من تناول اللبن مخمرا كان أم غير مخمر فان فى اللبن خواص تجعله الطعام الـكامل للانسان . وهذه الخواص هى التى جعلته الدواء لمرضى منذ ايام ايفراط أى قبل نحو ٢٢٠٠ سنة . وكان الطبيعة حين جعلته طعام الاطفال الوحيد فى السنة الاولى من اعمارهم قد وضعت فيه اكبر مقدار من الخواص الغذائية والدوائية

والذين زاروا اوربا وعاشوا فيها يعرفون كيف يدخل اللبن فى كثير من الوان الطعام ويأسفون اكبر الاسف لان الحال ليست كذلك فى المطبخ المصرى . بل يأسفون لان الحـكومة لا تعنى العناية الـكافية لتشجيع صناعات اللبن وايصاله الى الجمهور نظيفا رخيصا

الفلاح المصرى أيام الفراعنة

للدكتور مأمون عبد السلام

يحق لكل مصرى ان يفخر بان اسلافه هم أول من احترف الزراعة وعنهم اخذها شعوب الارض وقد ساعدهم فى ذلك طيب هواء مصر ووفرة مالها وسهولة الانتقال بين ربوعها . وانه ليصعب علينا ان تحدد التاريخ الذى خرج فيه اسلاف المصريين من طور الصيد والرعى الى طور الفلاحة ، ولكننا نقول انهم فعلوا ذلك بالتدريج فكان المصرى فى العصر الحجرى الاول ـ وهو المعبر عنه بالعصر الباليوليثى ـ يقتات اول الامر بما كان ينمو حوله من النباتات البرية ، ومما كان يختزنه من حبوبها فقد كان بمصر اذ ذاك نخيل البلح والدوم وشجر الاهليلج والابنوس وحب العزيز واللوطس الابيض والتين . وكانوا يصنعون منه اقفاصا واسبتة ومن اليافه حبالا وشباكا . ثم اهتدى المصرى بفطنته الى زرع حبوب هذه النباتات البرية فاستعمل فى شق الارض فؤوسا من الصوان وفى حصد المحصول مناجل من هذا الحجر ، واستمرت الحال هكذا حتى العصر الحجرى المتأخر وهو المسمى بالعصر النيوليثى فاخلد الى حياة الزراعة اخلادا تاما ، وسكن على ضفتى النيل وحول ما بجواره من المستنقعات الى حقول باسمة واستأنس ما حوله من الحيوانات البرية كالثور المصرى ذى السنام والخروف البرى والحمار والتيتل للاستفادة بلحومها والبانها ولاستخدامها فى الزراعة والنقل

هذا هو حال مصر قبل التاريخ فلما لاح فجر التاريخ واشرقت شمسه كان الكثير من أرض مصر مراع طبيعية ، فكان الفلاحون فى عهد العائلة الاولى يرسلون مواشيهم من الصعيد الى ارض الدلتا لترعى ما كان ينمو بها من الحشائش البرية . ولكن لم يمض وقت طويل حتى اصلحت اراضى الوجه البحرى فزالت المراعى الطبيعية ، وعمد الفلاحون الى تغذية مواشيهم وانعامهم بما كانوا يزرعونه لها من نباتات العلف كما يفعل الفلاح الآن

وفلاح مصر مشهور من اقدم العصور بجلده واحتماله وطاعته لرؤسائه . وهذه هى الصفات التى كان لها الفضل الاعظم فى بناء المدنية المصرية القديمة ومكوثها فى الارض الوف السنين وبقاء اثارها اليوم . فمن طبيعته أن لا يرى ارضا مواتا الا بادر الى اصلاحها واستثمارها ، فحول مستنقعات مصر الى جنان فيحاء وقد كانت الفيوم فى عهد العائلة الاولى بحيرة عظيمة فى الصحراء ، كما يدل على ذلك اسمها المصرى القديم «بايوم» ومعناه البحيرة فحول اليها فراعنة العائلة الثانية عشرة ماء النيل واتخذوها خزانا لمياه الفيضان وزرع امنمحعت الاول اراضيها المرتفعة كما أصلح الفلاح المصرى فى عهد امنمحعت الثالث عشرين الف فدان من أراضيها ، واتخذ فراعنة العائلة الثانية عشرة الفيوم جنة لنزهتهم .

وقد تحكم الفلاح المصرى من أقدم العصور فى مياه النيل فحفر الترع لملء الحياض وأقام مقاييس النيل ليستدل بها على مدى ارتفاع فيضانه ورفع المياه لرى اراضيه بالشادوف و«النطالة» فى بادىء الامر ثم استعمل الساقية فى عهد العائلة الرابعة على مايظن ثم الطنبور بعد ذلك .

وكان الفلاح من أقدم العصور يعزق أرضه بفاس سلاحه ويده من خشب واسمه بلغته الطورية ولا يزال هذا الاسم يطلق على الفاس الى يومنا هذا فى كثير من جهات القطر المصرى . ثم استعمل الفاس ذا السلاح المعدنى واليد الخشبية ، ابتداء من عهد العائلة الخامسة .

وكان الفلاح يحرث الارض أى يشقها فى بادىء الامر بفرع شجرة طرفها معقوف فكان يجرى بنفسه بينما يضغط طرفها المعقوف فلاح اخر بكل جسمه فتتشقق الارض . ثم استعمل الماشية لجر المحراث .

وقد ظهر اول محراث تجره الماشية فى عهد العائلة الثالثة ولا يزال هذا المحراث البسيط يستعمل الى اليوم فى الصحراء الغربية وبشبه جزيرة سينا . ثم أخذ شكل هذا المحراث فى التطور ابتداء من الدولة الوسطى الى أن اصبح كما نراه الان بمصر . وسبب بقاء المحراث البلدى طول هذه القرون دون ان ينقرض هو انه يناسب حال مصر فهو يشق الارض دون عناء لان ارض مصر مخلخلة ناعمة .

وكانت المناجل التى استعملها الفلاح المصرى لحصد الغلال قبل التاريخ من حجر الصوان كما

ذكرناه . ولكنه حسنها فيما بعد ، فصنعها من ستة آلاف سنة مضت من قطعة من جريدة النخل الصق فى شق فيها بالزفت قطعا صغيرة من الصوان .

واستمر استعمال هذه المناجل حتى الدولة الجديدة فاستعمل مكانها مناجل من المعدن فقد عثر المنقبون فى الدير البحرى على منجل من الحديد له يد من خشب الجميز لا يختلف كثيرا فى شكله عما يستعمله فلاح مصر الآن

ولم تختلف طريقتهم فى تجهيز الارض للزراعة عما هى عليه الآن فى الارض الحياض ، اذ كانوا يحرثون الارض بالمحراث عند انحسار ماء الفيضان عنها ، أو يعزق بالطورية ثم يبذرون الحب ويطلقون اغنامهم فى الحقل لتدفن الحب بارجلها أو يزحفونها لهذا الغرض بسعف النخل أو بلوح من الخشب كما يفعل الفلاح الآن . وكانوا يضمون غلالهم بالمناجل فيقطعون السنابل من عذوقها ثم ينقلونها الى الجرن ويطلقون عليها قطعان الحمير والماشية فتدوسها بارجلها لتنفصل الحب عنها كما يفعل أهل النوبة والواحات الى يومنا هذا . ثم اخترعوا النورج بعد ذلك .

وكانوا يذرون الغلال المدروسة بالشوكة فى مهب الريح فيسقط الحب ويتطاير القش كما يفعل الفلاح الآن . وكانوا يخزنون الحب من عهد العائلة الاولى فى صوامع من الطين لا تختلف عن الصوامع الحالية ثم افتنوا فيها وبنوها بشكل بيوت يصعدون الى سقفها بدرجات ، لكل حجرة منها باب من اسفلها تسحب منه الحبوب عند الطلب فكانت لا تختلف فى أساسها عن أحدث ما وصل اليه العلم الحديث من مخازن الحبوب المسماة بالسيلو .وكانوا يخصصون الكتبة لقيد ما يختزن فيها من الحبوب

واتبع الفلاح المصرى فى أول عهده النظام القمرى أى السنة القمرية ولكنه وجد انها لا تتفق مع نظام الزراعة وفيضان النيل فاهتدى الى النظام الشمسى ! وأوجد السنة القبطية — وهى ٣٦٥ يوما وقسمها الى اثنى عشر شهرا فى كل شهر ثلاثون يوما واضاف فى نهايتها خمسة أيام النسىء ولكنه فطن فيما بعد الى ان هذا النظام ينشأ عنه نقص يوم فى كل مائة وعشرين سنة فجعل أيام النسىء ستة، كل أربع سنوات وهذه هى السنة الكبيسة بعينها . ولم يقسم الفلاح المصرى عامة الى أربعة فصول كما فعل جيرانه من الامم الاخرى ، لان اختلاف الفصول فى مصر غير محسوس . ولذلك قسم

السنة الى فصول ثلاثة كل فصل أربعة أشهر . وهـذا التقسيم يتفق مع حالة الزراعة وفيضان النيل ، وهذه الفصول هى فصل الفيضان وفصل التحضير والنمو ، وفصل الحصاد

وهـكذا فان المصرى هو أول من استعمل السنة الشمسية ، وعنه اخـذها يوليوس قيصر ثم عرفها العالم فيما بعد باسم التقويم الجريجورى

والتقويم القبطى هو أصلح التقاويم وانسبها للزراعة المصرية فقد أصبح كالقواعد الثابتة ، حتى وضع الفلاح فيه الامثال فيقول :

بابه خش واقفل الدرابة

هاتور أبو الذهب المنثور

كيهك صباحك مساك

طوبة تخلى العجوزة كركوبة

أمشير أبو الزعابيب الـكثير فيه الزرع القصير يحصل الطويل

برمهات روح الغيط وهات

برموده دق بالعموده

بشنس يكنس الغيط كنس

بؤونة الحجر

أبيب طباخ العنب والزبيب

مسرى تجرى فيه كل ترعة عسرة

ملاحظات سيكلوجية

حدث أن أحد الشبان كان قد أسيء اليه من زميل . وأراد أن يرد المساءة فاستشار صديقا له فى ذلك . فسأله هذا عن الطريق التى يريد أن يتبع . فقال أنه يرغب فى أن يرسل اليه خطابا يبين له فيه خطأه ويرد اليه العيب الذى عابه به . وكان هذا الصديق يعرف شيئا من طبيعة النفس الانسانية فوافقه على اقتراحه . وقعد الاثنان لتدبيج الخطاب . وشرع الشاب يكتب ويشرح لخصمه موقفه منه ويعدد له عيوبه . ولشد ما فرح الشاب عندما رأى صديقه يحضه على أن يزيد فى تعداد عيوب خصمه وعلى أن يبين له دناءته وخسته ازاء ما جبل عليه هو من شرف . فقد كان يظن أن صديقه سيكفه عن المبالغة فى تسفيه خصمه . ولكن حدث العكس وهو أن صديقه حرضه على ذلك . فلما انتهى من الخطاب وعلت وجهه أمارات الابتهاج بالانتصار طلب الظرف لكى يكتب العنوان . وهنا وقف صديقه وقال أنه ليس فى حاجة الى ظرف وحسبه ما كتب

قال الشاب : وكيف ذلك ؟ ألم نكتب هذا الخطاب لكى نرسله ؟

فقال صديقه : لا . وانما كتبته لكى تنفس عن نفسك ولا تترك فيها كبتا مؤذيا . وما دمت قد ارتحت وابتهجت بما نفست عنها فحسبك هذا . لأن مثل هذا الخطاب لا يرسل الى أحد

واتضحت للشاب الغاية التى قصد اليها صديقه عندما حرضه على أن يبالغ فى تسفيه خصمه . وهى محض التنفيس لازالة الكبت . وقد ارتاح بالفعل عند ما كتب هذا الخطاب . وهذا ما يجب أن نذكره . فان شرح المساءة لأحد الاصدقاء يخفف من اذاها وقد يزيله . فاذا كان فى نفسك هم تنوء به أو مساءة سابقة تكظمها فانصف نفسك بان تعمد الى مكتبك وتكتبها فى شرح وأبانه لوجوهها وثق أنك فى النهاية سترتاح ويزول عنك عبثها

***

إذا اصطدم الخيال بالارادة فالغلبة على الدوام للخيال ولتفسير ذلك نفرض أن شابا قد وقع فى

العادة السرية وأنه « يريد » ضبط نفسه وكفها عن هذه العادة ولكنه وهو يتسامح بالارادة يرى خياله يشطح ويجسم له صورا جميلة تثير شهوته الجنسية . وهو سيستسلم لهذه الصور لما فيها من لذة ولما يعتقد بأن الاستسلام لها لا يضر . ولكن هذا الخيال يأسره في النهاية ويمحو ارادته لأن الخيال أقوى على الدوام من الارادة: ولذلك سرعان ما يجد المسكين نفسه فريسة لهذه العادة

فاذا كنت تريد أن تقلع عن عادة ما فاكفف خيالك. ولا تبالى بعد ذلك ارادتك . أى لا تتخيل ما تمارسه من هذه العادة . والوسيلة الى ذلك أن تسارع الى عمل ما تشغل به يديك وذهنك وعاطفتك عندما تجد أن خيالك يستولى عليك . فاترك فراشك مثلا واقرأ في كتاب بصوت عال أو أخرج من غرفتك واقعد مع آخرين . وهلم جرا .

كان أميرسون يقول : احذر رغباتك لأنها سوف تتحقق . وبكلمة أخرى : احذر خيالك الذى تتخيل لانه سيتحقق مهما ظننت أنك ستعارضه وأنك قوى الارادة ستتغلب على شهواتك ورغباتك . وهذا الموظف الذى سمعت عنه انه اختلس ووقع في جريمة كنت تعتقد أنها بعيدة عنه يجب أن تعرف أنه تخيل هذه الجريمة عشرات المرات قبل أن يقع فيها . وكان يظن أن تخيله لا يضر وأن له من الارادة ما يكبحه ويضبط نفسه. ولكن الخيال تغلب في النهاية وأوقعه فيما حسب نفسه بعيداً عنه . وهكذا الشأن في سائر ما نتخيل . لا يزال الخيال يتغور في نفسنا حتى يملكنا فتعود الفكرة عملا .

***

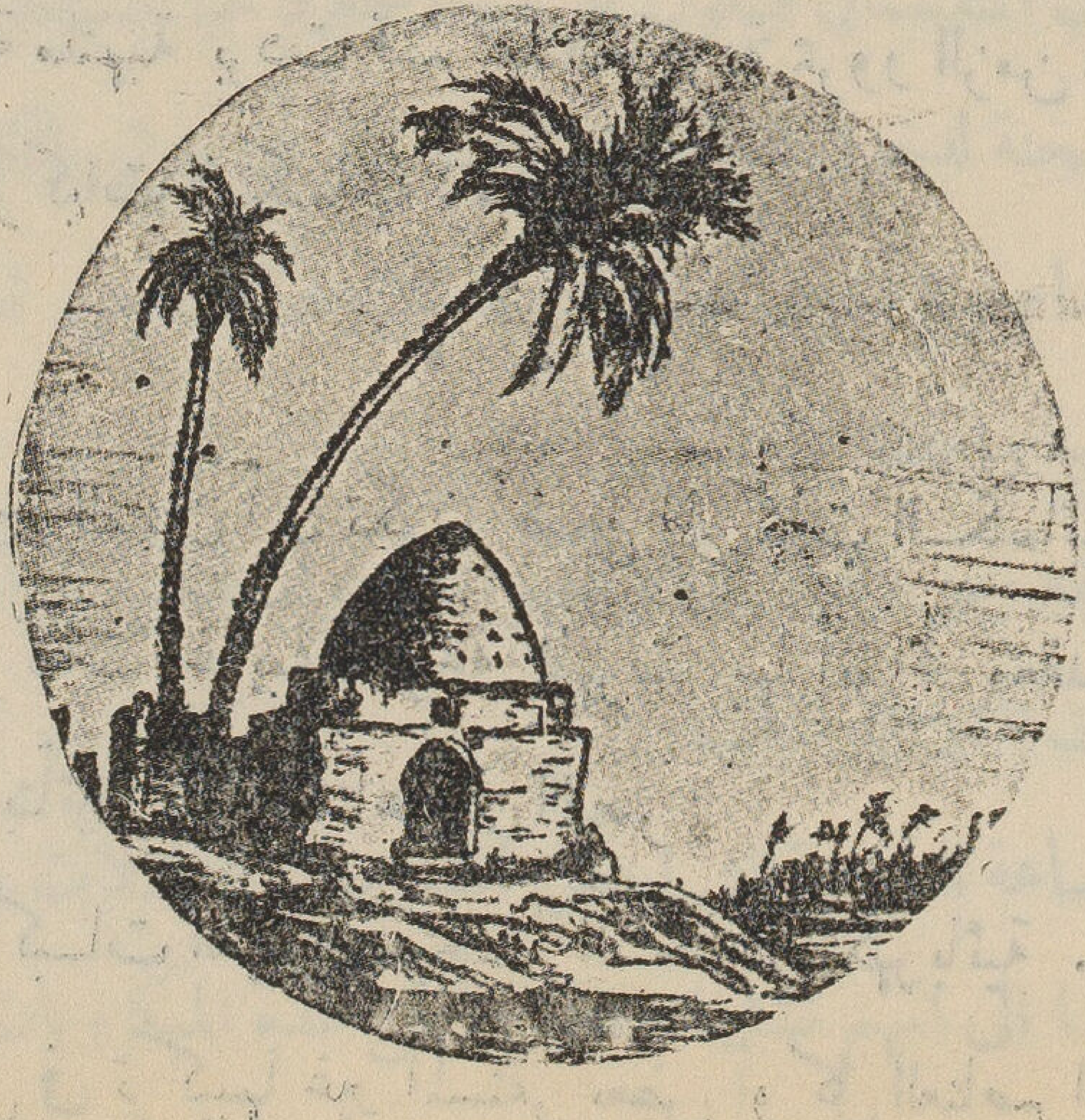
من عادات الطفولة التى تلازمنا أو تلازم بعضا منا عند ما نكبر ونبلغ الشباب أو حتى الكهولة أننا نشتم خصمنا عند ما نغتاظ منه . لأن الشتم تعودناه ونحن صغار . أو أننا نجبن عن مواجهة الخطوب لأن الجبن كان من فطرتنا أيام الطفولة . إذ لا يمكن الطفل أن يواجه هذه الدنيا وهو صغير . أو أننا نبكى عند ما تلم بنا كارثة لأن هذا كان شأننا عند ما نحرم من الحلوى ونحن أطفال. ولا ننس أيضا أن عادة التدخين أو مضغ الحلويات أو حتى عادة الشراب انما ترجع في بعض أسبابها الى ما الفناه أيام الطفولة من عض الاظافر أو من الطريقة التى اتبعتها معنا أمنا حين كانت تسكتنا عن البكاء باعطائنا حلويات أو نحوها . فان لذة عض الاظافر قد استبقيناها الى الشباب في صورة

أخرى هى التدخين أو المضغ . والارتياح الذى كنا نحسه عقب البكاء أيام الطفولة بما كانت تعطيه لنا أمهاتنا قد استبقيناه الى الشباب بارتياح شبيه به وهو الشراب عند ما نضيق بهم أو واجب أو نحوه . ونحن مهما عقلنا ما زلنا أطفالا الى حد ما

* * *

يعرف القراء أن مقاييس الذكاء قد كثرت فى الاقطار المتمدنة . ويراد منها الوقوف على كفايات الافراد لكى يسترشدوا بها فى اختيار مواد الدرس والصناعات التى يليقون لها فى المستقبل ولكن فى الولايات المتحدة هذه الأيام مقاييس أخرى ليست فى « معدل الذكاء » وانما « معدل الشخصية »

وذلك أن النجاح فى هذه الدنيا المتمدنة . لا يحتاج الى ذكاء مقدار ما يحتاج الى شخصية فقد يكون الانسان ذكيا ولكنه مهمل الهندام أو لا يجيد الحديث أو الالقاء أو هو ضعيف من ناحية النشاط الاجتماعى أو هو قليل الادراك لقيمة السلوك مع الجنس الآخر . وجميع هذه النقائص تقلل من نجاحه مهما كان متفوقا فى الذكاء . ولذلك تدرس عوامل الشخصية هذه الايام ونؤكد النبرة على الشخصية بأكثر مما تؤكد على الذكاء لاولئك الذين يطلبون النجاح



اللولبيات في الطبيعة والاجتماع

نظرية جديدة خطيرة

للدكتور زغيب ميخائيل

منذ ملايين السنين خلق الله طاقة مشعة ذات موجة متناهية فى القصر تحول اشعاعها تدريجيا الى كهارب ونوا ثم الى ذرات فعناصر

فقد تكون أولا سديم هائل مظلم لم يلبث أن أضاء نتيجة تقلصه الذى جعله أيضا يدور حول نفسه مكونا سديما لولبيا له ذراعان تكفلت فيهما أجزاء لم تلبث أن انفصلت مكونة النجوم ومنها الشمس

ومن النجوم نشأت السيارات ومنها الارض . فقد حدث ان اقترب نجمان احدهما من الاخر فسبب اكبرهما مدا عاليا فى الاصغر أخذ يزداد كلما اقتربا مكونا ذراعا هائلة من الغازات والعناصر لم تلبث ان انفصلت الى السيارات السبع المعروفة ومنها الارض

وكانت الارض كتلة ملتهبة بردت قشرتها الظاهرية بمرور الزمن وفى خلال ذلك تم ظهور العناصر التسعين والاف المركبات الكيمائيه ومنها الماء

« • »

وقد حدث قبل ملايين السنين أن تكون ضمن المركبات الكيمائية التى تركبت تحت تأثير حرارة الشمس الشديدة مركبات غريبة متنوعة ظهرت بها أنواع معقدة التركيب يضطرب فيها ترتيب النواة والكهارب بتأثير أشعة متناهية فى القصر

وكان بعض هذه المركبات الغروية موجب الشحنة الكهربائية . وبعضها سالبها . والاخر متعادل الشحنة . وكان يدخل فى تركيبها غير المستقر بعض أو كل العناصر الآتية :

الايدروجين ـ الاكسجين ـ الازوت ـ الكلور ـ الكبريت ـ الكربون ـ الكالسيوم ـ الصوديوم ـ البوتاسيوم ـ المغنيسيوم ـ الفصفور ـ الحديد ـ الزرنيخ

وباتحاد المواد الغروية الموجبة الشحنة أو السالبة الشحنة بالمواد الغروية المتبادلة نشأت الحياة فى صورة فيروس .. ولولبيات بدائية

فالكائن الحى ما هو الا مركب غروى معقد التركيب الكيميائى غير مستقر مشحونة ذراته بالكهرباء وما الحياة الا نتيجة لهذا التركيب ولتلك الشحنة ومظهر من مظاهرها

كان الماء يعج بما لا يحصى من أنواع الفيروس واللولبيات فحدث أن اتصلت بعض اللولبيات (وهى انواع من الطفيليات) ببعض انواع الفيروس (وهو نوع بدائى من المكروبات) فتطورت الأخيرة على مرور الزمن الى البكتريا بجميع انواعها تحت تأثير تلك الطفيليات البدائية متأثرة أيضا بالوسط الذى تعيش فيه خصوصا وقد ابتدأ ماء البحر يتغير تدريجيا بما كان يذوب فيه من العناصر الثقيلة كالزئبق والزرنيخ والبزموت واليود نتيجة تساقط الأمطار على الجبال ومرورها فى الوديان جارفة معها المعادن المذكورة الى البحر

ونظرا لاختلاف الشحنة الكهربائية لتلك اللولبيات عن شحنة الفيروس والميكروبات والأحياء ذات الخلية الواحدة فقد احدث تأثير دخول الأولى فى الأخيرة أن عملية التناسل الذاتى لم تتم اذ أنه عوضا عن أن ينفصل الجزءان المنقسمان فيكون كل منهما مخلوقا حيا مستقلا تحت تأثير تماثل الشحنة الكهربائية فأن اختلاف الشحنة لدخول اللولبيات دعا الى أن جزئى الكائن الحى لم ينفصلا بعد انقسامهما ثم اخذا فى الانقسام مرة أخرى دون ان ينفصلا وهكذا حتى تكون كائن حى ذو خلايا عديدة من كائن اخر ذى خلية واحدة

ونظرا الى تعدد أنواع الفيروس والبكتريا والحيوانات ذوات الخلية الواحدة فقد تعددت سلالات البشر التى تطورت منها تحت تأثير اللولبيات

وهذه النشأة تعلل المناعة الطبيعية التى لبعض الشعوب والسلالات ولبعض الأشخاص ضد بعض الأمراض المعدية نظرا الى انهم نشأوا وتطوروا من هذه الميكروبات

يتضح مما تقدم أنه ظهرت فى وقت واحد أو فى اوقات مختلفة سلالات عديدة من البشر فى أجزاء مختلفة من الأرض من سلالات أدنى منها تحت تأثير اللولبيات وهذا يعلل اختلاف السلالات الشديد وتعددها . وقد تكونت بسبب هذا الاختلاف النواحى والقرى والمراكز والمديريات فالممالك . اذ انضمت كل فئه من البشر نشأت فى بقعة واحدة أو من أصل واحد بعضها الى بعض نظراً لوحدة النشأة فوحدة الأخلاق لوحدة نسوع الليولبيات مكونة هذه الأقسام الصغيرة منتهية الى تكوين الوحدات الكبيرة اى تبعاً لاتحاد العادات والأخلاق ولتماثل الامزجة لتقارب النشأة

ومعنى هذا أن لكل قرية بقعة ولكل اقليم وقسم لولبيات خاصة بها هى التى اوجدت الاختلاف فى اللون والسحنة والطول واللغة والعادات والاعتقادات تبعاً للجو ولمعادن الأرض وغيره ولتأثيره فى تلك اللوابيات التى أثرت بدورها فى نشأة الانسان

وهذا يفسر اختلاف صفات وطباع الجماعات المتنوعة ويعلل مثلا ميل بعض الشعوب الى عبادة الذهب واكتناز المال نظراً لتطور افرادها من كائنات حية صغيرة نشأت فى مناطق بها ذهب وفضة فدخل فى تركيب خليتها أو هى قد عاشت فى مناطق كانت ظروف المعيشة فيها صعبة كما فى بقعة من الماء محدودة لم تلبث أن جفت فأثر الوسط القاحل فى التركيب الجسمانى لتلك المخلوقات فافقدها شحمها ونشأت منها تلك الشعوب ضامرة خالية من الشحم فى كثير من أجزاء جسمها خصوصاً فى العجز وفى الصدر وغيره فاقدة شحمتى الأذنين كما يشاهد فى تلك الشعوب والافراد الانانيين الذين يعبدون المال ولايحلفون ألا بأنفسهم وهكذا ...

* * *

بتأثير اللولبيات فى المجموعة العصبية تحول الانسان الأولى الحيوانى الى انسان عاقل اختلف لونه وتباين جماله وطوله وأضحى ماكراً غير قنوع محباً للحرب والثورات مغرماً بالتأنق ميالا الى الترف عرف الزراعة واخترع الصناعة واستعمل الفنون الجميلة . فاللولبيات هى أصل المدنية الأولى وهى أساس كل مدنية أخرى وسبب كل فن وعلم واختراع . والعباقرة والمخترعون والشعراء والفنانون والمؤلفون من عائلات لولبية قوية . أوائل الطلبه وجميع الاطباء والمهندسين . وكبار رجال القانون وأساتذة الجامعات وكبار الموظفين وأصحاب الشركات الكبرى والقادة والزعماء

والملوك والامراء والأشخاص البارزون فى الهيئة الاجتماعية جميعهم من عائلات لولبية قوية .

ومن خواص اللولبيات أن تأثيرها فى الأفراد والجماعات والشعوب يضعف بمرور الزمن وبذلك تقف المدنية عند حدها أو تتأخر وتنحط الشعوب وتضعف فتتغلب دولة أخرى فتية قوية على تلك الشعوب وتجلب معها لولبيات أخرى مختلفة تنتشر فى الأمـة المغلوبة بمرور الزمن فتثير فيها روحا جديدا فتنشط وتقاوم وتطرد الشعب الغالب وتبدأ مدنية جديدة وتدخل فى عصر جديد وهكذا . . .

فالحروب والثورات الداخلية والخارجية ماهى الا نتيجة من نتائج اللولبيات . والثورة الفرنسية اقرب واكبر دليل على ذلك . فأن بحارة كولمبس لما جلبوا فى القرن السابع عشر مكروب اللولبيات من أمريكا ونشروه فى أوربا التى كانت لولبياتها قـد خمدت دب فيها روح جديد ونظرا لسرعة انتشار اللولبيات فى فرنسا على الخصوص وتأثيرها فى المجموعة العصبية كان هذا اكبر عامل لبدء تلك الثورة . وبهذا الفرض وحده يمكننا تعليل الحركات والأعمال والتصرفات الجنونية الشاذة التى قام بها الثوار

وكذلك الحال فى جميع الحركات والثورات والحروب والنهضات العلميه والاجتماعية فى مختلف العصور وبين مختلف الأمم مما يطول شرحه

وهناك مسألة أخرى عكس هذا على خط مستقيم . فقد لوحظ أن بعض الأولاد خصوصا الأولاد البكر ينشأون أغبياء جدا مهما كان والدهم ذكيا . وفى الواقع أنه أيضا يلزم أن نقرر أن أواخر الطلبة وأغلب العاطلين والمتشردين والأغبياء والمدمنين على المخدارت والمجرمين هم أيضا من عائلات لولبية قوية . ولاشك أن اختلاف تأثير تلك اللولبيات راجع الى اختلاف نشأتها وتغاير أنواعها

« • »

من المعلوم أن الحيوان ذا الخلية الواحدة يتكون من غشاء خارجى يدعى « اكتودرم » وآخر داخلى يدعى « ميزودرم » ونواة تدعى « أندودرم »

فلما دخلت طفيليات اللولبيات فى ذلك الحيوان البدائى عاشت أولا فى الغشاء الخارجى مسببة تغييرات مرضية متنوعة ظهرت فى انسجة الجسم التى نشأت منه وذلك فى الحيوان ومنها الأنسان

الذى تطور منها فظهرت :

ا - جميع الأمراض الجلدية كالأكزيما والبهق والبرص والصلع الخ . . .

ب - جميع الأمراض العصبية كالصرع والنورستانيا والهستريا وجميع الأمراض العقلية الخ . .

ج - جميع أمراض الأسنان كالبيورية وتشوهات الأسنان

ولما طال باللولبيات المقام فى الحيوان ذى الخلية الواحدة زحفت الى النسيج الداخلى فاحدثت الأمراض الاتيـة :

ا - أمراض جهاز الحركة كروماتيزم العضلات وأمراض المفاصل المتنوعة الخ . .

ب - أمراض الجهاز الوعائى كجميع أنواع أمراض القلب وتصلب الشرايين وضغط الدم الخ

ج - أمراض الجهاز التناسلى والبولى المتنوعـة كالعقم والأجهاض والولادة المبكرة وموت الرضع والأطفال وتضخم البروستاتا وامراض الكلى الخ . .

د - أمراض الغدد الصماء التى ادت الى ظهور العمالقة والأقزام (سـواء فى الحيوان أو الأنسان) ومشوهى الخلقة وعجائب المخلوقات والمتناهين فى البدانة اوالنحافة ثم ظهور البلوغ المبكر والشيخوخة التى قبل الأوان الخ . .

واخيرا لما وصلت اللولبيات الى النواة سببت الأمراض «الاندودرمية» وهى . -

ا - جميع أمراض الجهاز التنفسى كالتهاب اللوزتين والنزلات الشعبية والربو .

ب - جميع أمراض الجهاز الهضمى كالنزلات المعدية والمعوية والقىء والأمساك المستعصى والنزف المعوى وأمراض الكبد والسكرى الخ . . .

وبالجملة جميع الامراض غير المعدية ومنها المجهولة السبب والمستعصية العلاج سببها اللولبيات

وهـذا يعلل كما هو مشاهد بين الشعوب والسلالات والعائلات من أن لـكل شعب أو سلالة ولـكل عائلة وقبيلة أمراضاً خاصة بها سببها نشوء هذه السلالات والعائلات من كائنات حية صغيرة سبق أن أصيبت بطفيليات اللوبيات بدرجات متفاوتة سواء فى الغشاء الخارجى او الداخلى أو النواة مسببة أمراضا متنوعة فى الأنسجة التى تنشأ من هذه الاجزاء

. . .

والمناعة ضد بعض الامراض المعدية لبعض الاشخاص سببها نشأتهم من ميكروباتها تحت تأثير اللولبيات . فان اللولبيات تضعف مقاومة الجسم للطفيليات وللامراض المعدية

وأمراض اللولبيات تورث الى اجيال عديدة ولكن الزمن يضعف من قوتها . والابن البكر يرث اكبر كمية من المرض ولهذا فهو عرضة للاصابة بالامراض المعدية اكثر من اخوته الاصغرين

* * *

يتضح من هذا انه لا يوجد الا مرض واحد هو مرض اللولبيات مريض به كل كائن حى وما نسميه أمراضا ما هى الا اعراض هذا المرض الواحد . والامراض المعدية ما هى الا عدوى ثانوية لمرض اللولبيات الذى يمكنه تقسيمه حسب درجة الاصابة به الى قوى ومتوسط وكامن. وقد كان هذا المرض معروفا عند قدماء المصريين حيث كانوا يدعونه مرض «العاعه» وما زال الحلاقون يشخصون سبب وفاة كل شخص فى القرية بانه مرض العادة المحرفة من الكلمة المصرية القديمة ويلاحظ هنا ان حلاق القرية ما هو الا حفيد الطبيب المصرى القديم

فمرض العادة او «العاعة» ما هو الا مرض اللولبيات أو السفلس وهو المرض الزهرى المعروف. وبامعان النظر فى الكتب القديمة او النقوش الأثرية يتضح ان العالم عرف مرض السفلس وأصيب به منذ فجر التاريخ وليس من أيام كولمبس كما يدعون فان بحارة كولمبس نقلوا نوعا من أنواع اللولبيات العديدة مخالفا للنوع الذى كان موجودا فى أوربا ذلك الوقت وهذا كان سببا لانتشاره الوبائى

وبملاحظة هذه الحقيقة يتضح كثير من الاشياء الغامضة سواء فى التاريخ القديم أو الحديث أو فى الامراض وغيرها يسهل تعليلها اذا فرضنا انتشار مرض اللولبيات من قديم الزمان

اذكر هنا مسألة عقم كثير من ملوك المصريين القدماء وكثرة الامرات الحاكمة بينهم بينما لم تتغير الاسرة الحاكمة فى اليابان منذ الاف السنين لعدم مناسبة الجو والأحوال بها لانتشار مرض اللولبيات هذا كانتشاره بمصر

كذلك دل البحث على ان قدماء المصريين استعملوا بعض المعادن الثقيلة لعلاج مرض «العاعه» ذلك او مرض السفلس

ثم انه ما زالت الادوية التى تستعمل فى علاج السفلس كالسلفارسان واليود والبزموت تستعمل بكثرة فى جميع الامراض الاخرى تقريبا بنجاح كبير وهذا ولا شك اكبر دليل على ان اصل هذه الامراض هو السفلس فقط

وقد دلنى اختبارى خلال ١٣ سنة فى مناطق الحدود وفى مديرية المنوفية والمنيا وجرجا على أن السفلس خصوصا الوراثى ينتشر انتشارا كبيرا بحيث لايخلو شخص واحد خصوصا فى النواحى التابعة لصحة البتانون من آثار السفلس القوى والمتوسط وهذا هو السبب الأساسى فى زيادة الوفيات خصوصا وفيات الأطفال بتلك النواحى

« * »

مما سبق شرحه يتضح أن كل شخص فى العالم مريض بمرض اللولبيات بالوراثة على الأقل ولو من أجيال بعيدة . والاعتماد على تفاعل وازرمان فى كشف مرض السفلس خطأ كبير يفوت على المريض فرصة العلاج فالشفاء. فأن كثيرا من الحالات المؤكد أنها سفلس تأتى نتيجتها سلبية ثم أن تفاعل وازرمان فى الواقع ليس تفاعلا نوعيا

وقد اكتشفت طريقة اكلينيكية بسيطة جدا لكشف السفلس الوراثى على الخصوص تتلخص فى الفحص عن الغدد اللمفاوية الواقعة أعلى اللقمة الأنسيه لطرف العضد الوحشى حيث شاهدت أنها تختلف ضخامة وصغرا باختلاف درجة الاصابة بالسفلس وتتفاوت كثيرا بين الاخوة حسب ترتيب ولادتهم فتكون اعظمها فى الأبن البكر ثم تصغر بالتدريج الى ان يصعب العثور عليها فى اصغر الاخوة . ثم أنها أيضا تختلف شكلا باختلاف السلالات والشعوب فتظهر بصفة عقد مستديرة صغيرة فى الشعوب السامية بينما هى كتلة غير منتظمة الشكل فى الشعب المصرى النقى الاصل

* * *

علاج السفلس الوراثى بالزئبق والزرنيخ والبزموت واليود ومركباتها ليس علاجا مجديا وأن كان مفيدا فى حالات كثيرة حتى فى ما يسمونه أمراضا . والعلاج الحاسم هو العلاج الطبيعى برفع درجة حرارة الجسم بأية طريقة من الطرق . ذلك أن اللولبيات ضعيفة المقاومة لدرجة انها تموت اذا تعرضت لدرجة ٣٩ لمدة ساعتين . وعلى هذا الاساس فأن السبب فى شفاء العدد الكبير من الأمراض

المتنوعة خصوصا الأمراض الروماتزمية وامراض الجلد والامراض العصبية والعقلية وأمراض النساء الخ .. بحقن اللبن وطعم التيفود وانبول الأولان والسلفوسين راجع الى ان ارتفاع درجة الحرارة الذى ينشأ عن هذه الحقن يميت اللولبيات

ولكن هناك مسألة هامة تجعل الشفاء أحيانا غير مستديم فقد اتضح اخيرا وجود خلايا خاصة فى نخاع العظام لاتتأثر مطلقا بارتفاع درجة الحرارة ويجوز ان تكون فيها اللولبيات كامنة

وعلى هذا فالطريقة المثلى لعلاج جميع الامراض خصوصا المزمنة منها والمستعصيه العلاج هو استعمال الاشعة القصيرة والمتناهية الى القصر . وقد ثبت بالاختبار عظم فوائدها ونجاحها فى حالات كثيرة فشلت فيها جميع وسائط العلاج

من هذا يتضح أنه من الخطأ مقاومة الامراض المعدية وخصوصا الملاريا إذ أنها علاج طبيعى للمرض الزهرى أى السفلس فهى عبارة عن دفاع ذاتى الغرض منه مقاومة المرض فالواجب أولا تركيز الجهود ضد السفلس قبل كل مرض معد آخر إذ أنه هو العامل الأساسى فى زيادة الوفيات بمصر خصوصا بين الرضع والاطفال حيث يضعف مقاومة الجسم فيقضى عليه لأتفه الاسباب

***

جميع الاحصاءات التى قمت بها أقام بها غيرى تؤيد ما سبق شرحه فقد عالجت أكثر من ستمائة مريض بأمراض متنوعة شفوا جميعا . منهم اربعمائة تم شفاؤهم بحقنة واحدة مقدار سنتميتر مكعب من طعم التيفود فى العضلات . ومائة وخمسون بحقنتين وأربعون بثلاث وعشرة بأربع حقن

كذلك فان النتائج التى حصل عليها غيرى من الاطباء باستعمال الحقن التى ترفع درجة الحرارة فى أمراض الجلد المختلفة والامراض العصبية والعقلية والامراض الروماتزمية الخ . . يؤيد هذا الرأى وأن كانوا يعللونها تعليلا آخر

وفى الختام فان أعجب النتائج هى التى حصل عليها عدد كبير من الاطباء باستعمال الاشعة القصيرة والمتناهية فى القصر فى جميع الامراض مما يقع تحت غرائب الشفاء ويقطع وحده الامراض

كذلك دل الفحص الذى قمت به عن كثير من المرضى بامراض معدية على أن كثيرا من نصفهم

من الأولاد البكر لآبائهم . ودل أيضا فحص بعض المسجونين والمجرمين والمجانين على أنهم من عائلات سفلسية قوية أو متوسطة .

* * *

خلاصة ما تقدم أن الحياة وهى ظاهرة كيميائية كهربائية نشأت باتحاد مركز غروى ايجابى الشحنة بآخر سالبها مكونة اللولبيات البدائية التى بتأثيرها فى الفيروس جعلته يتطور الى ميكروبات أرقى متخصصة متنوعة لاختلاف الوسط وبتأثيره فى الاخيرة تطورت الى حيوانات ذات خلايا عديدة ثم الى الانسان بسلالاته المتنوعة التى ترجع الى اختلاف أنواع الميكروبات التى نشأ منها . ثم انتظمت السلالات البشرية فى وحدات صغيرة أو كبيرة تبعا لاختلاف اللون والطباع واللغة لاختلاف الأصل والنشأة

وبتأثير اللولبيات فى المجموعة العصبية سار الانسان فى طريق التطور والرقى العقلى بجميع مظاهره المختلفة حتى وصل الى ما هو عليه الآن وسوف لا يقف عند حد فى تطوره الذهنى وارتقائه المدنى . ولكن للولبيات تأثيراً آخر هو التأثير المرضى الذى أصاب الانسان منذ نشأته فظهر فى صور وأشكال متنوعة يسمونها « أمراضا » وما هى فى الحقيقة إلا صور وأعراض المرض الزهرى أى السفلس وأحدث علاج ناجع لها هو بالاشعة القصيرة والمتناهية فى القصر

فالانسان فى الواقع ليس ابن والديه بل ابن بلايين الاجيال العديدة والاطوار المختلفة السلالات المتنوعة الماضية من يوم أن كان طاقة مشعة فكهارب ونوا وذرات تسبح فى الكون اللانهائى الى أن تجمعت الذرات على الارض فى شكل مركبات كيميائية كهربائية مكونة كائنات حية دنيئة تتطورت فيه أخرى أرقى منها ثم الى حيوان فانسان . ومازالت جميع هذه الذكريات السحيقة العديدة مطبوعة فى الخلايا مكونة طباعه وأخلاقه وأمراضه تسيره فى طريق والى جهة لا يحيد عنها ونهاية لا بد منها . . .

كتب الشهر الجديدة

على هامش السياسة

تاليف الدكتور حافظ عفيفي باشا صفحاته ٢٢٦ من القطع الكبيرة ؛
طبع بمطبعة دار الكتب المصرية وملتزم بيعه مكتبة النهضة المصرية : مصر

اذا كان المؤلف قد تواضع فاسمى كتابه « على هامش السياسة » فان القارىء يجد انه يعالج مسائل هى من لب السياسة وصميمها اذا كنا نفهم من السياسة انها العمل لخير الامة ورقيها . والكتاب ينقسم اربعة اقسام لكل منها فصول . فالقسم الاول عن الصحة العامة فى مصر . والقسم الثانى عن التعليم . والقسم الثالث عن الشئون الماليه . والقسم الرابع عن الزراعة والصناعة . وهو يعالجها جميعها بالنظر السياسى البعيد فى لهجة الاعتدال ومع الحرص على اتخاذ الطرق العملية التى تتفق واخلاق الامة واقتصادياتها . ولعله فى هذا الحرص يشبه ان يكون محافظا او بين المحافظ والحر . فهو محافظ عند ما يتحدث عن منازل الفلاحين اذ هو يكاد يرضى بحالتها الحاضرة او اذا هو استاء فان كل ما يؤدى اليه استياؤه ان يطلب اصلاحات غاية فى الضعف . ولكنه لا ينكر سخطه على طعام الفلاحين حيث يقول :

ولا أريد هنا أن أتعرض لغذاء الأغنياء فهو غذاء غنى كثير الخيرات بسمنه ولحمه وفطائره لا عيب فيه الا انه صعب الهضم يجهد المعدة والأمعاء والكلى والكبد ، ويعرض آكليه للسمن وما يسببه من الأمراض ، ويضعف عضلات البطن فتتدلى وتظهر بارزة دليلا على الثروة والوجاهة . انما أردت أن أتكلم على غذاء ما يزيد عن العشرة ملايين من سكان القطر الذين يقتاتون طول السنة بخبز الذرة ويتحايلون على بلعه بقليل من الملح أو الجبن ، و مع شىء من الخضراوات كالفجل والكراث . هذا هو الغذاء الذى اريد أن أتكلم عنه ، والذى لا أتردد فى أن أقول عنه إنه غذاء غير

كاف لتوليد الحرارة اللازمة التى يستنفدها جسم الفلاح فى القيام بجميع ما يطلب منه من الأعمال. وسوء تغذية الفلاح هو السبب في تعرضه لكثير من الأمراض لما يسببه من قلة المناعة فى جسمه. وما انتشار السل الرئوى الآن بين طبقات الفلاحين والعمال إلا نتيجة سوء التغذية وسوء المسكن. ولولا أن فلاحنا يعيش أكثر الوقت فى حقله فيستنشق هواء صالحا ويتمتع بشمس فى أشعتها الصحة والعافية، ولولا أنه معتدل فى حياته بعيد عن الاسراف فى أى شىء، ولولا أن وهبنا الله بلادا معتدله فى جوها، لما استطاع أن يعيش على هذا الغذاء الفقير فى جميع المواد الأساسية المغذية.

قد يبدو للبعض أنى أبالغ فيما أقول، ولكن الواقع لمن يريد الوصول الى الحقيقة فى هذا الشأن بأن الفلاح المصرى ينوء كاهله بالأمراض. ولو عمل بحث واستقصاء - ويجب أن يعمل هذا البحث - أن أخذ اتفاقا وبدون اختيار عدد من الفلاحين نساء ورجالا واطفالا من بعض قرى الوجه البحرى أو القبلى، وفحصوا فحصا طبيا دقيقا، لتبين أن أكثر من ٩٠ فى المائة منهم مصابون بمرض أو مرضين أو أكثر. ولو فحص غذاء الفلاح فحصا علميا — ويجب أن يعمل هذا أيضا — لتبين أنه غذاء غير كاف غير صالح. وهذه مشكلة عويصة لأننا لانستطيع إلزام الفلاح بأن يحسن غذاءه، فان هذا الالزام غير ممكن عمليا من جهة، والفلاح لايستطيع أن يأكل غير ما يأكل الآن نظرا لقلة ايراده من جهة أخرى، ولاتستطيع أية حكومة أن تقدم غذاء لثلاثة أرباع سكانها. والعمل المستطاع فى هذا الشأن هو:

(أولا) يجب على وزارة الصحة أن تفحص قيم المواد الغذائية فى جميع الأصناف التى يأكلها الفلاحون أو الطبقات الفقيرة من سكان المدن لمعرفة القيمة الغذائية الحقيقية لهذه الأصناف.

(ثانيا) يجب أن تفحص قيم المواد الغذائية الأخرى الرخيصة الثمن والتى يمكن الفلاح أن يزرعها وأن يقتنيها بثمن رخيص.

(ثالثا) يمكن أن نصل بهذه البحوث الى نتائج عملية يكون من أثرها أن نعود الفلاح تدريجيا غذاء آخر تكون مادته الغذائية أكثر مما يتناوله الآن ولا يقف ثمنه عقبة فى سبيل تناوله. مثال ذلك أننا لو عودنا الفلاح أكل الجزر والخس والطماطم والفول السودانى والحمص الاخضر والجاف، وكلها أصناف رخيصة الثمن غنية بمادتها الغذائية، وكل فلاح يستطيع أن يزرع قليلا منها فى إحدى

زوايا حقله أو فى فضاء الحقل بين مزروعاته العادية ، لتحسن غذاؤه بعد زمن اذا نحن سلكنا سبيل الدعاية والارشاد بطريقه مستمرة وفعالة . كذلك لو أمكننا أن نقنعه باستعمال الزيوت المختلفة كزيت القطن وزيت السمسم فى طبخ أغذيته ، وهى أصناف أرخص من السمن الذى لايستطيع الحصول عليه لزدنا قيمة المادة الغذائيه فيما يطبخ.

هذا هو واجبنا فى هذا الشأن ، ولا بد من عمل هذه البحوث التى أشرت اليها . فان هذه مسألة خطيرة تستحق عناية وزارة الصحة .

كذلك يجب أن تفكر وزارة المعارف فى تقديم شيء من الغذاء لأطفال القرى الذين يتعلمون فى المدارس الالزامية ، فانها لو أعطت كل طفل كوبا من اللبن وقطعة من «البقسمات» فى يوم ، وبرتقالة أو يوسفية وخمس بلحات طرية أو مجففة فى اليوم الثانى وهكذا لساعدت على تحسين صحة هؤلاء الاطفال الذين لايتناولون فى بيوتهم غذاء كافيا تحسينا بينا . ووزارة المعارف ، التى تستطيع الآن أن تقدم غذاء كاملا لأولاد الأغنياء والمتوسطى الحال من تلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية بلا ثمن أو بنصف ثمنه ، تستطيع أن تقدم أمثال هذه الأغذية الرخيصة لهؤلاء المساكين مجانا . فان لم تستطع ذلك فعليها ان توفر من نفقاتها على الاولين ، وهم غير محتاجين لغذائها ، لتغذى به الآخرين وهم فى أشد الحاجة لهذا الغذاء . كذلك يمكن أن تفكر الحكومة فى الزام صغار عمالها الذين يشتغلون طول النهار فى مصانعها المختلفة بأن يتناولوا غداء الظهر فى هذه المصانع من مطاعم تنشئها الحكومة لهذه الغاية ، أو من مطاعم الشعب المنشأة الآن فى العاصمة والتى يمكن توسيعها لتسع هؤلاء العمال، وتقتطع ثمن هذا الغذاء من أجورهم . فان من عادة عمالنا أن يسرفوا فى كل شيء ، وأن يبخلوا على أنفسهم وعلى أهلهم بالضرورى من الغذاء . ولذلك يتعين فى هذه الحالة أن تسعى الحكومة لعمل كل ما من شأنه أن يحفظ صحتهم ولو عن طريق الالزام . فاذا نجحت هذه التجربة فقد تسعى الحكومة بعد ذلك مع جميع المصالح الأهلية والشركات التى يشتغل فيها عدد كبير من العمال إلى اتباع مثل هذه الطريقة

وإنى بهذه المناسبة آسف كل الأسف للأزمة الشديدة التى تمر بها مطاعم الشعب . فانه لاتزال جميع أعمالنا حتى الخيرية منها تعيش أو تموت بمقدار عناية المؤسسين لها ، لا بحسب ما يثبت من فائدتها أو

عدم فائدتها . فلقد أنشأت وزارة اسماعيل صدقى باشا هذه المطاعم كما أنشأت مصايف الأطفال الفقراء . فلما تركت هذه الوزارة الحكم ضعفت حماسة المحسنين لها وأخذت ايرادت هذه المشروعات تتضاءل تدريجيا . وهى الان تعالج سكرات الموت .

ومطاعم الشعب ومصايف الأطفال الفقراء ومشروعات نافعة فى تحسين الصحة العامة ، وكان يجب على المحسنين والمحسنات وعلى جميع الجمعيات الخيرية أن تمد لها يد المساعدة نظرا لما تؤديه من خير كثير .

ولا كلام لى بعد ذلك على غذاء جنود الجيش فانه كاف وصالح ، وهو بذلك يساعد على تحسين صحة عدد كبير من الفلاحين الذين قد يتعودون أثناء الجندية هذا الغذاء الصالح فيدركون بعد عودتهم الى قراهم أهمية اختيار الغذاء ، وقد يصلحون بعد ذلك القيام بدعاية صحية بين أهل قراهم .

هذا هو ما يمكن عمله الآن وهو عمل محدود ضيق ضعيف الأثر ولكنه ضرورى فى الوقت الحاضر . والحقيقة المرة هى أن لن تتحسن فى الواقع مسألة الغذاء بوجه عام الا اذا ارتفع مستوى المعيشة . ولن يرتفع هذا المستوى الا بتدريج بطىء .

« ● »

علم الاجتماع

تاليف الاستاذ مصطفي فهمي صفحاته ١٧٠ من القطع المتوسط طبع بمطبعة الاعتماد وقام بنشره مكتبة النهضة بمصر

هذا الكتاب هو ثمرة من ثمرات « رابطة الاصلاح الاجتماعى » التى تبغى الاصلاح فى مصر « من نواحية كافة باعتبار أنه أساس القومية المصرية ، وذلك كاصلاح الأسرة من حيث العلاقة الزوجية والأبوة ، والنبوة ، والامومة ، والعناية بالطفل ، والدعوة إلى الفضائل الخلقية ، سواء أكانت فردية ، أم وطنية ، أم اجتماعية ، أم انسانية ، والدعوة إلى التربية الصحيحة ، سواء أكانت علمية ، أم بدنية ، والدعوة إلى مكافحة الآفات الاجتماعية . كالفقر والاجرام واستئصال أسبابها ونتائجها بما فى ذلك السعى إلى تحسين حال الطبقات الفقيرة بالترفيه عليها مادياً ، وأدبياً ، وذلك

بمحاربة الجهل ، والبطالة ، والعادات الذميمة المنتشرة فى تلك الطبقات ، وعلى الجملة تعمل الرابطة على إحياء الكرامة الانسانية ، وافهام الناس أن طريق الفضيلة ، والصحة ، والجد ، والعمل والسعادة ميسر لكل أحد ، وافهامهم كذلك أن جميع المصريين مسئولون بعضهم عن بعض ، متأثرون بعضهم ببعض ، فلا بدء من اجتماعهم على تحقيق الأغراض المتقدمة ».

والكتاب مقدم بكلمة للاستاذ منصور فهمى بك . ثم تلى ذلك كلمة للدكتور كيلالند وكلمة ثالثه للاستاذ محمد عبد المنعم رياض . ويأخذ المؤلف بعد ذلك فى شرح علم الاجتماع فى فصول سلسلة اللغة واضحة المعنى والمغزى . ومن احسن ما جاء فى هذا الكتاب قول الدكتور كيلالند :

إن الاكتشافات والمخترعات العلمية التى لم نسيطر على توجيهها بل تركنا العالم نهبا لآثارها ونتائجها . قد أدت إلى مشاكل اجتماعية جديدة ، أو تعقيد المشاكل القديمة ، كالبطالة ، والجرائم والفقر والأمراض ، والتعصب الجنسى ، والأمراض العقلية والحروب .

أمام هذه الحقيقة المعترف بها تردد العلماء ووقفوا يفكرون ، ففى ديسمبر سنة ١٩٣٧ دعت «الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم» الهيئات العلمية الانجليزية وغيرها « للقيام بدراسة تأثير العلم على المجتمع وللتعاون لا فى سبيل تقدم العلم فحسب ، وانما فى سبيل توطيد السلام والحريه الفكرية بين الأمم ، حتى يتسنى العلم أن يوالى تقدمه وانتشاره ، ويضفى خيراته بسخاء على النوع البشرى» .

فالفرصة سانحه أمام العالم الاجتماعى الحق كى يستخدم قوانينه فى حل المشاكل الاجتماعية .

إن ميدان الخدمة الاجتماعية استدعى منذ عدة سنوات تلازم هاتين الناحيتين لعلم الاجتماع للعمل سويا ، وأعنى بهما البحث الاجتماعى والعمل الاجتماعى ، فليس من المعقول أن ندع المجتمع يتهدم رغبة فى أن نهيء لاحد الباحثين فرصة لدراسة عملية التهدم التهدم بهدوء وعدم اكتراث . والا فيكون مثالنا كمثل من يحاول درس عملية الغرق باغراق نفسه .

ولذلك فان علماء الاجتماع يتبعون بروح ملؤها العطف المتزايد مجهودات الاجتماعيين فى الميادين العملية واستخدام علم الاجتماع فى حل المشاكل الاجتماعية والقضاء عليها

وقد ترتب على ذلك أن الخدمة الاجتماعية ذات الوسائل العلمية قد حلت بسرعة محل

الأساليب العتيقة العقيمة للاصلاح الموقت التي كان يتبعها لعدة قرون هؤلاء المخلصون من المتدينين ومحبي الخير .

وقد انتشرت معاهد الخدمة الاجتماعية فى أنحاء العالم لتدريب المشتغلين بالاصلاح الاجتماعى تدريبا علميا ، وقد بلغ مجموع هذه المعاهد الاجتماعية حوالى ١١٣ معهدا فى ١٩ أمة مختلفة ، منها ٢٥ فى الولايات المتحدة الأمريكية و١٢ فى انجلترا و٣٦ فى ألمانيا ومعهد فى كل من إيطاليا وبولندا واليابان .

وقد أضيف اسم مصر إلى هذه البلدان منذ عامين وذلك على أثر إنشائها مدرسة الخدمة الاجتماعية بالاسكندرية عام ١٩٣٦ ومدرسة الخدمة الاجتماعية بالقاهرة عام ١٩٣٧ .

ولقد أثارت خطورة مشاكل مصر الاجتماعية اهتمام الطبقة المستنيرة من المصريين منذ عدة سنوات مضت ، ومعالجة المشاكل بالأساليب التقليدية التى قامت على ترك الأفراد أحراراً فى تصرفاتهم ، يفعلون مايريدون ، أصبحت محل الانتقاد .

وهؤلاء الذين يتطلعون بروح الجد والاهتمام لحل المشاكل الاجتماعية فى الشرق العربى ، يسلمون بشدة الحاجة إلى الالمام بقوانين علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعى . وهم على استعداد تام للترحيب بكل مايؤلف فى هذه الموضوعات باللغة العربية .

ولقد أخذ الأستاذ مصطفى فهمى على عاتقه بكل اقدام مهمة تمحيص آراء المفكرين العصريين فى أوربا وأمريكا مع عرض منظم لموقف علم الاجتماع إبان تطوره .

ولا يمكن الادعاء بأن هناك نهاية لهذا الميدان المتشعب الأرجاء ، فكلما تقدم العلم ، استدعى ذلك ظهور وجهات نظر جديدة .

إن المؤلف جدير بشكر الأمم المتكلمة باللغة العربية ، لأن مجهوده الموفق قد جعل فى فى متناولهم مايدرسه اليوم علم الاجتماع ؟

عصفور من الشرق

تأليف الاستاذ توفيق الحكيم صفحات ٢٣٣ من المتوسط قام بالطبع والنشر جماعة التأليف

هذه قصة جميلة تختلف من القصص التي عودناها المؤلف بما فيها من خفة وبعد عن التعمق الفلسفي أو الاجتماعي . فان معظم القصص أو الدرامات التي الفها توفيق الحكيم تتناول موضوعات عويصة بل أنا نعتقد ان جمهور القراء لم يتبين الى عواصتها لخفة القلم الذي عالجها . ففي شهرزاد مثلا مسألة أخلاقية خطيرة جداً . هي في ظننا أخطر من المسألة الفلسفية التي عولجت في أهل الكهف

ولكن هنا في هذه القصة الجديدة لا نجد مشكلات اجتماعية وكل ما نجده محاورات رقيقة تخلط بين الغرام والدين والاجتماع والشرق والغرب خلطا محببا . ولذلك تقرأ في لذة واستمتاع بلا مجهود . وبطل القصة شاب مصري يعيش في باريس ويهوى فتاة باريسية . ولكنه وهو يعيش في باريس لا يزال شرقيا الى حد أنه يتذكر حي السيدة زينب في القاهرة ويصبو اليه . واليك بعض الاراء التي يرتئيها المؤلف على لسان أحد أشخاص القصة وهو روسي

إن فكرة التعليم العام للقراءة والكتابة كغيرها من بقية الافكار الأوربية الخاطئة التي روجتها أوربا وجعلتها بمثابة المبادىء الثابتة ثبوت العقائد ، قد انقلبت أسلحة فتاكة لجوهر الطبيعة البشرية فالدهماء التي تعلمت تلك الرموز السخيفة ماذا اكتسبت ؟ لقد حشيت أدمغتها بسخف وقاذورات كما يقول « هكسلي » ، وهبط مستوى ذوقها ، ومع ذلك لم تتكون لها شخصية ولا ارادة فها أنت ذا تراها تنقاد كالخراف إلى كل من يقوم فيها ناعقاً أمام « ميكروفون » فالدهماء هي الدهماء ولا أصلح لقلبها وعقلها من وسائل الشرق الطبيعية في التهذيب : تعمير قلبها بالدين وعقلها بالكتب السماوية النبيلة الفصيحة وتركها تتصل بالطبيعة لا « محنوظة في علب » الراديو والسينما والكتب ، ولكن الطبيعة الحقيقية ، أمنا الرؤوم ، تكشف لهم عن جمالها وأسرارها مباشرة ، بغير وسيط من الرأسماليين المغامرين وأصحاب الاعمال الافاكين . تلك هي نتائج العلم التطبيقي عند ما ترك في أيدي الاوربيين ، وذاك أثره في النفس الانسانية ، انظر بعد ذلك أثره في جسم البشرية ، تجد أنه استحال الى قنابل وغازات خانقة وطوربيد وغواصات ودبابات الى آخر ذلك الابداع والتفنن في

وسائل الفتك بأجسام البشر . فالعلم التطبيقى فى الغرب كل محوده تحطيم البشرية روحاً وجسما . إن العلم تلك « الماسة » العظيمة المتألقة لم تضعها أوربا فى قمة عمامتها لتشع نوراً وجمالا ، ولكنها وضعتها فى سن مخرطة بخارية لتقطع بها زجاج ذلك الكأس العظيم : كأس البشرية الممتلىء بماء روحها ومادة جسدها . أما العلم الصرف البعيد عن ضوضاء « الآلة » ومطامع أصحاب المنافع ، فان الشرق هو الذى عرفه لذاته كمظهر من مظاهر العبقرية الآدمية المفكرة فى تعطشها لمعرفة الحقيقة العليا . وهنا كل نبل العلم وسمو غايته . هذا العلم الخالص أورثته أفريقيا وآسيا فتاتهما الشقراء أوربا ، سبائك ذهبية وأحجاراً كريمة من الزمرد والفيروز والياقوت ، فاحتفظت الفتاة ببعضه وجعلته حليا لبهرجها وهنا كل جمال أوربا الفكرى الباقى ، أما بقية الكنوز فصهرتها وصكتها نقوداً تضعها فى المصارف وصنعت منها أغلالا تستعبد بها العالم . ومع ذلك فهى لم تعرف التحلى بالعلم لذاته إلا منذ عهود قريبة لا تنس أن أوربا هى الوحيدة التى أعدمت فى يوم ما علماءها حرقاً واتهمتهم بالسحر والجنون ، وخنقت حرية الرأى حتى فى شئون الادب والفن . وجعلت من المسيحية التى تبشر بالمحبة والسلام سلاحاً للفتك أمام محاكم التفتيش . ولكن أوربا اليوم أبرع قليلا من ذى قبل ، فهى تجيد إخفاء حيوانيتها تحت ريش صناعى يمثل أجنحة ملاك سماوى . إن أوربا اليوم فى أزمة شديدة . لا شك أنها أخطر أزمة مرت بها . ذلك أنها قد تنبهت الى أن ما زعمته مدنية عظيمة قد أفلس وظهرت من تحت الريش أنياب الخنازير البرية . وقد فهم الشرق أن فتاته ليست إلا غانية خليعة لا قلب لها ولا ضمير ، وليست لها قيمة روحية ولا خلقية ، وأن مآلها السقوط ممزقة الجسد تحت موائد المعربدين فى ذلك الحان الذى تشرف نوافذه من جهة ، على المحيط الاطلانطى ، ومن الجهة الأخرى على البحر الأسود . أيها الصديق ، الى الشرق إلى الشرق ! فلنرحل معا الى الشرق . إن أجمل ما بقى لأوربا انما أخذته عن الشرق . لم تعد حياتى هنا . ماذا نصنع الآن ههنا ؟؟ حتى راحة النفس لا نجدها هنا . إن العودة إلى الهدوء والصفاء هى فى عودتنا الى فضاء الصحراء ، هنا نستنشق بملء رئتينا ، لادخان المداخن ، ولكن رائحة السماء ، هناك لانجد تلك السحب الكثيفة التى تحول بيننا وبين الله ! هلم بنا ، لقد يئست . إن قليلا من الامل كان قد داعب قلبي إذ تذكرت منذ أيام حكاية عودة الشاعر

الفرنسى « كوكتو » إلى حظيرة الكنيسة ، وأنت لا شك تعرف حكاية هذا الشاعر القاق ، لقد استنفد كل حياة الفكر والفن ، وعرف المجد الادبى ، وانغمس فى نهر الحياة اللاهية ، وبلغ كل ما يستطيع أن يبلغه الفكر الشارد وحده بعيداً عن الايمان . فماذا حدث ؟ تماسكه السأم من الحياة، وشعر بالنقص فى كيانه ، وبالفراغ فى قلبه . فضاق ذرعاً بأيامه ، فألقى بنفسه القلقة فى أحضان « الأفيون » لعله يجد فيه الشفاء والراحة . استمع إليه يقول فى خطابه إلى صديقه الفيلسوف «جاك ماريتان»: « إن الأفيون ليحملنا إلى نهر الموتى ، أنه ينسخنا ويحيلنا إلى شبه مرج من المروج اللطيفة ، ويجعل من جسدنا ليلا تتزاحم فيه النجوم كأنها النمل ، ولكن سعادتنا هى سعادة فى مرآة ، نغدو فيها من رؤوسنا إلى أقدامنا محضاً أكذوبة وإذا نحن كالمومياء : تقف آلة الأجسام وتأبى الأعضاء أن تطيع ، لا تؤثر فينا تقلبات الطقس وما نعود نشعر ببرودة أو حرارة . لقد كان مصورو نابلى يزينون حيطان المساكن بما يسمونه « خدعة العين ». إن الأفيون ليس إلا مصوراً طريقته «خدعة الروح» إنه يزين حيطان الحجرة التى أدخن فيها بتصاوير تلذلى وتريح نفسى . أن الأفيون هو طارد الحيرة والقلق . أن الأفيون ليشبه « الدين » بالقدر الذى يشبه فيه « المشعوذ» « المسيح » ! . . الخ ! » . وأشرف « كوكتو » أخيراً على الدمار ، إلى أن أتى بنفسه فى أحضان الدين . هنا كان أملى الأخير أنا أيضاً . إذا اعتقدت أن الأوربى المفكر الذى شب على هذه المدنية يستطيع أن يعود إلى الأيمان الحقيقى فى الوقت المناسب . إلى أن قرأت هذه الرسائل المتبادلة بين « كوكتو » و «ماريتان» . نخامرنى الشك إنها رسائل على غاية ما تكون البراعة فى الأسلوب واتقاد الذكاء ولكنها ليست أكثر من «قطع أدبية» آه ، إنهم يكتبون «أدباً» هؤلاء الناس حتى يوم يوهموننا أن المسألة مسألة حياه أو موت . . . ، أن الفرق بين عبقريه الغرب الروحية وبين عبقرية الشرق الروحية ، لكالفرق بين «المشعوذ» و «المسيح» ! خذ هذين الكتيبين اقرأهما واخبرنى هل تصدق أن هذين الرجلين يعتقدان حقا بالسماء وما فيها من جنة ونار ، اعتقاد ذلك المسلم الذى قلت لى الآن إنه ألقى البلح من يده ، وجرى يقدم نفسه للقتل ، واعتقاد أولئك الشهداء من المسيحيين الغابرين . إنى أفهم أن يتكلم هؤلاء الشعراء الأوربيون عن الدين والمسيح كلاماً كله إعجاب خالص . أنى أيضاً أعجب الاعجاب الخالص بالأديان ولكن الذى أريد ليس مجرد الاعجاب ،

كما نفعل أمام قطعة فنية من عمل عظماء الفن أو الأدب أو الفكر ، لست أريد الاعجاب الناشيء عن آلاتنا المفكرة وما فيها من بضاعة ثقافية مكتسبة أو موروثة ، إنما أريد الايمان ، إيمان القلب ، الايمان الأعمى بأن المسيح فى السماء وأن الله هو الله كما يتصوره البسطاء ، وأن الجنة كما يتخيلها أولئك الذين قال فيهم المسيح : طوبى للمساكين بالروح ، لأن لهم ملكوت السموات طوبى للانقياء لأنهم يعاينون الله !

آه ياصديقى ، ياأخى ، إن أوربا كلها الآن ليست إلا رجلا مفكراً قلقا حائراً يتعاطى الأفيون . إن «جان كوكتو» هو كل «أوربا» فى أزمتها الحاضرة . أنتهت أوربا ، ولاشيء من داخلها يستطيع أنقاذها ، لأن كل شيء يصل إلى «عقليتها» هذه ، تحيله إلى أدب وأسلوب وزيف و كذب . إنما النجاة فى الفضاء . . إلى هناك إلى الشرق . . قم معى . . إلى الشرق إفتح هذه النافذة . . دع الهواء يدخل : إخلع عنى هذه الأردية الثقيلة . . هذه السحب الكثيفة تحجب عنى . .

The Crusade in the Later Middle Ages

الحملة الصليبية فى القرون الوسطى المتأخرة تاليف الدكتور سريال عطية بالانجليزية صفحاته ٦٠٣ من القطع الكبير غير الرسوم والصور الملونة قام بطبعه ونشره بيت ميتوين Methuen في لندن . ثلاثون شلنا

الدكتور سوريال عطية هو من الاساتذة الافذاذ الذين يعتمد عليهم فى تاريخ القرون الوسطى وخاصة ماتعلق منها بالصليبيات اى الحملات الصليبية على الارض المقدسة . وهو الآن يدرس التاريخ فى جامعة بون فى المانيا . واخراج هذا الكتاب من بيت ميتوين أكبر الناشرين فى انجلترا يدل على التقدير العظيم الذى ناله المؤلف فى انجلترا فضلا عن ألمانيا . وقد بدأ المؤلف بخلاصة عن اصول الحروب الصليبية . ثم عقد للصليبيات الاخيرة فصولا شرح فيها الاشخاص والحوادث مع ذكر الاسانيد التى اعتمد عليها سواء اكانت عربية ام أوربية قديمة ام حديثة

وهذا الكتاب جدير بان يحفظ ويرجع اليه فى درس تاريخ القرون الوسطى و الدوافع العجيبة التى لانكاد نحسها فى عصرنا لأن الايديولوجيه التى تسودنا تختلف الاختلاف مما كان سائدا قبل ٨٠٠ سنة ولكن هل من ينكر ان هذه الايديولجية البائده لاتزال حية عند الصهيونيين فى فلسطين وعند الهندوكين والمسلمين فى الهند ؟

ويحسن المؤلف اذا هو وضع هذا الكتاب فى اللغة العربية . ولكننا من الآن نثق انه لن يجد من يطبعه له بين الناشرين فى مصر . ولذلك نظن أن الجامعة هى التى يجب أن تتولى طبعه ونشره وعليها ان تكلف الأستاذ المؤلف وضعه فى اللغة العربية

عصر فاروق الاول

تأليف قليني فهمى باشا صفحاته ٥٦ من القطع الاكبر مزين بعدد كبير من الصور الفوتوغرافية

يمتاز صاحب السعادة قليني فهمى باشا بعمر طويل واختبارات كثيرة فى السياسة العليا . فقد تقلب فى مناصب جعلته يقف على دقائق الشئون المصرية ويتصل بخفاياها . وهو من آن لآخر يخرج كتابا يشمل ذكريات قديمة فيهتم لها جميع الراغبين فى الوقوف على تاريخ مصر الحديث . وهذا الكتاب الجميل الذى أصدره يحتوى تفاصيل مختلفة عن الاسرة المالكة وعن شئون مصرية أخرى واليك مثلا مايقوله عن زيارة السلطان عبد العزيز لمصر أيام الخديو اسماعيل :

ولقد سر السلطان عبد العزيز ، وتملكه الاعجاب ، عند مالمس عن قرب عظمة هذا الشعب المصرى المجيد ، وتقدمه المطرد فى مضمار الحضارة ، بفضل الجهود الكريمة التى يبذلها فى سبيل رفاهيته وترقية من مرافقة المغفور له الخديو اسماعيل . وأثار ثناءه ، وبعث ارتياحه وغبطته مظهر الجامع الازهر الذى يعتبر اكبر جامعة ترسل النور والعرفان الى آفاق الشرق العربى . وبما يضم بين جوانبه من نوابغ العلماء المشاهير والاقطاب الائمة البارزين

ولقد كانت الفترة التى حل فيها جلالته ضيفا كريما فى مصر ، بمثابة الاعياد البواسم . والافراح والمواسم . بما تجلى فيها من روعة وبهاء . وعظمة وسناء ، فاضت على ارجاء مصر . وغمرت مباهجها صدور أبنائها جميعاً غير أن الخديو اسماعيل لم يكتف بما تجلى فى هذه الزيارة الميمونة من مظاهر الولاء والغبطة بل التمس من جلالة السلطان أن يتفضل بزيارته فى سرايه المعروفة فى اسطامبول باسم « امير جان » لتناول طعام الغداء . فتنازل بالقبول . وقد كلفت اسماعيل باشا هذه الدعوة ملايين من الذهب

ذلك لانه قيل له ، بعد قبول السلطان للدعوة ، انه لا يدخل بناء سبق لغيره سكناه . فيجب والحالة هذه أن ينشىء كشكا بحديقة السراى لاستقباله . فما وسع الخديو مبالغة منه فى اكرام

السلطان الا أن بنى قصراً مقطوع النظير فى طرازه ، وربما لا يوجد نظيره بين قصور اسطانبول الفخمة . وكلف معامل باريس صنع أدوات المائدة من الذهب المرصع بأثمن الجواهر الكريمة ، ليقدم فيها الطعام خصيصاً للخليفة : وهذا كله كبد الخديوى كثيرا من المبالغ الطائلة !

فعند ما شرف جلالته فى هذه الزيارة الكريمة ، أعجبته كثيرا هذه الاوانى ، فامر بقبولها وضمها ضمن الكنوز الثمينة الشاهانية . وكان فى ذلك العمل ، رمز لمعنى الرضاء السامى الشاهانى على الحضرة الخديوية

هذه شئون عن حوادث من التاريخ اعرفها تماما ، ومنها يتجلى مظهر الشعور الوجدانى الصميم الذى كان يمازجه الاخلاص والوفاء بين السلطان وخديوى مصر ، أو بالحرى بين الشعبين المصرى والتركى. ولقد ظلت الحالة قائمة على هذا الاساس من المودة والاخلاص ، حتى احتلت الجيوش الانجليزية مصر ، بسبب الثورة العرابية . فسعى الباب العالى كثيرا لتسوية الموقف الناتج عن هذه الثورة ، واستخلاص مصر من يد الاحتلال . حتى لقد أرسل مندوبا ساميا ـ هو مختار باشا الغازى ـ ليكون رمزا للقوة التركية ، وعنوانا على ارتباط البلدين . والاواصر الوثيقة التى تجمع بينهما . . حتى وقع الحرب الاوربية الكبرى . فاعلنت الحماية الانجليزية على مصر وبذلك انقطعت العلاقات التركية بتاتا مع مصر .

خواطر عن البشرية

مؤلف بالانجليزية للدكتور زكي أبو شادي صفحاته ٢٢٦ من القطع الصغير قام بنشره شركة دانيل فى لندن

هذه هى الطبعه الثانيه لهذا الكتاب الذى سبق ان عرضنا له فى طبعة الاولى . وهذه الطبعة تمتاز بمقدمة شرح فيها المؤلف بعض اراثه . وانه لما يدعو الى الاغتباط ان يعاد طبع الكتاب بعد اشهر قليلة من ظهور الطلبة الأولى. والبشرية هى مذهب جديد يقول بالتدين لخدمة البشرية فى هذا العالم والسعى لرقيهم. وبالكتيب فصول عن العبقرية . وتربية النوع البشرى. والديمقراطية الاقتصادية والتماون . والمساواة بين الجنسين . والاخلاق بين الدول

وزكى ابو شادى يعرفه قراء هذه المجله بما نشرنا له من كثير من الاراء التى تتفق والغاية التى ننشدها من حرية ورقى ويجدر بجميع الذين يعرفون الانجليزية من قرائنا ان يقتنوا هذا الكتاب ويدرسوه